# في أدب الصداقة

عبد الرحمن منيف

ومروان قصاب باشي

@ketab_n
Follow Me
5.9.2012
ketab.me
Best Books

عبد الرحمن منيف

ومروان قصاب باشي

# في أدبِ الصَّداقة

تقديم

الدكتور فواز طرابلسي

ketab.me
Best Books

دار التنوير

Twitter: @ketab_n

عبد الرحمن منيف

ومروان قصاب باشي

# في أدب الصداقة

Twitter: @ketab_n

الكتاب: في أدب الصداقة
تأليف: عبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي
تصميم الغلاف: مروان قصاب باشي

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى / 2012
عدد الصفحات: 448
ISBN: 978 - 614 - 419 - 052 - X

الناشران

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بيروت، الصنايع، بناية عيد بن سالم
ص.ب: 5460-11
هاتفاكس:
009611 752308 / 751438
بريد إلكتروني:
info@airpbooks.com
موقع إلكتروني:
www.airpbooks.com

دار التنوير
للطباعة والنشر والتوزيع

الجناح - مقابل السلطان ابراهيم - سنتر حيدر التجاري - الطابق الثاني
هاتف وفاكس: 009611843340
بريد إلكتروني:
attanweer@gmail.com
موقع إلكتروني:
www.altanweer.com

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrival system, or uansmitted in any means, electronic, mechanical, photo, copying, recording or otherwise, without the prior permission, in writing of the publisher.

Twitter: @ketab_n

الرسائل التي بين أيديكم مساهمة في أدب الرسائل.

بها يسهم عبدالرحمن منيف ومروان قصاب باشي في هذا النوع الأدبي النهضوي بامتياز. نهضوي لأنه درج إبّان النهضة العربية في مرحلتيها المتأخرة والمتقدمة. ونهضوي أيضا بمعنى النبرة الفردية والثقة بمفعول الكلمة وبأهمية التبادل والحوار. ونهضوي أيضا وأيضا لتطلّبه النور الذي يملأ هذه الصفحات .

لم تكتب هذه الرسائل بقصد النشر أصلا - كما هو حال بعض المراسلات الأدبية الشهيرة عندنا - تقرر نشرها بعد وفاة عبد الرحمن بمبادرة مشكورة من سعاد قوادري منيف ومروان. ولا شك عندي بأن عبد الرحمن كان سيوافق لو سئل.

لسائل ان يسأل: هل بقي موقع أو دور أو حتى ضرورة لهذا النوع الأدبي في عصر وسائل الاتصال الاجتماعية: الإيميل والفايسبوك والتشاتينغ وتويتر وغيرها؟ الجواب البسيط هو بالإيجاب طالما ان متبادلي الرسائل عبر وسائل الاتصال الجديدة قد بادروا أصلا في نشر رسائلهم ورقياً بلغات عديدة. لعل هذا «الارتداد» يفسّر سبب استمرار الحاجة إلى الوسائط الورقية، في زمن يكثر الحديث فيه عن «زوال الكتاب الورقي». أحسب ان من ينشر مراسلاته



Twitter: @ketab_n

الإلكترونية ورقيا لا يزال يساوره الاعتقاد بأن الوسيلة الورقية أبقى وأكثر حسيّة من الوسيلة الإلكترونية، تُشرِك مزيدا من الحواس في متعة الكتابة والقراءة. قارن حسيّة حفيف الورق وصرير القلم الخافت عليه بالتكتكة الرتيبة للترقين الآلي. وتحسّسْ مَلمَس الورق وأنت تقلّب الصفحات. وشُمَّ رائحة ورق المجلات والكتب، حديثها والقديم. ولا تستخفّ بالنشوة العابرة المتولدة من رائحة كتاب خارج للتو من المطبعة تتضوّع منه روائح حبر وصمغ وخشب. أو حاول التكهن عن عصر تدوين مخطوطة أو قيمتها من مجرد شميم ما بقي فيها من تلك الروائح ومعها بصمات خطاطين وقراء. الكتاب الجديد رغيف خبز. والمخطوطة خمرة معتقة.

يقول ويواصل الترقين على الكمبيوتر!

وربما كان السؤال الاصعب والأهم هو: ماذا الذي تغيّر ويتغيّر عند الانتقال من التراسل الورقي إلى التراسل الإلكتروني؟ ولست أقول التراسل «الافتراضي»، لأن التراسل غالبا ما يكون بين أشخاص حقيقيين ليسوا يخفون هويتهم كما قد يحصل في حالات معينة من التراسل الافتراضي. تكثر الأجوبة المحتملة. منها وتيرة الاتصال الآنية التي تتم عفو الخاطر في اللحظة إياها (ما سمح بأن يطلق على البريد العادي في الانكليزية لقب «بريد الحلزونة» للمقارنة). وربما أمكن القول ان التراسل الإلكتروني يتيح المزيد من العفوية ومقدارا أرحب من الحرية مع أنه لا يسمح مع ذلك بالتفلّت الكامل من الرقابة والمنع والقطع. ليس يزعم هذا الاستدراك التوسع في المقارنة بين وسيلتي التراسل، بل مجرد التقديم لمراسلة تنشر على الورق. لذا يمكن وقف المرافعة عند هذا الحد.

هذه المراسلات قصة صداقة. صداقة سابقة على بدء التراسل.


Twitter: @ketab_n

وصداقة تجلّت وتطورت أثناءها ومن خلالها. في تعليق على كتاب عبد الرحمن منيف «عروة الزمان الباهي»، عن صديقه المناضل والصحفي المغربي الباهي محمد، كتبتُ ان عبد الرحمن يؤسس في كتابه لأدب جديد هو أدب الصداقة. في هذه المراسلات، يكتب الصديقان عبد الرحمن منيف ومروان قصاب باشي سفرا جديدا في هذا النوع الأدبي.

وأشدد على «أدب» بمعناه الأرحب والاغنى. هذه صفحات لصديقين تخلو رسائلهما من كلمة نابية في حق أحد ومن أي تعريض بأحد. ولا حذف هنا ولا رقابة. يدخل أصدقاؤهما المشتركون الرسائل كما يزور الصديق صديقه. وما عدا ذلك، ما يجعل الصداقة أدبا: النخوة والدماثة والوفاء والاهتمام الحقيقي بالآخر والتواطؤ العميق معه. والأدب هنا كنية عن رقي في المشاعر والسلوك هذّبها سعي مشترك نحو الحقيقة والجمال.

تبدأ القصة بروائي يفقد ثقته بالكلمة، إلى حد اعتبارها قد تعهرت. فيتمنى لو أنه يرسم. بل هو يحاول في الرسم. من جهته، فنان مغترب، لم يعد يكتفي بلغة الخط واللون والكتلة، يريد «البوح»، حسب تعبيره المفضل، البوح بالكلمات. يتقاطع الصديقان عند هم كبير: فنان يبحث عن طرق تعبير بالكلمات، وروائي، مهووس بالفن يجرّب في طاقة الكلمات على تعبير عن الخط واللون والكتلة. مروان لا يستطيع ان يكتب عندما يرسم. وعبد الرحمن لن يستطع الجمع بين الرواية والرسم. ولسان حاله، «لو لم أكتب لرسمت». والسؤال المشترك: كيف للكلمة ان تقول الشكل واللون. بل كيف التعبير عن الفن من غير استخدام لغة الكلمات: قول، قراءة، الخ.؟ يصل الصديقان إلى حد تبادل الأدوار: أكتب أنت


Twitter: @ketab_n

رواية وأنا أرسم. وكل هذه تقاسيم على مهمة مستحيلة طبعا. ولكن كل القصة وكل الفن والأدب والمتعة كامنة في التقاسيم ذاتها.

يتولد عن الاستحالتين إيجاب. الروائي، الذي ينعي «الأمية البصرية» عند العرب، يقرر تأليف كتاب عن صديقه الفنان. يوافق الفنان على ان «يبوح» بما لديه عن حياته وفنه. هكذا يدور القسم الأول من المراسلات مدار مشروع الكتاب الذي سوف يصدر بعنوان «مروان قصاب باشي: رحلة الحياة والفن» (1966). يبني الروائي كتابه مثلما يبني رواياته محاولاً تلبّس الشخصية التي يروي عنها. يضع عشرات الأسئلة لصديقه الفنان. والفنان، الساكن برلين منذ عقود، يجيب في رجع ذاتي إلى طفولة في جنة مفقودة اسمها دمشق وفي بستان الأب في غوطة دمشق. فيذكّره الروائي بأن «الطفل أبو الرجل».

لا تطابق بين الصديقين من حيث العلاقة بالمكان. مروان، الاوروبيّ المدينيّ السكنى والغربة، مرجعه ريفي. او فلنقلْ مرجعه الطبيعة المدجّنة التي سيطر عليها الإنسان -البستان. فلا تصوير من دون الطبيعة: خطوطها، الألوان، العناصر من البرعم إلى الشجرة فالغابة. لا بد من الطبيعة مهما بلغت درجة التجريد في الفن. لن يستطع مروان الرسم ان لم يستعد نور دمشق. تيمناً، يعمّد مرسمه البرليني «البستان».

لا يكتم عبد الرحمن شغفه بالطبيعة «أنا والبنفسج توأمان»، يقول. لكن يبقى مرجعه مدينيا، على غرار أسلافه الذين خرجوا من الصحراء لبناء أعظم المدائن في عصرهم وحلمهم الدائم إرم ذات العماد، الجنة-المدينة على الأرض. ترحّل هذا البدوي كثيرا بين المدن، دراسة وإقامة ومنفى، وروى عن مدن وحلم بمدن. لكنه عاد


Twitter: @ketab_n

ليستقر ويموت في دمشق. ودمشق هي آخر المدن التي أراد عبد الرحمن ان يكتب عنها.

إلى الصداقة، تشكل هذه الرسائل شهادات نادرة عن عملية الانتاج الادبي والفني والعلاقة بينهما. أترك للقاريء خوض هذه الغمار، من رهبة الصفحة البيضاء، ورقة أو قماشة، إلى كيفية اتخاذ القرار النهائي بأن الرواية انتهت واللوحة اكتملت. وما بينهما من سوانح وأفكار وأحاسيس ومصاعب وطموحات ومشاريع.

حسبي الشكل. والمدهش فيه مدى التواطوء بين الروائي والفنان على تطلّب العودة إلى «الأول» فيما يشبه قدسية وثنية. أقول الأول ولست أقول الأصل. يريد عبد الرحمن «غسل» الكلمات. مروان من جهته، يبحث عن براءة اللون الأول، «المادة الأولى للحياة». من تقنيات الغسل عند عبد الرحمن استعادة دور العامية والأمثال الشعبية في الرواية الذي أبدع فيه في «مدن الملح» و«أرض السواد». ومن تقنيات الغسل عند مروان استلهامه فن التصوير الشعبي من الواسطي البغدادي العباسي إلى أبو صبحي التيناوي الدمشقي المعاصر.

لكن عبد الرحمن يريد أكثر. الغسل عنده يعني شحن الكلمات بطاقتها القصوى. فإذا هو، صاحب النظام الصارم في البناء الروائي، يتمنى الكتابة الاوتوماتيكية على طريقة السورياليين. يسمّيها «حديث الحشاشين». ولا يجد أي تعارض بين الإعجاب بالتيار الأدبي الفني الذي طبع القرن العشرين كله، وبين دعوته مروان إلى كتابة نص سومري أو بابلي مشترك ولكن بشكل معاصر. الهم واحد: حرية التعبير القصوى تقلب العالم رأسا على عقب. المهمّ «أن نحاول إعادة ترتيب الكون»!



Twitter: @ketab_n

مروان ينظف اللوحة عل طريقته. هذا فنٌ متعبّد لوجه. يروي مروان لصديقه عبد الرحمن أنه فرح لأن ناقدا فنيا المانياً قال عنه إنه «بدوي متحضر». حري به ان يفرح أكثر لو قيل عنه أنه صوفي. لأنه صوفي إنساني قضى العمر بحاله في استنطاق وجه، بل قل «الوجه». يسائله عن هوية وصفات ومعاني ومشاعر ورؤى وأحساسيس لامتناهية. والنتيجة هي «البوح»، الكلمة الأثيرة عند الفنان. فبينه وبين «الوجه» علاقة عاشق بمعشوق. هكذا أفهم لماذا أراد مروان ان يوضع في مقدمة كتاب عبد الرحمن عنه هذا الاستشهاد من الحلاج: «رأيت ربّي بعين قلبي فقلتُ من أنت؟ قال: أنت». هو بحثٌ عن هوية الأنا من خلال استنطاق هوية الآخر.

تكمن كل عبقرية التصوير عند مروان في تمييزه بين سطح اللوحة واللوحة. السطح هو «القشرة»، سطح أرض منقوبة، كما يصفها، بقيت عليها آثار الكدح من تراب ورمل وجذور. والتشبيه قاصر دوما، كما لا يخفى. وعملية النقب والحفر تتكرر آلاف المرات وتنتج آلاف السطوح. بعبارة أخرى، ليست القشرة هي اللوحة. المخفي أعظم. المخفي هو اللوحة. في إحدى رسائله، يكتب مروان بعض السطور لصديقه بمداد«الصماق»، حبر الأسرار الذي كان يستخدم في المخطوطات القديمة. اللوحة مكتوبة بما نسميه الحبر السرّي. المطلوب الخيمياء التي تستظهره.

«الجسد قميص الروح» يقول الصوفي. والقشرة عند مروان هي قميص اللوحة تتمظهر به على الناس.

يصمت الصديقان وتنقطع المراسلة بينهما لأشهر إبان غزو الأميركي للعراق. يكسر عبد الرحمن الصمت شارحا السبب: الحزن والإحباط. يبلغ صديقه أنه توقف عن الكتابة الأدبية واقتصر على كتابة



Twitter: @ketab_n

المقالات السياسية وعزف عن القراءة. أعادت له دراما العام 2003 مناخات نكسة حزيران 1967. رأى المنطقة العربية تدخل مجددا في نفق ليس له نهاية «كأنه مكتوب عليها ان تبقى كذلك قرنا آخر وإلى ان يستطيع العربان ان يمتلكوا زمام أمرهم، إذا ظل لهم زمام». من جهته، أقلع مروان عن التدخين، كأنما في رد فعل مازوشي على الحرب والاحتلال. ومع ذلك لا يستسلم الصديقان. يعتصم عبد الرحمن بالحكمة الشعبية «إذا ما خربتْ ما بتعمر ». ويستقوي مروان بقول سعدالله ونوس «لقد حكم علينا بالأمل» .

مشهد ختامي: مروان في مرسمه الجديد ينتظر النور تنقشع عنه غيوم المانيا العنيدة: «المهم هو النور » يقول.

ربيع 2011.

جاءنا النور.

نفّذ محمد بوعزيزي وصية ناظم حكمت: «إن لم أحترق أنا/ وإن لم تحترق أنت/ وإن لم نحترق جميعا، كيف للظلمات ان تصير ضياء؟».

رؤيا: ختم عبد الرحمن كتابه عن الباهي محمد مستشهدا بهذا النص الرؤيوي لصديقه، صديقنا المشترك:

«يأتي الطوفان فيصير كل شيء ممكنا وتحذف كلمة مستحيل من القاموس. نوحٌ جديد يطيح الاتكالية البليدة السائدة. رجل وإمرأة تحدوهما الرغبة بالحب والإنجاب والعمل. يعمّران الدنيا الجديدة حسب ذوقهما ويملآن الأرض عدلا بعد ان ملأها الناس جورا.

أين أنت أيها الطوفان العظيم؟»

ربيع 2011.



Twitter: @ketab_n

جاءنا الطوفان.

أخذ «العربان» يمتلكون أزِمّة أمورهم. تشققت السدود وتمرّد النهر. وبدأ الخراب الذي دونه الإ عمار.

كلمات–صور: نور. ماء. دماء.

نحن «المحكومون بالأمل»، نحن مرضى «الأمل الذي لا شفاء منه»، أكثر ما يحزّ في القلب ان لا يكون عبد الرحمن والباهي وسعدالله معنا في هذا الطوفان تحدونا معاً رغبة في إعادة تعمير هذه الدنيا العربية من جديد وملئها عدلا وحرية وخبزا ومساواة.



Twitter: @ketab_n

دمشق 1990/6/12

عزيزي مروان

تحيات أخوية حارة

من دواعي غبطتي واعتزازي، أثناء زيارتي لألمانيا ، أننا التقينا مرة أخرى. صحيح ان الوقت كان قصيراً، وبعض الأحيان مضطرباً، لكن الأحاديث التي خضنا فيها، والأفكار التي تبادلناها جعلتني أثق أكثر من قبل، ان الفن يمكن ان يفعل شيئاً مهماً: ان يجعل البشر أكثر احتمالاً، ان لم أقل أجمل. كان لدي شك كبير، وربما لايزال، أننا نخوض في مياه ضحلة، وبالتالي لا حاجة للكلمات الكبيرة أو الأحلام حول المستقبل، ولهذا فإن الفن، أياً كانت وسيلته، هراء، لعبة مجانين، شيء زائد. ربما اللون، للبكارة التي يتمتع بها، وللحياد الذي يميزه، لايزال قادراً على ان يقول الأشياء بشكل جديد ومختلف، أما بالنسبة للوسائل الأخرى فإنها لفرط ما استعملت واستهلكت فإنها غير قادرة على ان تقول شيئاً، ولهذا أصررنا على استعمالها فقد لا تزيد على كونها ممارسة للعادة السرية، آخر شيء ولا تعني شيئاً أبداً، وهذا، ربما، سر عبثها وقسوتها معاً، وهذا ما يجعلها عصية، في أحيان كثيرة، على إعادة التكوين والتجدد، لكي تقول نفسها دون هذا العلق الذي امتص منها كل دمها. كلمات... كلمات... كلمات، ولا شيء في النهاية. أعتقد ان الفنان الذي يتعامل بوسائل أخرى، غير الكلمات، أكثر حرية، وأكثر بؤساً، لأنه يتعامل مع المادة الأولى للحياة، مع اللون أو الكتلة، ولذلك لديه من الحرية ما يجعله كالله له الحق في ان يعيد



Twitter: @ketab_n

تشكيل العالم كما يريد، دون مثال سابق ودون قيود يفرضها الآخرون. إذا استطاع ووصل إلى ما يرضيه، ما يقنعه، فإنه عندئذٍ يكون قد حقق نموذجاً غير مسبوق؛ أما البؤس الذي أعنيه فهو كيف يمكن ان يقيم بين النموذج الذي خلقه والآخرين، حواراً، ان يخلق صلة. وهذه المهمة، رغم صعوبتها، أسهل، كما يبدو لي، من رد الاعتبار إلى الكلمات المستهلكة والمقبّحة.

يقولون ان الأموال السوداء، والتي تأتي بطرقٍ غير مشروعة، تحتاج إلى تنظيف، ولذلك تدخل في دهاليز معتمة، وتبقى فترة معينة، وبعد ان تجحّش، تخرج من الجهة الأخرى بيضاء. وهذا حال الكلمات. كيف يمكن ان نرد لها اعتبارها، ان نجعلها تعني مدلولاتها وتقول شيئاً محدداً، ان لم أقل صادقاً؟

ربما لجأت إلى هذا الموّال، في أول رسالة لك، لكي أشد على يدك، ولكي أقول ان الرسم، رغم همومه، أداة لا تحتاج إلى تجحيش، ولا تحتاج إلى عدّة، وهي خطاب للآخر بمقدار ما هو خطاب للنفس، ولذلك كانت متعة لي، في مرسمك، ونحن نرى الحياة في ولادتها الأولى، في اكتشاف مراحل الخلق والتكوين، ثم كيف تستوي مخلوقات ناجزة مكتملة، وأيضاً مستقلة عن خالقها لتسافر إلى الآخرين، ولتخلق معهم ألف حوار وحوار، وبعض الأحيان بلغات وأساليب لا يعرفها حتى الذي خلقها.

ومرة أخرى لا أعرف لماذا أكتب إليك بهذه الطريقة، فبعد ان غادرت ألمانيا وتوقفت لمدة ثلاثة أسابيع في باريس، وعدت منذ أسبوعين إلى دمشق، أجد ان الكلمات المراوغة إياها، والتي هيأت نفسي للتعامل معها، تراوغني أكثر من قبل، وتفلت مني. لقد امتلأت كثيراً بالألوان في هذه السفرة، ولذلك لم تعد الكلمات ترضيني أو



Twitter: @ketab_n

تستجيب إليّ. ورغم أني أجلس وراء الطاولة بضع ساعات كل يوم، إلا أني أجد نفسي خاوياً تماماً، أو أجد نفسي جائعاً وغير قادر على الأكل أبداً. إنها حالة نادرة لم تصادفني من قبل، ولذلك عليّ إما ان أبدل وسيلة التعبير، أو ان أوافق، مجدداً، على التجحيش والعدة وكل الالتزامات الأخرى التي تفرضها الكلمات!

آسف أني صدعتك بهذه الرسالة التي لم أحسن اختيار موضوعها أو توقيتها، لكن وجدت نفسي، في هذا الحصار، مضطراً ان أتكلم بطريقة مختلفة، ومع أصدقاء لم يتعودوا مني سوى الصمت.

وفي الختام لا حاجة لأقول الكثير عن سعادتي بلقائك، وعن الساعات الممتعة التي قضيناها معاً، وعن احتمالات المستقبل في ان نلتقي كثيراً هنا وهناك، وأن نتبادل الأفكار والخبرات. وبانتظار ان أسمع منك أو ان ألقاك تقبل خالص مودتي، وتقبل تحيات نذير وباقي الأصدقاء.

**عبد الرحمن منيف**

---

(1) بعد عدة سنوات على رحيل عبد الرحمن منيف تُنشر هذه الرسائل المتبادلة بينه وبين مروان قصّاب باشي. وقد حرصنا على تركها كما هي من دون أي تدخّل. ولذلك قد يُلاحظ القارئ وجود بعض الأخطاء لأنها رسائل كُتبت باليد ولم تُراجع بالطبع من أي من الكاتبَيْن.

الناشر



Twitter: @ketab_n

## اليوم هو الثامن من آذار 1994

الصديق عبد الرحمن، كثيراً كثيراً ما تحدّثت معك (وهو ما يقال عنه المناجاة). والمناجاة تملك قسطاً من السعادة الداخلية وهي بين المحادثة الشخصية والدخول بسرعة إلى ذكريات وتصعيد أفكار ومشاعر اليوم والبارحة والتأكيد على أحاسيس بسيطة تأتي بالتداعي وسريعاً تأخذ معنى تجديدياً واعتراضياً. واليوم -غروبا- وبعد استراحة قليلة وبداية (مناجاة) جئت إلى الريشة والحبر والورق لأسجّل دون سابق تفكير قسطاً بسيطاً مما يجول تداعيا بين عيني وقلبي، بين برلين ودمشق. مثلاً: هناك الطيور الرحّالة والطيور المقيمة أو المستوطنة. ومن الطيور المستوطنة المقيمة، طيور لها عشٌّ في دار أو سطح أو في شجرة صغيرة لا تتركها إلا لتقفز على بعض الأغصان ومن خلال تلك الأغصان ترى العالم كاملةً. نحن هذه الطيور، بين حين وآخر نكون طيراً جوالاً بين إفريقيا والشمال البعيد ترى من السماء الهضاب والسهول، ترى القرى والمدن وترى البوادي والغابات وترى البحار والأنهار وتعود خريفاً وربيعاً إلى (بيوتها) الكثيرة. وسريعاً ما يعود ذلك الطير الصغير إلى عالمه (الكبير) ويشعر بالرضى بحلمه أو بالأحرى برؤية العالم من خلال عشه الصغير. وأنا أشبه يا عبد الرحمن ذلك الطير المستوطن وقد بنيت عشي في برلين وهي (دمشقي) وثم ان برلين أو دمشق هي مرسمي وهو العش الحار حيث (غزلت) به عاماً بعد عام القسط الأكبر والهام من حياتي بكل ما فيها



Twitter: @ketab_n

من اليومية المعتادة والأمل والمناعة والفرح والحزن.

إن أصعب رحلاتي النادرة هي دمشق حيث يعود الطفل الرجل إلى مدينته الأم وقد أخذت دمشق طريقها كما أخذت طريقي والمدينة لها قصة حياة كما للإنسان. في دمشق أشعر بالحنان والحب والغربة أيضاً. وأعود إلى برلين غريباً من جديد. وليست غربتي اليوم كغربة الأمس، الطفل، بل إنها غربة جديدة تبعدني عن الشواطئ المعتادة حيث يوجد الظل ونسمات الأمل الفرحة. أحاول كل جهدي في الظروف المذكورة ان أكسب توازني من خلال الرسم وإذا لم أُوفّق حالاً فإن صديقي هو الحزن وقليلاً من اليأس والقنوط والشعور بالانعزال التام. لقد عدت من دمشق بشعور الغربة المذكور ثم ان مرضي لازمني في برلين وأحاول منذ أيام الرسم بشكل محموم لأكسب شيئاً من الاطمئنان والتوازن.

سنتحدث في المرة القادمة عن الأزهار والبحيرات

**مع تحياتي ولك شوقي وتقديري. مروان**



Twitter: @ketab_n

دمشق 28/4/1994

العزيز مروان

تحيات كثيرة وحارة

الرسائل بيننا لا تخضع للقانون السائد: رسالة وجوابها؛ وبالتالي فإن الكثير مما يكتب يمضي ويبقى في نفس الوقت. إذا لم أجب على سؤال اليوم قد أجيب عليه غداً، وإذا تركت ملاحظة الآن فلابد ان تجد لها مكاناً في وقت لاحق، ولذلك فإن الرسائل حوار مع النفس ومع الآخر في ذات الوقت، وهذا ما يجعلها شديدة الخصوصية، ومحرضاً، ومحطة لإعادة التفكير وترتيب الأولويات.

قبل يومين أو ثلاثة أرسلت إليك رسالة، وكانت تتركز حول قضية أساسية: المخاض الذي أعيشه منذ فترة لكي أكتب يتعسر، يتلوى، يتباطأ، وبالتالي لابد من طريقة ما للتعامل معه. وكما ذكرت لك، المياه ستجد طريقها.

ليس ذلك فقط، ارتكبت حماقة " رسمت " ، والكلمة الأخيرة كبيرة فضفاضة إلى درجة الاستفزاز، وكدت في اليوم التالي انتزع الورقة المرسومة وأستبدلها، لكن قلت لنفسي في لحظة معينة: لماذا يخجل الإنسان من حماقاته؟ لماذا يصرّ على ان يبقى لابساً ربطة العنق ومبتسماً، وكأن لا همّ لديه سوى التقاط صورة فوتوغرافية؟ جبرت على نفسي وأرسلت الرسالة، ومما ساعد كي تصلك بذلك الشكل أني ختمتها في الليلة السابقة، وبالتالي لم أطلع عليها مرة أخرى، وهكذا أخذت طريقها، وربما وصلتك الآن... وتبتسم أيضاً!



Twitter: @ketab_n

هذا النمط من الرسائل محرّض، لا أعرف لأي شيء، ولكن الخوف، أو الجفلة يزولان، يتراجعان، وقد يكون ذلك بداية الإقدام نحو الأشياء المقدسة، المحرمة، غير المعروفة، من أجل اكتشافها، التعرف إليها، محاورتها، وأيضاً سؤالها!

أفكر منذ فترة طويلة، ان تكون هناك كتابة غير خاضعة للرقابة الذاتية، غير محكومة بهذا القدر من العقلانية والبرودة.

أريد من هذه الكتابة ان تنطلق دون قيود، دون خوف، نحو...الاكتشاف إذ يمكن من خلال كتابة مثل هذه ان تفتح أفاقاً، ان تجعل الأشياء أقل قدسية، إذا صحّ التعبير، ويمكن ان يحوّل الكتابة إلى نوع من المناجاة للنفس، مع الآخر، ويفتح آفاقاً جديدة.

هذا النوع من الكتابة، إذا أحسن التعامل، يقيم جسراً بين الفنون، يجعلها متصلة، متكاملة، مفتوحة، وقد يهيء إلى صيغة جديدة. لست متأكداً، ولكني أحس بذلك.

ماذا لو وضعنا أمام أعيننا - حتى دون ان ننظر- مائة سؤال هي الهمّ والشاغل، وأعطينا لأنفسنا المساحة الكافية للإجابة، للتفكير، للتعثر في متاهات جديدة لم نجربها من قبل ؟ ان محاولة من هذا النوع قد تفتح آفاقاً جديدة في التعبير، مجرد احتمال، ولابد من اكتشافها.

لقد قرأت بإمعان زيارتك، في وقت سابق، لبيت مونيه. وكيف كان المتحف مغلقاً، لكن قرأت اللوحات والأماكن والمساحات ورائحة الهواء، ولم تكن تريد، ربما، أكثر من ذلك، لكي تعرف المناخ الذي رسم فيه والذي عاشه!

اللوحة غير المكتملة لوحة كاملة في كثير من الأحيان، لأنها طريقة لاستفزاز الخيال، لإشراك الآخر في ان يعمل شيئاً من أجل اكتمالها.


Twitter: @ketab_n

اللوحة الكاملة ثقيلة، كليّة، قاسية، تماماً مثل الآيات والطقوس الكلية، إذ لا تترك مجالاً للخيال، للآخر، أية فرصة لأن يشترك، لأن يضيف، لأن يتدخل، وبالتالي يصبح الآخر مجبراً، بشكل ما، ان يكون تابعاً مستسلماً، خاضعاً، وأخيراً غير مبدع في قراءة اللوحة. ونفس الشيء بالنسبة للرواية التي تتابع مصائر الشخصيات، مصير كل شخص، لكي تقول كيف عاش وكيف انتهى، دون ان نترك للخيال أية إضافة، أي خيال !

لابد ان نترك مكاناً للتنفس، لنا وللآخرين، في التعامل مع العمل الفني، وإذا أردنا ان نقصر الآخرين على رؤية كل شيء كما نريد قد خسرنا ولم نربح، هذا ما أتصوره، وهذا ما أحاوله، هذه فكرة تستحق المناقشة، ما رأيك ؟

وكذلك الحال بالنسبة للطفولة وحضن الأم ولحظات الخوف والتعب والاكتشاف والانتظار ورؤية الجانب الآخر من الحياة.

إنها أسئلة أكثر مما هي إجابات. وفي إطار البحث والتفكير، ومحاولة رؤية الجانب الآخر من القمر لابد ان نستغرب، ان نندهش، لكن ليس من حقنا ان نهرب من هذا الشيء.

إحدى القضايا التي تؤرقني ان الكلمة : عاهرة. لم تعد لها تلك الدلالة الواضحة والمتفق عليها، والثابتة. إنها تتغير، تتحول، تموج وترتخي أمام القوي الذي يعطيها معنى معيناً، خاصة لأنها متداولة على نطاق واسع، وهذا ما يجعلها، بمعنى ما، مبتذلة، سائبة، دون حماية من أي نوع.

المحاولة القاسية في إعادة الاعتبار إليها لكي تكون ذات معنى، ذات دلالة محددة، وأيضاً طازجة. اللون، يبدو لي، أكثر حياداً، وأكثر استعصاء من الكلمة، وبالتالي لم يتعهر بعد، وهذا ما


Twitter: @ketab_n

يفتح له أفقاً غير مكتشف، غير معروف، مما يجعله أكثر حرية واحتمالاً.

تحويل اللوحة إلى كلمات مصيبة، تحويل الكلمات إلى لوحة مصيبة أكبر. أشعر بعض الأحيان بغضب جامح حين يراد من الفنان ان يفسر لوحته، ان يعرفها. كيف يمكن تعريف رائحة زهرة، عُرف الديك، القبلة، النظرة المقتحمة ؟ كيف يمكن ان نجعل لمسة اليد كلمة واحدة؟ كيف يمكن ان نلخص النهر والماء والغيمة بمعادلات رياضية؟

المشكلة في هذا الاضطراب، في هذا التيه الذي يبدأ لكن ليس له نهاية، ومن هنا تبدأ اللغة الخرساء، وتتراكم وتستمر، إلى ان تصبح هي اللغة السائدة.

كان يفترض ان أكتب بطريقة أخرى لكي أعبر عن بعض الأفكار والأحلام والاحتمالات، لكن الكثير من الطرق له اتجاه واحد، ومن سلكه عليه ان يتابع إلى النهاية ، إلى نقطة تقاطع، أو جادة تقود نحو اليمين، واليمين دائماً معادٍ وقاسٍ وقليل الأدب، لأنه يمسك الإنسان من خصيتيه، ويقول له بصوت عالٍ أنك عدت إلى الزريبة، إلى حضن القبيلة، أو أنك مخطىء ولابد ان تتوب!

أكتب ولا أكتب.

أحرض الذاكرة والقلب

أقلّب الصفحات، لكن صفحة مضيئة تنير لنا العتمة، تقول لنا ما يجب ان يعمل.

أنتظر لحظات الإلهام التي لا تأتي.

أنتظر شيئاً لا يأتي.



Twitter: @ketab_n

أنتظر نفسي في المفرق التالي

أنتظر

أنتظر

ولا بد ان أجد شيئاً ما.

لا أعرف هذا الشيء.

لم أبحث عنه.

لم أتوقعه، لكنه آتٍ

وهذا ما أحاوله في هذه الأيام التي تقع بين الربيع والصيف.

والربيع والصيف لا يأتلفان، لا يدقان إلا الأبواب الموصدة.

هل هناك صيف آت؟

سؤال يمكن ان يجاب عليه بأكثر من طريقة، بأكثر من لون، وبكلمات من نوع جديد، وهذا سوف أحاوله.

سوف أكتب إليك رسالة أخرى لاحقة عن قضايا العمل.

تحياتي وإلى اللقاء في رسالة جديدة.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1994/5/18

عزيزي مروان

تحياتي الحارة

كنت أتوقع ان تتاح لنا فرصة طويلة لحوار مفتوح، لكن طريقة زيارتك في المرتين حالت دون ذلك، والآن أستعيض عما فاتنا عن طريق الرسائل. لن تكون هذه الرسالة إلا فاتحة لاستكمال عدد كبير من التفاصيل، لذلك أرجو ان تجيب بأوسع ما يكون من التفصيل، وسوف أحاول الاستفادة من المادة في الكتاب الذي تحدثنا عنه.

طبيعي لن ألجأ إلى الطريقة التقليدية في السؤال، أريدك ان تتكلم بحرية، والأشياء التي ترى عدم نشرها لن تنشر، إذ يمكن ان تكون خلفية أو إضاءة لجوانب معينة تساعد على "قراءتك" بشكل أفضل.

من الأسئلة التي تخطر بالبال:

- هل كان في العائلة أحد يهتم بالفن، بالمعنى العام والواسع: الغناء، الزخرفة، العزف على آلة موسيقية؟

- متى لفتت نظرك الألوان؟ في أي سن، وما هي الألوان التي استوقفتك بشكل خاص؟ هل الأحمر أول الألوان؟

- الأسود... هل يعني لك غير الليل والقبر والحزن؟ والشمس مثلاً؟

- لو بدأت من جديد... هل ترغب ان تكون رساماً... ولماذا؟

- ماذا تعني لك، مباشرة، الألوان التالية: الأزرق، الأخضر، الليلكي، الأبيض، البرتقالي. كلمة تكفي للإجابة.



Twitter: @ketab_n

- هل تتغير علاقتك بالألوان حسب المكان، الحالة النفسية، التقدم بالعمر، تبدل الفصول، ساعات الليل والنهار؟

- الجسد البشري: أي المواقع فيه يلفت نظرك بالدرجة الأولى، والجسد البشري هنا: الرجل والأنثى؟ ثم ماذا بعد ذلك حسب الترتيب؟

- هل تسمع الموسيقا أثناء العمل؟ أي أنواع الموسيقا؟ وماذا إذا لم تكن موجودة؟

- إذا طلب إليك ان تختار لوناً وحيداً لإنجاز لوحة أي لون تختار؟

- ما هو أقصر وقت بالنسبة لك لإنجاز لوحة؟

- هل التوقيع على اللوحة آخر ما تفعله؟

- لو كنت في مكان منعزل وصعب، كالسجن مثلاً ماذا تختار أولاً: قلماً أم كتاباً؟

- كيف كان ينظر إليك المقربون حين ترسم، وماذا كان رد فعلك؟

- الربوة: هل تعني لك شيئاً خاصاً؟ والصخرة التي كتب عليها: أذكريني، هل لا تزال باقية في ذاكرتك؟ ومقهى أبو شفيق؟

- هل جرحك حجر صوان حين كنت صغيراً؟

- الطين... هل هو صلب أم رخو... في مراحله المتعددة؟

- التراب الكلسي الذي لا ينبت شجراً... هل تحبه؟

- كيف تحس وأنت في مواجهة السهول؟

- لو خيرت بين مكانين: السهل والجبل، هل تشترط وجود الأشجار بالجبل؟

- هل تتكلم أثناء الرسم؟ هل تشتم مثلاً؟ تثني على لون أو خط؟



Twitter: @ketab_n

- هل تحب اللوحة بنفس المقدار في مراحلها المتعددة؟

- من هو أول رسام لفت نظرك، وما هو الذي لفت نظرك في ذلك الرسام؟

- هل تكتشف أشياء جديدة أو لم تقصدها في لوحتك بعد ان تنتهي، وما هو شعورك في مثل هذه الحالات؟

- هل ندمت على لوحة رسمتها؟ على لوحة بعتها؟

- أتتذكر أول لوحة رسمتها، ما كان موضوعها، وأية ألوان كانت الأكثر وضوحاً فيها؟

- ماذا بقي من وضوح تلك الألوان في لوحاتك الأخيرة؟

- ماذا تعني لك العناصر الأولية في الطبيعة: الأرض، الماء، النار، الهواء؟

- هل بدأت بلون معين في لوحة ثم اختفى هذا اللون حين انتهت؟

- لو افترضنا أنك افتقدت إلى لون معين أثناء العمل، هل تتوقف إلى حين الحصول عليه أم تستعيض عنه بلون آخر؟

- كيف تحدد مساحة اللون في اللوحة؟ هل تفضل البدء بألوان معينة أو معالجات معينة؟

- ما هو شعورك أو وضعك النفسي قبل ان تبدأ اللوحة؟ بعد ان تنتهي منها؟ والخوف والغبطة هل هما ضمن هذه المشاعر؟ وإلى متى يستمران؟

- هل تحاول تأجيل البدء باللوحة أو الانشغال عنها؟

- أيصادف ان تعمل في لوحتين أو أكثر في آن واحد، وبألوان مختلفة؟

- إذا وقعت اللوحة... هل تعتبر منتهية أم يمكن ان تعود إليها مرة أخرى؟



Twitter: @ketab_n

- السكين... في الرسم، أتعني لك شيئاً خاصاً؟ ومتى تحل محل الفرشاة ولماذا؟

- الغروب الوقت المثالي للعمل بالنسبة لك الآن، هل كان كذلك في جميع المراحل؟

- ... والفجر ألم يكن وقتاً مناسباً في فترة ما؟

- هل سبق ان توقفت عن العمل لفترات طويلة، متى ولماذا؟ ثم هل العودة إلى العمل من جديد لذيذة أم صعبة؟

- ما هو الله؟ وهل هو الطبيعة والزمان معاً في بعض الحالات؟

- وجود الإنسان على الأرض هل فيه معنى من معاني الخطيئة؟

- ماذا يعني لك الزمن؟

- الصوفية، الشبق، الصفاء، الضرورة، الحاجة، الغبطة، ماذا ترتسم من معاني أو ظلال لهذي المفاهيم في ذهنك، وهل لأحدها منزلة خاصة لديك، وكيف تعيد ترتيبها حسب الأهمية والأولوية؟

- كيف تحب ان تكون المرأة بالنسبة لك؟ وهل للمرأة، مجرد مرأة، علاقة بالأم والخصب والاستمرار؟

- يقولون ان الطفل هو أبو الرجل، هل توافق؟

- أية امرأة يحبها الرجل هي صورة من صور الأم، ولذلك يرتبط الحب بالخطيئة في العقل الباطن بالنسبة للكثيرين، هل يعني ذلك شيئاً بالنسبة لك؟

- الشعور بالامتلاء أو بالاكتفاء، يجعل الإنسان لا يريد شيئاً



Twitter: @ketab_n

إضافياً، هل ينتابك مثل هذا الشعور في حالات معينة، بعد الانتهاء من لوحة مثلاً؟

- ماذا يعني لك: العنف؟ القبح؟ الجمال؟ القوة الجسدية؟ الصبر؟ قتل طير؟ قطف زهرة؟ القيلولة؟

- الرسام في مواجهة اللوحة: قبطان سفينة يسير في الضباب، يحدس إلى أين هو ذاهب، وإن لم ير كل الأشياء، هل هذا وضعك في مواجهة اللوحة الجديدة أم لديك وضوح أكثر من الحدس؟

- هل صدف أنك بدأت لوحة ثم هجرتها، كيف تستطيع ان تحشد نفسك من جديد للتعامل معها مرة أخرى؟

- هل للوحة هدف غير المتعة؟

- والمتعة ذاتها هل تتكرر بنفس المقدار في جميع الحالات؟

- هل للوحة قيمة أخلاقية أو سياسية تبررها؟

- ماذا تقول عن بعض أعمال "الكريكو" (El Greco) أو "بيكاسو" (Picasso)، خاصة "الغرنيكا" (Guernica)؟

- والجمال: في اللوحة هل هو عنصر مستقل أو له معان محددة ودائمة؟ وربما متغيرة؟

- هل تحنّ إلى إعادة رسم لوحة رسمتها من قبل؟

- هل تطلب من أصدقائك، أو هل تسمح، مراقبة العمل في اللوحة، أم تفضل ان يروها بعد ان تنتهي منها؟

- هل تشعر بنفس حريتك أثناء وجودهم؟

- إذا كان الغروب وقتاً مثالياً للرسم، بالنسبة لك، فهل لأيام معينة، فصول معينة، أفضلية أو مزايا تشجعك أكثر على العمل؟

- والأوقات والفصول هل لها نفس التأثير أثناء إقامتك في ألمانيا كما كانت وأنت في سوريا؟


Twitter: @ketab_n

- تتفاءل بالهلال، هكذا ذكرت لي، أتتفاءل بظواهر وأشياء أخرى، وتتشاءم؟

- في أي اليومين تشعر، نفسياً إنه يوم العطلة: الجمعة أم الأحد؟

- هل تعني لك بعض الحيوانات صفات معينة: الشجاعة، الوفاء، الوقار، القوة؟ وهذه الصفات تنطبق على جنس أو على أفراد؟

- والكلب الذي بدأت، الآن، بتصويره، ربما لأول مرة، هل هو شخصية للوحات قادمة؟

- من هو الفنان، الأجنبي، الذي لفت نظرك، استهواك، أحببته، قبل ان تسافر إلى ألمانيا، وهل بقيت تكن له نفس المشاعر أو التقدير؟

- القسوة، الطراوة، الرقة، الحنان، العنف، الشجن، الكآبة، الدمعة، الابتسامة، ماذا تعني لك كل هذه المفردات؟

- هل يولد المطر لديك الحزن أم الفرح؟

- بماذا يختلف الهلال عن القمر: بالضوء، بالحجم، بالدلالة، بعلاقة قديمة؟

- كيف تعاملت مع أول راتب استلمته من عملك: موضع الألوان في سلم الأولويات؟

- العتابا، الصيد، السيران، رائحة الأرض بعد المطر، ألا زلت تتمتع بها وتشمها إلى الآن؟

- الصحراء: الأفق البعيد، الأرض الخلاء، الشمس... كيف توصّفها؟

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**أخي مروان**

هذه هي الدفعة الأولى من الأسئلة، يمكن ان تقدم وتؤخر كما يروق لك، يمكن ان تختصر أو تفيض كما تهوى المهم ان نبدأ، أو ان نواصل الحوار الذي شرعنا فيه قبل شهور.

إذا رأيت ان بعض الإجابات للعلم فقط، ولا حاجة لأن تنسب إليك، فلا حاجة لأن توصيني، لأن الهدف من هذا الحوار الوصول إلى لغة مشتركة أو متقاربة، وهي لتحريض الذاكرة واستعادة الشيء الكثير من المخزون الثاوي في الأعماق لمزيد من تذوق اللوحة والتعامل معها، وأيضاً "ليتعلم" الآخرون كيف يفكر الفنان، وماذا يريد ان يقول.

وكما اتفقنا: يمكن ان تسجل الإجابات على أشرطة، وبعد تسجيلها إما ان ترسل إلي مباشرة وأقوم بتفريغها، أو ان تفرغ وترسل مكتوبة، اختر ما تراه أكثر راحة بالنسبة لك. أما التعامل النهائي مع المادة فسوف نتشاور حوله خطوة خطوة، حسب تقدم العمل.

الأيام التي التقينا خلالها في هذه الفترة كانت غنية وهامة، رغم سرعتها. وصدمة عرضك في دمشق لا تزال قائمة ومؤثرة، وربما تظهر آثارها في وقت لاحق. أما في بيروت فأعتقد ان المناخ أفضل، ولا بد ان تلمس ذلك.

ما زلت بانتظار ما كتب عنك والترجمات، إذ لم يصلني شيء بعد.

في الختام كل الود وتقبل تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**برلين 16-5-1994**

نشأت في بيت عربي مع القاعة والديوان والمربع وغرفة البدو وغرفة المونة (بيت المونة) وكانت تأتي الجمال محملة بالكثير إلى زقاق البركة، بيت الآغا، لترك بعض المحصول البيتي وكان بيت المونة مليئاً. ثم البحرة الكبيرة والبحرات الصغار مع النافورة في الغرف الأخرى والمطبخ الصيفي والشتوي والقسم العلوي من الدار حيث المشرقة ودوالي العنب الأبيض والأحمر والأسود وعلى جوانب المشرقة الغرف المنتشرة. وفي الأحواض كانت (الزريعة) وشجرة كباد ونارنج ثم شجرة ليمون كريمة إلى جانب الياسمين والورد. لقد كانت الأرض، أرض الديار مرصوفة بالرخام الملونة والحيطان كانت من الحجر الأسود وفوقها رصيف آخر أبيض على طريقة هندسية زخرفية. عصراً كانت الديار (تشطف) وتحضّر القهوة ويأتي الجيران أو الضيوف وكان الولد يخرج غالباً للحارة للعب مع الأطفال الآخرين. والساعات الحلوة كانت مع الخالة "إفكات" أو "عفت" و "نعمت" والسماع مساءً قريباً من المنقل للحكايا المشوّقة التي يروونها لنا.

كان والدي يحتضنني قريباً من صدره وجالساً على حضنه وقد خبّأني بالعباءة، و شتاءاً في البكدلية (البجدلية) ولا يظهر إلّا رأسي وهو يروي لي أخبار الظاهر بيبرس بمهل وصوت جهوري مسرحي حيث تلمع عيناه ويأتي "فداوي لِفداوي" و عشرة لفداوي....وأهل



Twitter: @ketab_n

الدنيا بالدنيا لفداوي ثم عن "جوان" الخبيث.... ولما كنت أسير معه كان يقول: امش يا ولدي منتصباً كالرمح وانظر إلى الأعلى إلى الشمس الله يرضى عليك. ومرة بكيت ساعات طويلة ولم تستطع أمي وإخوتي معرفة سر بكائي وقلقوا علي حتى جاء أبي وخبأني تحت عباءته وأنا ما أزال أبكي وأخيراً إطمأنيت قليلاً وقلت له متنهداً: (أني أبكي جهلي وغبائي فلقد سمعت أخي الكبير يتحدث بشكل لائق وهو يقول : إنما... ولا سيما.. ولا بأس ..) فأخذ أبي يضحك فرحاً وهو يقول: ( يا ابني بعدك صغير وبكرة بتكبر وبتروح على المدرسة وبتاخد الشهادات وبتصير متل أخوك وأحسن.)

إن ألوان البيت العربي والضوء فيه مع (الزريعة) هي بمثابة الحلم الأفيولي الذي يلازمني حتى الآن وهناك مرحلة الهدوء عندما يكون الرجال والنساء في العمل، الأطفال في المدارس والنساء في تحضيرهن طعام الغذاء وأنا في البيت إلى جانب أمي مع هذا الهدوء عدا صوت بائع متجول للخضار أو "النَّوَري" المبيّض للنحاس ثم يعود الهدوء حتى منتصف النهار وخروج الطلاب من المدارس حيث تمتلئ الحارة والمدينة ضجيجاً جميلاً وهم يتراكضون إلى البيوت لطعام الظهر وفرصته، وإني أحببت صوت الأطفال الراكضة حتى الآن. أتذكّر ان أيام السجن في المدرسة كانت حزينة قاسية كالسجن وكان قلبي يبكي بعذاب مرير. ان أجمل ذكريات السماء هي سماء الخريف بزرقتها اللازوردية وقريباً يأتي معها الغيم المتقطع كقطيع الغنم وزهر الرمان الخريفي، وإذا أحببت تلك السماء ولونها مع الحزن الطفيف بغياب الصيف وغياب عام، فإن ذلك الحب ارتبط بشعور من الحزن العميق الذي يحيط قلبي بالضياع .. معنى الخريف وغيومه المحببة والزرقة الصافية، ان المدرسة على أبواب الانفتاح للعام الجديد والسجن من جديد.



Twitter: @ketab_n

1994-5-19

هناك انقطاع ثلاثة أيام، حيث أجريت عملية صغيرة وما أزال في المستشفى وسأغادرها غداً.

كان السائق الذي رجعت معه من بيروت إلى دمشق من قرية الديماس وكنت أسأله وأنا جالس أمامه عن أسماء قرى الجبل التي غاب معظمها عن ذاكرتي وإن كانت حية في وجداني وكان السائق عالماً بها يقول كذا وأهلها مسيحيون وكذا وأهلها من الدروز حتى وراء ميسلون وحيث انفتحت أمام عيني مطالع الشام بألوانها السمحة، ألوان الأرض وكأنها أحد أعمال المستشرقين في أجمل ساعة، ساعة العصر. ان تلك البقاع المستديرة على الشام هي الإيحاءات التي أخذتها خلفية للمنظر الوجهي العرضي الأول في بداية السبعينات الأولى وفيها الرحم - النهد - الأرض والأنا ثم الشبق والشوق والقبر. قرأت في الطائرة بنهم كبير "صخرة طانيوس" وفي اليوم الأول في المستشفى أنهيتها. ثم جاء البنج وذهب فأنا أعيش الآن في اختلاط الزمان والمكان بين الجبل وسفوح دمشق والعصر بعيد عن برلين وغريب عن العالم. (لقد بدأت اليوم شرق المتوسط وهذا يؤكد غربتي وألمي.)

إن عصر دمشق وعصر الحارة مرتبط بذاك الضوء الحار، زرقة السماء وأسراب الطيور والسنونو ورائحة الحطب في المشرقة وأمي تحضّر لأيام المونة للشتاء بمساعدة بعض الجيران وخالة "إفكات". ان الصورة المذكورة حاضرة دائماً وقد ارتبط بها قريباً (تقريص) طائرة الورق بألوانها ذات البنفسجي والأصفر إلى جانب الأحمر والأخضر والأزرق ومهرت مع الوقت بصناعتها حيث كنت أشتري " السراس" والورق من عند أبو إيد مقطوعة، والخيط من سوق



Twitter: @ketab_n

الخياطين. كانت الطائرة وبتحليقها، رمزاً محسوساً للفرح، للصعود ولاكتشاف القرى والسهول، اكتشاف الأنهار والقارات.

يمر بردى كطوق من غرب القاسمية معانقاً لها في بدايتها مستديراً معها ثم خارجاً بعد العناق باتجاه العتيبة وقبيل القاسمية كانت أشجار الصفصاف تنحني من طرفي النهر وتكاد تمس زرقة النهر بحنان وحب (كان وما يزال هذا الخضار والماء هما عينا حبيبتي التي أبحث عنها، أجدها فيمتلئ قلبي بالفرح ..).

وجدت في ذلك (البردى) غابات الطفولة وكانت فيه أسرار عظيمة ومملكة هائلة للحيوان ولو تسنّى لي لكتبت الصفحات أو تحدثت ساعات عن علاقتي الوجدانية بذلك النهر وتلك الساعات والسعادة العارمة. وإن العصر والصفصاف ورائحة الحطب ما تزال تكمن سراً وراء فراشي الرسم. سرٌ قائم يأتي من القلب، العين، إلى القماش، قماش اللوحة أو الورقة (أو بنظرة وقبلة حبيب). يلعب الحب دوراً كبيراً في حياتي وكأنه قدري ومصيري، ثم البحث عن المطلق وإعطاء النفس بذلك الحب وأنا أذكره الآن مع النهر لأنه قسم مني منذ الطفولة الأولى.

1994-5-21

يوم عيد الأضحى الأول

أتذكر ان مدخلي الأول للرسم كان في الصفوف الابتدائية المبكرة. كان الرسم بالحبر الصيني وكانت دروس الأشياء الأولى كالزهرة ومقاطعها وهكذا الجسر المبكّر لما بعد. كان أثر الحبر على الورق (والشيء) يقدم لي الفرح والانفعال كما حصل للفرشاة والقلم واللون في المستقبل. تترك أثرك بغضب وحب وحقيقة، كما يترك (القدر) آثاره في الطبيعة والبشر، يأتي من الغيب، من الذكرى، من



Twitter: @ketab_n

الوجد ومن اللحظة عبر الدم من القلب من النور، عبر اليد على الورق وعلى القماش. تداعب، تخدش، تجرح وتستلطف بيدك أداة الحب والرؤيا والاتصال. في تلك السنوات البكر أيضاً، أتذكر أمي تقول لي وأني لم أناهز العشرة بعد (يرضى عليك يا مروان، رسوم (رَسُمْ لفرزت خانم مزهرية زهر و ورد) وفعلت ذلك بالمائي وهذه الذكرى الأولى لطفولتي بالألوان وأنا أتذكرها الآن بعد غياب أكثر من أربعين عاماً على الأقل لأول مرة وأشعر هذه اللحظة أني أراها، تلك (المزهرية الأولى).

**1994-5-30**

إذا خرجت من بابنا في زقاق البركة بعض الأمتار شمالاً وجدت بيت "فهمية خانم" زوجة "صلاح أفندي". أذكر هذا البيت لأنه ربط قلبي الصغير بأول حب عرفته وأحياناً أتذكره بلوعته ومرارته حتى الآن وربما كان بمثابة الحب الأول المعروف. أجّرت فهمية خانم غرفة في الطابق الثاني (المشرقة) و تشرف على الحارة، لامرأة من حماة، و كان موضع حماة من تفهمي للعالم بعد الربوة وجوبر في موضع يكاد يكون في أقصى القارات. كانت السيدة عانس وربما في العقد الثالث من الحياة. لقد كانت في (ظهورها) مختلفة عن (ستات) الشام وتمثل أهل الشمال بلهجتهم المحببة الصادقة. كانت تمثل الأنوثة والطهارة وكان لها هالة خاصة من السحر والحنان.

كثيراً ما كنت أصعد إليها لأكون معها ولتطعمني بعض طعام حماة الخاص الذي لا أعرفه، أو لأشرب القهوة من يدها وقد تغيّرت مشاعري نحو تلك المرأة (الفتاة) بسرعة وعمّت قلبي مشاعر غريبة للمرة الأولى وجديدة، فأصبحت أتعذّب إذا لم أرها وأنتظر الدقائق و الساعات لأكون بقربها وليعاودني ذلك الحس المجهول بالفرح


Twitter: @ketab_n

والانطلاق والسعادة، وحرارة تملؤ قلبي وجبيني. كنت في الثالثة من عمري وكانت تلك المشاعر هي بداية الحنين والحب والتلاقي في ذلك الحب وتلك الساعات، في طريق إلى الخلاص وأحياناً التقرب إلى الله ومعرفته. إذن، لقد كان هذا الحب الأول الذي أذكره والذي له صفات الحب وربما كانت لصفات حبيبتي العلامات الأولى (للأنثى) الغلامية البعيدة عن المرأة كمؤسسة جنسية نسليّة للعبث الرجولي والنظام العائلي. أحب ان أرى الحقول في المرأة وأحب ان أرى البوادي والسهول والصحراء. أحب ان أشم رائحة الحور ولون الصفصاف، أحب ان أتجاوز القرى وأتتبع مجرى الأنهار. أحب ان يلامس النسيم جسدي وأن تتلعثم الكلمات في فمي وأن أرى ألواني سواقي تجري من يدها الرحيمة الذكية.... ان أرى العالم من عينيها و في عينيها، ان أرى لوحتي وأن أرسم لها.


Twitter: @ketab_n

**دمشق 9/6 /1994**

أخي العزيز مروان

تحياتي الحارة

بسرور كبير تلقيت الرسالتين، ولقد عرفت من خلالهما أشياء كثيرة، وهذه الأشياء ستكون مفيدة في رسم الخلفية العامة للدراسة من ناحية، وفي تفسير بعض الأمور والرموز التي كثيراً ما تظهر في اللوحات، من ناحية ثانية. طبيعي سأكون حريصاً وأميناً في استعمال هذه المادة، ولا بد ان نتبادل الرأي حول الكثير مما سيرد لاحقاً.

لست مقيّداً في الإجابة على الأسئلة التي بعثت بها إليك في رسالتي السابقة بشكل حرفي، فقد كان هدف العديد من تلك الأسئلة ان تحرض الذاكرة، ان تجعلك تستعيد الكثير من التفاصيل الكافية في زوايا معتمة منها، ويبدو ان طريقتك في الكتابة والتذكر تفتح أمامي الكثير ولذلك أترك لك ان تتعامل مع الموضوع بالطريقة التي تروق لك، خاصة وأن الأسئلة إذا لم تكن في السياق نفسه يمكن ان تشوش أو تحد من الاسترسال المطلوب. وعليه خذ حريتك الكاملة، وفي حال وجود فجوات يمكن استدراكها لاحقاً.

يقولون ان الطفل هو أبو الرجل، لقد ذكرت لك سابقاً، واليوم وأنا أقرأ طفولتك أستطيع ان أفهم، وأتمتع أيضاً، بأمور كثيرة فاتتني سابقاً، وأستطيع ان "أقرأ" اللوحات بطريقة مختلفة عن السابق. ان مساهمة الفنان في توضيح بعض الأمور ضرورية في أحيان كثيرة، لأنها المفتاح لفهم عالم أغنى وأكبر. بيكاسو الذي تعود رسم سيقان



Twitter: @ketab_n

النساء الغليظة في مرحلة معينة، قال إنه هكذا كان يرى سيقان النساء حين كان طفلاً خاصة وهو ينظر إليها ممدودة تحت الطاولة.

أما القهوة التي كان الطفل - مروان يشربها من الصحن، بطعمها المميز، بالدفء الذي كان يرافقها، بنظرات العيون، فقد جعلت تلك القهوة زاداً لأيام طويلة لاحقة.

والشيء ذاته يمكن ان يقال عن الأخضر والأصفر، فهذان اللونان ليسا اكتشافاً في الطبيعة بقدر ما كانا ذرات صغيرة تتراكم يوماً بعد آخر لتشكيل النسيج الحي للجلد والدم والعظم، وبالتالي لتكون الإنسان، وهذا ما يجعل الضوء يحتل مكانة من نوع مختلف بالنسبة لرسام شرقي عن رسام ولد في شمال أوروبا.

هذا الموضوع ومواضيع أخرى كثيرة سنتحدث عنها لاحقاً، والآن تحياتي ومحبتي، وتحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**

قول الكثير عن سعادتي بلقائك، وعن الساعات الممتعة التي قضيناها معاً، وعن احتمالات المستقبل في ان نلتقي كثيراً هنا وهناك، وأن نتبادل الأفكار والخبرات. وبانتظار ان أسمع منك أو ان ألقاك تقبل خالص مودتي، وتقبل تحيات نذير وباقي الأصدقاء.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1994-6-15

قبيل الغروب، وماتزال الساعة التاسعة والنصف والشحرور يغرّد للمساء. لقد أنهيت شريطين بالحديث لك ومعك يا عبد الرحمن وحاولت اليوم نقلهم على شريط عادي من شريط صغير لخوفي ان الشريط الصغير قد يصعب حصول آلة له في دمشق وأتوقّع إرسالهم لك بعد أيّام*.

أحاول الرسم منذ البارحة بشكل جدّي وقد عدت إلى لوحة كبيرة نسبياً كنت قد بدأت العمل بها قبل أسابيع وهي عرضية. فكرة ذلك العمل (الرأس الطائر) وقد حاولت تنفيذ الفكرة أكثر من مرة إلا ان أدبية الفكرة المذكورة كانت عائقاً منذ البداية وقد فشلت التجارب الأولى على القماش بعد محاولات كثيرة واللوحتان اللتان بدأت بهما تحولتا إلى شيء آخر بعد صراع عسير وها أنا أعاود التجربة من جديد. ان البداية كانت جميلة، ملونة وبها الأناقة والقدرة اللونية والتقنية الممتعة ولكنها لم تملك عملية البناء والتأكيد مع الإصرار. سوف نرى ماذا يحدث. كانت البداية جيدة بالأسود والأبيض فقط مع بعض الأصفر ونقطة خضراء وفي أطراف العين اليمنى، عملت اليوم ساعات حتى المساء وخرجت اللوحة عن طورها الغنائي الأول وتحررت من القيود الجمالية الأولى للسير في طريق التجريب والبحث والتخريب والبناء والأمل باحثاً عن الوجه الطائر أو الرأس الطائر: يقبع كصخرة أو هضبة في منتصف اللوحة وبشكل مركزي



Twitter: @ketab_n

تقريباً وعلى يساره جناحٌ أو برجٌ يمتد من قبيل اليسار في الأعلى حتى قبيل الأفق وعلى اليمين من الأعلى حتى الخمس الآخر من أسفل.

إن التخطيط يبدو سهلاً ويبدأ معه الحلم ثم تأتي الصعوبات التنفيذية ليضيع الحلم على طريق الساعات والأيام ولتبدأ اللوحة من جديد خلاصة الزمان ولتولد اللوحة من جديد مع حلم آخر يرتبط بوثيقة حياة اللوحة مع الزمن وفي نطاق زمان تحقيقها.

لقد أرسلت لي منى صور معرض دمشق يومي الافتتاح فرأيتكم وزاد شوقي لكم. مع حبي. مروان

(*) سجّلت خمسة أشرطة في حوار داخلي، تحدّثت فيه الكثير عن حياتي منذ الطفولة حتى تلك اللحظة وأرسلتها للصديق.



Twitter: @ketab_n

19- 3- 1995

الصديق عبد الرحمن.

كان سفري لدمشق في الماضي ينطبع بالخوف، ليس من دمشق أو الوطن بل من برلين والعودة إليها حيث أواجه الانشطار والغربة من جديد وبشكل مختلف عن أيام الصبا مع امتداد الزمن. أواجه هذا الشعور عند زياراتي للمغرب أيضاً، والمغرب أهلي يا عبد الرحمن ولكنه ليس ( داري وبيتي).

لقد اختلفت هذه الزيارة عن الزيارات الأخرى. لقد كنت كالعاشق يسرع للقاء حبيبه ومع اللقاء كان القلب يبكي لمعرفته بالفراق ثم الألم الكبير البديهي بسبب الحس بالضياع القادم ومعه تقريباً ضياع النفس وثقل القدم على الأرض حيث تكاد تفقد موقعها وظلها في المكان . انتابني في دمشق وعلى الطريق أكثر من مرة ضيق (نفس) وكدت أشعر بالاختناق ثم بنوع من الرعب وحاولت طمأنة نفسي لإيقاف الضيق. كان هذا على طريق العودة من عمان ثم على طريق نبع بردى. لم أكن أريد ان أروي لك ذلك لأني سطرت لك شيئاً آخر في المرسم على قصاصات في مواضع مختلفة وكنت أحب ان أربطها مع بعض لأن فيها مرارة اللحظة وحِدّة المشاعر. قصاصات كتبتها في السيارة عند انتظار الضوء الأخضر أو في احتفال عند صديق أو أول لحظة دخلت فيها مرسمي. وأنا الآن في الدار قبل الذهاب للنوم وقبل العودة إلى عادل وطالع (الآن هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى)!.



Twitter: @ketab_n

1995-3-22

- القصاصة الأولى -

أعمالي شهادة إنسان، شهادة حياة وجودية المصدر من حيث الحب والفرح ثم الفجيعة والموت... والعالم كمرآة لهذه الشهادة.

- الثانية -

زياراتي لكم أفراح وأحزان، أفراح اللقاء والعودة ثم هموم الغربة والضياع، وأحلى هذه الأفراح لقاؤك لأنك أعدت لي دروب حياتي وأصبحت شاهداً عليها وفي مصاف الضمير، انشطر جسدي في موقع القلب شطرين وأحاول عبثاً (البارحة واليوم ) بكل ما فيه من لوعة وحرقة جمع ما انشطر ولملمة الشظايا لمتابعة الطريق.

- الثالثة -

أقف على الشط الآخر من جزيرة والعالم يمر أمامي. رأيت شفقاً بعيداً بلون البرتقالي مختلطاً في أطرافه بالبنفسجي، ولكن ليس لهذين اللونين الطعم الذي أحبه، بل كان يكمن فيهما ببرودة طعم الموت وكاد الحزن يصهر قلبي(سأحاول ان أعيد للونين طعم الحياة.. غداً) أحن إلى صدر الأم، إلى الدفء والمواساة .

و الآن سأحدثك عن الختمية والمائية :

- الرابعة -

- الختمية -

تقدم لي الأزهار معانٍ خاصة مرتبطة بالذكرى، بالرائحة وما تقدمه شكلاً ولوناً من حس مُعاش له طموحات مختلفة، وللختمية أثر خاص في نفسي وذكرياتي الحسية الأولى التي تقارب الطفولة ، أو بين الطفولة والفتوة الأولى . كنت أراها دائماً ولكني (رأيتها) المرة



Twitter: @ketab_n

الأولى في أحد أيام آب في القاسمية ممشوقة باللون الأبيض والآخر بنفسجي أمام بيت فلاحي بين أحضان التراب الحارة وخلفها جدار طيني عارٍ في نور آب وقت الظهيرة. كانت الختمية الأخرى تتحرك وتتفتح في قلبي، في بطني مع المراهقة الأولى . أحسست بشعور خاص لم أعرفه قبلاً، شعور حسي للمرة الأولى مع تصلب وتصاعد في بطني وأنا أنظر إلى ذلك الانفتاح الساحر لتلك الزهرة التي تشابه الحضن، تشابه فاكهة أولى لم أعرفها سابقاً، البيضاء الناصعة، لون الطهارة والعفة ثم الحمراء البنفسجية المحمّلة برحيق ساحر حسي به وعد اللقاء مع الله ومعرفته عن طريق وردة (الختمية) واحتضانها . كان هذا في شهر آب ونوره وقد تحقق الوعد وإن كدت أنسى زهرة أو وردة الختمية مع مرور السنوات .

-المائية -

تكون المائية في الموقع الأول فيما يتعلق بتقنية أصول التصوير لما تتطلبه من حدس ومهارة، من أولية وحدس وكأنها - ألِف لام ميم يجب ان تتزاوج مركّباتها بيد مباشرة قادرة وبوعي باطني حر.... حبيبات الماء ثم تجمعها، بخيرها وجفافها مع الندى وانتشار اللون مع غيث الماء وتحرّك الأصفر بسماحة نحو الأزرق ليعطي عشرات من اللون الأخضر وإلى جانبه الأحمر ليعمل اتصالاً حاراً مع الأصفر ويجلب لون البرتقال واختلاطه الوردّي مع الأخضر ليأتي بلون حنون بين البني والبنفسجي وهناك نثرة من البنفسجي الأحمر وأخرى من الوردي يعانق براعم غصن البرتقال وبين تلك الحبيبات تنفتح بسماحة طهارة الأبيض من (أرض) الورق لتعطي نوراً جديداً من خلف الألوان ... وقبيل جفاف الورق والتقاطه اللون كما ( تلتقط المُحبة في بطنها بذور الحب للعاشق المفتتن )، يأتي خط من أزرق غاضب


Twitter: @ketab_n

أو أصفر الزعفران ... ويبتعد المفتتن قليلاً ليشاهد كدّ (يمينه) وعرق (قلبه) ثم تعود يده بالفرشاة بغيث جديد مع قطرة ماء، كالندى لتولد بقعة جديدة تمليها عليه إشارة ضرورية جاءت من القلب والعين ... وهكذا يأتي نيسان ويترك لحوران وسهوبها ان تنمو ثمراتها مع الصيف من جديد ولما قدمته الحياة من ماء ولون وندى ... وقد تكون سنة خير .

**مائية 1986**

صيف آب

عملت يوماً وبعضاً، على مائية كبيرة جداً، وهذا يحتاج إلى جهد إضافي كبير بسبب الحجم وإنّ الورق مستلق على الأرض كالعروس بانتظار الفرحة الأولى. والمائية يجب ان تُصنع بسرعة (مع جفاف الندى) وكانت المحاولة جيدة إلّا أنّي، وكالعادة لم أرضَ عنها وبدأت أوزع الندى الجديد وهكذا حتى شعرت بالحزن والغضب إلى جانب الفشل لأن العمل كان قبل (الندى) الجديد جيداً. وفي اليوم الثاني جرعت أملاً جديداً وجئت ببعض المساحيق الملونة مع الصمغ ثم الماء وعملت طويلاً وخرجت من شعوري بالفشل والخيبة إلى حالة جديدة من النشوة والانفتاح وأحسست ان شيئاً (سيحدث) .... ثم ركعت، وكان هذا قبيل الغروب ، لأعطي الفم بعض مساحاته في الشكل الأخير، عندما ظهرت لي في ذلك الفم زهرة الختمية ...بلونها البنفسجي الوردي الأحمر في شهر آب.

كنت كالسكران العاشق فرحاً. جلست وأنا ألقي نظرات الشكر (لفاكهة) ذلك اليوم وذهبت أبحث عن حبيبي لأعانقه مع أنغام الليل.

**-القصاصة الخامسة -**

(أحبكم)



Twitter: @ketab_n

أعرف عبد الرحمن كصديق منذ زمن طويل مع أخيه وشقيقتيه، ثم ان ذكرى تلك السنوات ما تزال واضحة في مخيلتي وأذكر أيضاً أني عقب تلك السنوات أخذت (علامة) من "نسيم السفرجلاني" عام 1958 لإيصالها لعبد الرحمن في بلغراد في طريق العودة بالسيارة من دمشق إلى برلين، إلاّ ان هذا اللقاء لم يتم وكانت غايته تنظيم (العلاقات) بين يوغسلافيا وألمانيا*. بقيت الذكرى ومرت الأعوام ما يعادل جيلاً (وصنع) كل منا سيرته وقدره بحلاوة ومرارة. ثم عاد عبد الرحمن أولاً (بوجه) من باريز (السوق الفنية "فياك" (Fiac). ثم جاءت(الأشجار واغتيال مرزوق)، فيها قصة إلياس وكانت أول إشارة حب من صديقي وأخي وجاء اللقاء الأول والثاني وانفتح لي صدر في دمشق، وانفتحت لي صدور في (المزة) شعرت في ظلها بالحب والعزاء والرضاء ورأيت في ظلها بعض سيرة حياتنا البارحة واليوم وأصبحت أحلم بالعودة سراً إلى دمشق لأطرق باب (المزة)، باب السعادة المباركة، لأقول: ها أنا، أين سعاد ؟ بعض الطعام وبعض الشراب! . وأني لا أسأل عن الوداعة والحب لأني أراها في عيونكم. ثم أجلس معكم، مع أخي عبد الرحمن لنتحدث، لأعوض عما فات منذ جيل وأنا بعيد عنكم. إنها لغتي، إنه وطني وبيتي وقد ذهبت طويلاً إلى الطرف الآخر لأرسم لكم تلك اللوحات وكان ثمنها الفراق والبعد، وينبوعها الذكرى .

جلسنا ليلة الثلاثاء - وكنت أحلم بتلك الليلة - وقد ملأت قلبي (سعادة) وفرح عظيم، بكيت بحرارة دون قصد، بكاء الحب والشوق والأسف وكنت متحرراً طائراً فرحاً زوادتي الكلمة والأصدقاء. كانت لحظة من لحظات السعادة النادرة واستمرت ساعات حتى جاء الاحتفال، ودون قصد:



Twitter: @ketab_n

وقفنا قبل عتبة الدار للوداع وقبل الخروج، وكنا في صف منظم كالحلقة المغلقة، في وجهها سعاد (كالصبحة) وكأن الليلة لم تنتهي أو ان الفراق لم يحن بعد، فجاءت "أنا زرني طيفك بمنامي" من حنجرة مخملية فياضة فيها الدفء والحنان وفيها عذوبة (النبعة) والغدير للعطشان المنتظر. نظرت إلى الوجوه فرأيتها تشع نوراً وقد أوقف الصوت والنداء الليل، ورأيت وجه سعاد، ورأيت في عينيها نوراً يشع لم أرى مثله وزّعته على الحاضرين بكرم ومحبة وهي تتابع "طمّعني بالوصل"، فكان جهدها دون جهد ظاهر وكأنها أم أو راعية قوم تقف على هضبة النداء والمحبة، معلنة في وقت ليس له علاقة بالزمن، بداية الاحتفال ونحن حولها نغرف من عطاء (السعادة).

لا تحدث تلك المتعة الجماعية، تلك الوحدة الروحية مع القرب الجسدي المواسي بالفرح والعزاء إلّا في الشرق، إلّا في بيوتنا، إلّا في بيت عبد الرحمن وسعاد الكريم .. وعزة تقف حاملة حزنها بجمال عظيم (ثم يطيب الجرح يا عزة بحرارة الذكرى ويأتي الحزن المحبب). مروان

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت؟، قال: أنت.

أرى ان تكون فاتحة الكتاب إذا وافقت

طلعت شمس من أحبّ بليل فاستنارت فما عليها غروب

**الحلاج**

---

(*) كنت في وقتها مسؤولاً عن تنظيم حزب البعث في ألمانيا والنمسا.



Twitter: @ketab_n

دمشق 1994/7/5

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق

الآن فقط، والوقت الظهر، انتهيت من سماع الأشرطة الثلاثة التي أرسلتها. رائعة وهامة، ويمكن ان تفتح الطريق عريضاً من أجل كتابة مناسبة. كنت وأنا أستمع أخشى من شيء واحد: ان تنتهي! كنت أريدك ان تواصل، ان لا تتوقف، ولكن لكل شيء نهاية، بما فيها الأشرطة والحديث.

لقد سررت إلى أقصى الحدود بمعرفة هذه التفاصيل. صحيح أني تلمست بعضها أثناء الأحاديث التي جرت بيننا هنا ثم بعد ذلك من خلال الرسائل، أما الآن، وبعد سماع الأشرطة، فقد أصبحت أشياء تقف على أرجلها، كما يقال. ليس ذلك فقط اكتشفت أشياء كثيرة مشتركة بيننا، بما فيها ذلك الشحرور الذي يفتن لياليّ والكثير من الأمسيات أو مطالع الفجر. هذا الطائر الحذر في حياته اليومية. والذي يكمن بين الأشواك في أحيان كثيرة والذي يطير من أقل الأصوات والحركة، هذا الطائر ذاته يملأ الدنيا "صخباً" وهو يعلن بفجور رائع عن وجوده وحيويته ورغباته. كنت أتمنى ان يحل محل الغراب في مشروعك الجديد، لكن من خلال العروض التي قدمتها عن "الرؤيا" الجديدة لما تريد ان تقوله عن العلاقة بين الأشياء وحركتها يمكن ان تبرر اختياره. أما البلبل الذي كان يلون خلفية مقاطع التسجيل فقد جعلني قريباً جداً من المكان الذي كنت فيه خاصة حين يعلن جرس الكنيسة البعيد والأقرب إلى الخفاء، عن حركة الزمن وتتالي الأيام.



Twitter: @ketab_n

سوف أتدبر طريقة مناسبة لتفريغ الشريط، وحبذا لو حاولت ان تحتفظ بنسخة نقية منه، لأنه شهادة صادقة وواسعة وهامة، ولا بد ان تفيد الدارسين في المستقبل. طبيعي هناك كم من الأخطاء اللغوية - من حيث القواعد - لكنها لا تؤثر على الفكرة أو الموضوع، وحبذا لو أنك تعتمد الطريقة الساكنة في نهاية الكلمات، لكي تتجنب بعض الشتائم التي سوف تصدر من المتحذلقين اللغويين، وأيضاً ربما من المفيد ان تترك نفسك قليلاً، وهنا نشترك بنفس الخاصية، لأن روح البداوة لا تزال متجذرة فينا، إذ ما أكاد أعرف ان هناك تسجيلاً حتى أتوتر، وأبدأ أتكلم مثل أي واعظ مسجد!

كل هذه الملاحظات دافعها الفرح الكبير والحقيقي بهذا الكنز وبالتالي أريد ان أعبر عن ما أحسست به، عما اكتشفته، ولا بد ان تكون جولات عديدة قادمة.

لن أوجه أسئلة في هذه الرسالة، إذ لا بد من ترتيب الذاكرة من جديد بعد هذا الفيض الذي جاءني من عندك، ولا بد من إعادة صياغة بعض الأفكار لكي تبدو بشكل دقيق ومعبر حين تكتب، خاصة فيما يتعلق بالأساليب والمدارس والتقنيات، إذ لا تزال هناك حاجة للتوسع ببعض القضايا، وإعطائها صياغات محددة.

لا أدري كيف ستكون المعالجة الأخيرة للمادة، لأنها من التنوع إلى درجة مغرية، إذ يمكن ان تكون سيرة فنية وسيرة ذاتية، وإذا كان الكثيرون قادرين على ان يخوضوا في الجانب الفني، وهذا من حقهم، إلا ان السيرة الذاتية من الخصوصية إلى درجة لا يباح معها أي تصرف دون رغبة وموافقة صاحب العلاقة، وما إذا كان ينوي ان يقوم بها بنفسه أو ربما يتيح لآخر ان يفعل ذلك، بعد ان يقدم له المادة الأولية والمعطيات التي تيسر ذلك. قد يكون الموضوع



Twitter: @ketab_n

سابقاً لأوانه، لكن رأيت ان أطرح هذه الفكرة الأولية لكي يتحدد اتجاه السير، ونوع المادة التي سوف يتم التعامل معها.

هناك أفكار كثيرة يمكن ان تناقش، سواء بالنسبة للمراحل أو رموز بعض الأشكال، وما قلته عن الغطاء الذي احتل مرحلة معينة، وماذا كنت تريد ان "تقوله" من خلال هذا الرمز. وكذلك الحال بالنسبة لمرحلة الدمى أو الطبيعة الصامتة.

أما بالنسبة لعملية تحطيم اللوحة، والإلحاح على فكرتين: الأخلاقية - والأدبية، فأعتقد أننا بحاجة إلى وقفة طويلة لمناقشة أدق، خاصة وأن الأخلاقية - والأدبية لهما من المفاهيم والتنوع ما يقتضي ان يتحددا. أما الغنائية والجمال فإنهما لا يقلان أيضاً عن الفكرتين السابقتين، وبالتالي ضرورة تحديدهما لكي لا يقع أي لبس.

الكم الشعري في التسجيل هائل، وبعد ان سمعته أقول لنفسي: هل لا تزال لدى مروان الرغبة أو الإمكانية لأن يقول شعراً. وشعراً خالصاً.؟ الفكرة جديرة بالتأمل ويجب ألا تستبعد بالكامل أو رأساً. يمكن ان تخط يومياً بضع كلمات وقد توشحها بشكل ما، وبعدها قد تنتهي الأمور إلى شيء جميل وخاص؟

أما نوع الموسيقى والغناء أثناء العمل، وما يعني لك كل لون من هذه الألوان فالأمر جدير بالتوقف، لمعرفة دلالات هذه الموسيقى، ومتى تكون مناسبة ومتى لا تكون، خاصة وأن الاستغراق بالعمل، في الكثير من الأحيان، يخلق للإنسان مزاجاً خاصاً. وماذا عن الميلويّة؟

هناك أشياء كثيرة أخرى، ولابد ان تتضح بعد ان يفرّغ الشريط، خاصة وأنك تدرك ان مراكز الدماغ وفعاليتها تختلف من واحد لآخر، وأنا لا أستطيع ان أستوعب إلا من خلال العين، بالنظر



Twitter: @ketab_n

إلى الأشكال والكلمات المكتوبة، وهناك بشر وهبهم الله القدرة على ان يلقطوها على الطاير، وآذانهم تسعفهم كثيراً.

سوف أقوم بزيارة للقنوات خلال الفترة القادمة، لأن ما ذكرته حرضني، مع أني أعرف، بمقدار، تلك المنطقة، مع العلم ان سعاد من القنوات - تعديل، وكنت أحمل عزة كل يوم إلى هناك، عندما كنا موظفين، وكانت عزة صغيرة. المهم ان معرفة الأماكن أو مسرح العمليات، حسب التعبير العسكري، يتيح فرص أكبر للتذوق والاستمتاع، لأن استعادة الأماكن يتم من خلال الحواس كلها، وليس من خلال الرؤية المادية المباشرة.

وعلى فكرة... لقد قرأت قبل فترة جزءاً من مذكرات "فخري البارودي"، واستمتعت بها، وكنت أتمنى لو ان تلك المذكرات كاملة ومنشورة جميعها، لكن لم يتح ذلك بعد، ان قراءات معينة تغني الفنان وتضيف إليه الشيء الكثير، أو على الأقل تذكره بأشياء توارت في الذاكرة ولو إلى حين.

هذه الرسالة أكتبها على عجل، وفور انتهائي من سماع الأشرطة، وكما ذكرت لك سوف أجهّز مجموعة جديدة من الأسئلة وأبعث بها إليك، ومن الطبيعي، وحسب الاتفاق، لست ملزماً ان تجيب عليها كلها أو حرفياً، إنها فقط لتحرض الذاكرة، ولكي تسد بعض الفجوات.

أحييك بحرارة، وتقبل تحيات الجميع وبلغ الجميع تحياتنا.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 26/10/ 1994**

أخي العزيز مروان

تحيات حارة

أكتب إليك هذه الرسالة السريعة قبل سفري بساعات قليلة .

المخطوط المرفق، الصيغة قبل الأخيرة للدراسة، آمل ان يتاح لك الوقت للاطلاع عليها، حتى إذا التقينا بعد بضعة أيام نستطيع ان نستكمل النواقص وأن تعدل بعض الفقرات بشكل مناسب.

لايزال هناك فصلان الأول: المعرض الأول: عن المعرض الأول 1967 ، والثاني عن الحجاب، الملاحظات الأساسية حول هذين الفصلين جاهزة، وبمجرد عودتي من السفر سوف يأخذان شكلها النهائي.

كما ان هناك مقدمة، كمدخل، إضافة إلى خاتمة، وهي بمجموعها لن تتجاوز الخمس أو الست صفحات. إذا كان لديك ملاحظات أرجو ان تهيئها، حتى يتاح لنا الاستفادة من الوقت الذي سنلتقي فيه. كما ان تجهّز صور اللوحات التي تراها مناسبة للتعبير عن كل مرحلة، وحبذا لو توفرت بعض الصور الفوتوغرافية حول عدد من الموضوعات الواردة في هذه الدراسة، طبيعي بما فيها عدد من الصور الخاصة بك من الطفولة حتى الآن.

معذرة للسرعة في هذه الكتابة، وسوف نحاول دراسة كافة القضايا والاقتراحات، ولابد ان نصل إلى صيغة مناسبة.

ختاماً تقبل تحيات الجميع وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

ملاحظة

عزيزي مروان

1-أرفق رسالة نعيم اسماعيل راجياً ان يُهيئ لي صورة واضحة عن الرسالة التي وجهتها إليه، لأن النسخة التي وصلتني سابقاً غير واضحة.

2- كما أرجو ان تخصص فقرة، أنت تكتبها حول أسباب مجيئك إلى برلين لمتابعة دراسة الفن، وشكراً



Twitter: @ketab_n

**دمشق 20/11/1994**

العزيز مروان

التحية والسلام

عدت إلى قواعدي بعد السفرة الممتعة. أنجزت الفصول الأخيرة، واستدركت بعض الملاحظات، بعد النقاشات التي جرت بيننا، وأعتبر ان الصيغة الحالية هي الصيغة شبه النهائية، إلا إذا جدّت أفكار أو ملاحظات أساسية. أرجو ان تتطلع بعناية على هذا النص، وأن تبدي رأيك، وأرجو ان يتم ذلك بسرعة، لأن من جملة عاداتي السيئة أني إذا انتهيت من عمل ألا أعود إليه مرة أخرى، وإلا حصل معي كما يحصل معك في تحطيم اللوحة، مع فارق أساسي، أنك تمتلك الجرأة لتعود إليه من جديد، وأنا غير قادر!

أتعاون حالياً مع نذير لتدبير بعض صور دمشق الخمسينيات، إضافة إلى تصوير بعض اللوحات الموجودة لديه، وأعتقد ان ذلك سيتم في غضون أسبوعين. سوف أتصل بأديب من أجل صور، وربما ملاحظات عن تلك الفترة.

سوف يتصل نذير بزوجة عبد القادر لمعرفة ما إذا كان لديها بعض رسائلك الموجهة إلى عبد القادر، أما بخصوص صورة زقاق البركة، وحول وجود لوحة لها عند الجعفري، فتقدير نذير ان الفنان المذكور يتلذذ في الرفض، وبالتالي احتمال ان يتعاون معنا احتمال ضعيف، ومع ذلك سنحاول.

أما بخصوص الطباعة فأعتقد ان اقتراحات ضياء في هذا



Twitter: @ketab_n

المجال مفيدة وعملية، لأن معظم الناشرين هنا سيترددون في تبني كتاب مثل هذا نتيجة الكلفة العالية، هذا أولاً، ثم ان مثل هذا الكتاب يجب ان يكون بسوية عالية من حيث فرز الصور والإخراج الفني المميز، خاصة وأنه سيكون عنواناً لأهمية الفنان، لذلك أرجو ان تواصل اتصالاتك مع ضياء ومناقشة كافة التفاصيل، تمهيداً للوصول إلى الصيغة الفضلى.

وحول العدد المحدود الذي اقترحته من النسخ الخاصة، فإن لدى ضياء تجارب هامة في هذا المجال، وحبذا لو استطعت السفر إلى لندن والاطلاع على ما لديه، يضاف إلى ذلك ان لقاءكما معاً سيفتح المجال واسعاً من أجل الوصول إلى صيغ وأفكار مناسبة لإخراج الكتاب بأفضل شكل ممكن، بما في ذلك الاتفاق على إخراج الصفحات المكتوبة، والتي يجب ألا تكون تقليدية، إذ يمكن التوقف عند كل صفحة واختيار ما يناسبها من الصور بالأبيض والأسود.

أما حول وزن الورق، فأفضل ألا يزيد عن 120 غراماً، ويمكن الاكتفاء بمئة بالنسبة للنص، واختيار وزن آخر، من الورق ذاته، للوحات.

وبالنسبة للعنوان الأخير فأفضل ان يقتصر على الاسم المفرد (مروان) وإذا كان هناك احتمال لأن يكون العنوان غير واضح يضاف: (مروان رحلة الحياة والفن دمشق- برلين)

لا بد من البت بهذا الأمر، خاصة وأن هذا الكتاب سيكون الأول عنك بالعربية ومن المفيد ان يكون هناك توضيح مناسب، في الأماكن التي لم يعرف بها الاسم كفاية، وإلا تحول إلى رواية!

سأطلع نذير على المخطوطة، إذ ربما تكون لديه بعض الملاحظات.


Twitter: @ketab_n

هذا ما لدي الآن، وإلى ان أسمع منك تقبل تحياتي الحارة، وتقبل تحيات الجميع

**عبد الرحمن منيف**

ملاحظة أخيرة

نهاية صفحة 54، "حول اختياره لألمانيا، يقول: " وهذا معناه ان تدبج صفحة أو أكثر حول الأسباب.

أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالنهاية، إذا كنت لا تزال ترى ضرورة لذكر اللعثمة والذكر فأرجو ان تبعث بما تريد ان يدوَّن.

ولا تنسى الصور الشخصية أيضاً.



Twitter: @ketab_n

دمشق 1994/12/3

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

حين أسمع صوتك على الهاتف أشعر بالاطمئنان، وأشعر أيضاً بثقل الزمن. لقد مضى وقت طويل منذ لقائنا الأول عام 1956، لكن حين التقينا من جديد في برلين عام 1990 ثم بعد ذلك، فأشعر ان الزمن ليس مجرد سنوات إنه شيء آخر، ويبدو أقرب إلى الحيرة. هل صحيح ان كل ذلك الزمن قد مر؟ وكيف نفسر طزاجة اللحظات الأولى، عبقها، استمرارها؟ وماذا يعني الزمن في النهاية؟

من خلال الفن يمكن ان نعطي للأشياء، بما فيها الزمن معنى جديداً ومختلفاً، لأن هناك ركائز أو أموراً أقوى من ان تعبث بها الأيام. إنها أقوى وأكثر ثباتاً، وهذا ما يجب ان يعبر عنه بالفن، وأن يكون ممكن الوصول إلى الآخرين. لا أعني كل الآخرين أو فوراً، ولكن خيطاً ما، إشارة ما تومئ إليه، تستحضره، تعطيه إيحاءات لا علاقة بالتقاويم، حساب الأيام والسنين.

الكلمة زلقة، والموسيقا هاربة، والمسرح لحظة، ولذلك فإن الإنسان يثبت نفسه من خلال سحر الأشكال والألوان، ولقد قبضت على هذه الخاصية، واستطعت من خلالها ان "تقول" الكثير، والذي لا يمكن ان يتخفى أو يغيب. إنه ضد الزمن بمعنى ما، أي له القابلية على الثبات والاستمرار، ومن هنا تبرز الأهمية والضرورة والمتعة والألم، وهذا ما تحاول ان تؤكده، خاصة في لوحاتك الأخيرة. إنها



Twitter: @ketab_n

شهادة، صرخة، فعل، قوة، قدرة على الاستمرار، وبطريقة خاصة جداً. قد تكون هذه الطريقة غير مفهومة بالمقدار الكافي الآن، ولكن تسجيلها، لحظة بكر، كمفاجأة، ضرورة كبيرة وهامة، وبعد ذلك يمكن هذه الطريقة ان تفاجئك أنت نفسك، وبالتالي تشعر بمتعة مضاعفة، إذ هل يمكن للإنسان ان يمتلك هذه الإمكانية، هذه القدرة، هذه الخاصية ؟

لو لم أكتب لرسمت. أعرف أني لست موهوباً في هذا المجال، لكن الغليان الذي يملؤني، والذي يفيض باستمرار لا يمكن ان تستوعبه الكلمة المعهرة والتي أصبحت شائعة إلى درجة أنها لا تقول شيئاً البتة، أو تقول الأشياء كلها دفعة واحدة، وبالتالي لا معنى لها. هذه خاصية الكلمة، إنها طريقة استعمالية إلى درجة آلية، مما يفقدها سحرها، بكارتها، لحظة انفجارها. وربما كان التشكيل وحده يمتلك خاصية تجعله مختلفاً.

إنني الآن أتكلم وحدي، تقريباً أي لا أريد ان أثبت شيئاً أو ان أقنع أحداً، ولكنها لحظة الإغراق مع حديثنا الذي بدأ قبل ساعة على الهاتف.

بدأت تخاف عندما تحولت اللوحات والحياة إلى كلمات، ولذلك أخذ ينتابك الوسواس، وبدأت تفكر مرة بعد أخرى: ماذا لو أضفنا ؟ ماذا لو غيرنا ؟ ماذا لو كنا أكثر حذقاً في ان نقول هذه الأشياء أو ان نخفيها؟ أعرف هذه الوساوس، وأعرف كيف يمحي الفنان ويعيد مئات المرات قبل ان تسجل عليه، ولكن ما دام هناك متسع في الحياة فلا بد ان نحاول مرة وثانية وربما عاشرة، علنا نقول الأشياء بطريقة أفضل! كل ما تقدم مجرد مقدمة.

الآن، أبعث إليك ما أتذكره وما وجدته تحت يدي من أقوال،



Twitter: @ketab_n

أقترح ان تكون بداية فصول: ورقة بيضاء، بداية كل فصل، لا تحمل سوى قول صغير يلخص الرؤيا والفصل معاً، وثّبت فكرة أيضاً، لأن الأمية البصرية التي نتمتع بها في المرحلة الحالية تجعل هناك ضرورة ان قيادة القارئ كما يقاد الأعمى، لكي تقول له، بطريقة غير مباشرة ما هو مهم، وما هو أقل أهمية، ولكي تعلمه كيف ينظر إلى اللوحة، كيف يتعامل معها.

أعرف ان هذه الأقوال سريعة، وربما لا تفي بالغرض، ولذلك أترك لك ان تضيف، ان تعدل، ان تحذف، لكي نصل إلى الصيغة الأفضل. حاول، والمحاولة جديرة، لأن الكثيرين بحاجة إلى مفتاح، إلى لافتة طريق، إلى من يقول: من هنا.

أما دراسة الأمر العملي مع ضياء فضروري، ولا تنسى ان المهم: إنجاز عمل كامل من جميع النواحي، وأيضاً سهل الوصول إلى القارئ، مع الإشارة ان الكثيرين من الذين يريدون المعرفة والتمتع لا يملكون الكثير من المال.

ولا تنسى أيضاً الطبعة الخاصة: مئة نسخة أولى، وخمس أو عشر نسخ خاصة جداً، ويمكن ان تصل إلى قرارات واضحة بعد ان تطلع على أعمال ضياء، وبعد ان تتعرف على الآفاق التي يعمل ضمنها وخلالها.

وفي الختام أحييك بحرارة ولا تنسى ان تسلم على "أنجيليكا" والأصدقاء وتقبل من هنا تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 1995/1/2**

العزيز مروان

أولاً: تحيات حارة وأشواق كثيرة

وثانياً: التهاني بالسنة الجديدة، والتي أتمنى ان تكون أفضل من السنة الماضية.

وثالثاً : تأخرت عليك قليلاً في إنجاز التصحيحات الأخيرة للمخطوطة، إذ كنت في حالة نفسية كئيبة بعد وفاة جبرا.

في الأيام الأخيرة، وكمحاولة لخلق مزاج جديد، تفرغت للمخطوطة فقرأتها مجدداً، واستكملتُ بعض الملاحظات والإضافات، خاصة بعد رسالتك الأخيرة، بحيث أصبحت الآن في وضع مرضٍ، وربما كامل.

أرسل إليك الآن صورتين من الدسك، واحدة احتياطية للطوارئ، ويمكن لضياء ان يشتغل عليها بالاتفاق معك لكي تأخذ صورتها النهائية، علماً بأن تحويل الحروف أمر في غاية السهولة، كما يمكن إضافة الحروف اللاتينية للأسماء لمنع وقوع الخطأ.

باعتبار ان تلفوني كان معطلاً، ولا يزال، لم يتسن لي الاتصال "بماهر كيالي" لمعرفة ما تم بينكما من أجل الخطوات العملية اللاحقة. آمل ان يكون الأمر قد تبلور وأن نشرع في إعداد الكتاب للطبع بالسرعة الممكنة. ولازلت أفضل ان يصدر الكتاب قبل معرضك في عمان ودمشق، لأن ذلك يساعد الكثيرين ويجعل الاستقبال يليق بفنان كبير مثل مروان.



Twitter: @ketab_n

التقيت مؤخراً بنذير، أبلغني ان أكثر الصور التي طلبتها منه أصبحت جاهزة، وسوف أرسلها إليك حال استلامي لها. قرأ نذير مخطوطة الكتاب وكان راضياً وفرحاً.

العنوان المقترح، برأي، هو : مروان / رحلة الحياة والفن/ دمشق- برلين.

رأيت أخيراً كتاب محمود درويش الجديد، وهو من تصميم ضياء، إنه جميل، خاصة بالحروف البارزة ومكان اللوحة على الغلاف.

هذه الرسالة طابعها عملي، وأبعث بها مع أصدقاء جاؤوا لقضاء أعياد الميلاد ورأس السنة في دمشق، آمل ان تصلك بسرعة، وأن أسمع منك بسرعة أيضاً.

وفي الختام تحياتي وتحيات الجميع، مع كل الود.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

21/ 1/ 1995

العزيز مروان

تحيات كثيرة واشواق

التلفون لم يعد وسيلة مناسبة لحل المشاكل ومتابعة الأحاديث، لأن الخطوط متشابكة أو مقطوعة، وبالتالي لا يعرف الإنسان كيف يتصرف!

الآن وقد عاد التلفون للحرارة والحركة يمكن ان نتبادل آخر الأخبار، ومع ذلك يبقى البريد الوسيلة الأفضل، رغم التأخر. ليس ذلك فقط الصور والألوان لا تنتقل عبر الهاتف، ولذلك لابد من البريد.

هيأ لي نذير كل ما طلبته منه: الصور والسلايدات، وقد ساعده عدد من الأصدقاء، وهي بين يديك صور زقاق البركة وبعض صور المرحلة الأولى، إضافة إلى قهوة أبو شفيق تخير منها ما تراه مناسباً لكي تنزل في الكتاب.

بعثت اليوم رسالة إلى "ماهر" أطلب ان يبذل اقصى جهده من أجل الاتفاق معك ومع ضياء على إصدار الكتاب، وقد لا أعرف ان وصلت رسالتي قبل ان تلتقوا، أو بعد ان يكون اللقاء قد تم.

ومع ذلك آمل نتائج إيجابية. نذير يسافر غداً إلى القاهرة لاستلام الجائزة التي حصل عليها في بينالي الإسكندرية، وقد شعر بالانتعاش وسوف يقضي هناك بضعة ايام.



Twitter: @ketab_n

هذه الرسالة عملية جداً، وبهدف إيصال الصور بالدرجة الأولى، وسوف نلتقي في رسائل من نوع آخر في وقت قريب. مع تحياتي ·

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1995-3-23

اللون هو اختراع والخط اختراع ... والحب أيضاً .

أرضى تماماً عن (المائية) لأني أقدم فيها الحركة والوحدة في الإشارة كما هو عند الخطاط (الوحيد) مثل الألف وهي تشير إلى الواحد، إلى الأعلى بجلالة الله والمطلق. الماء وقطرات اللون تسيّرها إشارات تقارب السيرة العفوية بنشاط روحي وجسدي متصاعد، وثم معاشرة تلك (الحادثة) بشكل دقيق مع (حبات) الزمن. هناك بعض الأشياء التي أريد ان أقولها لك وتأتي لوحدها بعض الساعات أو الدقائق وكم أتمنى من الله ان يعطيني القوة والصبر لأعطيها رسالة لك. كنت أناجي نفسي فيها في حوار داخلي عندما (يرتفع) اللّون لينهض شكلاً في عمل ما، أو في طريقي إلى البيت ثم تضيع في رمال الوقت لتنبت في أمل (على) يدي من جديد .

المائية كالبرعم الأخضر الغض، سريع العطب وتكمن فيها نواة الحياة ونضارتها في طفولتها الأولى، و تكمن فيها أيضاً صيرورة الزمن وتكامل المستقبل. أما اللوحة، فهي في مصاف الشجرة، تحملت فصول العام وندبات الزمان، الغيث والجفاف، العطاء والدرّ، تحمل في قشورها في أغصانها وجذورها تاريخ الدقائق والعمر وفي نسغها تتصاعد الحياة شاهدة داخلاً وخارجاً على إبداع وخلق الله، خلق المبدع .

المائية زهرة الصحراء واللوحة بنت الغابة، جبلية الطلعة .

ما أكتب لك يا عبد الرحمن فيه الأخضر وفيه اليابس، فأحتفظ بالأخضر وأحرق اليابس .



Twitter: @ketab_n

رؤية الكلمة هبة، وقراءة اللوحة هبة أيضاً ولا تنفع الثقافة من لا يهبه الله. في الكلمة تكمن الصورة، وفي الصورة تكمن الكلمة ولكنه لا يجوز ان يُبحث في الصورة عن الكلمة (عن الرواية). ثم هناك الجهد الخاص المستمر في تصعيد الهبة إلى ما يشبه العلم في بناء الشكل بما فيه من عقلية وعفوية ثم بما فيه في الدرجة الأولى من سحر غامض واضح، ووضوح مستتر.

إن صعوبة رؤية اللوحة في الدرجة الأولى، ان علاقتنا بالعالم ترتبط بالكلمة والحرف وأننا نفهم ونتفاهم بهذا الحرف، وثم أننا نطلب بحسب العادة ان نفهم اللوحة، اللون، الخط والشكل بالكلمة أيضاً، رغم ان الجد، الإنسان الأول أخذ الخط والبقعة والشكل للتعبير عن وجوده وطموحه بتقنية هائلة على الصخور حيث تكمن فيها جوهرية تكاد تكون كونية أزلية تربط مصير الإنسان بالحياة والموت وبينهما الحب. ربما تعب الإنسان بعد ملايين السنين وأخذ الراحة (الانحطاط) بديلاً عن السعي المتكامل وبديلاً عن الأولية وبدأ بدل (احتواء) اللوحة في ضميره الحسيّ، يحاول قراءتها في بلادة المثقفين.

ولذلك فإن اللوحة (الحقة) مظلومة في واقعها لأن الناظر يبحث فيها عن الكلمة ليقرأها كما تعوّد عليه في يومه، وعندما يتعذّر عليه ذلك، و نتيجة لغياب الجهد الخاص، تصبح اللوحة غريبة وفي



Twitter: @ketab_n

مصاف العدو. ولكن هل كان الحلاج والمتنبي أو رامبو و"مالارميه" لكافة الناس!؟

تكمن في الكلمة إشارات كثيرة لا يمكن حصرها، كما تكمن أيضاً في اللوحة، ثم ان هذه الإشارات تنشر وتثير عالماً وحواراً داخلياً لا حد له قد يمتد مدى العمر. مثلاً، كلمة ساقية، وأنا أورد الساقية قصداً لأنها خطرت لي صدفة وتداعى لي فيها عالم يبدأ في طفولتي، ويبدأ بالذات في "قرية جوبر".

كان لأبي صديق كريم له أرض ودار في جوبر وكانت دعواته تتوالى لكي تذهب (أم محمود) أمي مع الأولاد لقضاء سيران نهار الجمعة في جوبر وخاصة في موسم الزهر وموسم الفول الأخضر. ويجيء دور (الحنطور) وجرن الكبة وباقي الطقوس وتذهب العائلة وربما بعض الجيران المفضلين في تلك العربة وكان موضعي أمام الفارس في المقدمة حتى يصل تلك الحقلة أو البستان ونحن لا نستطيع الانتظار فنأخذ الأحبال لصنع المرجوحة، أو ربما كان في جيبي (نقيفة) أحسنت صنعها دون ان أحسن الصيد بها، آخذها وأركض بحثاً عن عصفور. كنا نريد أشياءَ كثيرةً في نفس الوقت ...ثم أكتشف الساقية مع أعشابها الجانبية التي لا تخلو من سحر وفيها رائحة محببة مخلوطة بلون الماء، رائحة النعنع البري ورائحة الماء والأرض. بدأت مغامراتي الأولى مع تلك الساقية التي كانت نهراً بالنسبة لي وقد نزعت حذائي وما فوقه لألمس بأقدامي ماء الساقية البارد وأغامر حتى (بطّة) الرجل وتأتي في قلب الطفل الصغير أحاسيس المغامرات الهائلة وأطلب من أمي انتزاع الأكثر من ملابسي لأعود إلى الساقية طفل البر والبحر بكل ما في ذلك من سحر عجيب وفرح .. وتعود بعد سنوات تلك الساقية وراحة النعنع البري وجوبر،



Twitter: @ketab_n

تعود ذكرى البرودة المحببة لذلك الماء الساقي وتعود صورة أمي وطفولتي وتعود ذكرى تلك الليلة الأولى حيث نمنا ضيوفاً وقد جلبت زوجة الفلاح الكريم مخدات الدامسكو الملونة، وفرشت أحسن ما عندها حريراً ... وبعد الأقاصيص وامتداد ليل جوبر نمت حالماً وملتصقاً بأمي وأنا أحس برودة الماء تلامس أقدامي الصغيرة .

أما غرض الساقية فأصلها الكد للفلاح في حفر تلك الأخاديد (عروق) حياته ويومه ثم أخذ نصيبه من الماء في ساعات اليوم وقد تكون مساءً. وروى لي أبو وطفة بعد سنوات جوبر في القاسمية، وكنت وحدي تلك الأمسية وهو يسولف بوجود بعض الفلاحين مجتمعين قرب المدفئة، ان الأخ الأكبر لبعض شباب الضيعة أخذ (الكريك) منتصف الليل وذهب إلى الساقية الشمالية ليسقي أرضه وأنه تأخّر على وقته ولم يعد، فأخذ الأخ الأصغر البارودة وذهب ليبحث عن أخيه وافتقده الجميع ساعات الليل والنهار ثم عاد في الصباح بعد يومين دون ان يتعرف عليه أهل ضيعته لأنه رجع هرماً أبيض الشعر. وتابع أبو وطفة روايته وقال: لما وصل الأخ إلى الساقية ولم يجد لأخيه أثراً سوى طرف الحذاء وكانت الليلة مقمرة تعرف بواسطتها على أثر غريب، فتبعه حتى الصباح وكامل اليوم في البراري حتى وصل الجبل. وقاده الأثر إلى مغارة وما كاد ينظر إلى داخلها حذراً حتى وجد وحشاً كبيراً يقاصي حجمه الجمل له شعر أبيض غزير. ان وصف ذلك الوحش لا يتصوره إنسان، وشيء من ذلك يجلب الرعب للقلوب. لقد كان حذاء الأخ الآخر بجانب عظامه وأن الوحش قد تعب من (الطعام) ونام. وبرعب كبير عيّن الأخ ببندقيته على قلب الوحش النائم غريمه وقتله وعاد إلى القرية مجذوباً هرماً


Twitter: @ketab_n

لما عاشه ورآه ولم يحاول مرة في حياته ان يزور الساقية أو يقترب منها. كان الوحش بصفاته مختلطا بين البشر والحيوان كالأسطورة .

بعد رواية أبو وطفة وسماعي لها، حاولت بطريقة "الإنّما" وخيال الفلاح، مع الوقت صنع أسطورة مع الأجيال تتبادلها الناس بعد مئات السنين معربة عن بطولاتهم وخوفهم من المجهول والطبيعة ولتملأ ساعات الليل بالأحداث.... واقتنع بعض الموجودين بتعليلي وذكائي، ابن المدينة المثقف، وأشرفت نار المدفئة على الانتهاء وتفرق الجميع وبقيت لوحدي في (الدايرة) تلك الليلة حين جاء الوحش لزيارتي وحيث ملأ قلبي ذعر لا يُعرف.... لقد أقنعت أبا وطفة والآخرين، ولكن من يقنعني!؟ .

وعلى ذكر الكلمة (واستذكار) الساقية، يأتي الغدير على أطراف الساقية وأتذكر النبع، النبع الأول في حياتي. كنت طفلاً عندما أخذني أخي صلاح مع صديق له في طريق جبلية مرتفعة في الزبداني وكانت شهور الاصطياف. وبعد المسيرة وصلنا إلى (عين) تعكس مرآتها زرقة السماء وكأنها جزء منها، والشيء الوحيد الذي يؤكد وجود (العين) وأنها ليست سراباً، بعض الأسماك الصغيرة جداً وبلون المرجان، ملتصقة ببعض متقاربة كالنجوم . ركعنا بحذر ووجوهنا تكاد تلامس الماء عندما سمعت صديق أخي وكان في عينه حَوَل كبير وهو يردد: آغا، الله يخليك، من شأن الله، اصطد لي سمكة منها! .

من جلب تلك الأسماك إلى النبعة في جبل الزبداني، هل أتت لبحث عن السلامة مع الغدير، أو ان طائراً عاشقاً حملها على جناحيه إلى تلك النبعة وزرعها هناك، سراً لحبه وفرحة لعينيه كلما أراد تذوّق طعم المرجان وهو يحلّق برفق فوق الينبوع لير ظله في أحبّائه مختلطاً بلون الشفق؟ .



Twitter: @ketab_n

هذه إحدى ينابيع طفولتي وبلادي، وأتذكر ينبوع الشمال، ينبوع الغابة الذي ليس له لون السماء وإنما لون القصدير أو الرصاص ويكاد يكون أسوداً مائلاً لبنية خضراء، أتذكر نبع "الرسام ميليه" في صورته "لأوفيليا" بعيد انتحارها، بلونها الناحل وجمالها البارد كالصقيع وهي مستلقية بسلام وعلى جثتها عشرات الورود، وعلى أطراف النبع الأغصان البنية مع السوسن والبنفسج وماء (القصدير) تحمل أزهار الطهارة الوديعة وكأنها تبارك أو تحتفل بالضحية: مأساة هاملت.

لقد شططت كثيراً يا عبد الرحمن (بساقية) الاستدعاء و (غدير) الذكرى. إنها الإشارات البسيطة في الكلمة أو اللوحة والتي تبعث فينا عالماً متحركاً كالشريط لما نوعى ولما لا نوعاه في الزاوية العميقة ودهاليز النفس والجسد. ولولا خوفي من القلم والشطط لتابعت ذلك في صفحات وأيام.

لا تفارقني روعة كتابك يا عبد الرحمن ونظامه الخارق والحاد، لا أحسن الانتظار حتى ظهور الكتاب وسوف يكون (عظيماً) في إخراجه يليق بنصك (الحق يدعوني لكي أقول نصوصك)، وأعمالي زينة لكلماتك واحتفالٌ بعظمتك. تراودني منذ أيام فكرة لم تتضح بعد وهي إصدار شيءٍ خاصٍ معك في نطاق كتاب صغير من حيث العدد وربما نادر من حيث المحتوى.... لا أعرف عندما أكون في المرسم، أأركض إلى الفرشاة والقماش أو إلى القلم والورقة (القصاصة). لا أستطيع عن التعبير عما وهبتني إياه في حياتي في هذه الحقبة ومن محاور جديدة جلبتَ لها النور والحياة يا عبد الرحمن. فشكراً.. مروان

1995-3-25



Twitter: @ketab_n

-قصاصة تابعة للساقية والنبع -

26- 3 - 1995

نسيت نبع غابة أشجار السنديان في صيف 1979. ذهبت ذلك الصيف مع غطاء وبعض الطعام برفقة أنجيليكا لقضاء سيران في الحديقة الكبيرة، حديقة "الملكة شارلوت" وقصرها الكبير هناك وهي تقع بين برلين و"بوتسدام". وفي بحثنا عن بقعة مناسبة. عثرنا على نبعة صغيرة كالحوض وبالكاد تتسع لإنسان وحتى الخصر. كان ماؤها بارداً. وكانت تكمن على حدود بعض أشجار السنديان الشامخة التي تعكس ظلها على ذلك الماء بحكم الجوار.

وعندما كانت الشمس تداعب أجسادنا أكثر مما نحب، كنا نذهب ببعض الخطوات إلى ذلك الظل الخفي، إلى النبعة في ظلال أشجار السنديان (لتدخل) أنجيليكا الماء حتى السرة أو مطلع النهد حتى يأتي دوري... وفجأة ظهرت لي صورة "رامبرنت" (Rembrandt) ساسيا (Saskia) تدخل الماء أو تحمم أقدامها .. (ساسيا( Saskia رافعة برفق ثوبها الشفاف الطويل حتى الركبة وهي تنظر إلى الماء كالمرآة وروعة الرجلين والساقين وشفافية الثوب ثم النهود والشعر وشاعرية اليدين وهما يحملان الثوب من أطرافه برفق... أعتقد ان اللوحة موجودة بمتحف اللوفر بباريس. وأنا لا أكاد أسترسل في تمعن صورة رامبرنت (Rembrandt) في خيالي، حتى يحتل عمل آخر كامل مشاعري والرؤية الحسية والتصويرية، صورة امرأة تدخل الماء للفنان (سوتين) (Soutine) وهي صادرة من وحي لوحة رامبرنت .(Rembrandt) ان اللوحة المذكورة من لوحاتي المفضلة تماماً وربما هي اللوحة الأولى التي أتمنى امتلاكها لأسرق النظر إليها بشوق وخجل لبعض دقائق اليوم، وربما أفضلها على



Twitter: @ketab_n

رامبرنت . (Rembrandt) ان الحسية بالشكل واللون في التعبير عن الوجه الناظر إلى الأقدام، وحسية الثوب ثم الساق والركب خاص حتى ملامسة المياه، وببعض حركات الفرشاة الأكيدة بالنور، يأتي انعكاس المرأة في ذلك الماء في ظل الأشجار وربما ظل الغابة.

إن للّوحة شبق لوني وحسي رائع ويكاد يكون وحيداً ومؤكداً بالتطرف في الشكل، فوجه الفتاة يشبه أكثر واقعة طبيعية.. يشبه ثمرة أرضية مدورة فيها تجاعيد الحياة وليس فيها أي طموح جمالي متوسط يرضي الناظر بجمال إنسان عدا ذلك الجمال الأولي. ويأتي الرداء بأبيض مائل إلى الصفرة وفيها كل حرية اللون مع الظلال التي أتت من اللون كالأخضر والأوكر والبني والبرتقالي. . حتى تأتي السيقان وكان الله مدها بالعطاء في التعاريج والسطوح والحجوم، وهي تعادل الوجه واليدين.. كم أحب ان أرى معك هذا العمل لنتلعثم مع بعض بالانفعال العاطفي من روعة ما نرى. سأمشي معك في ربوع (اللوحة)، في منعطفاتها، وفي انحناءات الخط والسطح وامتدادهما، في كل منحدر مليء بالنور واللون، لنتوقف عند كل إشارة ظاهرة وخفية لنعبر عن شوق قديم قادم وعن فرح أصيل حتى تشبع عينانا، فنغلقها لنحلم (بالينبوع) من جديد .

كنت أتنزه في الغابة عندما رأيت (بيّوض). سألت الشاب صاحب الكلب عن جنس الكلب وأني في طفولتي أعرف مثل هذا الكلب تماماً، وأن أبي جاء به من تركيا، فأجاب الشاب نعم، ان هذا الكلب من تركيا أيضاً وقد جلبه معه واسم هذه (العائلة) بيّوض.



Twitter: @ketab_n

**برلين 28-3-1995**

وا عبد الرحمن، وا أخي -

وصلتني اليوم صباحاً (حزمة) من ضياء فيها (مشاريع) كتابنا وأحسست بخيبة أمل، لأنه علينا ان نجلس من جديد مع خبير للتحضير النهائي! .

لقد جلست بعد زيارتك في برلين في الخريف الماضي وبدأت أجمع و أفكّر، ثم أنظر وألصق وأقصّ وأمدّد المواقع والفواصل إلى جانب الحجوم، ثم أعدل من جديد وأركزّ وأصوّر الجديد إلى جانب القديم وأعمل ملونات عن الملونات وأبحث في صندوق الصور عما يفيد من إشارات للكتاب لأصورها من جديد ولأحدد مواقعها في الكتاب، فأصغّرها أو أكبّرها وعثرت في الصندوق أيضاً على ما هو هام وربما تاريخي من صور جماعية، فكررت رؤيتها وأخذتها معي إلى الفراش وكدت أنام معها، وفي الصباح جاءت أفكار جديدة، فحذفت البعض وأكدت على الآخر. وعدت إلى اللوحات لأنظمها ولأجعل لها ترتيباً خاصاً ومنطقاً خاصاً، فجمّعتها وأخذت لها السلايت الجيد ورتبتها بسلاسة محكمة ثم عملت لها صوراً ملونة وقطعتها وألصقتها في مراتبها بنظام خاص من حيث الارتفاع والفراغ، وقد فعلت هذا أيضاً بلوحات برلين الأولى حيث انتقلت بعدها إلى الوجوه المنظرية ثم الطبيعة الصامتة والماريونيت وأخيراً الوجوه الجديدة وإني طبعت نسخاً ملونة بجهد عن كل تلك الأعمال وألصقتها أيضاً على الأوراق التي هي بحجم الكتاب... كل شيء في موقعه الأسود والأبيض مع ظروف القص والاستشهادات ثم الحركة



Twitter: @ketab_n

في المطبوعات الفنية ومراكزها... وقد استمر هذا حتى سفري إلى لندن ولقائي بضياء وكنت مقتنعاً ان ضياء صندوق العجائب وبقدرة قادر سيضع تلك المعلومات المنظمة والكاملة في نظام الكمبيوتر بسرعة وقدرة ويرسل ذلك كاملاً ومختزلاً وفي المرحلة النهائية للطباعة... ويا للأسف، لقد عاد كل شيء كما نظمته أنا مضافاً إليه بعض المربعات هنا وهناك دون حسابات مهنية ويشير برسالة ان على (المنفذ) أخذ الاعتبارات كذا وكذا! أي عليّ الآن تنفيذ كل هذا من جديد. لو عرفت هذا لقمت بعملية التنظيم المختزل في الكمبيوتر في برلين مع أصدقاء محترفين يتمنون خدمة لي ولكان هذا انتهى منذ أسابيع طويلة كما أحب وبشكل رائع .

والآن يا عبد الرحمن، انسى ما كتبته لك وانسى أنّ للعرب طبع خاص وأحياناً بشكل عجيب وغريب وأنه يوجد احتمالات، الأول ان أصنّع نهاية الكتاب بشكل التنفيذ هنا مع أهل معرفة الكمبيوتر أو أني أصنعه بنفسي بالشكل الأخير كما أبديت. والاحتمال الآخر والجيد، أني سآتي إلى سوريا مع كل شيء فيما يتعلق بالكتاب بعد ان أعمل موعداً مع "اللباد" لأنه سبعٌ وأنا أطمئن إليه بشكل كامل ولأن ذوقه وقدرته على مستوى رفيع، فأجلس يومين معه ونحدد أدقّ التفاصيل في ما يتعلق بالورق والغلاف والموضع والإخراج نهائياً وليشرف على طباعته بدقة، وليقوم بما لم يقم به ضياء ولو بأدنى الحالات. ان تعليقي على عمل ضياء ليس نقداً جافاً، بل ملاحظات واقعية تتعلق بالعمل وبأمل منك ومني لم يحققه ولم تكن توجد ضرورة له. سأبقى على اتصال معك والكتاب سيصدر في أواخر الصيف ثم يأتي تقديمه في معرض نفرح به، و يكون حادثة في مطلع الخريف. مع شوقي. مروان


Twitter: @ketab_n

1995-3-29

عبد الرحمن، لقد تمهلت في إرسال الصفحة التي كتبتها البارحة لكي لا أكون متسرعاً أو ظالماً أو أحمقاً ... وبعد التمعن البارحة واليوم ورؤية ما أرسله ضياء، أجد ان تنظيم إخراج الكتاب بشكل عملي يجب ان ينفذ الآن ومن جديد على يدي ويد خبير من أجل إرساله إلى المطبعة بشكل علمي وواضح وبسرعة ودون أي سوء تفهم في الإخراج .

إن ما قام به ضياء كالطبّاخ مثلاً. قدمت له كل شيء وأوحيت إلى المراكز. وهكذا ثم ان الطبّاخ بدل مزاولة الطبخ بمهارة العارف العالم، أضاف بعض الإشارات (الطبخية) وقال ان الأمر هكذا مع بعض الملح والفلفل وعليك تقطيع البصل وثم .... وانتهى الأمر وغادر المطبخ. وما هو لدي الآن مع بعض الأرقام والأعداد والمربعات والتي تعتبر متاهة للصانع، حزمة من الوثائق علي (علينا) طبخها حتى تنضج وتصبح رائعة الطعم. باشرت بالاتصال بالمعارف الخبراء وحاولت لتوي طلب نظام خط (موناليزا) الذي يطبع فيه الكتاب، لأحول نصك إلى هذا الخط . واقتراحي في صفحة البارحة لا يزال قائماً وهو إما أني أقوم بنفسي مع أهل المعرفة بالكتاب في برلين بتنفيذ ما أريد وما أتصور حتى النهاية أو بسرعة، أو أتصل مباشرة بـ"محيي اللباد" لأحقق معه موعداً لنفعل ذلك سوية بعد إشاراتي وترتيبي. لا تُحرَج يا عبد الرحمن بما أكتب وقد يكون التأخر لخير وإننا سنعمل المستحيل لإخراج الكتاب في الصيف وهذا أمر سهل عند تحديد الناشر مباشرة .

أكتب لك بين الوقت والآخر، وتقريباً يومياً ودون نظام وسوف أرسل لك ذلك في بريد منفصل. ربما تمكنت يوماً من تنقيح بعض



Twitter: @ketab_n

الصفحات، ولكني أكتب بسرعة وأفكاري أو بالأحرى في هذا الموضع، مشاعري تكون أسرع من ريشتي ولهذا تأتي النواقص بالحروف أو الكلمات. وكما ذكرت لك، فإن شوقاً لعمل شيء جديد بين الريشة والفرشاة يلازمني وربما تبلورت بعض الأفكار قريباً .

هطلت في الأيام الأخيرة، وخاصة البارحة ثلوج (جدية) وأصبحت برلين بيضاء ليلتين ويومين. ان ضوء الثلج من أروع الأضواء للرسم حيث يعكس نوراً شفافاً ثاقباً وترى به اللوحة في أحلى حالاتها وتكاد تلمس كل حبة لون .

تحياتي لسعاد وعزة وأكاد أتصور أننا سنرى بعضنا قبل الخريف. مروان

**1995-3-30**

عبد الرحمن- الساعة الآن الحادية عشر ليلاً واليوم ما يزال نهار الثلاثاء- الحق أنّها ليلة الأربعاء، 30- 3-95 . كان بردى يترك جيوباً آمنة في مجاريه في المرج وكانت تلك الجيوب مرتعاً للبعوض، ولكنها كانت أيضاً مسكناً حبيباً ووديعاً للضفادع وبيوضها إذا لم يأت السيد جورج أحد معارف أبي بجَيب كبير كالخرج يتدلّى من بطنه مع جزمته وقصبته التي ينتهي خيطها بكرة صغيرة طرية عرفت فيما بعد أنها من فخذ الضفدع. كان السيد جورج يقف على أطراف الجيوب ثم يناور بالقصبة كالسوط ليترك الخيط والكرة على الطرف الآخر من هذا المستنقع، ثم يسحبه إلى الأعلى بسرعة مع ضفدع معلّق بتلك الكرة وبمهارة فائقة يفتح الخرج قليلاً ويترك ذلك الخيط وفي نهايته الضفدع على مدخل الخرج...تترك الضفدع الكرة التي كانت تعضها بحكم ردة الفعل لتسقط في الخرج تنتظر مصيرها كوليمة



Twitter: @ketab_n

طيبة مع (عرق المساء) على مائدة جورج وغالباً كان ينعطف على الدايرة ليتناول كأس شاي ولنلقي نظرة على خرجه المليء وما قدّم له خير الطبيعة ومهارة اليد من عطاء، قبل ان يصلح ملابسه ويعود إلى (القصاع).

لم تكن تلك (المستنقعات) للضفادع فقط، بل كانت اكتشافاً لعيني. كانت الأعشاب الزمردية تزيّن أطرافها وكانت مليئة في داخلها بالطحالب والأعشاب أيضاً بعد ان تأخذ لوناً جديداً جميلاً، مضافاً إلى الزمرد بعض البني أو البرتقالي الداكن. وإذا اقتربت إلى سطحها بحذر، كنت أرى بعض أسماك (المشط)، وغالباً ما تكون ساقية قريبة من الجيب المذكور ومزوّنة أيضاً بزمردية الأعشاب تأخذ طريقها في الأراضي التي تكون تربتها بنية، وكان أبي يأخذ حفنة منها بيده ويقول: أنظر يا ولدي، هذا هو الذهب!. أتذكرها الآن بلوعة وأقول، آه ليتني رسمتها، ثم أستدرك ببعض الرضى وأقول لنفسي، إنها موجودة في الوجوه وأنا أراها الآن منتظمة في بعض سطوح اللوحات، العين وعلى الجبين، وإذا جاء في الوجه لمسة زرقاء، فهي زرقة السماء، زرقة سماء المرج على حدود أفق فلسطين.

لقد حدثتك في إحدى رسائلي على ما أتذكر في الخريف عن بيّوض(شقيق وردان!) وهو أحد أصول القاسمية. عرفت قبل عام ان بيوض ليس اسماً فقط وإنما هو سلالة لكلب أصيل في أواسط آسيا تدعى بيّوض. كان بيّوض حارس الدايرة وكان يملك الاحترام القسري من أهل القاسمية ولكل من يمر بها حتى ان الكثيرين كانوا يفضلون طريقاً وعرة جانبية وطويلة خوفاً واحتراماً من بيّوض. عندما هرم بيّوض وكان ما يزال بقوته رغم الزمان، رتب بعض أهالي القاسمية كمينا له وأطلقوا عليه طلقتين من (جفت) أصاباته في وجهه



Twitter: @ketab_n

وبطنه وانطرح صريعاً لتلك المكيدة، ثم أنّ الماكرين كبلوه حتى وصلوا إلى أحد تلك المستنقعات على أطراف بردى وألقوه وسط الماء. بعد أيام جاء أحد الشباب ليعلم أبو وطفة أنه شاهد بيّوض وأنه ما يزال به رمق للحياة. كان(القائم مقام) في زيارة لنا في "عربيّته"، فأخذ أبو وطفة تلك العربة وذهب إلى المستنقع وسحب (الجثة) وأعادها إلى الدايرة ثم أنه ذبح وأخذ بعطف وصبر كبيرين يرضع الكلب بيّوض كالطفل مرق اللحم لأيام طويلة حتى استرجع قواه وعاد كما كان عليه عدا عين فقدها بسبب خردقة دخلت فيها وأصبح أعوراً. ذكرت لك في حديثي عن الساقية والينبوع ثم الغدير عن لوحة "ميليه" (Millais) الإنكليزي وموت "أوفيليا" (Ophelia) والبارحة جاءت لي الصورة الأخرى ملونة بعتمة الرصاص والزمرد ثم أشجار الصفصاف على ضفاف بردى وزرقة سماء جنوب دمشق.

- بيّوض والمستنقع على الأطراف(*)-

بردى

**95-3-31**

كبر بيّوض بالسن وتغيّر المرج ودخلت التركتورات وحلت محل الجواميس والثيران، ثم عُدلت جيوب بردى وجاء الـ" ددت" ليقضي على البعوض وغيره، وكبرنا نحن أيضاً مع المرج وغابت بعض الملامح الشاعرية القروية الأولى التي كانت موجودة منذ مئات السنين والتي ملأت قلبي أيضاً بصور كانت وما تزال زخري العاطفي والرؤوي. كان أبو وطفة يتيماً وقد جاء أبي به طفلاً شاباً ثم وضعه وكيلاً للدائرة والضيعة على ما أذكر وكانت ساقه اليمنى أقصر من اليسرى ولذلك كان يعرج بشكل كبير وغالبا ما كان يتكئ بيده اليمنى



Twitter: @ketab_n

على وركه وهو يمشي. تغيرت الضيعة وتغير المرج وكبر بيوض وتزوج أبو وطفة على كِبر وأتاه غلام وأصبح من الميسورين ثم جاء دور بيوض الأعور، فأوصى بعضهم أحد سائقي الشاحنات المحملة بالحنطة، ان يأخذ بيوض معه ليلقيه في مكان بعيد، فذهب بيوض مجبراً ومقيداً بالحبال.

ذهبت الأيام وبعد أسبوع عاد بيوض الأمين متعباً خائراً إلى الدايرة ...

ولا أعرف متى حدث (الخلاص) النهائي ونهاية بيّوض. جاءت إحدى العربات الكبيرة وكانت تريد نقل الغلة إلى حماة أو حمص واتفق البعض مع السائق وكانت الرحلة الثانية أو الثالثة ووضعوه مقيداً مع أكياس الحنطة وغلات العربة القاسمية ولم يعد بيّوض .

وبعضنا في العالم الثالث مثل بيّوض، يقدّمون العطاء بخلق وتمرد وكبرياء مع أمل العدالة و (الكرامة) ثم يصبح مصيرهم مثل مصير بيوض.

مع شوقي وحبي لسعاد وعزة وتحية للأصدقاء. مروان

---

(*) تأتي سيرة بيوض في رسالة لاحقة



Twitter: @ketab_n

1995/3/24

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة واشواق

الزيارة كانت سريعة، " إذ ما كادوا يسلموا حتى ودعوا ". كان يجب ان نتكلم حول ألف قضية وقضية، لكن ما كدنا نبدأ حتى ضعنا في الصخب والركض ونسينا كل شيء!

المهم أننا التقينا، ويبدو لي ان زياراتك لسورية سوف تتوالى وتكثر من حيث العدد والمدة. أفضل أيها الصديق إذ يمكن لهذا الجو ان يمنحك أشياء كثيرة وجديدة ليست ببالك الآن. أُحشد نفسك ولا تتردد في ان تحزم أمتعتك والمجيء إلى هنا لفترات طويلة، وخلال ذلك سوف نفكر ونحلم بأشياء كثيرة، وقد يكون بعضها مشتركاً، خاصة وأن العمر الذي وصلناه كلانا يجعلنا نقدم شهادة على الزمن الذي مضى، والزمن الذي نعيشه الآن، كما يمكن ان تلخص تجاربك وأحلامك بطريقة جديدة. فكرة الفيلم تبدو لي هامة إذا أحسن التعامل معها، ويجب ان تَضعها ضمن اهتمامك خلال الفترة القادمة، خاصة وأن الكثير من الوقائع الواردة في النص يمكن ان تساعد على معالجة صورية تبدو لي هامة وجميلة في آن واحد.

أما بخصوص النص ذاته فقد أوصلته "لمنى" بناءاً لرغبتك، ويجب ان نفكر الآن بالخطوات اللاحقة، ولعل أول الاقتراحات التي تبدو لي هامة ان اختيار مكان طبع الكتاب، إذا تقاربت الأسعار بين "هونكونغ" وألمانيا، ان تختار ألمانيا، نظراً لضرورة إشرافك



Twitter: @ketab_n

المباشر، لأن أي خطأ أو نقص يمكن ان ينغّص ويولّد الندم. ان الفرق إذا لم يتجاوز بضعة آلاف من الدولارات، يمكن احتماله. وبالتالي يجب ان تعطي ألمانيا أو إنكلترا أولوية في هذا المجال.

كما ان "البروشور" المبكر للكتاب، والشراء المبكر أيضاً يمكن ان يساعدا على ترويجه، أو توضع قائمة بأسماء الجهات والأشخاص الذين يرغبون بالاقتناء، وقد تتساعد جهات لتوفير قوائم بالأسماء المطلوبة، إضافة إلى تكليف بعض الأصدقاء، خاصة من الفنانين بذلك.

يضاف إلى ذلك ان طبع الكتاب في ألمانيا يساعد على سرعة الترجمة إلى الألمانية، وقد يشجع هذا إحدى دور النشر الفنية في الشروع بالعمل أثناء طبع النسخة العربية، وربما كذلك اشتراك معهد العالم العربي.

إنني أضع هذا التصور لكي نتمكن من السيطرة على العملية، وأيضاً لكي تنجز في الوقت الذي تقترحه لمعارضك، أو للمعارض المتعددة، قبل نهاية العام الحالي، إذ يمكن ان يفكر بمعرض موازٍ يقيمه أصدقاء مروان من الفنانين تكريماً له بمناسبة الستين، ويكون الكتاب في هذا الإطار أيضاً.

أما بخصوص التوزيع الواسع للكتاب فاترك الأمر "لمنى"، إذ يجب ان تضع خطة للتحرك في وقت مبكر، بالاتصال مع دور النشر والمكتبات والكلاريهات وحتى النقابات والأفراد.

في حال الاتفاق على هذه الأفكار سوف أتصل "بمنى" وإعطائها بعض الاقتراحات، كما سوف أوقع معها عقداً.

هذا ما رأيت ان أكتبه لك في هذه الرسالة، مع الإشارة أنني بصحة جيدة، ولقد قضيت مع نذير سهرة ممتعة، وكان ضمن



Twitter: @ketab_n

الموجودين أيضاً: إحسان وفائق دحدوح وآخرين، وأبلغني أنك اتصلت أكثر من مرة لكي تطمئن علي، لكن وللأسف، لا يزال التلفون مقطوعاً لأسباب متعلقة بالخطأ، ويحتمل ان يتم إصلاحه قبل وصول هذه الرسالة إليك.

بعد اطلاعي على الصور التي صوّرها "يورن" في سفرته السابقة أطمح ان تختار لي مجموعة من صور تلك السفرة، وأيضاً من صور السفرة الأخيرة، ولا تنسى ان تبلغ "يورن" تحياتي وتحيات الجميع. وكذلك التحيات لزوجتك و"لعيسى" ولباقي الأصدقاء، وتقبل تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**


Twitter: @ketab_n

**برلين 14-4-1995**

الصديق الغالي عبد الرحمن .

أرجو ان تكون رسائلي قد وصلتكم. أتابع الرسم يومياً ولكن دون انفتاح عظيم وقد تمكنت من إنهاء عملين قد كنت بدأت برسمهما في الخريف المنصرم ومطلع العام وأحاول دائماً مثل "سيزيف" الصعود والبقاء لفترة على القمة وترك الصخرة هناك لأبدأ عمل صخرة جديدة! ... أنشغل بالكتاب تماماً وجاء عرض برلين الأول ومماثل تقريباً لعرض "هونغ كونغ" وهذا يعطيني الحماس في ان أطبع كتابك في برلين بسبب إمكانية ملاحظة الإخراج بدقة بالقدر الذي أتمناه. سيأتيني عرض جديد بعد خمسة أيام وسوف أرى، وهي مطابع درجة أولى. يوجد صعوبة بالنص العربي بسبب الاتجاه (اليميني) وسوف أحاول حل المشكلة في القاهرة أو دمشق أو باريز ولاختصار الكلفة الكبيرة. قررت السفر بعد المحاولات الناجحة مع "محيي الدين اللباد" إلى القاهرة لمدة أسبوع لكي نقرر إخراج الكتاب نهائياً ونضع (الماكيت) مع التحديدات الحسابية النهائية بشكل يكون الخطوة الأخيرة ما قبل الطباعة. وأنا آمل جداً ان يكون قد تقرر حتى ذلك الميعاد مكان الطبع. أتصور أني سأسافر إلى القاهرة في 29 من نيسان ولمدة أسبوع وسوف أتصل بك قبل ذلك .

من المستحسن تصحيح الأخطاء الطباعية الآن في النص من طرفك لكي يكون عملي مع "محيي الدين" نهائياً .



Twitter: @ketab_n

أتمنى جداً، ان تكون أحوالك بخير وأن تكون يا عبد الرحمن في غاية النشاط والصحة. غداً عيد الفصح وأتمنى لكم ما يتمناه المحب .

اتصل الزبيدي مرة واحدة بي إثر عودتي من دمشق وترك خبراً بأنه سيجدد المحاولة. تحدثت قبل أيام مع إبراهيم العلوي ووعدني ان يأتي خصيصاً لدمشق عند تقديم الكتاب وافتتاح المعرض، ومن جملة كلامنا كان الحديث عن (تفليم) الكتاب وعرض عليّ فكرة أميرلاي وملص ، ثم أني تعرفت على سميرة ناصر في الخريف المنصرم وهي مخرجة وبعد ساعات اطمأنيت لها كثيراً وقد عرضت بنفسها ذاك الوقت عمل شيء مشترك... سوف نرى وربما تمكنت من اللقاء بالثلاثة قريباً .

كتبت لك بعض (القصاصات) مع الوقت وسوف أرسلها لكم عند انتهائها وأحس بقليل من الخجل، وهو أني أتعدى على (مصلحة) ليست مصلحتي وإن كانت وأصبحت من مواضع اهتمامي. تأتيني تلك الانفتاحات المتواضعة عندما أكون في حالة جيدة فيما يتعلق بالرسم أو غالباً بعد ذلك وفي طريقي بالسيارة إلى الدار. لقد بدأ النهار يطول وهكذا أعيش الغروب وأنا في هذه الطريق المعتادة وأتمنى ان أتابع السفر بعيداً بعيداً، ثم أحلم وأشعر بالفرح ... ولو لدقائق، وهنا أحضّر وضعاً (وصفيا) فيما يتعلق بحياتي أو الملاحظات المرتبطة بهذا المحور، فأقول: سوف أكتب هذا لعبد الرحمن .

**مع حبي و شوقي لكم. مروان**



Twitter: @ketab_n

دمشق24/ 4/ 1995

أخي العزيز مروان

تحياتي الحارة وأشواقي

الورقة البيضاء، كالقماشة، تحدٍ كبير. ويبدو ان الإنسان كلما تقدم بالعمر يشعر أنه أضعف في مواجهة هذا التحدي. الآن أعيش هذه الحالة، إذ بعد سنوات متواصلة من التحضير، وبعد ان قرضت مثل فأر طناً من الورق، وبعد ان استعدت كماً هائلاً من الذكريات، أشعر أني أضعف في مواجهة الحالة الجديدة، رواية جديدة.

لابد ان أجد طريقاً خلال الأسابيع القادمة، تماماً كالماء تعرف كيف تجد طريقها، لكن حتى الآن أشعر بالمأزق كالقط المحاصر، كمن يرمي نفسه في الماء دون ان يعرف السباحة. هذه الحالة لا يعرفها إلا الفنان: لا يعرف العشق إلا من يكابده- ولا يعرف الصبابة إلا من يعانيها، لكن، وكالأطفال الذين يقاومون الغرق، ويحاولون، غريزياً، تعلم السباحة، سوف يجدون وسيلة ما، كالإبرة مثلاً من أجل ان يتشبثوا به لكي يجتازوا هذا الامتحان.

الرواية الأخيرة، كاللوحة الأخيرة، الامتحان الأصعب، وكأن الكاتب أو الفنان لم يكتب أو لم يرسم من قبل، كأنه يتعرف على الملائكة والشياطين في آن واحد. وكان الشرق والغرب امتزجا على درجة لم يعد ممكناً الوصول إلى أفق أو معرفة دلالة أو طريق. حالة محزنة، مرضية، لكنها جيدة في نفس الوقت. لا أريد ان أكرر نفسي، لا أريد ان أكون صوتاً من جملة أصوات. لا أريد ان أبدي



Twitter: @ketab_n

براعة تقنية لا تعني شيء في النهاية، تحديات من كل نوع وحجم. ولابد من التعامل معها، التصدي لها، وأخيراً إيجاد الحلول المناسبة. أحد أولئك الواثقين الذين يعرفون كل شيء، ويمكن ان يصلوا على ما يريدون بسهولة. أحسدهم ولا أثق بنواياهم، إنهم مثل السحرة، خداعون، يستغلون لحظة السهو أو الطيبة لدى الآخر، ويمررون الثعابين والقردة والتفاهات. وجهة نظر قد لا تكون صحيحة في كل الأحوال . ولكن رأيت ان أبثها إليك، وأن نتحاور حولها، فهي قلقي الحقيقي هذه الأيام. وهي القفل والمفتاح في نفس الوقت، وعليّ في النهاية ان أترك أوراقي بيضاء. أو ان أملأها بشيء أحس أنه نافع وضروري وجميل وفي ظروف مواتية!

لو يعرف الآخرون ما يعانيه الفنان لحظة مواجهة الورقة- القماشة البيضاء، لو أدركوا ذلك لنظروا إلى النتائج بطريقة مختلفة، لكن حياة البلادة والرتابة والفردانية تجعل مثل هذه النظرة نادرة أو مستحيلة.

إزاء هذا الكم الهائل من المفردات والأفكار والرغبات والحالات لا يعرف الإنسان كيف يتعامل معها، كيف يبدأ، ويتساءل بمرارة: هل يستطيع في ظل الركام الهائل من الضغوط والاحتمالات ان يجد طريقه؟ وماذا يعني للآخر ما يفكر ويحلم به؟ وإذا بدأ هذه البداية أيستطيع مواصلة " اللعبة" إلى النهاية أم عليه ان يجرب ويجرب وإلى ما لانهاية؟

لقد انقضت سنوات، سنة وراء أخرى، وأنا أحضر، وعندما اكتملت العدة أشعر بالخوف، وأؤجل العمل يوماً بعد آخر، على أمل ان يأتي طيف، حلم، جنون من نوع ما، زلزال أو شيء ما، ويمسك القلم ويخط مجرد البداية، وبانتظار الذي لا يأتي أعيش الأيام



Twitter: @ketab_n

والليالي، الساعات والثواني، ولا أعرف كيف يجب البدء، لكن، وكما قلت قبل قليل، المياه لا تحتاج إلى دليل أو توجيه، ستجد طريقها، وهذا ما أحسه، وهذا ما يعزيني.

وماذا أيضاً!

سرني أنك عدت إلى الرسم. لقد شغلك الكتاب أكثر مما ينبغي وفوّت عليك وقتاً ثميناً. أنت أولاً وقبل كل شيء وأهم من كل شيء رسام. تقول كل شيء من خلال الرسم. الكتاب سوف يصدر في وقت ما، بشكل ما. أما ان تبذل هذا الجهد وهذا الوقت فأعتقد ان في الأمر تزيّداً.

ومع ذلك، وما دام الأمر وصل إلى هذا الحد، فاقتراحي كما يلي:

إذا سُدت الأبواب، من حيث الناشرين، فيمكن تحمل الأمر، والتصدي للمهمة، على الشكل التالي: ان يطبع الكتاب في ألمانيا، وهذا هام جداً، وأن تشرف أو تكلف من يشرف عليه، وأيضاً يمكن التسويق المبكر لبضع مئات من النسخ، التي قد تغطي جزءاً من التكاليف، القسم الأكبر، ويمكن أيضاً تحمل الجزء الباقي، وفي وقت لاحق إذا أحسن تسويق الكتاب سوف يغطي تكاليفه ويربح، وعند ذاك سوف أتقاضى ما يتعلق بي من حقوق.

أخشى ان ندوخ في بحث التفاصيل. أنت صممت، تقريباً، كامل الكتاب، ولذلك ليس هناك حاجة لمساعدة أحد، وإذا كان لابد من سؤال أو مشورة فيجب الاكتفاء بذلك، لأن أي آخر لا يعرف قدر ما تعرف، وفي كل الجوانب. وهذا يقتضي اختصار كم من الأبحاث والتفاصيل.

وماذا أيضاً؟



Twitter: @ketab_n

سرني هذا "الجنون" الجميل للكتابة، وفي هذا المجال أخشى ان تنافسني، إذا لم ننسق ونجعل هذه الكتابة في سياق يؤدي إلى صيغة، وعند ذاك سوف نجد اكتشافاً جميلاً:

العلاقة بين وسائل التعبير!

فإذا بدا لك أنك ترغب في قول شيء، وبأكثر من طريقة، أغامر، نيابة عن نذير، وأقول بصوت واحد حبذا، إذ قد نعطي لغيرنا دليلاً ان الفن والأدب لا يزالان قادرين على قول شيء يختلف عن الضجة والصراخ والشعارات، وبعيداً عن الندب والتفجع أيضاً، أريد رأيك بكل الأحوال، أياً كان الموقع الذي تختاره، حتى لو كان رأيك مختلفاً، وربما تطلب منّا طي الموضوع كله.

فكرة "الرسوم" إياها لا تزال ترعبني، وقد استعرت قبل بضعة أيام كتابك المتعلق "بآرتو". قلبته عدة مرات وزاد خوفي أكثر من السابق. نذير، أمس، كان متحمساً، وطلب إليّ ان أغادر التردد وأن أفعل! سوف أبقى متردداً لفترة طويلة، رغم اني سأصور لك تلك الرسوم وأبعث بها إليك خلال فترة قصيرة، كي تعطي لها "صفراً" وأنت مرتاح الضمير، وتطلب مني بإلحاح ان أكف، وأن أوفر جهدي على أمور أكثر جدوى!

أواصل العمل بالرواية، لكن بشكل متقطع، وليس كما أشتهي، وهذه الطريقة في العمل تولد عذاباً لا يطاق بدل المتعة التي يجب ان يحس بها الكاتب وهو يغوص في أعماق عمله. الأسفار هي الخطر الأكبر الذي يمنعني من مواصلة المواصلة كما أرغب، وكما ينبغي، وأفكر ان أجد عزالاً في مكان ما خلال هذا الصيف كي أتفرغ أكثر لهذه المهمة، عسى ان تتاح الفرصة.

غداً أو بعد غدٍ سأسافر، تصور، إلى بيروت لقضاء بضعة



Twitter: @ketab_n

أيام، للمشاركة في المعرض الذي سيقام من أجل قانا، وأيضاً للبحث عن بيت أفضل من الذي يسكنه الأولاد حالياً، بحيث يمكن ان تتاح لي فرصة الإقامة الطويلة نسبياً من أجل مواصلة العمل في الرواية.

كتب إليّ عيسى أنه يواصل ترجمة النصوص بالنقد الذي كتب عن أعمالك، وأنه سيوافيني بالترجمات الجديدة والمنقحة، آمل ان تكون قريباً من هذا العمل، وأن تبذل جهداً(لكن حذار ان يكون مثل الكتاب الحالي، لأن ذلك سيكون على حساب شغلك الآخر) كي يأخذ صيغة معقولة، ومن أجل الوصول إلى نتائج في وقت مبكر.

" اللوحة " داخل الرسالة جميلة وحزينة أيضاً، بحيث تعكس المناخ النفسي الذي تعيشه هذه الأيام، لكن الصيف آتٍ وسوف يتبدل المزاج.

هذا ما لدي الآن، وأتوقع ان أسمع منك الكثير في الأيام القادمة.

الأصدقاء جميعاً يسألون ويحييون، وأيضاً بانتظار الكتاب، وآمل ان لا تتردد طويلاً بخصوص الغلاف والخطوط.

مع كل المودة والشوق.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

برلين 21 - 5 - 1995

الحبيب عبد الرحمن . كنت أنتظر رسالتك بفارغ الصبر وكنت أتحدث معك عن قضايا ومشاعر كثيرة، ثم جاء كتابك وشعرت بفرح كبير بعد الانتظار. كنت في حالة عاطفية جامحة وكنت كالمجنون بدون رفق وسطرت لك في هذا الموضوع السطور وقدرت أني سأتابع الليلة القادمة وكان هذا قبل عشرة أيام ومرت الليالي دون متابعة وأنا أتصفح رسالتك بين وقت وآخر. وكما ترى، لقد تركت السطور المذكورة لوقت لاحق لأبدأ من جديد. نعم، لا يعرف العشق إلا من يكابده ولا الصبابة إلّا من يعانيها. وتذكرت قول الشاعر المجهول حيث بدأت سطوري لك به:

وما ذنب أعرابية عرضت لها
صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العُذيب و طيبهُ
وبرد حصاه آخر الليل حنّت
لها آهة عند العشيّ وآهة
سُحيراً ولولا الآهتين لجُنت

قد تكون مواجهة الورقة البيضاء أو القماش مأساة شخصية في بعض الظروف لا يعرفها إلّا الفنان الحق يا عبد الرحمن وهي كالحنظل، تفقد وقتها الراحة ويبتعد الفرح و تفرغ الأشياء من معانيها وينعدم اللون والخط وحتى صوت الشحرور الذي قدّم لنا الفرح الطفولي والاطمئنان طوال العمر، يصبح غريباً بعيداً يعذبنا أكثر مما


Twitter: @ketab_n

يفتح نوافذ النشوة لاستقبالٍ جديد لحرف أو للون. أعرف هذا كثيراً وأعرف الموقف الأخلاقي الذي اخترناه رفيقاً وحكماً في عملنا الفني وأعرف أيضاً ان مقدار التجربة والمعرفة مع الوقت يجعل من هذا الحكم أقسى وأصعب مما مضى. إنه موقف اختياري وأعتقد أنّ كل فنان صادق (ولا يوجد إلا فنان) أخذ هذا الطريق بشكل إلزامي وعفوي في نفس الوقت. ثم تحدثت عن النهر يا عبد الرحمن الذي يشق طريقه إلى البحيرة أو حتى المحيط وهو يسير ويسير وهذا أحسن مثل، شق الأرض البكر ليأخذ منها طريقه ويعطيها الكثير وعندما نخرج من أزمة الصمت التي تشبه البلادة، يكون قد تحرك في داخلنا الكثير، كاختمار العجين قبل تصفيحه بالأيادي وإدخاله الفرن ليخرج رغيفاً وحيداً من جديد وننسى وقتها بلادة الصمت والعذاب المرير ونعرف وقتها أيضاً أنه كان صمتاً خلّاقاً، صمتاً إيجابياً والأكثر من هذا صمتاً وشكاً له ضرورته ولا يأتي خلق أو إبداع بدونه وهذا هو الثمن الغالي الذي يجب علينا ان ندفعه، ولكنه ثمن محبب إذا قارناه بالهدية الإلهية التي نملكها والتي لا يملكها إلّا النادرون .. فنحن سعداء رغم المرارة ورغم العذاب بين الحمل الأول والتلقيح ثم الولادة. أما الواثقون والسعداء، فهم التعساء في الأصل لأنهم لا يملكون نور الكلمة ولا طعم اللون وليسوا النهر الذي يحفرون انسيابه بصدورهم طوال الحياة.

لقد رسمت لوحتين و نصف، أو ربما اللوحتين والنصف على الطريق القادمة، لم يكن عندي التركيز العظيم خلال الأشهر المنصرمة، ولكن إذا خرجت لوحة جيدة في نصف عام أو عام، فإن هذا شيء جيد وربما كثير. هل قرأت قصة "ألبير كامو" عن الفنان في العمل أو جوناس؟ إنها ليست بعيدة عما كتبته لي وهي تعبر عن



Twitter: @ketab_n

فجيعة الفنان والخلق وثم الآخرين. لقد تذكرتها وأنا أقرأ سطورك وآمل جداً أو أكاد أحس وأنا أسطر هذه الأحرف أنك بدأت تلتهم الورق بعد التحضير الطويل لروايتك القادمة، وعلى ذكر الرواية، فإن "شرق المتوسط" مترجمة بشكل جيد وقد استُعيض أحياناً بكلمات جديدة ليست مأخوذة حرفياً ولكنها الضرورة أحياناً. لقد أهديت الكتاب لأصدقاء حميمين مطلعين على الأدب العظيم قبل أسبوع وقد غلفت الغلاف الأصلي بغلاف صنعته بسرعة وأعجبني ثم ترددت قبل دخولي بيتهم وقلت لنفسي، ان الأحق بهذا عبد الرحمن ولكن وللأسف قدمته هدية وسوف أصوره لك أو أعمل غلافاً خاصاً لك، إما أرسله أو أجلبه معي لدمشق.

أما في يتعلق بانتقالك إلى الرسم فيا حبذا وأنت تعرف أعمال "ميشو" الفنية العظيمة أو "فيكتور هوجو"، ولا تنسى روعة أعمال "أنتوني آرتو" (Antony Arthur) فباشر يا عبد الرحمن وأنا معك (وقد أقام أدونيس قبل عامين معرضاً في باريز لأعماله ولديّ منها عملين رأيتهما وقتها في مرسمي).

والكتاب يا عبد الرحمن بدأ يتصفح الآن بانتظام وخلال أسبوعين يكون قد انتهى التصفيح والتركيز ويركب على ديسكت في الكمبيوتر من أجل الطباعة وإذا مر كل شيء كما أريد فإن الطباعة قد تبدأ من منتصف حزيران ويخرج الكتاب في وقته من أجل الخريف. ان منى متحمسة ومندفعة وقد سألتني أكثر من مرة عن حاجتي لإرسال النقود من أجل الطباعة، وأتوقع غالباً أنه سيطبع في برلين، والإمكانية الأخرى هي ميلانو... وسوف نرى ذلك في غضون الأسابيع القادمة.

ترجمتُ كلمة "جو طرّاب" من الفرنسية بشكل جيد للألمانية



Twitter: @ketab_n

وأعجبت بها كثيراً وقد قرأها "يورن" وقال بأنها من الأشياء النادرة الجيدة التي كتبت عني وأنا أقترح في ما إذا كان ممكناً إدخال شطرٍ منها وخاصة الثلث الأخير في النص عند التعرّض للرؤى الجديدة. وقد طلبت من منى ترجمتها للعربية بسبب صعوبة النص الفرنسي لتقديمها لك.. ويكون في كتابك أيضاً رأي من كاتب ناقد عربي. ما رأيك؟ .

هناك بعض النقاط الجمالية التي أحب ان آخذ رأيك بها وسأطلعك عليها في حينه، مثلاً ان يكون عنوان الكتاب في الصفحة الأولى أنت وأنا فقط وفي الصفحة الداخلية دمشق - (برلين رحلة الحياة والفن) ... وهكذا، ولكن ما يزال لدينا بعض الأيام. من المحتمل جداً ان أزوركم قبل الخريف وربما قبل البداية بطباعة الكتاب وسأكون سعيداً برؤية (حصادة القلق على الورق والقلم) وسوف أحاول ان أتذكر جلب كتاب من أعمال "ميشو" (Michaux) لكي تتحمس وتكون الكاتب الرسام عبد الرحمن. مع حبي وشوقي لكم. مروان

(لقد اجتمعت بـ"قيس الزبيدي" مطولاً وتحدثنا عن المشروع السينمائي وجاء في البداية اقتراح مشترك وهو ان يتابع "قيس" المشروع وأن يخرج الفيلم من ثلاثة مخرجين، القسم الدمشقي وسوريا من "محمد ملص" والقسم الباريزي من "عمر أميرلاي" والقسم البرليني من قيس وقد أخذ قيس بعض الوثائق والمعلومات ليقدمها للبرامج الأوروبية وسوف يتصل "بمحمد ملص" و"عمر أميرلاي").



Twitter: @ketab_n

**دمشق13/6/1995**

العزيز مروان

تحياتي كثيرة وأشواق

أمس تلقيت رسالتك مع هدية الدرس الأول في الرسم، سأجتهد في تعلّم الدروس، وإذا كانت هناك بقايا موهبة في هذا المجال فلابد ان يقّر الأستاذ الاستمرار، وإلا سيطلب من تلميذه البحث عن صنعة أخرى! لنترك الموضوع للأيام وللأستاذ وسوف نرى صديقنا فواز جابر حوّل نظام الطباعة في الكومبيوتر بما يلائم ألمانيا، وأعتقد ان الديسك وصلك أو في طريقه إليك، وبالتالي ستحل المشكلة. أما حول الأخطاء فقد اجتهدت في تلافيها، ومع ذلك لابد ان يلقي أحد نظرة إضافية، لأنه يصادف في الكثير من الأحيان ان الانسان يقرأ ما في ذهنه وليس ما هو مكتوب بالفعل، وهذا ما اكتشفته اخيراً حين أعطيت النص لمترجمة شرق المتوسط الألمانية، إذ وجدت عدة أخطاء، وأبدت رضاها على النص أولاً وعلى استعدادها للترجمة، والنسخة التي سلمتها لمنى أمس مؤشر عليها ببعض الكلمات الألمانية وسوف تلاحظ ذلك.

أصدرت "الحياة التشكيلية" في سورية، بعددها الأخير، ملفاً عن مروان قصاب باشي، كتب فيه ثلاثة: "أنطوان مقدسي"، "أسعد عرابي" و"طارق الشريف"، وأعتقد ان مقال أنطوان الوحيد الذي يستحق اطلاعك، مع الإشارة ان القسم الأخير ضعيف والمقارنة في غير مكانها. أرفق صورة عن هذا المقال.

كما أصدرت صالة دمشق كاتلوج لخمسة رسامين سوريين، هم



Twitter: @ketab_n

"فاتح" و"غسان سباعي" و"اسماعيل شموط" و"أحمد ابراهيم" والآغا، وأقامت بهذه المناسبة حفل توقيع، ورغم ما يتسم به هذا العمل من جرأة إلا ان الملاحظات على الكاتلوج كثيرة وأساسية بحيث تجعله بائساً، إذ ليس هناك صلة بين الذين ضم الكاتلوج لوحاتهم، كما ان اللوحات تفتقر لأية معلومات حول المساحة وسنة الرسم، أو أية إشارات تساعد في قراءة الفنان ومراحله، هذا عدا عن الإخراج السيئ، بما في ذلك صفحات كثيرة بيضاء دون مبرر أو دون جمال.

أستعد خلال الأسبوع القادم لمغادرة دمشق إلى قرية تقع بين اللاذقية وحلب، استعداداً لكتابة رواية جديدة سوف أنكب عليها طوال هذا الصيف، ثم الخريف الذي سيليه، ولقد اعتذرت عن دعوات كثيرة في هذا الصيف للانصراف إلى عملي الجديد، آمل ان أستطيع التفرغ وإنجاز شيء ما. ان دمشق في الصيف قاتلة من حيث تبديد الوقت والحرارة والزيارات الطارئة، الأمر الذي يجعل الكتابة مستحيلة، وهذا ما يضطرني إلى المغادرة والاعتكاف هناك، وقد لا أعود إلا لفترات قصيرة حتى شهر أيلول القادم.

وماذا ايضاً؟

إذا أردت المجيء الى سورية قبل الخريف أكتب إليّ، وإذا جئت قبل ان تكتب إحمل نفسك، كما يقال، وتعال إلى "وكري"، وسنقضي أياماً جميلة هناك. ومع ذلك، سوف أترك عنواني الكامل، بعد ان يتحدد، عند منى، وعسى ان تفاجئني!

قد يكون العمل الفني أشق الأعمال على وجه الإطلاق، لأن ليس فيه راحة ولو لدقيقة واحدة. فعامل البناء والإسكافي وطبيب الأسنان، بعد ان ينتهي أي منهم من ساعات العمل الست أو السبع يعود ليستريح، إذ يمدد رجليه أمام التلفزيون وبيده كأس البيرة، ويبدأ



Twitter: @ketab_n

حياة جديدة انتظاراً لعمل اليوم التالي. العمل الفني يستغرق الإنسان حتى في ساعات النوم، ويظل يدوي في الدماغ ليل نهار، وكأنه مخلوق محاصر بالنيران يريد ان يفلت، ان يخرج من إعصار، وهكذا لا راحة ولا إجازة حتى في أوقات الراحة وحين يكون الإنسان في إجازة!

مبرر هذا التعب ان الاختيار كان بملء الإرادة والرغبة، لم يفرض ولم يكن آلياً أو من أجل الرزق، وهذا ما يجعله، من بعض الوجوه، ممتعاً، بل مرغوباً، اذ لا غنى عنه، وليس للإنسان مبرر أو ضرورة بدونه، وهكذا وجدنا أنفسنا وسط النيران، وعلينا ان نناضل ببسالة من أجل الخروج.

هذا ما لدي الآن.

سلمت "قيس" اليوم الأوراق التي أرسلتها، وتعهد "حميد" ان يقابله وأن يبلورا أفكاراً وصيغة تؤدي إلى نتيجة إيجابية، وأعتقد ان الموضوع يستحق ان يبذل فيه الجهد لكي يرى النور على أحسن وجه، خاصة إذا توفرت الشروط المناسبة، بما في ذلك سيناريو يكتبه إنسان محترف، وحبذا لو تفكر باختيار من يكون هذا الشخص من الذين حولك في ألمانيا.

الصورتان اللتان بعثت بهما في رسالتك السابقة، وأحدهما نذير وعزة يعرضان إحدى لوحاتك في بيت نذير، هذه الصورة تتطلب ان يحذف منها غالون العرق الظاهر في الصورة لأنه في المقدمة، وبالتالي يصبح مركز الثقل ومركز الكفر!

تحيات كثيرة من سعاد وشلبية ونذير وعزة وباقي الأصدقاء وإلى اللقاء.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**برلين 28-8- 1995**

لقد افتقدت وجودك في دمشق كثيراً واليوم عرفت أنكم عدتم من الشمال وها أنا أكتب لك على الفور.

آمل ان تكون وقفة الشمال قد جلبت (لنا) قدراً كبيراً مما تتمنى وذخراً جديداً لليالي المنتظرين! نعم ان المواساة الكبرى لي هي تلك الليالي التي يكون (كتابك) في انتظاري على طاولتي الصغيرة حيث ينام الليل وأبقى أنا والكتاب ساعات لأغلقه بعدها (بعلامة) منتظراً يوماً جديداً ثم الليل. أبحث عن العلامة وأتفقد موقعها من موضع الكتاب برفق وخوف من ان يكون الربع الأخير قد شارف على النهاية. أقرأ الآن "عالم بدون خرائط" بتلذذ ونهم بعد ان كنت قد أنهيت "سباق المسافات الطويلة" وأحاول ان أكتشف أين أنت وأين "جبرا"! .

غادرنا الصيف قبل أيام وجاءت طلائع الخريف. لم أكن راضياً عن نفسي وغالبا ما كان القلق يعتريني إلى جانب التعب وأشعر بأني في دوامة تجتذبني إلى المركز، حتى أحلم بشكل أو لون فيأتي أمل جديد يحرر قلبي لأيام أو ساعات من الحزن، فأقف مع ابتسامة صغيرة أقاوم المنعطف وأحاول الصعود.

لقد تأخر الكتاب لأسباب تقنية إذ كان من الضروري كتابة النص من جديد وقمت بتنقيحه عدة مرات وسوف أسافر يوم الخميس



Twitter: @ketab_n

القادم لأربعة أيام مع كل المواد إلى صديق خبير اختصاصي من أجل عملية التنظيم من حيث الصفحات والاستشهاد بالصور الشخصية ومواقعها إلى جانب مواقع اللوحات وهكذا... وبعدها يبدأ الإخراج إلى جانب الفرز وبعدها الطبع .. عسى ان يكون هذا التأخر خيراً وأنا أقدر أنّ الكتاب سيكون فريداً من نوعه في الوطن العربي، كما أني أقدّر ان الكتاب سيكون جاهزاً في مدة أقصاها كانون أول هذا العام وسوف أعرف هذا بعد أسابيع حيث نحدد مع منى موعد العرض (والاحتفال) الكبير.

إني مشتاق لأخباركم والأكثر رؤيتكم وقد حددت موعد 15 تشرين أول حتى 29 منه لزيارة سوريا مع طلابي وربما بقيت بعدها لأيام في دمشق لكي نكون مع بعض وبروية.

كنت أود ان أكتب لك الكثير الكثير .. ولكن، وحين علمت أنك في دمشق (روكبت) معي واختبأت الكلمات والجمل في ثنايا النفس وأردت الانتظار حتى غداً وعدلت عن إرسال هذه الرسالة ثم عدلت مرة أخرى عن عدلي الأول وقلت لنفسي: سأرسلها هكذا تحية عودتكم إلى دمشق ولمعرفتي أنكم هناك، وهناك بما معناه هنا وبقربي.

فتحية لسعاد وعزة، ولابأس يا سعاد، فإن (جالون) العرق سوف لا يظهر بالصورة وما يظهر هو العروس عزة لوحدها بوجهها الجميل الصبوح زينة الكتاب. مروان



Twitter: @ketab_n

1995-9-6

الغالي عبد الرحمن، لقد قضيت أربعة أيام ولياليها مع (المهندس) الغرافيكس صديقي في بيته في مدينة وسط ألمانيا واشتغلنا في عملية التركيب والقص والإعادة ثم الاستنارة والعودة لما لصقنا وتعديل الصور وتكبيرها أو تصغيرها وترجيح الأولى على الثانية وصفّ السطور من جديد وكنت أخاف من الزوال أو الهروب لأنه يجب تحديد كل سطر بالميليمتر.

إن بناء كاتالوج صعب ولكنه سهل نسبياً، والأسهل كتاب أدبي، أما كتاب فني واسع بما فيه من مسؤولية وطموح، فأمر صعب جداً وقد ذكرني بأعمال قص جلود الفرو في السنوات البكر وكنت أقول لنفسي لو قدمت لي الآن الآلاف المؤلفة لرفضت مثل هذا العمل... ولكن هذا كتاب الحياة ويجب ان يكون الإخراج اللائق ليكون نموذجاً في بلاد العرب ورائعاً في بلاد الغرب ... وأنا أفرح سابقاً عندما أتصوركم وأنتم ترون الكتاب لأول مرة ونفتح صفحاته الأولى والواحدة تلو الأخرى حتى الصفحة 228 وهي النهاية لنعود من جديد إلى الصفحة الأولى. لقد عدت أول البارحة مريضاً مرهقاً وقد استطعنا ان ننهي النص وصور المرحلة الدمشقية والتشخيصات وسأعود إلى بلد الصديق في نهاية الأسبوع القادم لإنهاء ما بقي ثم المراجعة الكلية والتعديلات الضرورية.... وهكذا وللبدء في عملية الفرز بعد ان يسجل كل شيء مما حققناه على الكمبيوتر.



Twitter: @ketab_n

راجعت النص مرات كثيرة يا عبد الرحمن ثم الشواهد حول رسالة نعيم ولديّ القناعة الآن ان الشواهد التي أوردتها أنا في هذا الخصوص ليست ضرورية، أو على الأقل القسم الأكبر منها فأود حذفها من أجل موضوعية الكتاب! فما رأيك بالموضوع... ربما استفدنا من الشواهد بعد تنقيحها في مجال آخر في المستقبل. أما في ما يخص المطبوعات الملونة فلقد وفقنا في درج الدمشقيات بين فصل دمشق والمرحلة البرلينية وعددها 24 مطبوعة، وبعد المرحلة البرلينية في ما يتعلق بنصك تأتي مطبوعات برلين من البداية حتى اليوم دون فاصل وحسب تصوري ان لهذا صعوبة للناظر ولكنها في نفس الوقت لها مغريات أخرى وهي كأنها فيلم متحرك تروي حكاية 38 عاماً بالتصوير وأعتقد أنها ستعجبكم.

كنت طريح الفراش يومين أو ثلاثة وقد أنهيت كتاب "عالم بلا خرائط" وأعدت قراءة بعض المقاطع ثم اكتشفت أنه لدي كتاب من "جبرا" عن "جواد سليم" من السبعينات فدرسته وقرأت بعض فصوله... وفجأة اختلطت علي الفصول يا عبد الرحمن بين "علاء" و "جواد" وأنا وجبرا وأنت. كنت محموماً قليلاً وجاءت بغداد إلى جانب برلين ودمشق وضاع موقعي في برلين وأصبح كل شيء غريباً... ومؤلماً. فنجوى ثم الموت الباكر لجواد وكلمات جبرا عنه وكتابكم المشترك ثم كتابك عني.. فيا ويلي..!

زارني يوم الإثنين - بداية مرضي، وقد عادت النقاهة لي، أو هي على طريق العودة - قيس الزبيدي مع منتج ألماني وكان متحمساً ولم يكن الألماني يعرف أنّ خلفية الفكرة هي كتابك فأثار هذا عجبي قليلاً، فتحدثت عنك وعن الكتاب وشرقي المتوسط بحماس هو في موضع الحقيقة وكنت أعلم أنّ لقيس بعض النقد أو التحفظ إذ أنه



Twitter: @ketab_n

أشار عدة مرات ان الأمر خطأ وأنّ الكتاب أورد المجابهة بشكل جيد دون مزايدة عربية وهكذا.

لا أعرف فيما إذا كان بوسعي الاطمئنان إلى إمكانيات قيس الخَلفية في هذا المضمار لأنه وحتى الآن صنع أفلاماً لمواضيع أخرى. أصاب الألماني الحماس بعد ان سمع أفكاري فيما يتعلق بالفيلم والإخراج والتصوير والمنولوج الداخلي... وسوف نرى.

يجب ان أخرج من الدار لأعرف أني هنا ولأعرف موقع قدمي. رحلتي مع طلابي إلى سوريا ستكون بتاريخ 15 - 29 تشرين أول وأنا فرح لرؤيتكم بعض الساعات على الأقل وربما بقيت بعض الأيام بعد التاريخ المذكور وهذا يتعلق بالبداية الأولى للكتاب وضرورة المراقبة والإقرار. بلّغ تحياتي وشوقي لسعاد وعزة ونذير وشلبية وإلى اللقاء القريب.

(منتصف أيلول 1995)

يختلط علي الموت بالحياة والصعود بالتقاعس، تختلط عليّ برلين مع دمشق والغابات الندية في الشمال بسهول الشرق، تجاوز الخيبة الأملَ وتسرع الأيام والفصول وأنا أنظر إلى راحتي يديّ أحاول ان أقبض على حفنة من الزمن قبل الضياع. أحياناً أرى نفسي كمن يتشبث بغصن شجرة على الشاطئ لكي لا يجرفه شلال الحياة إلى الأعماق، وما أكاد أخرج من هذا الشعور حتى أرى نفسي في دوامة هادئة تتحرك بإصرار قاطع إلى المركز، فيأخذني التعب وأشعر ببرودة رمادية، هذا إذا كان لبرد النفس لون.

ولكن، لا تفزع، ما يزال هناك قسط من لون وطرف من نافذة وحفنة من لون النهار وأحبائي وما تبقى من البدو.



Twitter: @ketab_n

1995-10-4

عبد الرحمن، ما أصعب البعد مع لهفة اللقاء والشوق. ان انشغالي الدائم بالكتاب منعني أو أوقف يدي عن الكتابة لك كما أشتهي وأتمنى وكان كل ما أكتب قصاصات أتوقف في منتصفها دون إكمال وأقول لنفسي غداً وأنت تعرف ان لكل قصاصة وقت ونفس وصبا ومن الصعب إكمالها بعد أسابيع أو أشهر. ان عزائي بذلك هو الكتاب على حساب المناجاة والأفكار الشخصية التي طالما أحب ان أتسامر معك بها وأنت فتحت هذا الباب يا عبد الرحمن! وغداً يكون الجنين شاباً مثل أبو زيد الهلالي ليأخذ طريقه لوحده بعد (يوم العرس) ومع البهجة العظيمة.

لقد بدأت الأشياء العملية وفيها أيضاً وأحياناً بعض الارتباك واتخاذ القرارات النهائية وكل ما فيها من مسؤولية كبيرة. كم أتمنى ان تنتهي هذه المرحلة لأتفرغ لأشياء أخرى.. وربما لبعض الكتب الصغيرة الخاصة وربما المشتركة أيضاً وأنا أحلم بهذا.

لم يترك لي الوقت قسطاً كبيراً للتفكير بالوضع الخاص وأحوال اليوم والرسم ثم أنه بعد عشرة أيام سنسافر إلى سوريا وقد انتقل فرح الطلبة الكبير بهذه الرحلة لي وأصبت بالعدوى وعمّني اليوم فرح كبير أيضاً وسوف يكون لدينا الوقت الكافي للقاء وخاصة الأيام الأخيرة و 27 - 28 تشرين أول.



Twitter: @ketab_n

ذكرت لك مرة أني أهديت شرق المتوسط لأصدقاء ووجدت الغلاف غير مناسب ولهذا خططت ما تراه أعلاه أرجو ان يحوز على إعجابك كما أني أرسل لك بطيه "السلايت" للذكرى.

وأرفق لك (قصاصة) كنت قد بدأت بها قبل أسابيع وسوف أجد القصاصات الأخرى. هذه رسالة سريعة ولنتعوّد على الكتابة من جديد.

تحياتي لسعاد وعزة وسعادتي كبيرة باللقاء القريب

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 14/11/ 1995**

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة حارة

زيارتك الخاطفة كانت هامة وجميلة. يجب ان تكرر مثل هذه الزيارات، ويمكن ان يوضع لبعضها برنامج لكي تكون منتجة، للتعرف على البشر والأماكن، وأخيراً لموضوعات التصوير.

جاء المطر أخيراً ومعه البرد. كنت في بيروت قبل أيام، وهناك رأيت مطراً لا أعرف له مثيلاً إلا حين كنت صغيراً. كنت قبالة النافذة أرقب السماء تبرق ثم ترعد، وأخيراً جاءت الأمطار كالشلالات. ما زلت أفرح من أعماقي حين أشهد المطر، ربما نتيجة هذا العطش الصحراوي المزمن، ولأن المطر يعني الخير والبركة ليس للمزارعين وحدهم وإنما لجميع البشر. الأرض بعد المطر لها رائحة ولها مذاق يثيران في نفسي انفعالات شتى، وكذلك الحشيش المقصوص. وقد أكتب حول ذلك يوماً!

مادة "البروشور" أصبحت جاهزة، عدا الأشياء العملية، وقد أودعتها جميعاً لدى مني، آمل ان تتصل بك لاستكمال المعلومات حول عدد الصفحات واللوحات الملونة والأخرى بالأسود والأبيض، إضافة إلى تحديد السعر والعنوان وما إلى ذلك من تفاصيل عملية.

الكثيرون ينتظرون الكتاب، ويسألون، وحسب الإجابة التي تعودت عليها منذ زمن طويل: على الربيع. آمل ان يكون الربيع خصباً وكما نشتهي، كما آمل ان يبقى لديك وقت من أجل الرسم، بعد ان طال انشغالك بالأمور العملية.



Twitter: @ketab_n

عثر أحد الأصدقاء، حمزة، على الكراس الذي أرفقه مع هذه الرسالة، ويعود إلى عام 1956، وفيه قائمة بأسماء لوحاتك في معرض الجامعة، ربما تسعفك هذه الذكرى، كما يمكن ان تتمتع بصورة اللوحتين المنشورتين، وسيكون أيضاً ضمن أوراقك للمستقبل أثناء كتابة السيرة الذاتية!

أحاول الدخول إلى عالم الرواية من جديد بعد انقطاعات الصيف. العملية ليست سهلة وهناك خيارات عديدة تلغي الكثير مما سبقها، لكن لا بد من الوصول إلى صيغة في أقرب فرصة، خاصة وأن جو الشتاء يساعد على "الكنكنة"، وبالتالي الانصراف أكثر إلى العمل المنظم والمتواصل. المشكلة ان الانقطاع عن العمل يخلخله، ويجعل العودة إليه من جديد صعبة، لكنها الصعوبة المتوقعة والمألوفة، ولا بد من المرور فيها بين فترة وأخرى، خاصة وأن الدماغ لا يتوقف عن الشغل حتى أثناء الراحة، وربما النوم أيضاً.

هذا ما لدي الآن، وسأكتب إليك مجدداً، مع تحيات الجميع، وبانتظار ان أسمع منك.

**ملاحظة: أرسلت الرسالة والمخطوطة مع الصديق انتشال لسرعة الوصول.**

**عبد الرحمن منيف**

Twitter: @ketab_n

1995-11-26

الأخ عبد الرحمن،

اليوم هو مساء الأحد 26-11-1995 ، وسأحاول الكتابة وربما توفقت في ذلك.

لقد كانت سوريا غريبة وإن لها وقع السحر وبشكل عجيب يصعب الكتابة عنه. لقد كان (لأطفال الشمال) صدمة نفسية أخلاقية لا يمكن للإنسان تصورها.. صدمة حضارية بتلك الأرض وذلك الشعب لدرجة أني أصبحت أخاف من دخول الكلية ورؤية العيون المحبة المتشوقة وهي بانتظاري منذ الساعات الأولى وفيها الكثير من الوجد والإعجاب وكأنهم يحاولون بأي جهد الاستمرار في تلك الأيام التي تركت أثراً وجدانياً عميقاً.

ينظرون لي بعيون مليئة بالنور والصفاء الغريب وأن شيئاً هاماً وقع في حياتهم وفي ضميرهم: أسبوعان في سوريا. يحاولون لمسي، يحاولون تقبيلي، أسئلتهم كثيرة، محبة وعميقة وأن وطنهم الروحي وربما الرحمي أصبح الشرق والإنسان العربي وتلك الأيام من شهر تشرين أول 1995. سألت عرضاً "ماتيوس" (كان يجلس إلى يمينك في الدار وينظر بإعجاب إلى الكاتب وقد اشترى كتابك من البداية في برلين ومرّ به على الكثيرين قبل الرحلة وأنه أطلعني قبل أسبوع بأنه اشترى مدن الملح بالإنكليزية ويجد بعض الصعوبة!)، سألته عن عمله فقال أنه نشيط وقد تغيّر شيء، فقلت كيف، فقال: " أَوَ تعتقد ان سوريا لا تترك ذلك الأثر الهائل في الروح والثقافة! " .



Twitter: @ketab_n

كانت الأمسية في داركم تاج رحلتنا وهم يتذكرونها باستمرار ويسألونني عنك وعن أعمالك.

ولأختصر الآن وأقول يا عبد الرحمن: إني فخور جداً وبي الرضاء الحزين وربما عدنا إلى هذا الحديث الهام، وما أضعته كان إمكانية إقامة معرض مستعجل لهم في دمشق.. وربما في المستقبل.

تحدثت معك كثيرا كما تعرف، في السيارة وفي المرسم وفي القطار والطائرة وفي غرف الفنادق الباردة وقد أخذني التعب كما أخذتني الوحدة إلى جانب اللوعة والفراغ، والفراغ هو أقسى العقوبات. ذهبت بعد دمشق إلى "مانهايم" (Mannheim) لافتتاح معرضي هناك وكان جيداً وعدت بعدها لأطير إلى باريز من 12 حتى 16 وتعرّفت لأول مرة بفاتح المدرّس. أنظر يا عبد الرحمن إلى مداعبات الحياة: بعد أربعين عاماً تقريباً يجلس فاتح إلى يساري في باريز في أحد المطاعم مع المودة والاحترام المتبادل.. كم هو الحجم الإنساني والثقافي لعاصمتنا لولا (المنفى) حسب قاموسك يا عبد الرحمن!

عدت متعباً مريضاً والتزمت الفراش قدر المستطاع وقد توارت قواي وأنا أقدّر لنفسي العزاء مفكراً، سأعود.. سأعود ويجب علي ... ويجب ان أتحدى وأجيب على التحدي. قضيت الأسابيع الفائتة كالسكران مع مدن الملح التي قدمتها لي 1990 كعقاب، أتذكر؟ وما أحلى العقاب. غالباً أريد ان أصرخ لأقول: هذه أعجوبة، تلك الروعة في السرد المحكم، تلك السيطرة العبقرية على مجاري الرواية، تلك الوديان الناعسة الهادئة كالأنهار في مسارتها الرحيمة مع صرير الجُعل وأحلام الغروب وبقدرة ساحر تتحرك الوديان والأنهار لشلالات جارفة غاضبة مليئة بالجروح والدموع حيث يبدو



Twitter: @ketab_n

الأمل مستحيلاً ويظهر القدر الحتمي المرسوم كدائرة للحياة ومناحيها التي كادت تبدو مستحيلة، بدون رحمة وبكثير من العبث.. أنا الآن مع "تقاسيم الليل والنهار" ، ويحي، ماذا أفعل عندما أنتهي من المدن؟ ... سأبدأ من جديد.

لقد أخذني التعب وهناك الكثير مما أود قوله ومما لا أريد ان أتركه إلى رسالة أخرى هو "سيرة مدينة" ثم رسومك.

لم يكن حماسي لأعمالك (الورقية) طارئاً يا عبد الرحمن وإنما عن قناعة فنية أستطيع تبريرها تماماً وأسفي كبير جداً بسبب سرعة ليلة (الفراق).

إن الرسوم لها قيمتها ومقوماتها وعلى درجة من التركيز والقوة إلى جانب الفتوة ثم ارتباطها برؤية بصرية حركية بأشخاص "السيرة" لا ترتبط بالترجمة البليدة وإنما إضافة مركزية لهؤلاء الأشخاص. ولا أطيل:

يجب ان تأتي في طبعة جديدة وبانتقاء هادئ بطبعة خاصة واستعمال أوراق تناسب الموضوع وفي سيلولة جمالية منطقية (نعمل لها)، وسوف أكون سعيداً جداً في إيراد مقدمة (أو مؤخرة) عند تلك الاعمال مع المقارنة والتحقيق وإخراجها من البراءة السلبية إلى حركة إيجابية مرتبطة بلولب دافع له نظامه الداخلي، باللاوعي. وهكذا ترى فإن الأمر جاد وأكثر من ذلك حماسي الكبير لقناعتي وإعجابي.

شكراً لدليل رابطة الجامعة... و سقا الله يا عبد الرحمن شوف كيف الحياة تدور، خمسون عاماً مرّت ونحن نقف على رابية وننظر إلى الخلف ويأخذنا الحزن... المحبب! .

سأحاول ان أكتب لك سريعا من جديد، تحياتي لسعاد وليلى وعزة مع حبي. مروان



Twitter: @ketab_n

(عندما جئت إلى الجامع المحمدي وضاعت خطواتي من جديد، ظهرت ليلى وأنارت بعينيها الطريق وظهرت ألف ألف نجمة سيّرت خطواتي التعبة وأفرحت قلبي الحزين.)

**برلين 5-12-1995**

وحتى اليوم ما أزال متوعكاً وقد لازمت الفراش خلال الأسابيع الثلاثة الفائتة أو بالأحرى الدار أكثر مما خرجت إلى المرسم وهذا التوعك جلب لي شعوراً باليأس والقنوط أتمنى ان (أخرج) منه قريباً. أنا في منتصف " بادية الظلمات " وآمل ان أنهيها قريباً. إنها تشغلني كثيراً وغالباً ما أغمض عيني محاولاً ربط الأجزاء الأربعة الأولى وتحديدها الزمني كي لا تهرب مني... عمل عظيم وقاسي، في منتهى الذكاء والإلمام رغم الألم الكبير الذي لا مفرّ منه، لأنه على ما يبدو هو القدر الأسود (كالقطران) الملصق على ظهورنا وقلوبنا. وإذا قارنت فإن (مدن الملح) نموذجٌ يلاحقنا وهو قاعدة مستمرة محكمة التطبيق والإطباق. وبإنهاء مدن الملح، أكون قد أنهيت روايات الكاتب أخي وحبيبي عبد الرحمن، وماذا أفعل؟ وأنا بالانتظار وأقولها دعاءاً، ليمد الله في عمرك وفكرك وقلبك حبيباً وفخراً، فأنت من كبار عصر أمتنا وفي مصاف الأمل والسلوى والتبرير: أنظروا لهذا القرن في نصفه الثاني، إنه لدينا عبد الرحمن منيف.

أُصبت ببعض النكسات الخارجية وأنا أعتبرها تحدياً لي، وكم أتمنى ان تمر فترة النقاهة عاجلاً، ربما غداً أو بعد غد، لأعمل من جديد وخاصة ان طباعة الكتاب ستكون قريبة بعد إنهاء القليل من الفجوات الموجودة وبعد ان أخذ الكتاب الكثير من جهدي ووقتي



Twitter: @ketab_n

وسأكون فرحاً في مرحلة الطباعة ورؤية الصفحات الأولى كالطفل في يوم عيده الأول وهو يشاهد الألوان والأشكال الهائلة للمرة الأولى في حياته.

ما أقسى الشعور بالوحدة عندما تلازمنا (كالقنداقة*) ملحمة الشد على الروح والقلب، تشعرنا بالعبث واللاجدوى ثم الضعف وكأنه لا دارٌ ولا وطنٌ، ولا شك ان مدن الملح إلى جانب الفرح العظيم والإعجاب الذي تركته في نفسي، قد تركت أيضاً إلى جانب هذا مرارة وغضباً ويبقى الحزن العميق ... تصور روعة الكاتب وروعة الفن.

لا تخافوا علي، غداً سأرى نوراً جديداً، سوف أبتسم وربما أضحك.

أنظر، كدت أنسى: ان غرض كتابي هذا هو سؤالك في إمكانية تحديد موعد معك لأيام في سوريا، ربما على الفرات لصيد الطير والسمك في العام القادم قبيل الربيع ربما. ما رأيك؟! مع شوقي الكبير.

**مروان**

---

(*) القنداقة: كانت وشاحا يُلفّ به جسد الطفل الوليد مع يديه كالشرنقة ولا يبقى ظاهراً منه سوى الرأس.



Twitter: @ketab_n

95/12/6

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة وحارة

لوكان لديّ ختم "طغراني" لوضعت ذلك الختم، لكن لا أملك، حتى الآن، ومع ذلك أنظر.

منتصف الليل يقترب. كتبت بضع صفحات في الرواية الجديدة، وأريد ان أستريح. كتابة الرواية يا عزيزي، عملية شاقة إلى أقصى حد، إذ تفترض ان تتصور كماً كبيراً من الأشكال والتصرفات والدوافع والاحتمالات، وأن تخطط لها مجارياً وقنوات لكي تتواصل من أجل ان تتكامل في النهاية، وبالتالي فأنت تبذل جهداً في ان تنوب عن الآخرين، بما تفترضه أفكارهم وأحاسيسهم وطريقتهم في التصرف.

في وقت سابق كنت أترك نفسي تعربد وتقتحم، الآن، أصبحت أكثر حذراً وتخوفاً، ربما لشعوري بالمسؤولية، أو لأني أريد ان أكتشف عوالم وأماكن مجهولة، وهذا ما يجعل خطوات الإنسان أكثر حذراً وتحسباً، في ظل الحسابات المعقدة يكتشف الإنسان، وهذا الاكتشاف هو الفرح الحقيقي، والذي يقود إلى أشياء لم يخطط لها من قبل، وربما لم يفكر فيها بوعي كامل، أو بتصميم مسبق.

الأشياء تتوالد، تتكامل، تكبر، تتغير، تتحول، بحيث تصبح في النهاية متعة غير متوقعة وهذه بذاتها لذة، وهذا ما أتصوره أيضاً،



Twitter: @ketab_n

بالنسبة للوحة. أكبر تحد الورقة البيضاء، واللوحة البيضاء. إنهما سؤالان واستفزاز. ماذا يمكن ان يتكون في هذه المساحة من أشكال وأرواح وألوان ومخلوقات مستقلة عن خالقها؟ سؤال إذا لم يسأل فإنه قائم في البياض المتحدي وهذا ما يستفزك في ان تحاول تقديم أفضل وأنبل ما لديك من أفكار وتجارب وأحلام أيضاً.

كل هذا مقدمة. أما المثير، فقد سعدت، وأصدقاء كثيرون بزيارتك بسورية رغم قصر الزيارة، وكانت أقرب إلى المزح، لكن مع ذلك، ومعك تلك المجموعة من الأزهار الجديدة التي تبحث عن النور والشمس، أثارت إعجابي ومحبتي. وأتساءل هنا كيف يمكن لبضع ساعات ان تفتح أتوستراد بهذا العرض من المعرفة المخبأة والإيجابية؛ وكيف يمكن لإنسان ان يكتشف الآخر، وخلال لحظة، أو نظرة، أو خفقة جفن.

أظن، وهذا مجرد احتمال، أني عرفت ألمانيا من خلال المجموعة التي جاءت معك أكثر مما تعرفت عليها من خلال زياراتي المتعددة، لأن الأولى جاءت عفوية، بسيطة، غير مباشرة، بينما الأخيرة كانت بعين المراقب والخائف والمتحسب، والذي يتعرض للامتحان! غريب أمر الإنسان، والأكثر غرابة تعرّف الإنسان على الإنسان. الفتاة الضامرة، التي ينبع من عينيها الضياء، خاصة عندما عرضت عليها الورقة البيضاء لكي ترسم، كانت استجابتها حنونة ورائعة، بحيث اكتشف الإنسان الإنسان دون لغة، أو بلغة كونية مفهومة للجميع. وستيف الذي يبحث ما وراء شرق المتوسط رغم الصعوبة يقول لي، بطريقة غير مباشرة، هذه زهرة محبة، ومحاولة للدخول إلى "العالم" بشكل مشترك، دون عقد اللون والمسافات الجغرافية، ودون تعال من أي نوع، وهذا النبل الحقيقي. والآخرون،



Twitter: @ketab_n

عبروا وبطريقتهم الخاصة عن رغبة بالتواصل... والوصول إلى لغة يمكن ان تختصر الكثير من الزيف والمظاهر والأشياء الطارئة.

زيارة كانت رائعة، وكما قلت، أسفت أنه لم يستطع ان يقام لهم معرضاً في دمشق، حتى ولو كان بسيطاً، فقط ليبدأ الحوار الجدي. وإذا فات هذا الأمر، هذه المرة، فلا بد ان يفعل شيء يسجل لمثل هذه الرحلات. أرجو ان تبلغ تحياتنا، سعاد وليلى وأنا، الذين كانوا، ونكون مسرورين أكثر إذا التقينا مرة أخرى مع ان عزة آخذة على خاطرها أنها لم تكن موجودة، أما هاني وياسر فإنهما يهمّران، وكأن، أنا وسعاد نميز البنات على الأولاد!

لقد انشغلت خلال هذا الصيف، الأمر الذي أبعدني جزئياً عن الرواية، ولكن الآن أعود، وآمل ان تكون فترة الاستجمام والانحباس كافية لأن تطلق قواي المحبوسة، وبالتالي تجعلني أكتب بشكل أفضل. أدعو الله، الكامل، القوي، القدير، العزيز والجبار ان يجعلني أفعل ذلك.

اليوم كان معرض فاتح مع ابنه وأحد تلاميذه، وقد ذهبت، رغم أني لا أحب الافتتاحات، التقيت بفاتح وتحدث عنك بمحبة، وأكتشف أشياء مشتركة ويبدو مغتبطاً بلقائك وبمعرضه في باريس.

لا أريد ان أثقل عليك، إنها رسالة تحية ومحبة، ولدي أشياء كثيرة يمكن ان نتحدث فيها وعنها. وسوف أفعل ذلك في رسالة قادمة. أما بخصوص "لوحاتي العتيدة" فأرجو رجاء حاراً ألا تخربني. أعطني فرصة إضافية، لكي أتعامل مع الكلمة، لئلا أضيع، ورغم تقديري ان هناك احتمالات لكنها بحاجة ماسة إلى الكثير من الوقت والجهد والانتظار، لعلي أستطيع في النهاية استخلاص بضع لوحات فقط يمكن ان تحظى بمحبتك، وبالتالي ان تكتب عنها.


Twitter: @ketab_n

بانتظار أخبارك، وأعمالك، ومجيئك أيضاً ولا تنسى ان تسلم على الزوجة المحبة المتوارية وأريد ان أسمع المزيد من أخبارك.

التقيت بنزار قباني، وحين عرف أني، معك، حضرنا كتاباً مشتركاً، قال: ما أسعدكما!

لدينا أشياء كثيرة نفعلها، مع محبتي وتقديري. مع الختم

عبد الرحمن منيف

(سرني وصول "كاتلوج" جامعة دمشق، مع التذكير أنك توغل في حساب الزمن، إذ مضى على ذلك أربعين عاماً، وليس خمسين، كما تقول!). نذير بوضع أحسن من قبل، والقلق بداية الوصول!

مع مودتي

(أفكر ان نكتب نصاً سومرياً أو بابلياً بشكل معاصر ومشترك، ما رأيك.)

(الحواشي في أية رسالة جزء أساسي من الرسالة.)

(أول أمس. 2/12/ أقيم معرض لإلياس زيات، فيه جرأة، ويشكل نقلة في أعماله، خاصة من حيث اختصار الرموز المسيحية. وبداية الوصول إلى نظرة، وأيضاً لون، من نوعٍ مختلف!)



Twitter: @ketab_n

17 /12/1995

أخي مروان

تحيات كثيرة وحارة

قد لا يكون خطأً ان نتحادث كالطرشان، أي بصوت عالٍ، وبعض الأحيان من خلال فرضيات معينة. أقول هذا الكلام لأني لا أعرف هل أرد على رسالتك الأولى أم الثانية، وهل الأفضل ان نتحاور حول الذكريات أم حول حريق الأيام الراهنة. فأنا أكتب رسالة، وقبل ان تصلك، أتلقى رداً عليها وعلى غيرها. وأنت تكتب قبل ان تقرأ رسالتي، وترد على ما يحتمل أني قلته لك. صيغة بالنسبة لي، لا تخلو من أهمية وطرافة، تماماً كما لو ان الإنسان يكتب يومياته، بكل ما تحمل من بوح وشوق ورغبات، وأيضاً بما تخلفه من هواجس ومخاوف واحتمالات يخشى الإنسان ان يقولها لنفسه، إذ تعرف ان من يكتب يومياته يكتب لحظته، حالته النفسية، جموحه وغضبه وحزنه، دون ان يقيم وزناً كبيراً لرأي الآخرين، أو طريقتهم في التعامل مع الكلمة في لحظتها الانفجارية، وقد يصلون في الأخير، إلى تصنيفات وطريقة في التفسير لا تعنيه كثيراً.

أنهيت اليوم الفصل- المفتاح. كنت في الشهور الماضية أبحث عن بداية تساعد في الوصول إلى أفق. كتبت، دون مبالغة، مئات البدايات، لكن كنت أشعر أنها تفتقر إلى المفتاح الذي يمكن ان يقود إلى العوالم التي أريدها. اليوم بالذات توصلت؛ قد أكون مخطئاً، أو متفائلاً، لكنني أحس ان هذا الاتجاه ومن هنا الطريق، وهذا ما يجعلني في حالة قوة ونشوة، لأني أعرف أين سأذهب، وأي غاية



Twitter: @ketab_n

أريد الوصول، المفتاح في الكتابة، في اللوحة، في القطعة الموسيقية هو السر، لأنه يفتح عالماً ظل مغلقاً زمناً طويلاً، وبمجرد ان نضع في ذلك الثقب تلك الآلة الصماء، ينداح أمامنا شيء، أشياء، لم نكن نتوقعها، وقد يكون في هذا المفصل في التحديد بداية الكشوفات والاكتشافات المذهلة.

قد لا أكون مبالغاً إذا قلت لك أني منذ شهور طويلة، إذا لم أقل منذ سنوات، أني كنت أبحث عن هذا المفتاح، وأن تجده تتولد غبطة هائلة، انقشاع كامل للضباب والغيوم والحيرة والضيق وألف حالة نفسية.

سوف أبدأ خلال الأيام القادمة، وبداية حقيقية، في كتابة "أرض السواد" لأن كل ما فعلته، وحاولت ان أقنع نفسي، كان تمريناً، كان تسخيناً، مثل لاعبي كرة القدم حين يهرولون دون وعي ودون هدف، فقط من أجل ان يستعدوا للدخول إلى الملعب. أما كيف سأتعامل مع الآني، ماذا سيتولد عنه، فأقول بصراحة أنني أرى ضوءاً، لكن لا أعرف إلى ما يقود، وإلى اين سأحل، سأدع تلك الحارسة الغامضة تقودني، ولابد ان أصل.

هذيت طوال الصفحة السابقة، في الوقت الذي كان يفترض ان أرد على بعض أسئلتك، وأن أعرف منك أكثر مما قلت في رسالتك، ولكن الطوفان الذي يأتي فجأة، والذي لا يعرف الإنسان كيف يرده، كيف يتعامل معه، يجعل الحالة غير قابلة للسيطرة عليها.

كان بودي ان أسمع منك الكثير عن زيارتك إلى باريس، كيف هي الآن بالمقارنة مع "الفترة الباريسية" التي عاشها مروان من قبل. ماهي الفروق بين اليوم والأمس، بين الأربعين والستين، وكيف يمكن للإنسان ان يضع سلماً جديداً للأولويات. ثم ماذا كان رأيك،



Twitter: @ketab_n

تقييمك للمدرس قبل ان تلتقي به وبعد ان التقيته؟ وماهي آفاق واحتمالات الفن الآن ضمن هذا الجو القاتم من الحيرة واللعنة الأميركية وطغيان الآلة؟

هناك أسئلة بعدد شعر الرأس، لا يهم ان يكون الإنسان أصلعاً أو لديه كثة سميكة في المؤخرة، فالفترة الحالية، وكما قلت وربما كتبت، هي فترة الأسئلة بامتياز. كل شيء أصبح سؤالاً قبل ان يكون جواباً أو بديهية، وكل شيء قابل لإعادة النظر والمراجعة، الأمر الذي يشعرك، كإنسان، بالبدايات الأولى للخليقة، وبالتالي لا حرج أبداً في أي شيء أو أي سؤال، تماماً كما لو تأمل الإنسان أسمه، الجرس وترتيب الحروف، والمعنى، والصدى، وألف سؤال آخر من الأسئلة التي لم توجه من قبل. أما إذا نظر الإنسان إلى السحنة، في أي وقت، في الصباح الباكر، أو عند التخوم الأخيرة لليل، وقبل ان ينام، ماذا يرى، ماذا يكتشف، كم من التشاؤم يقول، وكم يضحك بحزنٍ أيضاً؟

لم يعد هناك أي شيء حقيقي أو متماسك. كل شيء هلامي، زلق، غير نهائي، وأقرب إلى الحلم، ومن الحلم الذي يمكن ان تستمد اللوحة والرواية الكثير من الألق، إذا استطاعت اللوحة أو الرواية ان تمسك بالحالة، باللحظة، وأن " تقولها ".

أخي مروان،

أنت متعب، وناقم، ولا أريد ان أتعبك، يمكن من خلال اللوحة- الرواية ان نقول أشياء كثيرة، وهذا ما أتمناه وأرجوه، دون تصور واضح له، ويمكن ان نفعل شيئاً في هذا المجال.

كتبت في الأيام الأخيرة مقالة قصيرة عن جبرا أسميتها : جبرا من بعد، وقد نشرت في جريدة السفير يوم 15/ 12، بمناسبة مرور



Twitter: @ketab_n

سنة على وفاته. لم أكتب قبل هذه المقالة كلمة واحدة عنه، وحتى عندما شعرت بضرورة الكتابة اخترت الزاوية البعيدة، قبل ان نتعارف وقبل ان نتعاون، ولا أدري لماذا أتهيب من دخول المعركة بكل ما تعنيه هذه الكلمة، ولماذا لا أكتب عنه كاملاً وكلياً!

وماذا أيضاً؟

بمقدار الجهد الذي نبذله في "القضاء" على مدن الملح، أشعر أني أرسلت رسالة، وقد وصلت، خاصة وأني أشعر بالأسى لما يراد بذله من جهد من أجل ان يتعامل الإنسان مع هذه الرواية تحديداً، في الوقت الذي أصبح الإنسان "يحسب" كل لحظة، كل يوم عمل، وأقول لنفسي، بعض الأحيان، أننا حيوانات منقرضة أو في طريقها للانقراض، لأنها تصرف كل هذا الوقت من أجل بشر لديهم مفهوم مختلف للوقت، لكن ما يعزيني ان أشعر بوجود أناس يبذلون هذا الجهد وهذا الوقت من أجل التعامل مع مثل هذه الرواية. إنه عزاء يخلق الغبطة، والغبطة، حتى بمعناها البسيط والمتواضع، كافية ومجزية في هذا العصر.

بعد أيام قليلة وندخل عاماً جديداً.

لا أعرف أية مشاعر ملتبسة تسيطر في مثل هذه الأيام، إنها مشاعر مختلطة، معقدة، وربما طابعها العام الحزن.

كنا، في وقت سابق، نهرول نحو الأيام الآتية، كنا نريدها ان تسرع، ان تنطوي، إذ كان هدفنا ان نكبر بسرعة. أما الآن، وربما في الأيام القادمة أيضاً، نريد ان نهدّئ السرعة، ان نتأمل، ان نقارن، لكن الأيام لا تترك لنا فرصة أو مجالاً، وهكذا يسيطر علينا الشعور بالأسى والشجن. كنا نركض من أجل ماذا؟ والآن نحاول ان نبطئ، من أجل ماذا أيضاً؟



Twitter: @ketab_n

لا أريد ان أثير الأحزان والذكريات، ولا ألتذّ بجلد النفس، كما لا أحب ان أسرق أيام غيري، ولكن هذه هي الحياة: أقرب إلى العبث، وتنزلق من اليد كما تنزلق السمكة، ولا يبقى في النهاية سوى أشياء يعتبرها الإنسان أكثر جدارة من غيرها بالبقاء.

عزيزي مروان. أقرأ الرسالة مرة واحدة واطويها، لأني لا أريد ان أثير الأشجان وبانتظار أخبارك تقبل تحيات ومحبة الجميع، وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**

Twitter: @ketab_n

1995-12-28

الصديق عبد الرحمن،

الحواشي في الرسائل والكتب هي بمثابة الفخذ عند طائر السمّن، أو القلب الذي ينتقل إلى الشفاه عند القبلة، أو لمسة الفرشاة الأخيرة عند انتهاء اللوحة حاملة معها لون الزمرد أو شقائق النعمان في (صيف) القمح . فأكثِر منها. اليوم وصلتني رسالتك الثانية وقرأتها مرة ومرتين رغم وصيتك بأن لا أكرر، واليوم صباحاً، في الساعة الثانية والنصف، أنهيت الجزء الخامس من مدن الملح فيا أسفي، فبرغم التقتير أنهيت جميع ما كتبت وسألتفت الآن إلى نصوصك الأخرى المجمّعة بانتظار "أرض السواد"، وإذا أبطأت، فلابأس، لأن الأعمال العظيمة تحتاج إلى مخاض طويل... حتى نحصل على (المفتاح) والنشوة الهائلة وسوف أعيد قراءة بعض الكتب الأولية مثل "الأشجار واغتيال مرزوق" و "النهايات".

لقد سألتني عن "فاتح"، ومن المحزن ان يمر الشباب الأول والثاني ونحن يا عبد الرحمن في طريق الشباب الثالث حتى يأتي اللقاء الأول في بلد بعيد بين فنانين من ذات البلد. ان فاتح نشيط الذهن والابتكار كما أنه له دروب في الحياة والرؤيا وقد قدّم لوحات جيدة في حياته وهذا يكاد يكفي ولنا ان نبارك له، والرائع فيه أنه لا يملك بلادة الآخرين، البلادة المستنقعية المنتشرة مدى الآفاق في بلاد (شرق المتوسط) هذا العصر. لا أعرف ماذا يمكن ان يتغير في صيرورة أعمال فاتح لو كان عاش ظروفاً مختلفة عما هي عليه في



Twitter: @ketab_n

بلدنا. هناك الصُنّاع إلى جانب الخلّاق وموضع الخلّاق مختلف إذ ان الخلق مرتبط بالحيرة والألم والسؤال والشك الدائم ثم القدرة والتحدي والإبداع وإذا أردت ان أكون قاسياً لقلت أنه في بعض الأعمال المتأخرة، الترديد والصنعة على حساب المعاناة والتحدي والاكتشاف وآمل ان لا يكون هذا في مصاف النقد لأنه، وفي عقيدتي، إذا تمكّن فرد من تقديم شيء جديد في حقبة ما أو أكثر، فما علينا إلّا الاحترام والتقدير وما عدا هذا فهو مسألة شخصية ذاتية ويجب ان لا نكون كالكلاب المسعورة التائهة التي تنتظر السقوط لتشبع تفاهتها. فحيّاه الله.

أما باريز، فهي أصدقاء الفكر وبعض المثقفين الذين أنا في حرمة منهم في برلين لأننا موزعون في ألمانيا في عشرات البلدان، ومن يدري يا عبد الرحمن، فربما كان الحرمان نعمة! وباريز أيضاً زينة للعين، زينة لأنها تحمل بمتوسطيتها بعض ملامح الشرق حيث أعيش في مدينة الشمال. لقد قام بيت الثقافة الذي تعرفه بأسبوع دراسي بعنوان " المرآة المبعدة " وهو يبحث موضوع الشمال والجنوب والرحلة والأندلس واللقاء بينهما. دعي من العرب "صلاح ستيتيه" و"عبد الوهاب مؤدب" و"أدونيس" و"خلوي عياري"، ثم جاء "عيسى" ثلاثة أيام للّقاء وعملت في المرسم ليلة كانت جميلة كما أنك كنت موجوداً يا عبد الرحمن وفي عصر آخر جاء "صلاح" لوحده وهو يبلغك التحيات والاحترام وذكر أيامكم في باريز كما أنه يود ان أشارك ببعض الأعمال المعينة في كتاب له سيصدر في دار نشر "شين" بعنوان " القلم "، و"شين" هي دار تقليدية رفيعة المقام كانت تنشر لـ "هنري ميشو" وغيره من النادرين و"صلاح" متحمس وإذا تم الأمر فهو أول عمل لي في هذا المقام . أما "عبد الوهاب


Twitter: @ketab_n

المؤدب" فقد أصرّ على زيارتي قبل سفره وكان يعرف بعض أعمالي من باريز وكانت الزيارة مركزة جداً وقال أنه كان يعتبرني من أحسن رسامي العرب وعلى مستوى أوروبي في مستوى "رُووه" (Rouault) وأن الزيارة أكدت بما رأت عيناه وأنه محق... (وناقل الكفر ليس بكافر!) ثم طار إلى باريز لأنه سيحاضر في اليوم اللاحق عن الوجه الخالق في القرآن! .

(لقد كانت فرصة جيدة أني رأيت أعمال فاتح بمعرض المعهد وأني كنت منه بهذا القرب وهذا الود... وسألت نفسي بعد ان رأيت شمال سوريا وعفرين، ماذا كان بقدري ان أفعل بها، تلك الإنجيلية وذلك الأفق!)

(ولا أتحسر قطعاً ان القدر اختار لي برلين بدل باريز وإن ما جرى هو إشارة في الحياة على مفترق الطرق أكّدت مسيرة معينة وكانت (المفتاح) المحتمل.)

هناك أشياء كثيرة ممكن ان نتشارك بها يا عبد الرحمن. ان محاورة الطرشان فرضها البعد والشوق ولابأس عليها ولتبقى ولو كتبت هذا قبل خمسة وأربعين عاماً لقلت، ولتبقى حتى الموت . ان ضفائر الزمن بأفراحها وآلامها جميلة ورائعة.

انظر، ان ما جمع دربي بدربك هو بالنسبة لي أحد أطراف السعد الهامة في حياتي بعد فراق كاد ان يكون جيلاً من الزمن، وبقلبك فتحت لي أبواب دمشق القديمة الجديدة وسرت بيدي لتقول لي هذا أنت وهذه أرضك، وتفتحت بعض الأزهار لنا وانتشرت في عمري بعض الظلال، لي، وأرجو أيضاً لبعض الآخرين. فشكراً لك وشكراً لضفائر الزمن. ويا الله يا عبد مع نصب سومر أو بابل المعاصر وأنا معك. هناك بعض الأشياء (الصغيرة) الجميلة الممكن


Twitter: @ketab_n

عملها وتنفيذها وخاصة بعد ان تكاملت (الرحلة) وستصبح في حدود الطبع في بيروت في منتصف كانون الثاني. ومن الصعب تصوّر الجهود التي وقعت علي في مشاق (الرحلة)! .

توقفت لأكثر من شهر عن الرسم، أو ربما لشهرين لأسباب تشاركت مع بعض، مثل السفر ثم التعب والأكثر من هذا وذاك هو الكتاب الذي شغلني تماماً ولكن، وحمداً لله ستنطوي صفحاته التقنية هذه الأيام بشكل كامل دقيق ويبقى جاهزاً للطبع بما فيه الملح والفلفل. ربما كان هذا التوقف القسري خيراً وربما، أو بالأحرى ولا بد ان يوجد عملية تفكير وحسابات صامتة في قلبي لعمل المستقبل رغم أني فرح خائف من مسؤوليات المعارض وتقديم الكتاب في المدن العربية بما تتطلبه من تحضير وترحال وأنا لست بالرحّالة ... أنسّق مع منى بالنصائح في البداية بتحضير هذا وذاك في بيروت بعد دمشق ثم القاهرة بعد عمان والخليج وهكذا وقد قامت منى بالاتصالات التي تحتاج للتنسيق والوقت وهي تطمح للمعارض الكبيرة بالنسبة للأعمال وأنا أرحّب بهذا رغم الصعوبات وخوفي على الأعمال إذا لم تكن الرعاية كاملة.

إن رسالتك بمدن الملح خاصة وبالنسبة للجهد العظيم الذي يفوق أي تصور، أعتقد دون ان أبالغ أنها العمل العظيم في الشرق لهذا القرن، حيث جمعت التقرير بالموقف والأدب الخارق بالتحليل والغوص في أعماق منطقة خرجت منها الحضارات والنبوات، لتخرج (ملحمةً) منا ولنا ولولاك لضاعت الصور ولضاعت الصرخات والآلام والآمال وآلاف الصور الدقيقة لكل طبقات الناس بتراثها وهمومها، بحيوانيتها ونبلها.... ثم تلك اللذة وذلك الدفء الهائل مع الأدب، والكلمة والخاطر.


Twitter: @ketab_n

كنت أنام مع المدن وتلاحقني ليلاً بأحلامي مع الغضب والسؤال. وأقول جداً أني آسف لكلماتي هذه التي جاءت عفوية لا تعطي المدن حقها. فاطمئن.

أريد ان أكتب لك الكثير. ان نور ثلج كوانين شفاف رائع و ببرده، (عشرة تحت الصفر) يطهّر الكثير من أثقال العام الفائت ويجلب أملاً خفيف الحزن للمستقبل وللغد.. وبعد غد سنلتقي ان شاء الله في دمشق وبيروت لأني أعتقد ان بعض الأيام لمراقبة الطباعة هناك، ستكون ضرورية بعد الجهد العظيم... وهكذا بعد المغادرة الأولى أزور دمشق ولأول مرة في الشتاء، فعليكم تحضير الكستناء للصديق المحب. وما أكثر تمنياتي بالعام الجديد.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1996/2/15/14

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق

كان يفترض ان أكتب إليك قبل هذا الوقت، لكن أمرين منعاني من ذلك: الأول أنك كنت " تهدد" بالمجيء بين أسبوع وآخر، وبالتالي كنت أقول لنفسي ان نلتقي ونتحدث خير ألف مرة من الرسائل؛ والثاني أني غارق لشوشتي في" أرض السواد". أكتب، إذا صحّ التعبير، ليل نهار، ولا أستطيع ان أخرج من هذا الجو. حتى الجريدة اليومية التي أدمنت عليها منذ وقت طويل. كعادة يومية، لا تحظى مني الآن بأكثر من مطالعة العناوين، وبعض الأخبار، انتظاراً لوقت آخر، هذا الوقت الذي لا يأتي أبداً.

الآن ، وبعد ان أنجزت قسماً لابأس به من الرواية، ولأني تأخرت في الكتابة، واستأخرت مجيئك أيضاً، ولأني ثالثاً أو رابعاً مسافر غداً إلى بيروت، لكي أقضي " العيد" مع الأولاد، لابد ان أقول لك مرحباً قبل السفر، متأملاً ان أجد منك مرحباً مقابلة، بعد ان أعود.

الصحة بين بين، لأني حين أغرق في جو الكتابة، خاصة الرواية، يختل ميزاني. فالانفعالات، والشحنات الكهرطيسية تتدفق، ويأتي معها هذا اللعين، السكّر، وبالتالي يصبح الوضع مضطرباً، مما يجعلني ألجأ إلى المسكنات، وهذا ما حصل خلال الفترة الماضية، في الوقت الذي كنت قادراً على السيطرة باتباع الريجيم،



Twitter: @ketab_n

لكن" أرض السواد" بحدتها وجهامتها، وبما تولد من انفعالات، اضطرتني هذه المرة إلى الدواء.

سفرة بيروت تجعلني أسترخي، إذ لن أصطحب معي هذه العشيقة المعذّبة، وسوف أمشي مسافات طويلة، وسأذهب إلى المسرح والسينما، كما سألتقي بأصدقاء كثيرين، وهذه " الفعاليات " كلها ستخلق توازناً من نوع جديد، وأيضاً سوف تجعل عودتي إلى الرواية أقوى.

أتمنى ان أخلص من المشروع، في مرحلته الأولى ،بداية هذا الصيف، إذا استمرت وتيرة العمل كما هي الآن.

طبيعي لم " أرسم " ، فالرسم، كما اكتشفت يحتاج إلى قوة هائلة، وليس عندي منها الآن شيء، لذلك سوف أؤجل " لوحاتي " إلى وقت آخر، خاصة وأن الطبعة الجديدة من "سيرة مدينة" ستظهر في غضون شهر، ولم أتفرغ لاقتراحك ان أرسم لوحات لهذه الطبعة، الأمر الذي يجعلني أكثر سعادة، إذ سوف تتاح لي فرصة تلقي دروس إضافية منك حالما نلتقي قريباً، مما يجعل" رسوم" المستقبل أكثر إتقاناً وأكثر دلالة، وربما نفكر بأشكال أو صيغ جديدة.

عزيزي مروان.

طال انتظارك، وطال انتظار الكتاب - الضريبة. كنت أتمنى ألا يشغلك بهذا المقدار، لأن الوقت الذي صرفته على تهيئة الكتاب حرمتنا من لوحات كثيرة كان بالإمكان إنجازها، الأمر الذي يجعلني أردد قول سكرتيرة المندوب السامي الأول في العراق، حين ساهمت في تنصيب فيصل ملكاً على عرش العراق، فقد كتبت لأبيها تقول: لن أشترك مرة أخرى في تنصيب ملك، لأن المهمة ليست سهلة!


Twitter: @ketab_n

وأنت وأنا أيضاً. يفترض ان يتولى غيرنا تحضير الكتاب، وأن نراقب، أما هذا المرض الذي يجعلنا في حالة وسواس، كل شيء بالكامل، أو لا شيء، يجعلنا لا نرضى إلا صيغة وحيدة، وهذه الصيغة يكون ثمنها غالياً أغلب الأحيان.

المهم الآن: ان العمل في مراحله الأخيرة، ومن شأن ذلك ان يقدم تعويضاً معنوياً، وأن يسخننا للانطلاق إلى آفاق أخرى. هذا ما أتمناه وأرجوه، وقد تكون فترة الانقطاع الطويلة مليئة بشحنات تعوض ما فات.

إنني، بعض الأحيان أثناء الإجازة، في رحلة أو في سهرة، أكتب أضعاف ما أفعل وأنا وراء الطاولة، لأني خلال تلك الفترات أخزّن، أشحن، أهيّء، حتى إذا انطلقت للعمل فوراثي ذلك المخزون الذي لم يكن من السهل الحصول عليه، وهذا ما أتوقعه بالنسبة لك خلال المرحلة القادمة، فقد غسلت عيني عشرات المرات، وهيأت نفسي لكي أكتشف عالماً جديداً سوف تفاجئني وتفاجئ الكثيرين به.

أحس الآن بتعبك، وأحس بالآفاق التي اكتشفتها أو وصلت إليها، ولابد ان تجد هذه الأشياء تعبيراتها في اللوحات القادمة، وأنا بالانتظار.

اتصلت "منى" بي أمس، وأبلغتني باحتمال مجيئك أوائل آذار القادم، آمل ذلك، كما آمل ان يكون اقتراحها باحتمال طبع الكتاب في بيروت ملائماً لك، ولابد في هذه الحالة ان تطّلع بنفسك على التجارب الأولى، وأن يباشر أحد الإشراف الدائم حتى نهاية الطبع، لأن "جماعتنا" في بيروت أو في دمشق يعطون وعوداً كثيرة، ويقولون كلمات كبيرة، لكن أثناء التنفيذ تأخذ الأمور شكلاً آخر،


Twitter: @ketab_n

أتمنى ألا يحصل مع هذا الكتاب بالذات، وآمل ان يكون نموذجاً لما ينبغي ان تكون عليه الكتب الفنية.

وماذا أيضاً وأخيراً؟

أمطار هذه السنة، حتى الآن، قليلة، وهذا، لا أعرف لماذا، يترك أسى في نفسي.

الثقافة عدا التلفزيون، في حالة من الركود نموذجية. لم يصدر خلال شهور طويلة كتاب؛ يفرح القلب؛ لم يكن معرض يتذكره الإنسان، وما عدا مسرحيتين لفرقتين تونسيتين لولاهما لبدا المسرح مقفراً تماماً.

"نذير" لابأس بوضعه الصحي، ويعمل. "شلبية" مسافرة ولا تزال، وقد لا تعود قبل بداية آذار. "الزيات" أقام معرضاً جيداً، "فواز" بين الموسيقى والسمك والغناء. "إحسان" يزداد تألقاً. "علوية" و"عمر" يسلمان كثيراً، وكذلك عزة وليلى وياسر وهاني، وأيضاً سعاد، ولك من الكثيرين، وربما لا يعرفونك، التحيات والشوق... وأنا كمان.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1996–4–25

أخي عبد الرحمن

سأبدأ اليوم كتابي من نهايته لأقول لك عسى ان أسمع منك قريباً! كنت أصعد درج المرسم قبل أيام حين عرضت في فكري ملامح أعمالي كشريط خلال عشرات الأعوام المنصرمة ثم تكثفت في الرؤوس لحقبة طويلة.

جاءتني بدوية الروح والإصرار فيها وقلت لنفسي ما أنا إلّا بدوي رحّال في مكانه في كل أعمالي، ملأه الشوق العارم إلى الأفق مع الحزن والغضب فأخذت الفرشاة واللون مع حضارة الرسم التي اكتسبها مع العمر وبالبديهة أكثر من (مقاعد الدراسة). وفجأة تذكرت مقطع "هافتمان" (إن جواب هذا السوري، المرهف الحس، على كل ما يحمله في ذاته، صحيح ومنطبق وفي لغة أوروبا : الباروكية والصحراء، إلى جانب الوحدة الحسية للإنسان البدوي.)

دخلت أوحال اللون والشكل من جديد، ودخلت باب العذاب والشك. كنت قد بدأت برسم لوحة كبيرة من أجل دمشق بألوان شفافة رقيقة بسبب النقل وبدت جميلة (زاهرة) بإيقاع فيه الينوعة والشباب غنائية. تأملتها ولكنها تركتني حيادياً عدا الإعجاب بالمهارة، فتركتها لأعود إليها وانتقلت إلى أخرى كنت قد أنهيتها في تشرين الثاني ثم في كانون الثاني ثم مطالع آذار ونهايته... وقلت لا ، وعدت إليها منذ أيام فأصبحت ثقيلة سوداء كأنه مرّت عليها الدهور ومرّت عليها


Twitter: @ketab_n

الأفراح والمآسي ... ويئست ثم عدت إلى التحدي واعتقدت البارحة أني سيطرت عليها وأنها جيدة. واليوم نظرت إليها صباحاً فوجدتها حمقاء بليدة (إذا صح التعبير) أو أنها لا تستاهل النظر. ليس فيها سر أو إبداع أو إشارة أو موقف (وسطية) الطلعة ووسطية الوجود، فعدت لها مدى النهار وغيرت بعنف ما كنت أعتبره جيداً وفتحت بها ودياناً جديدة تجري كالقطران في عروق الأرض (وطمرت) الأحمر والبنفسجي ثم غطّيت البرتقالي وجئت برمادي سميك يحمل آخر فرحة النهار ويطوي وراءه حزن الليل القادم..

وبدت وكأنها عروس بنت مئة عام جميلة

تقاوم ندبات السنين وتحمل الزمان بين كفيها

وغدا!؟

-عذاب الرسم والشك كعذاب المحب، يكوي ولكنه عذب، وما الإنسان دون الحب! -

لعن الله هذا القلم يا عبد الرحمن، مداده عند الحاجة لا يمشي مع اليد واضطراب الأفكار. أحببت ان أكتب لك هذه الأمسية لأكون معكم قبيل أيام العيد، فيا مرحبا. مروان

اليوم هو الثلاثاء يا عبد الرحمن، والناس يقولون يا رايح للبحر جيب معك حجر. بدأت أشعر بنوع من القلق في ما يتعلق بصحتك ونفسك لأنه مرت أيام الخميس الكثيرة دون ان أتلقى رسالة أو إشارة منك. ان أيام الخميس المذكورة هي أيام الجسور والطعام الروحي عندما أتلقى الظرف بخطك الدقيق، فأصعد الدرج فرحاً متفائلاً ثم أضع ما أحمل على المقعد وأضع رسالتك على الطاولة الصغيرة التي تذكرها وأنا أعاند لذة فتحها دون طقوس الانتظار المحبب ثم أشعل سيجارة وأقص طرف الظرف بحذر قبل ان أبدأ



Twitter: @ketab_n

بالتهام سطورك مرتين. وكما ذكرت إنه الطعام الروحي يربطني بتراث وأرض أحبها من شخص صاحب وعزيز هو الشهادة وهو العزاء يعيد الثقة ويقدم السلوى ويعطيني بعضاً من القوة الداخلية والأمل لأرسم لكم ولي وبعض قناعة ان ما أعمله قد يكون لبنة ضرورية لي وللآخرين، فأشمّر عن يديّ وعينيّ التعب والحزن لأستبدله ببعض النشوة والغضب. كانت أيام الثلاثاء والجمعة تعني لي منذ سنوات طويلة يوم لقاء أحبه، أنتظره ويعطي ترتيل اليمام وأغاني الشحارير معنىً فرحاً خاصاً ووجودياً كالحقائق القليلة النادرة. ولكن، ومنذ زمن تغيرت الأيام وارتدت ساعات الحزن والذكرى المريرة تكمن في الأحشاء والقلب. لم أكن أريد ان أكتب لك عن هذا وإنما تصورت أني سأبدأ بالمداعبة الكلامية والعتاب اللطيف من أول كلماتي حتى النهاية كالسمير إلى الصديق، إلى دمشق ولكن اليوم حدث انعطاف مؤلم مع من أحب وغاب ذلك الأمل وذلك الضوء الوحيد الذي رافق أيامي بحب لا يشوبه غبار اليوم بل تصورت أنه ترتيل دائم لعلاقة متكاملة ونادرة. سأحاول ان أجند الألم الكبير كالناسك المتعبد على لوحاتي عندما تنفتح النفس وأنقل دمع عيوني وأسفي باستمرار وصبر وتأكيد إلى اللون على القماش وهذه السلوى الوحيدة ويجب عليّ التركيز مع التمهل وأن أحمل لوحتي في ذهني معي في طرقات برلين.

أمسية نادرة لبرلين، حارّة جميلة بعد شتاء قاسٍ وبرد لم ينقطع. سأحاول زيارة دمشق في أيام تموز على الغالب أو قبل ذلك وسوف أعلمك قبل هذا يا عبد الرحمن. ما أزال أنتظر منك المعلومات اللازمة في ما يتعلق بسيرة مدينة من أجل التحضير النهائي وأنا مقتنع بأنه سيكون كتاباً عظيماً ونادراً وثم أولياً في المكتبة العربية.

**مروان 21–5–1996**



Twitter: @ketab_n

دمشق27/5/1996

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

وصلت رسائلك تباعاً، واليوم آخرها، وكنت أنوي، أكثر من مرة، ان أكتب، لكن الأسفار القصيرة، وآخرها إلى عمان قبل أسبوع، كانت تضطرني للتأجيل مرة بعد أخرى، لأن كتابة الرسائل تحتاج إلى أمرين: ان يكون هناك شيء تحتاج إلى ان تبوح به؛ ان تقوله لصديق؛ والثاني ان يتوفر المزاج الملائم للكتابة، والأمر الثاني تحديداً، كان يجعلني أحاول التأجيل مرة بعد مرة. الآن وقد طال الأمر أكثر مما ينبغي، لابد ان أكتب لأقول، على الأقل، أننا بخير، والحياة حافلة موّارة، وتركض أيضاً، وقد طال الوقت لم نتحدث فيه، من جانبي على الأقل، ولذلك أكتب إليك الآن.

هجم الحر، هذه السنة، قبل أوانه، حر كاوٍ أقرب إلى اللفح، وكأنه إنذار ان حر هذه السنة سيكون طويلاً وقاسياً أيضاً، لذلك إذا فكرت بزيارتنا يجب ان تحتاط كثيراً، بما في ذلك جلب قبعة الرأس إياها، وفي هذه المرة لمواجهة الشمس التي تنصبّ من السماء كأنها شلال من النيران؛ ولابد ان تختار وقتاً مناسباً، ولا أنصح ان يكون ذلك في تموز وآب، تجنب هذين الشهرين، وتعال قبل أو بعد؛ والأمر الثالث الهام لابد ان نجد وقتاً طويلاً لكي نتحدث كما يتحدث الحشاشون: دون جدول أعمال، بلا ضوابط، دون الرغبة في ان يقنع الواحد الآخر أو ان نصل إلى الصراخ، ان نحاول إعادة ترتيب الكون ومساعدة الخالق في مهماته الثقيلة المتزايدة!



Twitter: @ketab_n

الحديث بهذه الطريقة لابد ان يتمخض عن عمل فني متعدد الوجوه والاحتمالات، وقد يؤدي إلى انقلاب الأدوار، كأن تكتب رواية، وهذا احتمال كبير، خاصة وأنا أراقب طريقتك في رواية القصص أو تذكر الأحداث التي مرت. إذا كتبت مثل هذه الرواية لابد ان أهيء لها الغلاف والرسوم الداخلية، وسوف تكون شيئاً استثنائياً بكل معنى الكلمة.

والحديث بهذه الطريقة ربما يقودنا إلى إعادة اكتشاف أمور كثيرة حولنا لكن ظلت خافية علينا، وقد نبني جسوراً من الفن والأدب لم نفكر بها من قبل، ولا تستغرب إذا وصلنا إلى نظم القصائد القصيرة من بيتين أو ثلاثة، على طريقة طاغور، وقد نضع بدل بعض الكلمات رسوماً قصيرة أو صوراً.. لانعرف وقد يكون سابقاً لأوانه ان نضع جدول أعمال!

أمس سهرت و"نذير"، وكنتَ موجوداً بكثافة واستمرار. وعدت ان أكتب مقالاً عن "نعيم اسماعيل"، ولأني لا أعرفه إلا لماماً فقد طلبت ان نتحدث طويلاً أنا ونذير، وأن تتحدث معنا أيضاً، كي يستند المقال على كم من المعلومات التي تساعد على تقديمه بشكل لائق. أتذكر أشياء قلتها عنه عرضاً في عدة مرات سابقة، لكن باعتبار ان الموضوع يحتاج إلى حديث جديد، فلابد ان تهيء نفسك وأن تساهم في هذا الحديث.

دون ذاكرة، ودون تراكم لا يمكن ان نقيم صروح الفن والأدب. والكثيرون من الذين يغيبون يطويهم النسيان. وكم أستغرب حين يجري الحديث عن الوفاء العربي، وعن الكلمات الأخرى المشابهة، في الوقت الذي يطوي الزمن أكثر الذين مروا في هذه الحياة. إننا عباقرة في إنكار الجميل، وفي تدريب ذاكرتنا على النسيان، وفي توهّم ان الإنسان لا يكبر إلا على أجساد الآخرين!



Twitter: @ketab_n

لو كان لدي الوقت الكافي لانصرفت للكتابة عن عدد من الفنانين السوريين الذين يستحقون ان يكونوا موجودين في المشهد الفني الذي يكوّن ذاكرة للأجيال الجديدة، لكن الوقت ضيق يا مروان، وفي القلب صبوات كثيرة، إضافة أعباء، أحاول قدر الإمكان التوفيق بينها، وإن كانت الظروف لا تساعد ولا تسند في كثير من الحالات.

حادث "قانا" كان كبيراً وهاماً، وربما يشكلّ انعطافة في التاريخ الذي نعيشه، إذ ربما يشير إلى بداية رحلة الألف ميل الجديدة. كنت في بيروت خلال العدوان الأخير ورأيت انفعال الناس وصدقهم ورغبتهم في تجاوز المرحلة الماضية كلها، وبالتالي قد تصبح "قانا" رمزاً واحتمالاً لمستقبل أقل سوءاً، إذ لا أجرؤ على القول مستقبلاً أفضلاً ومزدهراً، لا، الأمر يحتاج إلى الكثير من الجهد والصبر والتنمية والحماية والاستمرار، لكن، نتفاءل ولنقل: ربما.

ولأن الموضوع هكذا، فكرنا، "نذير" وأنا، ان نساهم بعمل شيء، قد يكون نصاً أكتبه، ورسوم يقدمها "نذير". لا نريد ان نتحدث في السياسة، ولا ان نطرح شعارات، ولا نرفع عقيرة الإيديولوجيا مرة أخرى، المهم ان نعبر عما أحسسنا به، عما تقول هذه المجزرة بطريقة غير مباشرة.

أغامر هنا وأطرح عليك الفكرة أيضاً. هل تعتقد أنه يمكن ان نصوغ الموضوع عملاً، فيه الفن والأدب معاً، خاصة وأنك كنت تعيش الحالة من مسافة، وبالتالي تستطيع ان تتملى المشهد كله، وقد يكون قولك أيضاً؟

الفكرة لاتزال في مرحلتها الجنينية، ويمكن ان تتبلور من خلال حديثنا المشترك.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

جاء الخميس الكاذب ثم عقبه آخر يا عبد الرحمن، فقلت لابأس، الخميس الثالث ومر شهر أو أكثر وقلقت عليك وعلى هذا الانقطاع. واليوم جئت إلى المرسم وكان هذا الخميس، الخميس الصادق برسالتك المطوّلة والتي جعلتني بينكم. لقاء هامٌّ أحن إليه.

إن فكرة النظر إلى "نعيم إسماعيل" من جديد فكرة هامة وواجب فني وشخصي لأنّ "نعيم" لعب دوراً هاماً وصادقاً في سنوات خلقه التي لم تطل للأسف وقد أنكر الأهل والبلد فضله وقدرته وإن شخصية نعيم وتصرفاته ارتبطت بشكل رحمي بأعماله الفنية وتطلعاته. فيالله يا عبد الرحمن، ابدأ وأنا معكم وسأقدّم ما أستطيع ذاكرةً وفكراً لهذا العمل وخاصة السنوات النصف من الخمسينات.

أما عن المساهمة الثلاثية كما اقترحت، وإثر مجازر لبنان، فإنها فكرة جيدة تروق لي وقد تكون مرآة واحدة بثلاثة وجوه جديدة الطلعة بعيدة عن الصراخ القبلي رغم أني أقول أنها موجودة في قاموسك: الديموقراطية أولاً.. بصفاء وندرة هائلتين. وكما ترى، فأنا معكم وبانتظار إشاراتك لكل هذه المشاريع الجيدة وخاصة إذا قدرت عليها من طرفي ويا (حبذا). والآن أحب ان أرجع إلى "سيرة مدينة" لأني شعرت بتراجع منك أو نوع من الحذر.

اختمرت الفكرة في تصوراتي بشكل جدي وتنفيذي وأنا أرى



Twitter: @ketab_n

الكتاب (النادر) أمام عيني بإعجاب كبير. سوف يكون حدثاً فنياً أدبياً وسأقوم أيضاً بتصميم الكتاب يا عبد الرحمن بشكل يكون نموذجاً في المكتبة العربية... فدعنا نسرع في الإنتاج دون تأخر.. أو كما تقول دون تردد ولا تظلم الثمرة وتتركها مختبئة تحت الأرض أو صامتة في القلوب.

ثلاثة تفّاحات - فنجان وقارورة(*)

(كذب الرسامون ولو صدقوا - أربعة تفّاحات.)

فدعنا نبدأ، أو بالأحرى ننهي كتاب "سيرة مدينة"، وهو كما تتحدث، محاورة الفنون وأنا أعدك بأن نحضّر لمحاولة جديدة تكون أنت الرسام وأنا المسطّر لحروف طفل يرى أحياناً زوايا صغيرة على الدروب فيشدّه الإعجاب والشوق لتلك الأحداث (العظيمة) التي قد لا تهم أحداً وتعطي صاحبها المواساة والقدرة لمتابعة الطريق.

هذه التفاتة ليوم الخميس سريعة ولأعبّر بها عن فرحي بكتابك. أخطط رغم تحذيرك الكبير بما يخصّ الحر الهائل، لزيارة دمشق الأسبوع الأول من تموز وسوف أجلب قبعة الصيف معي وحبذا لو عرفت منك فيما إذا كنت في دمشق بين 8-18 تموز.

تحدّثت مع إحسان عن ذلك وسأستفيد أيضاً بإنجاز الغلاف عند إقامتي. لقد أرسلت التصميم مع المواد اللازمة منذ أسبوعين على الأقل. تحياتي وشوقي لكم في دمشق وللدارسين القاطنين في بيروت وشوقي لشلبية ونذير وصفاء وحتى اللقاء القريب. مروان .

(*) طبيعة صامتة (مائية) على الصفحة الأولى من الرسالة.



Twitter: @ketab_n

**دمشق 24 /6/ 1996**

أخي العزيز مروان

تحيات وأشواق كثيرة

تلقيت رسالتك حال عودتي من بيروت ، بعد ان قضيت هناك أسبوعين ، وسعدت أنك آت في تموز إلى دمشق، فأهلاً.

الأسفار تشغلني عن الرواية، أو أعتبرها حجة، لذلك لم أواصل العمل، وهذا يجعلني "نرفوزاً" ، لكن يبدو أني سأتابع "الرحلة" قريباً، وسوف أتفرغ لهذا الأمر وحده حتى ينتهي وجع الرأس.

التقيت مؤخراً "لاريسا" ، وسلمتها الترجمات التي قام بها الدكتور عيسى، وأعتقد أنها بدأت ، لكن المشكلة خطوط الأطباء وما تتطلبه من صبر وجهد لفك رموزها، آمل ان تستطيع، خاصة وأن هناك من يساعدها في قراءة الخطوط.

بين ما لدي من ترجمات والأصول الألمانية هناك ثلاث مقالات نقدية ليس لها ترجمات، أرفق طياً أسماء المقالات، إذ ربما هناك ترجمات لها لدى عيسى أو لديك.

مازال الجميع بانتظار غلاف الكتاب. آمل ان تتوصل إلى الصيغة التي تعتبرها أكثر جمالاً ومتعة للعين والقلب، ولابد ان يحصل ذلك قريباً، كي يخرج الكتاب مسرة للناظرين.

بالنسبة لموعد المعرض، لدي التزامان في شهري تشرين أول وتشرين ثاني، الأول في ألمانيا، في فرانكفورت، فأنا مدعو لمعرض



Twitter: @ketab_n

الكتاب هناك بدءاً من 2/ 10 وربما أقضي أسبوعين بعد المعرض عند الدكتور ماهر، ولذلك إذا فكرنا بمعرض دمشق لابد ان يكون في الثلث الأخير من الشهر المذكور. أما الالتزام الثاني ففي عمان، فقد تم الاتفاق على دعوة مترجمي سيرة مدينة، وإقامة نشاط ثقافي حول عمان بدءاً من 6/ 11 ولغاية 11/ 11 ولذلك إذا تقرر المعرض فأقترح ان يكون في النصف الثاني من هذا الشهر، كي يكون كلانا، أنت وأنا، موجودَين في المعرض. وما عدا هذين الالتزامين سوف أكون جاهزاً وموجوداً. لذلك أرجو ان يؤخذا بعين الاعتبار أثناء ترتيب مواعيد المعارض في بيروت ودمشق وعمان والقاهرة.

أما بخصوص ان نعمل شيئاً مشتركاً، نذير وأنا وأنت، وما دمت موافقاً ومتحمساً، فلابد ان ننجز شيئاً أثناء زيارتك إلى دمشق، على ان نتابع فيما بعد. وأيضاً لا بد ان نتحدث طويلاً حول الدراسة التي يجب ان تعدّ عن نعيم اسماعيل، وحبذا إذا وجدت لديك رسائل أو كتابات حوله، إذ ستكون مصدراً موثقاً في الكتابة عنه.

الصيف بدأ في دمشق. بدأ قبل الأوان، لكنه انكسر قليلاً، وما دمت ستحضر معك "واقية "

للرأس فلا خوف إذن.

في الختام تحيات الجميع وأشواقهم، وإلى اللقاء.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**دمشق15/7/1996**

العزيز مروان

مرحبا

تصور أني أكتب إليك، إلى برلين وأنت في الشام! ليس في الشام فقط، وإنما نتحدث كل يوم، أو نلتقي. لكنها نزوة، مثل نزوات كثيرة تستبد بالإنسان فتجعله كائناً غريباً، يبحث عن شيء ما، وهذا بالذات ما يدفعه لأن يفكر بطريقة ويتصرف ضمن طريقة عجيبة.

كان بودي ان أحدثك، أو ان أكتب، عن تلك الساعتين الكبيرتين، وأنت ترسم. ان الانفعال، الأقرب إلى الحالة العصبية، لا يمكن للإنسان ان يشهدها بسهولة. كنت حائراً بين ان أتصنّم وبين ان أنظر إليك، إلى تصرفاتك، كيف تزم عينيك، كيف تتقدم وتتأخر، كيف يزرب العرق منك كلّك، كيف أحس بانفعالاتك التي أصبحت طوفاناً.. إنها لحظات نادرة، وقد تساعدني، في يومٍ من الأيام، في الكتابة عن رسام، وهذا ما أفكر به جدياً.

إن الدخول في " الحالة " أمر لا يصادفه الإنسان إلا نادراً في هذه الحياة. كيف يقابل الإنسان من يحب في لحظة قصوى. كيف يتصرف في حالة ارتباك. كيف يحاول ان يكون نفسه وشيئاً آخر في وقت واحد.

"الحالة" هي ما تراد في الفن، أياً كانت وسيلة للتعبير. يجب ان تصل إلى لحظة تجد نفسك مضطراً كي تفعل شيئاً خاصاً استثنائياً، قوياً خارقاً، لا تعرف كيف سيجيء أو متى.

أن ترسم معناها أنك قادر على ان تعيد تشكيل الحياة، على



Twitter: @ketab_n

خلقها، وهذا ما ينساه الكثيرون. يصبح الفن بالنسبة لهم حرفة، قدرة، إمكانية، وهذه كلها لا تؤدي إلى الحالة التي نتحدث عنها.

الله كم خططنا من أجل ان نتحدث، ان نقول كل ما نفكر ونحلم به، لكن ما نكاد نلتقي حتى تذوب الكلمات، تتقلص أو تتلاشى، تحل مكانها كلمات أخرى، تصرفات أخرى، أقرب إلى المجاملة، مجاملة الآخرين، ولذلك نضع على رؤوسنا "باروكات" ، مثل اللوردات الإنكليز، ونتحدث بتلك الطريقة الوقورة، الفائقة الفصاحة، وكأن ديكاً في الداخل هو الذي (الذي) يصرخ.

يفترض ان تكون الليلة عند إحسان كي يكمل الكتاب، وأنا، بعد الضرس، أحاول ان أتوازن، لكن كل شيء فقد مكانه واتجاهه، وساب في هذا المدى الذي ليس له نهاية.

عزيزي مروان

كل التحية والمودة، والشوق أيضاً، وأظن أننا سنفعل أشياء كثيرة جميلة.

لم يبق في هذه الحياة إلا القليل، ولذلك علينا ان نحاول الكثير قبل ان نمضي. لدينا أشياء كثيرة يمكن ان نقولها، ان نرسمها، ان نفعلها، لكن شيئاً ما يجعلنا أقل شجاعة. أحاول ان أسال وأفكر، ولابد ان نتجاوز ذلك، ونصل إلى ما نريد.

هل توافق؟ أتمنى. أرسم. سأكتب، ولابد ان نخرمش وأن نترك بصمات كثيرة.

دمشق الشام، مساء خلع الضرس

ومساء انتهاء الكتاب

**عبد الرحمن منيف**

**مع التحية**



Twitter: @ketab_n

فرانكفورت/6/10/1996

أخي العزيز مروان

تحياتي الحارة

وأنا أغادر هذه المدينة الصناعية القاسية أبعث إليك بالرسالة التي تأخرت في إرسالها خلال الأيام السابقة.

آمل ان تكون في مزاج جيد، أو حاول ان تجعله كذلك.

في هذه الرسالة الصور وترجمة التقرير.

سأذهب فوراً إلى "فرايبورغ" (Freiburg) لإلقاء محاضرة والبقاء هناك يومين، أغادر بعدهما إلى "فولدا "عند د.ماهر، أما رقم ماهر فهو/ 69138 / 0661 / والفاكس / 58580 / 06648/ سوف أتصل بك حال وصولي إلى هناك.

أما بخصوص دار الأهالي، الأستاذ "حسين عودات" ، وبعد ان جرى بحث الموضوع معه حول توزيع الكتاب، وطبقاً للشروط التي ذكرت، وهي حسم 35% إذا استلم الكتاب بالأمانة، 40% إذا تم شراء مائة نسخة أو أقل نقداً، أو 45% إذا تم شراء ما يزيد على المائة نسخة نقداً، فإن دار الأهالي ستعمل على التوزيع.

يُشار في البروشور الذي سيتم طبعه إلى ان دار الأهالي ستكون المسؤولة عن التوزيع في سورية.

كما أقترح إشعاره أنه تم الاتفاق مع "بيسان والمؤسسة العربية-ماهر الكيالي" ، وقد طلب "بيسان" ان يتم تسليم كمية 500 نسخة لدار الأهالي، وستقوم "بيسان" باستلامها، وسوف ترسل لاحقاً، الكمية الخاصة بالمؤسسة العربية.



Twitter: @ketab_n

تسجيل أرقام تلفونات إحسان والفاكس، وأن يجري الاتصال بين الطرفين لاستلام الكمية الخاصة " بالأهالي" ، وأقترح ان تكون 500 نسخة.

ويشار أيضاً إلى ان سعر النسخة المجلدة 70 دولاراً والنسخة العادية 55 دولاراً وتخصص بعض النسخ كهدايا يتم توزيعها للصحافة وبعض الجهات المناسبة، ويتم التوزيع بمعرفة دار الأهالي (أقترح ان يكون الحد الأقصى 10) (لوزارة الخارجية، السياحة، أكادمية الفنون، الرئاسة، رؤساء الأقسام الثقافية في جرائد البعث وتشرين والثورة)

هذا ما لدي الآن، وسوف أتصل بك مرات أثناء إقامتي هنا،

مع كل الود.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1996/10/25

العزيز مروان

تحياتي الحارة وأشواقي الكثيرة

رغم أننا لم نلتق في ألمانيا ، هذه المرة، فقد كانت الزيارة مفيدة وهامة. شُدهت بمعرض فرانكفورت للكتاب، وقلت لنفسي: لاتزال الدنيا بخير ، مادام فيها هذا الكم الهائل من الكتب، وفيها هذا العدد الهائل من القراء الذين يبحثون ، دون كلل، عن الكتاب. نعم شدهت وحزنت في نفس الوقت ، حين أجريت مقارنة سريعة بين أحوالنا وأحوال الآخرين! لكن التقدم له ضريبة ويجب ان تدفع ، وهذا ما يجب ان نفعله!

أجريت لقاءين الأول في "فرايبورغ" (Freiburg) والثاني في "كولن" ((Koln، وكلاهما كانا مفيدين، خاصة من خلال الأسئلة والمعرفة والمتابعة، ويبدو ان الألمان قراء جادون.

ذهبت إلى "لييج" ( Liège)، بلجيكا، لحضور معرض لجبر علوان، وهناك التقينا عدداً من الأصدقاء وبعدها ذهبت إلى هولاندا، والتقيت أصدقاء آخرين، وفي المكانين كان "الكتاب " معي، ولقي اهتماماً كبيراً. ولقد اتفقت مع انتشال على ان يتم الاتصال بينكما لترتيب صيغة للتوزيع في عدد من البلدان الأوربية، ووعد ان يبذل أقصى جهده من أجل توزيع جيد، مع الإشارة ان معظم الذين حواليه مفاليس، تقريباً، ومع ذلك يمكن توزيع عدد لا يقل عن أربعين إلى خمسين نسخة في غضون عدة شهور.



Twitter: @ketab_n

هذا مع الإشارة ان هناك ثلاث مكتبات، الأولى في بروكسل، وصاحبها صديق "إنتشال"، والثانية في أمستردام، وصاحبها مغربي ومهتم بالأعمال الفنية، و"إنتشال" يعرفه أيضاً. أما الثالثة ففي "كولن" (K?ln) أعتقد أنه يمكن إيداع بعض النسخ في هذه المكتبات وآمل ان تكون النتائج إيجابية.

التقيت حسين عودات، دار الأهالي، وتم الاتفاق على ان يتولى التوزيع، خاصة في سورية، وأبدى استعداداً ان يوزع "البروشور" على أوسع نطاق، وأن يجري اتصالات أخرى لضمان التوزيع، وتقديره ان حركة الكتاب ستكون بطيئة نسبياً، بسبب السعر، ومع ذلك سيبذل أقصى الجهود.

وعن طريق الأهالي سوف ترسل كميات بيروت وعمان، وآمل ان يتم ذلك قريباً، وسوف ألتقي غداً إحسان من أجل ترتيب الصيغة، ويهمني الآن ايصال الكميات الخاصة بعمان، كي يكون الكتاب موجوداً أثناء المعرض، فإذا تسنى لك الاتصال بالسيدة "سهى شومان" كي تساعد في استلام الكمية الخاصة بها، وأن تساعدنا في إيصال مائة أو مائتين نسخة لماهر لأن الأهالي. والمؤسسة الناقلة، ترسل إلى بيروت، وأخشى ان يحصل تأخير في وصول الكتاب إلى عمان إذا اعتمدنا بيروت وحدها محطة للإرسال والتوزيع. حاول ذلك وأبلغني بسرعة كي ننسق، ونحاول الوصول إلى أفضل النتائج.

سوف أستلم كمية في الأيام القادمة من الكتاب، وسوف أقوم بإهداء بعض النسخ، خاصة في بيروت، كي تغطي الصحافة الكتاب.

أقدر ان التوزيع سيكون بطيئاً، والسبب ان الكثيرين الذين يريدون اقتناء الكتاب، يحول بينهم وبين ذلك الاعتبار المادي، وسوف أبحث في الأسابيع القادمة صيغة لتسهيل عمليات الدفع.



Twitter: @ketab_n

أثناء وجودي في ألمانيا أبلغتني "لاريسا" أنها أشعرت "يورن" بكلفة الترجمة، آمل ان تكون الفرصة أصبحت مهيأة للعمل على إصدار الكتاب باللغة الألمانية، هذا وسأقوم قبل نهاية الشهر بلقاء مترجم مدن الملح في بيروت، وأفهم منه احتمالات الترجمة إلى الإنكليزية، وحبذا لو تتصل بمعهد العالم العربي، وأيضاً بفاروق، مع نسخة من الكتاب، لنعرف الإمكانيات في اللغة الفرنسية.

حين كنت أتمشى في "أمستردام" (Amsterdam) ، وبعد زيارة متحف "فان غوغ"(Van Gogh) ، كنت أصطدم في المكتبات بعشرات الألبومات الخاصة برسامين كبار، ورغم ان سعرها مغرٍ، إلا ان وزنها ثقيل، الأمر الذي جعلني أعتمد على "إنتشال" في شراء وتأمين بعض الألبومات، وعلى فترة زمنية طويلة نسبياً.

ما زلت بانتظار غلاف" عروة الزمان الباهي" ، آمل ان يصل في حدود الثلث الأول من الشهر القادم، لأن الطباعة بدأت، وربما صدر الكتاب في مطلع الشهر الثاني عشر، وفي معرض بيروت للكتاب.

هذا ما لدي الآن، وأنا بشوق لأسمع منك حول المعرض في القاهرة، وعن أحوالك ومزاجك، مع التأكيد، للمرة الألف، ان الأمور ليست بمثل هذه الصعوبة أو انسداد الأفق، وعلى حسب القول الشعبي: اللي بدو يصير جمّال لازم يعلّي باب بيته، وباب بيتك عالٍ، يا أبا يزن، وعسى ان نعمل أشياء كثيرة في المستقبل، وكلي أمل ان الصعوبات ستصبح ذكريات، ولا يهمك، مع شوقي ومودتي وسلامات كثيرة من الأصدقاء وسعاد والأولاد، وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1996/12/21

العزيز مروان

تحيات كثيرة

... بعد عمان قضينا بضعة أيام في دمشق ثم غادرنا إلى بيروت. انتهى كتاب "الباهي" بالغلاف الأبيض. أتوقع ان يكون مقبولاً، وأتوقع أيضاً ان نستفيد من الأغلفة الأخرى لدينا الآن ذخيرة من الأغلفة تكفي لطبعات عديدة قادمة، وهذا ما أتوقعه.

كتاب "مروان " عُرض في بيروت، أثناء المعرض. لو كنا مستعدين لحجزنا يوماً للتوقيع، كما فعل الآخرون، وكما كان يريد ماهر كيالي، لكن الكتاب دون معرض لن يوفي بالغرض، يجب ان نحاول ذلك مستقبلاً، هذا الكتاب أو غيره.

عدت أمس.

اليوم أول باقة، وهي صغيرة من البنفسج، لا تدري كم تدوخني هذه الزهرة. إنها تقلب حياتي، وتجعلني ابناً للطبيعة، وربما قبل آلاف السنين . أظن أنني لا أهوى أكثر من هذه الزهرة، والتي أراقبها طوال العام، إلى ان يحين البرد، المطر وبداية الاختفاء، بين الصوف والنايلون، وعندما تطل أشعر بالطفولة والفرح، وأيضاً بالقدرة على ان أتعامل مع الطبيعة البكر، وتحمل كل التبعات التي تترتب عليها، تماماً مثل أيام الصيد. كنت أفرح وأنا أخرج مع ساعات الفجر الأولى كي أصل إلى " الحقل" إلى مرج الصيد وأول الأضواء تطل على الكون. كنت أهتف: ليسقط البرد، وفعلاً يسقط،



Twitter: @ketab_n

وأتجول، بعض الأحيان، وحيداً في هذا المدى غير المتناهي، وأبدأ مستعداً للقاء السُّمّن، فإذا غادرني دون أسف، ولم أظفر به، أبدأ الحديث مع النفس ومع الآلهة والتاريخ والحلم.

اليوم شعرت أني والبنفسج توأمان، وشعرت أيضاً أنه يعني لي شيئاً كثيراً وعزيزاً، وهذا أحد مظاهر وعوامل التفاؤل، وأرجو ان تحملني لإنجاز الجزء الأول من الرواية، أو لإنجازها كلها، باعتبارها جزءاً وحيداً، وأميل إلى الاتجاه الأخير، خاصة وأن الناس لم يعودوا يقرأون، لم يعودوا قادرين على القراءة لفترة طويلة.

اليوم انتهيت من رواية وهي أول عمل لشاب يقيم في ألمانيا، اسمه "نور خاطر" أسم الرواية "الفراشة الزرقاء"؟ أحببت الرواية كثيراً، وأريد ان أهنئ صاحبها، لا أعرف في أي مكان يقيم لكنه يبدو حساساً، أنيقاً، قاسياً، ومحباً أيضاً، ولذلك كتب هذه الرواية، وبهذا الشكل الذي أحببته كثيراً.

أفهم سر صمتك الطويل، فأنت الآن بحاجة إلى ترتيب نفسك، تمهيداً لنزال طويل وشاق، أيضاً لوضع أولويات من نوع جديد.

فترة القلق فترة رائعة ومهمة، وأن تكن غير محبوبة لدى الكثيرين، لكن الفنان القلق الباحث، العنيد، وأيضاً الذي يكسر جرة الإله فوق رأسه، فنان جدير بالاهتمام والمحبة والانتظار.

حتى الوقت الذي صرفته على إخراج الكتاب، رغم أنه وقت طويل وثمين، إلا أنه أيضاً يدل على القلق والبحث، والرغبة في كسر الجرّة المقدسة، وهذا ما أتوقعه في فترة قادمة، خاصة وأن لديك سوابق كثيرة في هذا المجال!

أسمع التركي الآن، أطرب لهذه الأنغام، أعتبرها هامة، وهي


Twitter: @ketab_n

تساعدني أثناء الكتابة، ولابد ان تكون صديقة خلال الشهور القادمة، ما دمت غاطساً في الرواية التركية - العربية.

في هذه الأيام، بدمشق، موسم النحت، ثلاثة أو أربعة عروض نحتية، ما عدا "عاصم الباشا"، المقيم في إسبانيا، فإن الباقي تصديع للرأس، وإفساد للذوق.

هناك إشارات لنحات عراقي مقيم في هولندا، وقد عرض في الأسابيع الماضية، لديه ما يقوله، لكن عنصر السرعة والضرورة اضطره لتقديم معرض متوسط. أما المحليون فإنهم مثل "البق" يعتاشون على جهل الآخرين، ولا أعرف لماذا يحب الكثيرون تفضيل "خبز الإعاشة"؟

الفنانون الآخرون في حالة انحباس، تماماً كانحباس المطر. لا بد من دعاء الاستسقاء، وحتى ولو حصل هذا الدعاء، دون معرفة الأرصاد الجوية ستكون النتيجة سلبية، أو بيد الغيب.

الفن يا عزيزي مروان، حوار دائم، حوار قلق، وأيضاً هم مقيم، فإذا لم يتوفر القلق، ولم يتحرك ذلك الهم، فإن الأمور ستبقى تدور على محور صدئ.

مجيئك المتعدد، والذي لمسته في عمان أكثر من دمشق، سوف يحرك الجو، ولا بد ان يترك آثاراً، لكن بعض البذور تحتاج إلى الكثير لكي تعطي، ويبدو ان الطقس، بشكل عام، وهنا، غير مواتٍ، لكن علينا ان نحاول، ان نبذل جهداً.

مشتاق جداً لأن نواصل الحوار، لأن نبدأ شيئاً جديداً. لا أعرف أي حوار ولا أعرف بما نبدأ أو ماذا نريد ان نقول. أحس ذلك دون القدرة على التحديد أكثر أو بشكل أدق.



Twitter: @ketab_n

"الباهي" يواصل انتشاره، إذ بعد ان أكمل مشواره في المغرب و" القدس العربي" ، فإنه ينشر الآن في السفير والقبس والخليج، ويبدو ان القبول مشجع، رغم ان الأمر يتطلب إخراجاً أكثر إتقاناً. أعطيت قبل أيام إثنين من تخطيطاتك للسفير، ولابد ان تنشرا.

قد أفكر مستقبلاً، كما ذكرت لك، بأن نحاول مرة أخرى الكتابة بالكلمة والصورة، عن الباهي، وقد يحصل ذلك بداية الصيف، ذكرى مرور سنة على الوفاة. تصور كيف نعمل وكيف نحدد التواريخ! قبل أيام مرت سنتان على وفاة "جبرا" ، لم أستطع ان أكتب، كنت حزيناً ومحبطاً، وتركت " المناسبة " - تصور ما أقسى هذه الكلمة الأخيرة، تمر دون ان أكتب. أشعر بتأنيب الضمير وبالخواء، وأيضاً بتجاوز المناسبات كي أكتب اليه، عنه، عن أيامنا معاً.

كنت أفكر ان أنتهي مع نهاية هذا العام من كتابين، ومادة هذين الكتابين جاهزتان، الأول: المقالات السياسية، وتحت عنوان "زمن الأسئلة" ، والثاني حول "الثقافة والسياسة" ، لكن يبدو أني سأؤخر الأمر بعض الوقت، كي أجد صيغة النشر المناسبة، هل أعطيها "لبيسان" والمركز الثقافي أم للمؤسسة. سوف أقرر قبل منتصف الشهر القادم، لكي يكون لدي عمل وحيد: الرواية. مشتاق جداً للعودة إلى الرواية، لكن الانشغالات اليومية تعيق أو تؤخر ذلك، يجب ان أحسم أمري، وأفعل، وأوجه اهتمامي كله لأمر واحد، لأني مثلك، إذ لا تستطيع ان تشتغل على عملين في آن واحد، فإني لا أستطيع ان أكون موزعاً بين عملين، يجب ان أحسم وأقرر، ولابد ان يحصل ذلك قريباً.

وماذا أيضاً، أيها العزيز مروان؟



Twitter: @ketab_n

جاء المطر، هذه السنة، مبكراً. وهذا، إضافة إلى الخير، يعني ان لدينا موسماً للكمى، أتمنى ذلك وأرجوه، بحيث نستطيع ان نأكل من نبات الأرض، وأن نفكر بأمنا الطبيعة، وماذا تحمل من احتمالات!

عيد رأس السنة، مطلع العام الجديد، واحتفالاً برحلة مروان، آمل ان نبدأ رحلة جديدة.

أحييك بمودة وشوق، وكذلك سعاد والأولاد، وأرجو ان أسمعك قريباً.


Twitter: @ketab_n

**برلين 19-1-1997**

انتظرت بداية العام الجديد (لأعزّل) نوافذي وفرشاة رسمي، لأنظر إلى لون جديد وقلم بديع، لأحقق حلماً وأقبض على حفنة ضوء.

أتعبني العام المنصرم أكثر مما كنت آمل وأعقبت أيام الخريف الغبار ووضعت بين نفسي وقماشي ستاراً بلا لون صعُب عليّ اختراقه. عدت من عمّان سعيداً طموحاً وكانت أحلى محطة في وطني بعد ظل القاهرة واضطراب أيام دمشق. أنتظر منذ أسابيع طوالع الغيث مثل طير لأغسل نفسي في برودته وأهز جناحيّ مستقبلاً عصراً جديداً ومحلّقاً في سماء زرقاء وردية بشراع من الأمل وفرحة الرجل الطفولية.

سأبدأ الحروف من جديد أيها الصديق عبد الرحمن.

عندما تصيب يدنا ثقلاً ولساننا جموداً، تصعب علينا الحركة، يصعب علينا النظر ويصيبنا ما يشبه العطب. وعندما يتقدم بنا العمر، نعرف ان تلك العارضة تشبه السحابة وقد تكون كبيرة أو قليلة ولكنها خلّاقة في مضمونها لأن شيئاً يتحرك في داخلنا كالمخاض ليظهر في وقت لاحق في عمل جديد ورغم هذه المعرفة بسبب التجربة أو التجارب السابقة، فإن زمن هذه المحنة مؤلم وحزينٌ يجلب لنا الغم ويصعب علينا التحرك. ان واسطة الفنان للحياة فنه وللأديب كلمته، فإذا انعدمت هذه الواسطة، اضطربت دروبي وأصبح الشك الحزين رفيقي.



Twitter: @ketab_n

سأحاول من جديد وربما توقفت هذه المرة.

عندما كنت في بيتكم، وعدت عزة، أو بالأحرى سألتها إذا سمحت لي بالكتابة وقالت نعم عمو. قرأت نصها الحزين فيما يتعلّق بالمرحوم جبراً وعرفت أنها كانت (معكم) وأنها شهادة خاصة لأيام هامة لك ولها من منظار الصبية الفتاة التي تملك الذكاء إلى جانب الحس والحدس. ثم قرأت في الخريف المتأخر "البئر الأولى" و"شارع الأميرات" لجبرا ابراهيم جبرا وشعرت بنوع من الأسف والحزن لأن جبرا رحل دون ان أقابله وشعرت أيضاً بالخسارة رغم أني (أعرفه) من خلال كتبه ولعل ان أحلى وأعز ما قدّمه لي من الأشياء الهامة "حرمة فلسطين وجوهرها" لتعيش حية في القلوب. ولذلك قلت سأكتب لعزة إثر عودتي من دمشق، لتحمل بعض ما أفكر به أو ما ألتقطه بين حين وآخر من مشاعر وصور وأنا في طريق اليوم. وجدت قصاصة على طاولتي كانت بداية رسالة لعزة في حينه تقول: " كانت رائحة أشجار الزيزفون وعطرها يملأ شارع مرسمي وخلف الكنيسة، توّجت شمس الغروب أفقاً برتقالياً وردياً جلب الفرح والأمل لقلبي".

**19-1-1997 (من جديد)**

الصديق عبد الرحمن

كنت أنتظر بداية العام بلهفة كبيرة ولسبب بسيط وضروري، ألا وهو تطهير المرسم من شوائب العام المنصرم ولأفتح نوافذي للون جديد ولحفنة نور تأتي مع يقظة العصافير مبشرة بالربيع، كالطيور تنتظر الغيث لتنهل من بركة وتغتسل بمياهها ثم تطير عالياً وأجنحتها شراع تنظر إلى العالم من فوق.



Twitter: @ketab_n

أشعر الآن بوطأة العام المنصرم وكل ما أتى به من خير وخيبات. لقد ذكرت لك عن اضطرابي وفوضى مشاعري بعد زيارتي للوطن ثم العودة ومحاولتي ان أعتصم بالرسم لأجد نفسي واطمئناني. لقد كثرت زياراتي للوطن وارتباطي بالكتاب والمعارض وتلذذت بذلك وشعرت بالفخر والفرح بعد (العودة) إلى الوطن وخاصة بعد (الرحلة) وإشارات الدرب الطويل القصير بالكلمة والصورة وشعوري أني سفير منكم ولكم. ولكن (العودة) إلى برلين كانت أصعب من سابقاتها وخاصة العودة إلى الورق والقماش والفكرة الأولى الصبية ثم تطويرها وترويضها إلى بناء وقاعدة وعمل. ولذلك انتظرت بداية العام بلهفة ونحن في اليوم ثلثيه وما تزال الشوائب أكثر من النور، رغم أني سمعت بفرح وحسرة نداء العصافير منذ أيام.



Twitter: @ketab_n

1997-1-26

حاولت دون جدوى يا عبد الرحمن واليوم هو الأحد عصراً والشمس تضيء المدينة. جئت إلى المرسم مع (أفرا) ورسالتك هذه (وسوف لا أترك المرسم إلّا بعد إنهاء كلماتي إليك). فرحت برسالتك وفرحت بما جاء فيها من أمل وانفتاح. هناك الفنان الصيدلي أو العطار، وهناك الفنان، إلى جانب العطار، المستلهم الباحث في داخله عن إشراق، عن حادثة وعن اكتشاف، يسلّم نفسه لعذاب الزمن وكبواته والمحاولات المضنية في استجلاء الأشياء وتقريرها في (طبيعية) معقدة وبساطة عبقرية نعرفها ولكننا لا نستطيع لمسها فهي قريبة بعيدة وفوق نطاق الكلمة. ان التبرير الوحيد للكلمة والورقة، للون والخط هو الضرورة الشخصية وبعدها العامة لتلك الإشارات. وأنا اليوم، الأحد، ما أزال أمشي في مرسمي باحثاً عن ضرورة اللون والشكل (والكل) في أعمال هذه الأسابيع... وأحياناً أنظر إلى الماضي. وعندما يستقر الزمن بين أصابعي، سأكتب حروفاً لنا مع بعض الرسومات على الحجر وأصنع منها كتيبات قد تكون متعة للعين والقلب.

اهتم الألمان بالكتاب رغم (عربيته) وقد اشتروا مني الآن ما يقارب الستين نسخة مع (ليتوغرافي) أو مائية أو النسخة العادية وقد رضيت عن هذه النتيجة أولاً لكي أعيد لعيسى بعض ما استدنته من أجل تكاليف الطباعة. وفي نفس الوقت أشعر بالخيبة أو (الغضب) فيما يتعلق بالعرب وأعود إلى مقدمتك التي تتناول الأمية البصرية



Twitter: @ketab_n

وأضيف إلى ذلك الجهل وافتقاد الروحانية والحسية لأنه من المجموعة العربية حتى اليوم (تقدّم) طبيب كاتب من السودان فقط واقتنى كتاب الرحلة... وبحماس رغم ان عيسى حاول جاهداً مع أطباء منطقته ورغم كتاب لي لـ"ماهر شاكر" مع مجموعة من المنشورات المتعلقة بالكتاب منذ شهر تقريباً لم أسمع شيئاً. سأقيم في شهر أيار معرضاً للغرافيك في باريز وسيكون المعرض تعبئة لتقديم الكتاب.

وصلتني قبل أيام دعوة شريفة وجليلة الحروف كي أكون محكّماً في بينالي الشارقة للفنون في مطلع نيسان وقد أعطيتهم البارحة موافقتي بعد تردد. وقبل ان أنسى أرسلت لـ"عادل قارشولي" نسخة من الرحلة وبعد أيام جاءتني رسالة (حلوة) ومعها قصيدة لي أرسلها لك مع هذه الحروف ... وإذا طال العمر يا عبد الرحمن وابتعدت الكوارث عن دروبنا، ربما أصبح رسّام الشعراء! وأيضاً، وقبل ان أنسى، هل باشرت (لاريسا) بالترجمة؟! وإذا كانت هناك صعوبات ما تمنع قيامها بالترجمة، فإنه يوجد إمكانيات أخرى ويجب ملاحقة الموضوع .

أحاول الاستفادة من وجود أعمالي في بيروت قبل نقلها إلى ألمانيا، لإقامة معرض هناك. وقد اتصلت "سهى شومان" بـ"مانويل كاراكوسيان" ولد "بول" ... وسوف أعرف خلال الأيام القادمة عن القرار. وبما ان منى قامت بالمعارض ومسؤولة عنها، اتصلت سهى أدباً بها لهذا السبب. إني متحمس من أجل بيروت بسبب الكتاب ولكني أخاف ايضاً إذا لم يكن التحضير جيداً والمسؤولية واضحة ان يحدث ما حدث بالقاهرة التي تركت في نفسي ظلاً وكآبة بسبب عنجهية بعض الأشخاص...


Twitter: @ketab_n

وأكثر من هذا يا عبد الرحمن ستكون رسالتي القادمة لكم حيث تأتي الجمل والحروف كالسواقي مليئة بالشوق والفرح. واليوم لكم حبي وتمنياتي بالعام الجديد وأنتم بقربي.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1997-2-8

الحبيب عبد الرحمن،

أرسلت لكم البارحة كتاباً إلى بيروت عن طريق ياسر موجهاً لكم، من مروان إلى عزة إلى ليلى إلى ياسر إلى هاني إلى سعاد إلى عبد الرحمن، والقصد منه إشعاركم بوجودي ثم تهانيّ وبركات العيد. أشعر أني في تحسّن وأنا أتمنى هذا، لأن السبات أتعب نفسي والشعور بالقصور يقتل النفس. لقد خرجت الشمس منذ أيام وبدأت أسمع نداء العصافير والطيور قبل انهزام الليل وعندما أسمعها أحاول الابتسام عسى ان يفتح نفسي ابتسام الصباح. فرحت بخبر إخراج "حين تركنا الجسر*" في بلاد المغرب وشعرت بأنهم سبقونا وكم أتمنى ان أرى المسرحية! ربما، وأتمنى ان نعمل بعض الأشياء المشتركة في المستقبل. أنتظر وصول المعرض إلى برلين وقد غضضت النظر عن بيروت مبدئياً رغم استعداد صالة50 70 X للعرض في شهر أيار. اتصلت حال عودتي من دمشق مرتين بـ"نزيه خاطر" أسأله النصيحة والمساعدة في شأن بيروت ولكنه لم يتصل بي.. ويقول الألمان المثل، بعيد عن العين بعيد عن القلب رغم إعجابه الظاهر بأعمالي ذلك الوقت ورغم أنه قال لي بأن موقعي هو بيروت وليس دمشق أو أي بلد عربي آخر! .

وبعد استعادة شيء من حيوية الفكر، سأكتب قريباً لصالة "مشربية" - القاهرة - لتنظيم معرض للورقيات في الخريف أو موعد آخر ولتقديم الكتاب. ورغم التحريك والتحريض، لم يلتفت العرب



Twitter: @ketab_n

هنا إلى الكتاب كما ذكرت لك سابقاً مع اهتمام الألمان والحمد لله.

سألتك في عمان عن ضرورة، ستصبح الآن ملحّة وهي إرسال نص "سيرة مدينة" بالخط والحجم المختار من أجل تنظيم الطبعة الخاصة ولأن هذا ضروري جداً كالخبز وقت الطعام والعرق وقت الانشراح واللقاء ولأني، نظراً واعتباراً من النص المذكور حجماً، أستطيع التوضيح مثل الركوع في الصلاة ووصول النص يكون بمثابة الوضوء، أليس كذلك؟! نعم ونعمة.

خطر لي قبل أسابيع، وقد نسيت ذلك، ثم خطر لي الآن من جديد توسيع - الرحلة - مع الوقت ببعض الإضافات وخاصة في القسم الثاني وإذا تجمّع لنا هذا مع الوقت بشكل جيد أو ضروري، فربما طبع النص مجدداً بشكل - روائي - في القرن القادم .. ربما بدأت بالتطعيم عن طريق التسجيل والتقليم ثم الإرسال للكاتب مع الوقت.

ويخطر لي أيضاً، إذا رزقني الله وفني في المستقبل شراء بيت في دمشق، يكون خيمة للاستذكار والرضاء والفن والمتعة والعودة والأصدقاء وقد سرحت في هذا الحلم فعشت معكم وأنتم أهل الدار والخيمة والساحة والبحرة واليمام والياسمين وأنا ضيفكم أقدم لكم الحب والعرق والمرح وبعض الحزن الخفيف والفرح اليسير وهناك الورق والقماش واللون والقلم والمداد والمكان وهناك أيضاً بعض من الفكر الرفيع والذكرى حيث الأصدقاء مروان

*كنت أتكلّم مع عبد الرحمن بعد قراءتي "حين تركنا الجسر" عن إمكانية إخراج الرواية مسرحياً وأنها ستكون عملاً نادراً وكنت أتصوّر طريقة الإخراج بشكل حديث.. "نديم" مع كلبه وردان بالحوار الداخلي حتى ظهور البومة..



Twitter: @ketab_n

(لقد قضيت ليلة ويوماً عند عيسى مع الحديث دون انقطاع ومع أنواع النبيذ الجيدة التي يشربها المرؤ عند السادة فقط! أراني عيسى (دفتراً) خطّط به عدداً من قصائد منظومة قيد التنقيح (للدمى) وكتب على صفحته الأولى "كتاب الدمى". كانت بعض الصفحات اليمنى فارغة، فأخذتني النشوة الأولى وخططت بانفعال وبقلم الرصاص بعض الرسوم للدمية أو ما يشابهها مع بعض التعليقات، ومع الوقت خطرت لي فكرة نشر(الدفتر) كما هو بعد التنقيح والتعليق ثم بيّنت لعيسى تصوري وفكرتي وتحمّس لحماسي كثيراً على ان يكون النشر موافقاً وملازماً لنشر ما ترجم عني من النقد على يده. وهناك "سيرة مدينة" وقد يأتي هذا بنشاط جديد مع لكنة جديدة في إخراج بعض الكتب. ان المشكلة الكبيرة والمؤلمة هي طباعة الإخراج وعدم وجود شرف للصنعة والصُناع في بلاد المشرق، تُقدّم للفران قمحاً كالذهب فيأتيك خبزاً (وسيقة(*))! . لنرجع للتنور ويجب الاعتماد على "أبي عمر العنتابي" في مجال الفران .. وكما يقول المثل، أعطي الخباز خبزه....)

(أنتظر ديسكت السيرة لكي تكون عندي المادة ولأعمل بها عند التجلي وكما تعرف، فإني مسافر (مبدئياً) إلى الشارقة في آذار، رغم أني لست متحمّساً الآن بعد ان تحدثت مع "إبراهيم العلوي" وذكر لي واقع البينالي والسخافة العامة المسيطرة هناك. أنتظر بفارغ الصبر وصول لاريسا مع كتاب "الباهي" ومع الترجمة الأولى للرحلة. لقد تعرّفت على عزيز العظمة وهو ضيف منذ عام "للجامعة العلمية" في برلين وفرحت بذلك، فرحت بوجود عربي مفكّر وذكي، الوجه الثاني لأهل الشام وقد حدثته عنك وخاصة ان لديه وثائق العموم والأجداد فيما يتعلّق بسوريا وأحداثها وعلاقات الحطام الداخلية والخارجية .. فكرة كتاب جديد بعد "أرض السواد"؟! .


Twitter: @ketab_n

لم يأت السنونو بعد ولكن قريباً مع تحياتكم، تحيات المحبين من الجنوب وأنت تدرك شوقي وحبي لكم من العين والسطر والحرف.) مروان

هل وصلت رسالة بيروت؟!

---

(*) كانت الدولة تُقدّم أثناء الحرب العالمية الثانية خبزاً رخيصاً للعائلات المتوسطة والفقيرة وكان يسمّى وسيقة، وهو خليط من الكرسنّة والجلْبانة وهي من أنواع البقول التي كانت تُقدم عادة كعلف للحيوانات.



Twitter: @ketab_n

## برلين 14-02-1997

مع بدايات الربيع، أو بالأحرى ظواهره بتغريد العصافير ... ثم 19-02-1997 توقفت حيث توقفت العصافير!

الصديق الأخ عبد الرحمن، زارني يوم السبت عددٌ وفيرٌ من المقيمين العرب في برلين مع بعض الزوجات وبعض الأطفال وتكلّم "حامد فضل الله" من السودان ربع ساعة أو أكثر عن الكاتب والكتاب والرسام وما بينهما. وهو مثقف من السودان ومتحمس لقضايا الفكر والأمة ومطّلع أيضا. ودونه فإن هذا اللقاء أكدّ ما كنت قد قلته حول الأمية البصرية.. وتوابعها في مجتمعنا الشرقي وحتى قلة الفضول في الرؤيا والتحسس ما عدا أكل (الكبات) والخبز والفجل و(التسقية) و(الفتة) وأحيانا أكل البصل لأنها كما يُقال من مقويات الباه والعصب وقد ورد ذكرها في "عودة الشيخ إلى صباه" كما أنها وردت غالبا في الأدب الروسي حيث تؤكل في الأعياد مع الخبز بفرحة كبيرة وتلَذّذ وبدل (الضاني) بسبب الفقر المعروف في تلك البلاد.. وغيرها ..

والآن أيها الصديق، لنعد إلى الطريق سامحك وسامحني الله وأمة المسلمين وكل المحبين والآن:

ذكرت في رسالتي السابقة عن ضرورة إرسال نص سيرة مدينة مكتوباً من أجل البداية عندما تُتاح لي الفرصة ولكن الأحسن، أو ان



Twitter: @ketab_n

الطريقة المُثلى هي إرسال النص بالخط المختار على ديسكت من نظام وأنا بدوري أطبعها هنا بالطول والعرض والمواقف الضرورية في الصفح أو الصفحات وهذا يسهّل العمل لي كثيرا ويكون متقنا حسب تصوري في الإخراج الكامل للسيرة.

أنهيت لوحة كنت قد بديتها في الخريف المنصرم وكنت أعمل فيها وعليها كل الأيام ثم قلبتها كي لا أراها إلا عند الضرورة أو يوم (الدخلة). عذبتني كثيراً، أو بالأحرى أنا أعذب نفسي وأحمّلها طاقتها! .. وهذا هو المصير.

غداً يوم الخميس وربما كنت محظوظا وجاءت رسالة منك، فإذا أعقبت رسالتي هذه رسالة جديدة في الغد، فمعنى هذا ان حدسي قد صدق بوصول رسالة أيام الخميس. أرجو ان تكون نافذة الحروف والإلهام مفتوحة أمام بصيرتك وأن السطور والمداد يتدفقان من أصابعك كالينابيع، وحتى ذلك، وحتى لقاء جديد لكم شوقي وحبي.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1997-2-28

أيها الصديق عبد الرحمن،

. . . والآن أجلس على كرسي مريح مع صوت العصافير قبيل الغروب الأزرق لأكتب فرحاً لصديقي عبد الرحمن ما أكتب، والفرح له أصل إبداعي وهو ورود صورة لصورة قد تكون مبدءاً لصورة على الدرب تُنسى وتأتي صورة للصورة الأخيرة بديلاً عنها وأحاول بعين مغلقة ومفتوحة وبالفرشاة والنشوة والخوف والتقاعس والأمل وخيبته واللون والرائحة استعارة الصورة البكر والبكر، كما البكارة والاستكبار يا عبد الرحمن شيء غامض وصعب ومعقّد وهو رحم الطبيعة الخلّاقة كل يوم وكل ساعة كما تتفتح الزهرة ويأتي البرعم بالخضرة الأولى وحلاوة الدبق فيها حتى تصير ورقةً لها شكل وأطراف وجزيرة للفراشات السابحات. والسبب الثاني لفرحي، هو زرقة السماء (بالبكارة) المتكررة رمز الحياة ... والسبب الثالث، وقد يكون الأول هو أني أكتب لك وأنت قريب.



Twitter: @ketab_n

دمشق 16/3/ 1997

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

منذ آخر رسالة، وقد مضى عليها الكثير، وأنا غارق في همين: الكتابة في "أرض السواد" والسفر. سافرت إلى عمان وبيروت، قضيت في عمان يومين فقط، ومن أجل محاضرة، حاولت ان أهرب منها، لكن لم أستطع ولم أفلت. رأيت هناك الكثيرين، ومنهم علي ماهر الذي يسلم عليك كثيراً. أما "سهى شومان" فكانت في البتراء تستوحي الماضي وبريق الأحجار عند شروق الشمس وعند مغيبها. أما في بيروت فقد قضيت معظم الوقت مع الكتابة والأولاد، خاصة وأن الثلج كان سيداً، خلافاً لفترات طويلة سابقة.

بعد ذلك سافرت إلى حلب واللاذقية من أجل تجديد إقامة السيارة، وتعرف أنه تغيير مكان الإقامة يتغير مزاج الانسان، وتتغير أيضاً اهتماماته، من خلال الأصدقاء والموضوعات والهموم.

المهم أني عدت قبل يومين، وتتالت رسائلك كالمطر الربيعي المحبوب قبل السفر، ثم بعد العودة شكراً يا مروان، فأنت تعرف ان الرسالة، كما نقول كلنا، نصف المشاهدة، ولقد شاهدتك كثيراً في الأيام الماضية، حتى في الحلم، وهذا مبعث سرور. كنا نتناقش ولم تخل مناقشاتنا من حدة بعض الأحيان!

كتابك، كتابنا، يلاقي اهتماماً متزايداً، صحيح ان حركته بطيئة، لكنها مؤثرة، ولابد ان نحفر، وسوف ترى الآثار مستقبلاً. أحاول بكل جهدي ان يصل إلى من يحب ان يصل إليه. أخذت من



Twitter: @ketab_n

"إحسان" مائة نسخة، وأكاد أقول أنها على وشك النفاذ. لكن كل من "يصطدم" به يستغرب مثل هذه المغامرة الجريئة، ومروان، الآن، ملأ الأسماع وسوف يكون شفيعنا للجنة. تحية لجرأتك، وتحية أكبر للطريقة التي توصلنا إليها ان تُمول بنفسك المشروع، أمس اصطدمت بنكد: بعد ان وزعنا الكتاب في سورية، وحددنا السعر للنسخة العادية بـ 45 دولار، والفنية بـ 60 دولار، أجد ان السيدة "منى" وزعت بعض النسخ، وبسعر 70 دولار! هل تريد ان تقول شيئاً ما لا أدري، ولا أريد ان نزعج أنفسنا، وأخبرك فقط للعلم!

بخصوص "سيرة مدينة" سأحاول ان أدبر ما طلبت، وربما بعد فترة، فأنا أعتبر ان الموضوع ليس عاجلاً، قياساً للأمور أخرى، خاصة بالنسبة للرسم أو الكتابة. أريدك وأريد من نفسي ان ننصرف لقضايا أكثر أهمية: ان ترسم وأن أكتب. وسوف يأتي وقت "سيرة مدينة" لا يعني ذلك التخلي عن المشروع، ولكن له سلّم في الأولوية قد لا يكون الآن، أو بشكل عاجلٍ.

بعثت إليك "المدى" وكذلك مجلة أخرى، وأيضاً كتاب الباهي. أودعتها كلها لدى "لاريسا"، التي أبلغتني أنها تواصل العمل على الترجمة، لكن باعتبار أنها أصبحت في بيروت فلا أعرف بدقة، حول المجلات أو الترجمة، لابد ان تصل، أخيراً إلى ألمانيا، وسوف تبلغك بالنتائج!

أنني مستغرق حتى الشوشة بأرض السواد. أريدها ان تكون رواية مميزة، حافلة، ولا تخلو من جنون، وهذا يتطلب التفرغ، الانصراف الكلي لهذا العمل، وأبذل جهداً لأكون ضمن مناخ مناسب. المشكلة تحتاج إلى جهد إضافي لأصل إلى ما أريد، ويجب ان أحاول.

اعتذرت عن عدة دعوات، لأن السفر يحتاج إلى ما قبله وإلى



Twitter: @ketab_n

ما بعده، فإذا استطعت الصمود هكذا فسوف تكون النتائج جيدة، أما إذا استسلم الإنسان لكل تلويحة يد، لكل دعوة، فإنه سيقضي وقته في التبولة وورق العنب والمجاملات السمجة. المشكلة ان الآخرين يتصورون الأمر نوعاً من التكبر، أو عدم الرغبة بالتواصل. يا جماعة ... ليس الأمر كذلك، أريد ان أكتب، ان أتأمل، ان أكفر بطريقتي الخاصة وهات من يفهم!

يبدو لي أنني أحاصرك، لا أفكر بذلك ولا أريده، لكن الزمن يحاصرنا، يضع في حلوقنا لُجماً قاسية، ويريدنا ان نتحرك وأن نبدع وأن نجن، ولا يفكر باللجام الذي وضعه، وما يفعل عملياً ونفسياً. سوف لن نتعود على هذه اللجم، سوف نقطعها مرة بعد أخرى، وسنحاول ان نكون جديرين كل مرة.

كتبت اليوم فصلاً جديداً في الرواية: كتبت عن الحب المستحيل، عن الحب الكامن في القلب والذاكرة، وانتهى ذلك الفصل بأغنية عراقية تقول: يا أبو بشت بيش بليشت، وأعتقد أنك تعرف معاني الكلمات وتقدرها، فالبشت صاحب العباءة الصيفية الباذخة، أما بيش ... ثم بليشت فانت تعرفها بكل تأكيد!

عزة كانت بزيارتنا الأسبوع الماضي، ولقد قرأت رسالتك، وذهبت إلى بيروت لكي تتلقى رسالتك، ويبدو أنها تأخرت كثيراً.

صدى كتاب الباهي جيد، ولقد رأى الكثيرون صورتهم في هذه المرآة، وقد يكون ذلك أجمل وأهم التعليقات، إذ المهم ان نرى وجوهنا الحقيقية، أشياءنا الصغيرة، أما ان نظل وراء الأقنعة، أو نرسم لأنفسنا الصور التي نريد فسوف لن نصل إلى أية نتيجة.

ومرة أخرى من عبد الرحمن الكاتب إلى مروان الرسام: يجب ان نكتب نصوصاً لها معنى لها بعد، ويجب ان نكتب هذه النصوص بطريقة جديدة، في محاولة لأن تحرك هذا المستنقع الذي تعود



Twitter: @ketab_n

عادات سيئة. فكر بالأمر اكتب لي وسوف أرسم لك!

أيام العيد الأضحى، بعد شهر تقريباً، سوف أذهب إلى بيروت، لا أحب دمشق أيام العيد، كما لا أحب زيارة المقابر، وأحاول ان لا أكون حزيناً، محاولة هرب مهذبة، لكن كل "التهرّبات" أحملها معي أينما ذهبت. أحاول ان أنسى، ان أموه، لكن الذاكرة، هذا الصندوق الملعون، يلازم الإنسان أينما ذهب، ويلاحقه حتى في النوم والأحلام.

وحتى تلك الأيام سوف أغرق أكثر وأكثر في أرض السواد. أريد ان أستعيد الرائحة ولا أعرف لماذا تضغط علي الرائحة أكثر من أشياء أخرى! وأريد ان أستعيد المشاهد الأولى، النهر وفيضانه، الوجوه المسبات، لحظات التعب والخوف واليأس، وأيضاً لحظات التحدي والنهوض. مهمة صعبة جداً يا مروان، تستهلك الأعصاب، خاصة حين تحاول ان تستحضر أشياء مضى عليها زمن طويل، ولكن ذلك هو التحدي بالنسبة للفنان، أياً كانت الأداة التي يستعملها، وهذا ما يجعلني أفهم قلقك وتمردك وأيضاً لحظات الجنون حين تحطم لوحة.

أتذكر الآن الرواية الأولى وكيف تعاملت معها بكثير من الليونة والتدفق، وكيف كنت أريد ان أخلص من كم من المتاعب والاحتقانات، أما الآن فإن الحساب أكثر عسراً، وأكثر تحدياً، وهذا ما يجعلني أفكر وأحسب وأقدر وأخاف وأحلم وقليلاً ما أتحدى!

لقد أوشكت ان أصل إلى نهاية الرحلة، ويبدو لي ان من الشهامة ان أترك لك مساحة كافية في هذه الورقة لأن تقول شيئاً، لأن ترسم شيئاً، وهآنذا أغادر، وأقول: تفضل يا سيدي!

كل التحيات ومن الجميع

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**1997-4-15**

التهمت كتاب سعد الله ونوس وضاعت علي القصص واختلطت ببعضها فأصبحت حديثاً واحداً وملتهباً عن الحياة والموت والبحث عن الحب الضائع بينهما وكنت أنا في سرة الحديث. كم أتمنى لو كنت قريباً من سعد الله لألمس يده اليمنى ولأقبل جبينه وقلبه حيث يمكث الإنسان الخلاق الثائر الشاعر العظيم والمسرحي الكبير.

**1997-4-18**

رجعت بعد الخليج إلى الفيحاء ثم إلى برلين واختلطت علي الأمور وكأني في حمّى أتلعثم فيها. ثم التهمت كتابَي سعد الله ونوس فكان "إلياس" و "مدن الملح" على يميني وكانت صرخات وأحلام "سعد الله" وكلماته على يساري ثم "حليم بركات" ووداعته العظيمة أمامي مع "هنريت" و "جورج" حيث أصبح (شمساً بلا قمر، قمراً بلا شمس) وعينا نذير وأم الأرض شلبية وسهى وعمان... فصرت مثل (الوءواء) أحمل كلمات وكتباً سنرسمها ونكتبها ولاح كل هذا كالحمى المبدعة حلوة ومليئة بشوق عظيم للقاء "سعد الله" ولقائك. أردت ان أكون في بيتكم تلك الأيام لسبب واحد، لكي أكون قريباً منكم ولأروي ظمأً كبيراً.

عدت وكان كل شيء حولي (هشاً) حسب تعبيرك وشعرت ببعد برلين والناس والأصدقاء. دارت الأرض دورات الزمان وأصبح ذلك



Twitter: @ketab_n

الخبيء جاهراً قوياً وعظيماً، وحيث كان خلال أربعين عاماً محركاً وأصلاً إنسانياً لاهباً في أعماقي دون معرفة واضحة، بدا لي اليوم بشكل واضح وشبه حاسم ان كل ما جاء ما هو إلا ذلك الارتباط بالأرض والكلمة والحضارة التي جئت منها وأحملها كنزاً كبيراً وأحياناً حارقاً يحمل حلم الوصل والحب والموت ثم الانصهار في بواديها قبل الجاهلية وغداً.

1997-4-25

عدت البارحة مساءاً من "ميونيخ" بعد افتتاح معرض لي للمائيات أقدمها 1991 وأشعر بتعب جسدي. لقد توقفت بعض الدقائق عند وصولي للساحة المشهورة "كنيسة المارين" لأتذكر يوم وصولي إلى هذه المدينة قبل أربعين عاماً ونصف ثم سرت متريّثاً إلى الصالة.

قالت إحدى الزائرات بعد تمعن بالأعمال، ان موضع هذه الرؤوس هو الكنائس لأنها أيقونات عن الإنسان.

يكون الحرف أحياناً كخبز التنور، يجب ان يؤكل وهو حارّ لذيذ فيه رائحة الحطب تدخل الجسد والحس دافئةً، فيها الحياة والسعد.

هناك حرف الشاعر وحرف الكاتب وبوح الصديق. مشيت قبل أيام بين الدوالي ورأيت الأخضر يحتفل مبتهلاً بولادة جديدة بعد صقيع الشتاء، وجاءت الدوالي عفواً بدل الأشجار لأنها تربطني بفرح طفولة البيت وظله. تحولت البراعم التي كنت أراقبها قبل سفري إلى عناقيد الخصب والأمل ومن أحلاها إلى عيني ونفسي ورود شجرة الماغنوليا عروسة نيسان. تأتي ورودها أولاً زنابقَ تحمل السحر، كريمة شامخة فيها رائحة الحب العظيم والعطاء، ثم تتفتح على مهل


Twitter: @ketab_n

بيضاء قاعدتها بنفسجية أو ميالة إلى الوردي حتى تصبح مع الأيام دائرة تُنافس القمر جمالاً وتعطي قلبي البهاء والشوق والحزن.. الحزن لما مضى وعشرات الذكريات التي تدفقت من يداي وعيني. إنها الشجرة الوحيدة التي تعطي ورودها أولاً وتنتظر أوراقها حتى ذبول ذلك المجد لتبدأ الأوراق الخضراء بالظهور وكأنها طقوس الاحترام الطبيعية لذلك الجمال الوحيد. كتبت عن الرغيف والحرف لأني عندما تمشيت (بين الدوالي) قبل أيام، عرضت علي كالينبوع، فيما يتعلق بالأخضر والشجر والورد.. وجذعي... حروفا وجملاً ثم تداعيات حلوة (كرغيف التنور الساخن مع الجوع) وقلت، سأكتب هذا إلى عبد الرحمن ثم مرت الأيام وبقيت الذكرى وعلي ان أسير في درب المساء حيث يوجد من بعيد ضوء ذهب في بطن العتمة ورائحة الحطب يقودانني إلى تنور الفلاحات وهن يخبزن دوائر النعمة كما في الإنجيل والقرآن .. وسأكتب لك مجدداً مع دفء الرغيف ودفء النفس.

سوف لا أتردد في زيارة دمشق، وسوف آخذ أول (طائر) إذا كان بالإمكان زيارة سعد الله ونوس ولو لدقائق. قل لي إذا كان هذا ممكناً، وإذا تحدّثت معه، قل له إنه حبيبي وإنه قدّم لي فرحاً كبيراً وسعادة لا تُقدّر لأنه استطاع في درب خاصة ان يعطينا خلاصتنا وصورة لنا لا يقدمها إلا النادرون.

كم أتمنى لو أكون معكم يا عبد الرحمن وأنا أشعر أنكم قريبون مني وشكراً لإقامتي بينكم وهي تعني الكثير لي. (مع تحيات ورود وأشجار الماغنوليا) مروان

(رأيت عزيز البارحة... وكتبت على ورقة من دفتره، بعد سؤال منه، ان الكلمة والخط يجب ان يكونا كالنطفة ...)



Twitter: @ketab_n

1997-4-28

اليوم هو الإثنين. نهضت من الفراش وحملت ساقيّ إلى الشارع بضعف وشعور بالبؤس بعد ان رقدت أيام نهاية الأسبوع بوجع في مناطق الرأس وجذعي ورئتي.

1997-5-19

هناك شوق جديد في قلبي إلى الوطن ولا أعرف إذا كان هذا بسبب زياراتي الأخيرة للأرض والأصدقاء الجدد، أو أنه عندما تكبر شجرة الرزق وتحمل في أعلى فروعها آخر الثمر، تدنو أغصانها إلى الأرض وإلى جذورها لتقدم لها أحلى ما تحمل، أو ان كل ذلك ارتبط ببعضه مع تفتح عيون الينابيع الجديدة من صداقتك، من الكلمة واللون والمحبة.

لقد كانت لهذه الرسالة سيولة أخرى. أصبت في الأسابيع الأخيرة بنوع من المرض اليومي. جرثومة خبيثة دخلت جسدي من الأنف أو الفم غالباً.. وربما لا. جاءتني الحمى في بعض الليالي وبلغت درجة حرارتي الأربعون وأنا أتلعثم وأحلم وأتصور وأرسم وأكتب وأناجي وقلبي نار على نار وجسدي كالتنور حتى نهضت مترنحاً لاعنا ثملاً أنادي أمي وأقول أين أنت يا يوماه ووصلت الحمام وأخذت المناشف الكبيرة مع الماء والثلج ولففتها على الساقين المتعبتين لتهبط الحمى وأنا هكذا في فراشي حتى جاءني الفرج ودخلت وديعاً مسالك النوم.

وهكذا مرت الليالي والأيام. وكما تعرف ان أيار عرس الطيور ووقت التغاريد الرائعة وأحلاها الشحرور. وهناك شيء عجيب ألاحظه منذ سنوات طوال. في الرابعة صباحاً قبيل الغسق أو بالأحرى الضوء الأول، ينادي عصفور صغير جداً لثانيتين أو أقل



Twitter: @ketab_n

بنغم هادئ مستقيم وعلى الفور وبشكل عجيب ورائع يبدأ الشحرور الأول غناءه وتتلوه جوقة بالعشرات، أو أني أسمع شحارير المدينة كلها. يستمر هذا ربع ساعة أو أكثر والمدينة نائمة. وفجأة، وكما في البداية تتوقف الشحارير مرة واحدة وبنفس التوقيت عن الغناء والتغريد ويعود هدوء شامل.

ونهار السبت ذهبت لشراء بعض طعام نهاية الأسبوع وقررت وأنا في طريقي شراء فتيلة الوعل المفضلة عندي وكنت في طريق الخروج عندما شاهدت عدداً من طائر الفرة معروضاً، فتوقفت وطلبت ثلاثة فراخ، فقال لي البائع خذها ستة كما هي وأحسم لك... ترددت قليلاً وقلت نعم. وفي الدار مساءاً أردت ترتيب الفرة لإعداد الوليمة كما أني أحضرت زجاجة نبيذ كريمة معتّقة. بدا لي ان الفرة (قديمة)، والقدم يناسب الأرنب البري والغزال والخنزير المتوحش، أما الفرة! فقلت عسى والخمرة تساعد ربما ذلك الخطأ في التصحيح. وأنا في شك وحذر وتردد وضعت الفرة بعد التحضير في الفرن وقلت ما أحلى كأس الخمر الآن وسوف أرى. كانت لي الكأس الأولى وأنا أحاول التلذذ بتلك النعمة، خطرت لي أقوال فارس الشدياق في شعب الإنكليز وهجائه لهم لعنهم الله وخاصة في طعامهم ولحومهم القديمة النتنة حيث أنه لم يترك لهم في هذا المجال حسنة واحدة ووضعهم بعد الحيوان! وأنا في ذلك خطر لي ان أكتب لك وخططت بقلم الرصاص قوافل الحروف - وأكثر وتداخلت أمور كثيرة ببعضها ثم تشعبت وأنا أشرب الخمرة وأنتظر الفرة كما أني خططت بعض الجمل لـ"سيرة مدينة" أعجبتني. انتهت الفرة وكان الحظ الأكبر للزبالة رفقاً بالكلبة "أفرا" واحتراماً للإنسان الكبير الشدياق وكتابه " الساق على الساق ".


Twitter: @ketab_n

لم أرسم كثيراً بسبب توعكي وهذا يؤلمني ويشعرني بضياع الأيام عدا أني أنهيت بورتريه لـ"يورن ميركرت " عملت عليها كثيراً منذ تشرين الثاني وأنهيتها قبل أسبوع وأعتقد أنها عمل جيد بعد عذاب طويل وكنت أغيرها باستمرار. أنت تعرف عندما تهرب منك الكلمة وتحاول إيجادها في الدهاليز الخبيئة وفي السماء والحفر والجيوب والذكرى وأنت تقدّر الخيبة والشعور المرير بالضياع في مثل تلك الساعات والأيام. غداً.

أنتظر منك الديسكست من "سيرة مدينة" وصور عمان للكتاب ولا مخرج لك.

أعتقد إلى جانب السيرة بأنه في الإمكان إخراج بعض الأشياء الجميلة الجيدة والجديدة والغير متعارف عليها في الوطن . فلنقدم المداد واللون والخط يا عبد الرحمن من أيدينا وأنا أقف إلى جانبك.

هل وصلت رسالة بيروت لعزة! سأكون في باريز بين الثالث والثاني عشر من حزيران بسبب معرضي هناك. وأرجو ان لا يكون ذلك مانعاً من الكتابة لي.

شوقي لكم كبير وعذب مع حبي . مروان



Twitter: @ketab_n

**دمشق 14 حزيران1997**

العزيز مروان

تحياتي الحارة

لم أستطع ان أكتب طوال الفترة الماضية، فقد كان غياب سعد الله، رغم أنه متوقع، قاسياً ومؤلماً. كنت قريباً منه في الأيام الأخيرة، وكنت أراه يبتعد لحظة بعد أخرى، إلى ان انطفأ.

كان يوم تشييعه، سواءً في دمشق أو حصين البحر، بالغ التأثير: دمشق، يوم جمعة، الشوارع خالية، وكأنها تفسح الطريق عريضاً لمغادرته. والجموع التي جاءت عفوياً لوداعه عبّرت عن مدى الحب، وما يعنيه لها هذا المثقف الجريء النزيه. أما قريته حصين البحر، فكان مشهداً لا ينسى، الجموع من أنحاء عديدة تقاطرت، ولم يبق أحد في القرية إلا وشارك، وكأنه عرس!

منذ يوم مغادرته وأنا شديد الحزن، ورغم أني ذهبت إلى بيروت وقضيت هناك أسبوعين، إلا أني لم أتعاف بعد، ولكن سأحاول، وسأعود مجدداً للرواية.

هذه الرسالة القصيرة ليست رداً على الرسالتين اللتين بعثت بهما، إذ سأكتب إليك في الأيام القادمة. غداً سأذهب إلى طرطوس، إذ ربما استأجرت بيتاً في الجبل من أجل التفرغ للكتابة. وبعد عودتي من طرطوس سأذهب إلى عمان لمدة يومين أو ثلاثة لرؤية صديق، وبعد المشاركة في أربعين سعد الله، وسوف يكون يوم 28 حزيران، ثم رؤية مسرحية منمنمات تاريخية التي ستعرض في قلعة دمشق في



Twitter: @ketab_n

اليوم التالي، سأبدأ العزلة، وقد لا أعود إلى دمشق إلا للضرورة، وربما بقيت في الجبل حتى نهاية آب أو منتصف أيلول، وأكون عند ذاك قد أنجزت الرواية أو القسم الأكبر منها.

أبعث هذه الرسالة مع قريب مسافر إلى ألمانيا، وسوف يودعها البريد على ان تصلك صباح الإثنين.

الجميع هنا يسلمون، وتقبل كل الود والمحبة.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

قرع الهاتف اليوم صباحاً على غير عادته عند أهل الكتابة والرسم وتطيّرت قليلاً وإذا بالهاتف "نوربورت" ليقول لي ان "سعد الله ونوس" قد توفي وقد جاء الخبر من "ماجدة بركات" عن طريق صديقة لها عن طريق صديق من المغرب حيث أنه اتصّل فوراً بهما. كنت أتمنى إشارة منك لزيارته.. حتى فرق الموت بيننا. ولكني لا أعتقد ان سعد الله قد مات لأن حروفه وما جاء به من فكر وشعر وتجديد مع العالمية والحقيقة جاء به من أعماق القاع والجذور، صرخة فيها التهذيب والالتزام وفيها صوتنا نحن أبناء الجزيرة أينما نلتفت إلى داخلنا حيث الفرح والألم والشعور المُلحّ بالإبداع. إننا نكمّل بعضنا وقد ذهب السيد اليوم بعد ان كشف عن جرحه الذي هو جرحنا وأعطى صرخته التي نحن منها وترك خدوشه (وخربشته) إشارة لإمكانياتنا نحن المتبعثرون بعيداً وقريباً في ممالك الأرض. وكما نقول دائماً، ان الكلمة هي السلاح وقد كان سعد الله فذاً. لم أنس ما قاله لك عن وجوهي الأخيرة بأنها مكتومة وأعتقد ان ذلك ربما خير ما قيل في هذا المجال وقد اعتبرته منذ اللحظة الأولى عندما رويت لي ذلك بأن ذلك في غاية المدح وأنه مطابق لسعي الروحي عن طريق اللوحة. تصور عنوان سلسلة هذه الرؤوس، الرؤوس الكتيمة المكتومة .

لقد شغلتني كتبه الأخيرة كما تعرف وربما لو جاء الحماس لي من طرفك يا عبد الرحمن لنقلت بعض الأعمال المطابقة مني، حبراً



Twitter: @ketab_n

أو رصاصاً أو مائية لكتابه عن "الذاكرة والموت" تكريماً له وهي ليست تزييناً أو اختلاقاً مبتوراً وإنما موازية تحمل الحرف بالخط واللون لمصير مشابه وجذر مشترك. أجبني على ذلك. كم كنت أتمنى لو جاء هذا في حياته... ولكن هذه أخلاقية تساقط الثمار.

سأتوقف الآن لأخلع ملابسي وأرتدي ثياب العمل ولأغير ما جاء في لوحة من برودة اللون ومباشرة الشكل، دون معرفة واضحة أو إدراك سابق عدا لهفة غامضة وحنين دائم. يجب ان لا أرسم بل عليّ ان أرسم و يجب عليّ ان لا أصنع بل عليّ ان أصنع وأن لا اختار بل ان أختار وأن أصل إلى المكتوم وهذا أصعب الأمور. ان الرواية تختلف (الكلمة) عن اللوحة لأنها تدخل لنا من قناة الوعي والفهم اليومي منذ الطفولة وبها (نفهم) العالم، ولكن إذا احترفنا هذه الصفة، فإن روايتك يا عبد الرحمن كتيمة أيضاً على طريقتها وفي النهاية رغم وضوح الرواية وهدفها وارتباطها الجذري بك كمبدع إنسان في أرض معينة. ولكن ربما لهذا حديث آخر آمل منذ زمن ان نتعرض له .. ولأشياء كثيرة أخرى أيها الصديق. مروان


Twitter: @ketab_n

**برلين 22-5-1997**

الصديق عبد الرحمن، لي عادة تشبه العرف وهي ان آتي بطلابي الجدد في البداية الأولى إلى مرسمي وأن أطلعهم على نماذج من سيرة حياتي الفنية وأعتقد ان ذلك هام للطالب والمعلم كي يكون التكلّم عن أشياء الرسم مرتبطاً ومحسوساً. البارحة كان مثل ذلك اليوم. سألتني طالبة عن لوحة جديدة فيما إذا كانت منتهية. لقد رسمت اللوحة من نهاية الخريف وحتى شباط وهي عرضية، 162 x 260، أي أنها كبيرة الحجم نسبياً وأنها مغرقة في الاستطالة الأفقية.

أردت ان تكون اللوحة هكذا.. ونجحت في المحاولات الأولى فكانت غنوجة متزنة جميلة اللون والملمس فيها ما وراء أمسية صيف تحمل الشمس.. ولكن ما أردت كان أيضاً خلف هذا أو داخله وثم بدأت رحلة العذاب والاختبار والقرار والتشتت والتأكيد والتغيير وانقلاب الأحلام مع وثبات الغضب والأمل والتقاعس وحلم جديد من ينابيع الشكل والبناء والاحتمالات في مجهول اليد والعين والحنين بالنهوض بالروح واليد إلى جزء من ماهية الطبيعة وماهية الإنسان بشوقه وحبه وتهافته. وبعد الشهور توقفت بعد تراكم الألوان والإشارات الواضحة والخفية . قلت هكذا هي وهي احتمال سأتركه هكذا وقلبت اللوحة إلى وجه الجدار. قلت للطالبة: من الممكن حقاً ان نرسم لوحة يتيمة نعمل عليها مدى الحياة آلاف الطبقات يوماً بعد يوم تجاربنا ورؤيتنا حتى الموت وهكذا تبقى اللوحة قصة الذات كالجبال والبراكين تحتوي بداخلها قصة آلاف السنين. وأما عن هذه



Twitter: @ketab_n

اللوحة بجناحيها الأيمن والأيسر ثم الرأس في المنتصف كقلب للجناحين، فإني كرّست كل قدراتي على هذا الرأس محاوراً مطيّعاً رافضاً متلاشياً ثم عائداً وهكذا وهو كمن يحفر بيديه باحثاً في الأرض عن مياه الينبوع أياماً وليالي ناظراً إلى الداخل فتترك آثار جدّه وسعيه بقايا التراب والرمل والجذور على جوانب (الداخل) يحمل آثار الدأب المستمر مع ندباته وما أخرجته الأرض من كنوزها السوداء والبيضاء الطرية منها والقاسية. كان الرأس مليئاً بالمادة واللون المتكسر والمتراكم بالنور وبقايا الظلال وهو متكبر شامخ وحزين وعلى طرفيه أسود تحته برتقالي ظاهرته (كالموصلين)الأسود دون ندبات عدا سواده وتقديمه لحدث الرأس الذي يشبه تأليفه خطاً مستديراً كالحلزونة يبدأ في سرة الوجه ملتفاً على نفسه بصبر وأناة كحركة الدرويش الراقص حتى يضيع في متاهات السواد البعيد.

مروان

آسف لعدم استعمالي الفواصل والنقط للاسترسال. لقد كتبت هذا البارحة قبيل مغادرتي المرسم واليوم أرسله لك مع شوقي الكبير لكم.



Twitter: @ketab_n

دمشق/14/10/1997

العزيز مروان

تحيات بالأطنان وأشواق كالطوفان

أين أنت يا رجل؟ لقد مضت شهور وأنت محصّن بصمتك وكأنك تعيد قصة أبو الهول، في الوقت الذي كنت كريماً ولا تتوقف عن الكتابة، ماذا جرى ولماذا هذا الصمت؟ إذا كان العمل، والعمل وحده فلابأس فمغفورة خطاياك، أما إذا كان الكسل فعندئذٍ سيكون بيننا حساب عسير!

ولكن لماذا أعاتبك ولا أعاتب نفسي.

من ناحيتي كنت طوال هذا الصيف في بيروت ، وكنت منعزلاً، ثم إني لا أعرف "البريد" أين مكانه ومن أين تشترى الطوابع، وأتوقع ان أعود بين أسبوع وآخر إلى دمشق، ولابد ان أجد هناك رسائلك، وليس مجرد رسالة واحدة، وعند ذاك سوف أحشد نفسي لكي أكتب إليك!

وطالت إقامتي في بيروت، وتأخرت، ولما عدت لم أجد أية رسالة منك، هكذا امتدت الأيام بين القلق والانتظار إلى ان تحدّثت معك أخيراً.

الآن، كما يقول البدو، نبدأ من جديد، أو نحن أبناء اليوم: رسالة برسالة، لأني بعض الأحيان أتردد في الكتابة لتوقعي ان رسالتك في الطريق إليّ، وبالتالي من الأفضل ان أرد على الرسالة الطازجة، وهكذا تمتد الأيام وتتوالى.



Twitter: @ketab_n

قبل أيام اتصل بي المدعو نشأت حمارنة، يطلب ان أهديه كتاب مروان والباهي، فقد سمع بهما ولم يرهما. قلت نعم بتردد! تصور أقرب معارفنا وربما الأصدقاء أيضاً آخر من يعرفون ويتابعون، ثم يمنّون عليك وهم يطلبون ان تهديهم كتاباً! دنيا.

واصلت الرحلة مع" أرض السواد" في بيروت . قطعت شوطاً هاماً، ولولا ان الحساسية داهمتني وأقعدتني عن العمل، ثم التزامات أولاً بمحاضرة في مكتبة الأسد، على هامش معرض الكتاب حول دور "الثقافة والمثقف في المجتمع العربي" ثم ندوة عن "صدقي اسماعيل" بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على وفاته، لولا الأمرين معاً، لواصلت رحلتي في" أرض السواد". سأحاول ان أكرِّر وقتاً أطول للعمل، وأريد ان أنتهي منه مبكراً، نفسي ان تكون الفترة القادمة ملائمة.

في ندوة "صدقي اسماعيل" تأسفت ان "نعيم" كان غائباً، وبودي لو ان المشروع الذي فكرنا فيه معاً، ومع "نذير" ، حول "نعيم" يتبلور، إذ يمكن ان نعيد لهذا الصديق بعض ما يستحقه، فكر في الموضوع وأشعرني، إذ ربما نستطيع في إحدى زياراتك ان نبلور مشروعاً، وقد يرى النور.

نفكر بإصدار عدد خاص من "قضايا وشهادات" وهي المجلة الدورية التي أصدرنا منها ستة أعداد في السنوات السابقة، وكان معنا "سعد الله". ان نكرّس عدداً خاصاً عن "سعد الله" ، وسوف نحاول إصدار العدد في الربيع القادم، هل أقترح ان تساهم معنا في هذا العدد؟ أترك الإجابة وشكل المساهمة.

لديّ زيارة قبل نهاية الشهر الحالي إلى عمان، في محاولة لمعالجة الحساسية، وربما سأبقى هناك أسبوعاً، وسوف أحاول الاتصال بالسيدة سهى شومان.


Twitter: @ketab_n

ليس لديّ الكثير الآن لأكتبه أو أقوله، فقط بداية عودة لمراسلاتنا التحشيشية، أي ان نكتب ما نفكر به، وحالما أتلقى رسالة منك سوف أكتب لك الكثير.

الأصدقاء يسلّمون كثيراً، ويسألون وينتظرون.

في الختام تحياتي الحارة وإلى لقاءٍ قريب.

**عبد الرحمن منيف**

Twitter: @ketab_n

**برلين مساء 2- 11 -1997**

أيها الأحباء من مركز القلب، من دمشق

أشعر وكأن يداي ....

البداية الأولى: استلقيت بجانب نافذتي قبل أسبوعين في عصر خريفي مليء بالشمس الخرزية تلامس أوراق الذهب. مرّ السنونو خطفاً على يميني في رحلة الشتاء نحو بلاد الدفء. لم أتمالك من ان أقول لها: أيتها السنونوة خذي قلبي معك للجنوب واتركيه في أحلى موقع: في دمشق مع أحبائي.

البداية الثانية: خطر لي ان أبدأ الكلام عن عتمة النهار وصقيع الليل ولكني فكرت بالحزن الذي أنقله لكم مع السنوات على القصاصات وقررت ان أترك ذلك مبدئياً...

البداية الثالثة: كنت في فراشي قبيل النوم وجاءني ما يشبه السجلّ عن رؤوسي الأخيرة وكانت الأفكار واضحة ملتزمة ترادف العمل وتتقرب منه فقلت، هذه بداية لرسالة عبد الرحمن. ولكن الحديد يُضرب وهو حامٍ.



Twitter: @ketab_n

**3 - 11 - 97 مساءاً.**

فرحت برسالتك كثيراً وكعادتي وضعتها في جيبي ونفذت ما كنت أنا ملتزماً به في الجامعة وأخرجتها أكثر من مرة لأستعيد الفرح حتى وصلت إلى المرسم وقرأت حروفك. كالطفل يترك الشهد للنهاية، يتعذب بذلك ولكنه عذاب لذيذ مع انتظار الشهد. سطرت في منتصف الليل صفحة لك وتركتها للصباح وعندما قرأتها مع نور اليوم الثاني وكان ذلك بعد استلامي كتابك قلت في نفسي: ان الرجال لا تكتب للرجال .. هكذا! ومرت الأيام.

بدأت الرسم بعد المغرب - (أقصد المغرب العربي ولكن الصدفة جاءت كالقصد الخفي لأنه بعد المغرب جاء الظلام دون تراويح!؟ .. ذِكر أو صلاة العشاء) - ثم تمهلت وبعد التمهل توقفت. كانت تراودني فكرة عمل بعض أعمال الحفر على النحاس لرؤوس في أوقات مختلفة كمصنف جامع ومرادف لقصيدة أدونيس التي جاءت في مواقف عام 93 كتحية وهي من 75 فقرة. وهكذا هربت من الرسم إلى الحفر ونفذت عدداً لابأس دون ان أنظر إلى الخلف وسوف أفعل ذلك قريباً ولأراها ككل وأفصل الأبيض عن الرمادي وكما يقال عن لسان زمان أهل أول بأن أفصل الزيوانة عن القمحة. أعتقد ان الوقت لم يذهب هباءاً رغم الشعور بالضيق وشيء من الذنب والأسى لأني لم أرسم كما كنت أود ... وأنت سيد العارفين.



Twitter: @ketab_n

قمت بمساعدة أهل الصنعة بمحاولات كثيرة لنقل الديسكت لـ"سيرة مدينة" دون طائل لأنها لا تُفتح ويجب نقلها من عندكم على ديسكت جديدة يتماشى مع ما يوجد هنا. ولقد (نشرت) رسومك أكثر من مرة بعد تنظيف المرسم، على الأرض لأصنفها في مواضعها ولأختار منها النهائي إلى جانب التحضير لأدباء رسموا وأعتقد ان الكتاب سيكون جيداً وهاماً مع الرسوم والمقارنات بين الرسام والكاتب وخاصة في استعمال....... المسّاكة والمداد المشترك، أليس كذلك؟ .

ذكرت لك بأني سأعرض في رام الله في مطلع نيسان القادم وذكرت لك بأن المعرض سيكون هدية مني لمركز السكاكيني وجامعة بير زيت وفي المستقبل ربما نواة لمتحف فلسطين أي ان المعرض ليس معرضاً عادياً وإنما هو دعم لبنات وأولاد فلسطين وظاهرة تحدي في إمكانية إبداعنا الفكري والفني وتظاهرة إذا أُحسنت الاستفادة منها ضد المغتصب ومن يسير معه. ان اتصالاتي قائمة مع "تانيا ناصر" و "عادلة العايدي" المسؤولة عن المركز إلى جانب معهد غوته الذي سيموّل المشروع أو بعضاً منه. سيُطبع دليل عن الأعمال في برلين بالعربية والألمانية مع قصيدة لمحمود درويش كما اقترحت أنا ودراسة عن أعمالي الحفرية من رئيس متحف برلينيّ للغرافيك إلى جانب كلمة صغيرة للمركز وكلمة عني من رئيس معهد غوته في ميونيخ (المسؤول العام) وهو صديق وشاعر. ان الأمر كمن يسير على السراط المستقيم. ولقد ذكرت لك بأني سوف أبقى في برلين. ان كمية المعرض ربما كانت 40 - 55 عملاً(*) للحفر وربما ثلاثة مائيات. (سوف أكتب كلمة صغيرة في الدليل تنفي أي شك بالتطبيع و تكون إغاظة لإسرائيل وتؤكد طبيعة الحياة والتاريخ في عودة الحق.) . والآن أريد رأيك يا عبد الرحمن.



Twitter: @ketab_n

كان من المقرر افتتاح معرض لي في ميونيخ يوم 23 الجاري ثم أجّل حتى نيسان القادم للأسف، والأسف هذا جاء لأني كنت قد قررت ان آخذ أول طائرة بعد يوم الافتتاح لأزوركم ولو لأيام وقد رسمت في خاطري (روعة) الرحلة وساعات دمشق وشعرت بالدفء والشوق والفرح ... ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن. سأحاول ذلك ان لم يكن هذا العام ففي بداية العام القادم. نحن شعب عجيب بهذا الارتباط الرحمي الوجداني الهائل بأرض الأم وأين بقي الأب؟ ربما لهذا حديث آخر في دمشق أو على الورق.

---

(*) إن عدد الأعمال التي قدّمتها هديةً لجامعة بيرزيت وخليل السكاكيني تجاوز 150 عملاً وقد تنقّل المعرض في معظم المدن الفلسطينية.



Twitter: @ketab_n

## مروان 5- 11 -1997

اليوم هو الخامس من تشرين الثاني ظهراً. (وسوف لن أخرج من المرسم دون إتمام كلماتي لك.)

لقد حوصرت من قبل الأصدقاء في الكلية بطريق الصدفة وإذا بي سامعاً ومحاضراً في دراساتٍ وأبحاث عن الشرق والغرب - صقلية الأندلس، بيزنطة، رسم الكتاب العربي وهكذا... لقد تورطت في هذا الأمر، وموضوع هذا الأمر سيستغرق هذا الفصل أسبوعياً مرة كل نهار جمعة بعد الصلاة وحتى الغروب وأنهيت الأمر بأني لست عالماً أو محاضراً واكتفيت بالحضور ومحاضرة وحيدة عن رسم الكتاب العربي وقد تجمعت في (رأسي) بعض الأفكار الصالحة وأهمها حسية الإنسان العربي وارتباطه بمناخ معّين قرر مع مئات السنين علاقته وأساليب تعبيره بشكل خاص وفريد و (شيئية) حسية أقرب ما تكون إلى التجريد وإلخ. أحتاج إلى بعض المواد من الوطن للاستفادة منها وهي بالدرجة الأولى" سلايت" ، مثلاً من "أبو صبحي التيناوي" والأيقونة السورية ولكني أشك في الحصول على مثل هذه الأشياء بسبب الطبيعة الحسية والشيئية و نهاية القرن وعلمية الشعب والشطارة والبراعة والتراث والمطر والغبار وغداً وسبحان الله والرصيف وعامود الكهرباء ومرسيدس وبنت الجيران والمُطّلع والجريدة وأبناء الثورة مع تأكيدي أنه لا يوجد دخل للعدس في هذا الموضوع لأنه كريم معطاء حافظ على أصالته وبركته مع البرغل رغم



Twitter: @ketab_n

ابتزاز "كونيته" من بعض أهل الادعاء وطبخه مع الرز لتحديد موقف بورجوازي من هؤلاء حيث أنهم من أصحاب الذهب والجاه فجاءت "مجدرة الرز". وإمعاناً في تأكيد التبعية التقدمية الطبقية العليا لا يقولون سلطة البندورة وإنما سلطة (التومات) وهكذا تكون الإشارة واضحة لدار البيك الجديد وغالباً يمتطي سيارة يابانية زرقاء أو خمرية. وعلى أوف مشعل وألف ألف أوف وما في مشعل لا من بره ولا من جُوّه.

تحيات "تانيا ناصر" لكم. اتصلت بـ"عادلة العايدي" المسؤولة عن "مركز السكاكيني الثقافي" في رام الله وعرفت منها ان "محمود درويش" موافق ويترك لي الاختيار وهو في دمشق الآن.

فإذا أمكن الاتصال به فإني أفضل ان يقوم الشاعر بالاختيار وأنا بحاجة ماسة وبسرعة لذلك من أجل الترجمة والتنضيد وبحاجة أيضاً وماسة أيضاً لـ"ديسكت" السيرة. إلى لقاء قريب وهذا وعد فكما قلت كل رسالة برسالتين.

لا يوجد شك في حبي وشوقي لكم، وعليه فقبلات الصديق

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 6/ 11/ 1997**

عزيزي مروان

تحيات كثيرة، وحارة جداً

انتهيت الآن من كتابة "مداخلة" أو مشاركة في الاحتفال الذي سيقام "للجواهري" غداً في بيروت. اخترت عنواناً وموضوعاً لهذه المشاركة: "الجواهري والسياسة" ولأن عدد المشاركين سيكون كبيراً فقد اقتصرت على أفكار أساسية، وبشكل موجز، وقد أضطر في وقت لاحق إلى كتابة شيء واسع حول "الجواهري" وحول الموضوع أيضاً، لأن "الجواهري" شاعر إشكالي من حيث طريقة قول الشعر، ومن حيث المواقف والقناعات والسلوك أيضاً، ولأن موضوع المثقف والسياسة قضية كبرى، ولم تحل بعد.

لقد تحدثت حول الأمر في مكتبة الأسد أثناء معرض الكتاب. كان هناك جمهور كبير، وكانت الأسئلة والحوار أهم من المحاضرة ذاتها، لقد قلت أشياء كثيرة، وربما هامة، لكن الموضوع بحاجة إلى المزيد من البحث والحوار، من أجل الوصول إلى صيغة، بحيث لا يموت الذيب ولاتفنى الغنم، كما يقال، أي ان يكون المثقف، أياً كانت وسيلته في التعبير، موجوداً ومؤثراً، ومشاركاً، وبنفس الوقت ألا يُستوعب، ويصبح مجرد بوق أو صدى للسياسي.

هذا الموضوع يقلقني، وهو بقدر الوضوح الذي يتمثل لي، إلا أنه غائم بالنسبة للكثيرين، وبعض الأحيان بالنسبة لي أيضاً، بحيث يحتاج إلى تحديد أكثر، وربما ساعدت الأيام القادمة على الخوض



Twitter: @ketab_n

فيه، خاصة وأن الأحزاب تراجعت وفي طريقها إلى التقاعد، والوضع يحتاج إلى صيغ جديدة لا أدري إذا بالإمكان وجودها وممارستها لدورها.

غداً، عند الفجر، سوف أسافر إلى بيروت، لأن الاحتفال "بالجواهري" سيكون في الساعة الخامسة بعد الظهر، لن أبقى طويلاً في بيروت، إذ يفترض ان أعود إلى العشيقة: (أرض السواد)، وقد انشغلت عنها بعض الوقت، وهي تطالب بالكثير، أو بكل الوقت.

الرواية يا مروان عذاب متواصل، إذ بالإضافة إلى الطول، فإنها لا تحتمل الضرائر، ولا تحب ان تبقى في الظل، أو منسية، وهذا ما يجعلني قلقاً ومتوتراً، إذ لا استطيع ان أمنحها كل ما تريد، ولا أستطيع ان أنساها في نفس الوقت، ولذلك لابد من طريقة شيطانية للوصول إلى معادلة مناسبة، سأحاول، وربما يساعد البرد على ذلك.

طلُب إلي ان أشارك بمساهمة، لم تحدد بعد، عن "عبد القادر أرناؤوط" ، بمناسبة مرور خمس سنوات على وفاته. وافقت من حيث المبدأ، وطلبت ان يُحضر لي ملف حول ما كتب أو ما كُتب عنه، ليساعدني على المساهمة، خاصة وأن الرجل، على الأقل كإنسان، يعني لي الكثير، ويجب ان يبقى في ذاكرة الناس. إذا كانت لديك ملاحظات وأفكار لابد ان تكتب إلي، لتكون المساهمة جديرة ومفيدة.

أقيمت قبل فترة ندوة حول صدقي اسماعيل، وقد شاركت فيها بالحديث عن صدقي الروائي، لكن شعرت ان الرجل يستحق أكثر مما قُدم، وشعرت أيضاً ان الناس في بلادنا، وفي المرحلة الراهنة لا تعرف ولا تتعلم إلا بالأذن، أي ان العين ما تزال تحبو، وقد تمشي قريباً، لأن المادة البصرية التي تقدم لها من الرداءة إلى درجة تثير الاشمئزاز. الرثاء، و لقد تساءلت أثناء الندوة أين: "أدهم"



Twitter: @ketab_n

و"نعيم"؟ وأين الآخرين أيضاً مثل "كرشة" و"حماد" و"شورى"؟

هذا الأمر يجب ان نفكر فيه معاً، من أجل خلق ذائقة بصرية، ووضع بعض العلامات على الطريق. الكتاب عنك كان مؤثراً، وألمس نتائجه يومياً، قد يكون الصدى بطيئاً لكنه مؤثر، وقد نلمس ذلك مستقبلاً، وعلينا ان نفعل أشياء إضافية .

كما قلت لك، لن أبقى في بيروت إلا أياماً وحال عودتي، وبعد استراحة قصيرة سوف أذهب إلى عمان من أجل إجراء فحوص للحساسية التي تزعجني كثيراً. أرجو ان أصل إلى نتائج تمكنني من العودة بسرعة، لكي " أدمن" (أرض السواد)، وآمل ان يساعدني الشتاء على ذلك وبسرعة.

كتبت قبل سفرتي الأخيرة إلى بيروت، وتوقعت ان أسمع منك، لكن يبدو ان "الحفر" يشغلك الآن، وربما يرهقك. أتوقع ان أتلقى رسائل منك قريباً.

أخبرني "محمود درويش" ، الذي يزور سوريا الآن ان معرضاً سيقام في عمان لفنان تعتبره "سهى شومان" مهماً. قد أكون في عمان خلال تلك الفترة، ولابد ان ألتقيها، وسوف أسلم عليها باسمك، وسنتحدث عنك.

في الختام تحياتي الحارة.

نسيت ان أقول أني تلقيت رسالة منك على شكل برقية!

سعاد وعزة وليلى وياسر وهاني، والكثير الكثير من الأصدقاء يهدون تحيات بكميات كبيرة وأتمنى ان نلتقي قريباً، وبانتظار ان أسمع منك أخبارك، كل الشوق والمودة.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

عزيزي عبد الرحمن. قرأت رسالتك ثم تحدثت معك وها أنا أكتب لك. ان "عبد القادر أرناؤوط" ابن مرحلة الأمل والشوق ككثير من بعض الرفاق حيث استيقظوا مع المراهقة الأولى حاملين في قلوبهم حرارة الحياة الأولى فكان الفن والأدب والموسيقا المواضيع الضرورية التي تمد أملهم بالخروج من حدود اليوم والبلاهة والموت الهادئ إلى تحرر وتبرير للوجود في بلدنا، لقد توفق البعض في هذا السعي نسبياً وبقي الكثيرون في منتصف الطريق أو بدايته واكتفوا بالزواج والصمت وتقليب الأيام مع صفحات الجرائد المشابهة لأيامهم المذكورة وأصبحوا ضحية أنفسهم.

لقد ملك عبد القادر الحرارة والموهبة وربما أكثر من موهبة في أكثر من مجال وإذا لم يحسن الإنسان تقسيم قدراته الإبداعية للتأكيد على الهام منها فإنه لا يكون كالزارع مع النبت الكثير والماء القليل والذي يدرك بأن عليه تضحية الكثير ربما ليحيى القليل ويأتي الخير وإلا أضاع الكل وجاء العِرق مسخاً ليس له بركة البذرة وخصبها.

أحسن "عبد القادر" في فن الرسم والتخطيط وكتابة الخط والقص وسرد الحكايا والزخرفة ورواية الفكاهة والبذاءة وقَرْض الشعر والشراب وتحدث بأكثر من لغة منها الألبانية وكان في روما و باريز واحترف الغرافيك إلى جانب كونه استاذاً في كلية الفنون وكان رائداً لهذه الواسطة في سوريا والتي تعتبر جسراً بصرياً نفسياً بين المنتج والمستهلك وليست غرضاً في ذاته كفن إبداعي مستقل.



Twitter: @ketab_n

فإذا جئنا إلى الخط، فإن لعبد القادر بعض الإشارات التي أحسن بها دون ان يستقل بالإبداع بتكريس الوقت والروح والحب والتديّن مثل الخطاط "بدوي" مثلاً في هذا المجال ونحن نعرف مدى الإبداع العظيم وندرته وتقربه من المطلق في كتابات الخط وأنه كل جيلين أو ثلاثة يظهر خطاط مبدع يكون ملك الأمة والتاريخ. قد يكون لعبد القادر (إضبارة) في هذا المجال أو أكثر من إضبارة دون ان أعلم.. أما في حدود الغرافيك والخط المرتبط به، فإنه اكتشف وأتى ببعض الطرق الجديدة التي ارتبطت به والتي قلدها بعده العشرات في مجال الصحافة والكتاب دون ان يكون لهم إبداع ذاتي. ان لعبد القادر في هذا المجال دور الرائد إذاً وبه انفتح باب وجاءت معرفة جديدة أصبحت ضرورية يلتمسها صاحب الكتاب وصاحب الإنتاج.

وكذلك في الرسم. كان عبد القادر يرسم باليسار كما يقول الألمان، أي بسهولة واضحة ويتحرك بين الزخرفة وأحلام "بول كلي" (Paul Klee) والخط العربي في وقت واحد. ان الوقت أو اليوم ودمشق لم تسمح له بالمشاركة والتأكيد ثم الإعادة والتأمل والأمل والحصر والفتح والبهجة والسواد وانفراج وردية الأفق بعد اليأس ليعود إلى فرحة الطفل وحزن الرجل.

حاول "عبد القادر" ان يربط التراث بالحداثة مثل حماد وآخرين، فأخذ عبد القادر في أعماله المتأخرة جزيئات من الخط العربي بجانب جزيئات من الزخرفة وربطها في رؤيا بصرية (كمحتوى) للعمل الفني وترك نسبياً اللون أو البقعة جانباً وكادت بعض لوحاته تبدو وكأنها جاءت من اللون الواحد ومشتقاته على غير ما نعرفه في هذا المجال من التراث الرائع العظيم في الأندلس في


Twitter: @ketab_n

الجوامع والمخططات مثل الواسطي وقد ارتبط هذا بحضارة وطموح واضح الشخصية وواضح المصدر الإنساني والجغرافي والحضاري بحسية لها شخصيتها في تجريد الشيء والرؤيا وعلاقة الإنسان بعالمه وقد لعب الإسلام دوراً أساسياً في هذه الحصيلة وهي تمتد في الغرب من بحر الظلمات حتى المشرق من فارس وبحر الهند.

وأعتقد أنه لم يكن لفنان أو حرفي معاصر إبداع يقرب ولو من بعيد بعيد تلك الروائع وتلك الإبداعيات، ولذلك أقول أيضاً، ان عبد القادر ظاهرة وحلم الخمسينات بالنهوض والتحرر وإن لم يكن يقدر ان يفلت من ثقل دمشق ودبق المجتمع واليوم والحسرة الكبيرة التي نحملها والتي أماتت الكثيرين على الطريق مثل "عدنان بغجاتي" و "نسيم" وحتى "عبد القادر" نفسه يكون أيضاً في مجال الضحية، ضحية الدبق وبلادة الجار. وأرى ان عبد القادر مثلٌ هام يقارب الأدب في سيرة حياته. حمّى الحياة والطموح مع الغضب ثم امتلاك المواهب الكثيرة المتعددة مع شخصية لها لكنتها ولها أثرها بحدود واضحة ومحببة تريد الصراخ المستمر وتريد الضحكة المستمرة وتريد البكاء المستمر وتريد ان تحلق عالياً ولكنها مقصوصة جناحاً والآخر يحاول عبثاً اختراق قاسيون. إنه جور الأيام وظلم النفس والتاريخ.

لقد كنا نتمشى يوماً بعد العصر وبعد الصيد في القاسمية، "حسن البحيري" و "عدنان بغجاتي" إلى جانب "عبد القادر" وأنا. كان البحيري يحمل وجهه انقباض الشاعر وتجهمه حيث يحاول قرض البيت في داخله ثم قال بعد استراحة مع هدوء (البرية) الشامل: والله يا أخي عدنان أنا الشاعر وأنت القصّاص ومروان الرسام . كان يرسم في داخله صورة ثلاثية للمستقبل الفني والأدبي وإذ بعبد القادر ينبري بصوته الجهوري دون تأتأة وعلى الفور ليقول



Twitter: @ketab_n

للبحيري: يلعن دينك وأنا؟! . فأجاب البحيري: وأنت يا أخي عبد القادر مؤرخ هذه الحياة! . ولم يعجب عبد القادر هذا الدور التاريخي فقال: ما بدي .. تلحسوا طيزي.

إن إشاراتي عن عبد القادر وكما ترى عامة تقريباً وربما لم أقدم لك جديداً وثم بسبب انقطاعي وبعدي. لقد كانت صداقتنا حميمية مليئة بالأمل والعطف وطالما قضينا الأيام الكثيرة في القاسمية مع الشراب والشعر والفرح . كان يحب الموسيقا وكان يريد تهذيب الآخرين وحملهم على احترام الفنون وتذوقها الحياتي بشيء يقارب القدسية وكان قاسياً إذا تكلم أحد ونحن نسمع بيتهوفن فيؤنبه بغضب وجدية وكأنه أستاذ متحكم وإلى جانب هذا كله كان يربط الجدية بمرح يقرب إلى البذاءة، حاضر البديهة محقٌّ لا يبخل على نفسه بأن يكون موضوع استهتاره وفكاهته وليس فقط على حساب الآخرين. نظم الشعر في الثانوية وله أكثر من (معلقة).

وحسب ما أذكر، بدأ عبد القادر بالرسم متأخراً وخاصة بعد تركي دمشق وكان جار "نصير شورى". ربطت نذير وعبد القادر صداقة كبيرة حتى فترة باريز ونذير يعرف الكثير عن هذه الحقبة وأعتقد ان ذهاب عبد القادر إلى باريز كان مفترقاً في درب حياته وربما تجربة لم تأت بخير نفسيّ خَلقيّ لسبب لا أعرفه ولكني شعرت في لقاءاتي المتأخرة ببعض الانحسار والهروب إلى الفكاهة والشراب. ان ذلك يرتبط بجورة الزمن وقلة المقاومة وربما يكون مثلاً، كما ذكرت سابقاً، بجيل أو أجيال أرادت ان تنتصر على الفشل والظلام فأفلحت حتى انكسرت نفسها مع الظلام.

وإذا أردت ان أكتب عن تجربة عبد القادر الفنية فإن هذا يرتبط بتجربة الكثيرين مثله وهي محاولة ربط البيئة والتراث بالحرف. ورغم


Twitter: @ketab_n

ان الكثيرين حاولوا تقليد "عبد القادر" بعد ذلك وجاءت دفعات تحمل هذه (الوصفة) إلا أننا نعرف ان درب الأدب والفن، درب وعرة قاسية لا ترتبط بالحرفية والتقنية والتقليد وإنما بالإبداع والتجربة الشخصية التي هي جزء من العام وبها تبرز إنسانية الفنان وعمله ويكون حاملاً نفَساً خاصاً يملأ به عمله وتشع به روح الفرد حتى يصبح ملك الآخرين. وفي رأيي ومع معلوماتي المتواضعة، ان الإنسان الفريد الوحيد الذي تمكن حقاً من تقديم نواة جيدة متماسكة ومتميزة في هذا المجال هو "نعيم إسماعيل" وإني لا أعرف آخراً قدم شيئا بمثل هذه الحرارة ومثل هذه الجدة التي منبعها المعرفة العالمية أولاً ثم الحب الهائل لمناخ بلده الشكلي والنفسي بشكل صادق وعلمي لكان لدينا شيء نفتخر به. وإنه من العار الكبير لبلدنا ومن الظلم الشنيع ان لا يأخذ هذا المبدع حقه، والواقع ان هذا ليس حق نعيم لوحده بل حق وطنه! ولا ننسى ان مئات الذباب تجمعت على هذا الفارس تنهش منه بفظاظة شنيعة وغبية ما كان حققه بحب دؤوم وحلم هدهده ورعاه حقبة من الزمن حتى غاب عنا ليترك للجهل والنسيان ما تركه الذباب الأول لذباب جديد: النكران الذي يقارب حدّ الإجرام.

سأتوقف عن الحفر في الأيام القادمة وسوف أجمّع ما عملته وأصنفه وأعتقد ان هناك عدد لابأس به يستحق الظهور لمشروع الرأس الذي ذكرته لك وسوف أرى طريقة الإخراج مع الوقت وطريقة العرض وأعتقد، أو بالأحرى آمل جداً ان يعجبك المحتوى عندما تراه.. وهكذا سأبدأ، مع البرد أيضاً محاولات الرسم من جديد. هناك عملين توقفت عن رسمهما وهذا ليس من عادتي وربما تمكنت من إنهائهما حتى عيد الميلاد.



Twitter: @ketab_n

أحلم جداً في إخراج بعض الأشياء المشتركة في المستقبل ولكن (علينا) إنهاء سيرة مدينة والواقع كما ذكرت لك برسالتي السابقة وعلى الهاتف، ان الأمر يتعلق بـ"الديسكت" التي آمل ان تصلني قريباً. سيزورني في 21 القادم عيسى مع زوجته ليومين ونصف وأنا فرح جداً برؤية الصديق الحكيم البدوي.

سأتوقف الآن عن الكتابة لوضع حروفي في صندوق الشوق الكبير لكم وكم أتمنى لو كنتم معي. مع حبي لكم جميعاً ولا تنسى القلم، لا قلم أرض السواد وإنما قلم رسالة لي.

**مروان**

(كتب القسم الأول من هذه الرسالة بمداد -الصماق- وهو من حبر الأسرار للمخطوطات القديمة والقسم الآخر من مداد الجوز.. هل أرسل لك محبرة منهما.. طبعاً من صنع الله و اليد)



Twitter: @ketab_n

يا صباح الخير يا جماعة وإن شاء الله صباح عربي بالصلاة على النبي واليوم هو ثاني يوم العيد أعاده الله علينا إلى جانب التقوى، بالحب والإبداع مع انشراح الصدر والقضاء على مصدر الشر بلاد الأمريكان وعصبهم ومسيّرهم، الصهاينة وأتباعهم أينما كانوا شرقاً أو غرباً. وبعد هذا أتقدم لهم بمسعى طاهر كالعقيق... أصله حبٌ وخارجه حبٌ وداخله (اللؤلؤ والمرجان). والأمر هكذا، بعد التفكير الأول والثاني من يوم السبت والأحد ان يكون كتاب السيرة العمانية أقرب منه إلى الطول ليكون فيه استمتاعاً غريباً واتجاهاً نحو الأعلى نحو الخالق الباري بكلمات جاءت من المبدع العاشق صاحب الوجد والإلهام عبد الرحمن منيف صديق الأصدقاء وصديق الرسام مروان.

هذه الفكرة الأولى ولكن يمكن التحرك بها نحو القبلة أو باتجاه الشرق بعد معادلات نظرية وأحاسيس موسيقية تأتي من الذوق والإيمان.

ولهذا يقترح مروان ان تكون شرائط النص بعرض 12 سم لكي أنظمها مع الصور والرسومات بهذا الكتاب حيث تكون جوهرة للعين والفكر وأثراً محموداً في المكتبة العربية، وفخراً لأهل الكتاب ومثلاً للمستقبل يقتدي به الشباب وحمداً لله.



Twitter: @ketab_n

**دمشق 24/ 12/ 1997**

العزيز مروان

تحيات كثيرة

كل يوم أقول اليوم أكتب، وتمر الأيام، بانتظار ان يصفو المزاج حتى تكون الرسالة جديرة بأن ترسل، لكن باعتبار أني تأخرت أكثر من اللازم لابد ان أكتب إليك، خاصة في مثل هذا اليوم لأتمنى لك ميلاداً سعيداً وسنة أحسن من السنوات السابقة.

لقد كانت هذه السنة، التي نودعها الآن، ثقيلة أكثر مما ينبغي، فقد خطفت عدداً من الأصدقاء الأعزاء في دمشق والقاهرة وبغداد، ومنذ ان غادرنا سعد الله وأنا أتمنى ان تنتهي هذه السنة، ان تغرب تماماً، لعل السنة التي تليها، ثم التي تجيء بعدها، تكون أرحم وأقل مشقة، هذا ما أتمناه، وعسى ولعل!

حين تحدثنا معاً في المرة الأخيرة من عمان، كانت سهى على وشك السفر واللقاء بك، وكانت لديها بعض الأفكار والمشاريع تنوي ان تبحثها معك، آمل ان تكون النتائج إيجابية، ومعنى ذلك ان نلتقي في آذار أو نيسان في عمان ودمشق أيضاً.

رسالتك حول عبد القادر مفيدة بالنسبة للكتابة التي سأساهم فيها، ولكن بعد ان التقيت "نشأت حمارنة" وتداولنا في الأمر، ارتأيت ان يساهم في الكتاب الذي سيصدر عنه آخرون، وكنت أنت على رأس القائمة، ما رأيك في الأمر؟ إذا وجدت في نفسك الرغبة أرجو إشعاري بذلك، لتكون مقالتي مكملة ومنسجمة مع ما ستكتبه.



Twitter: @ketab_n

اذا سارت الأمور بشكل جيد يمكن ان يصدر الكتاب عنه في أواخر الربيع القادم.

كما أننا الآن بصدد إعداد كتاب عن سعد الله، ولا أعرف ان كنت قادراً على المشاركة، فكّر في الأمر، مع الإشارة ان الكتابات (أو أية مساهمات أخرى) بعيدة عن الرثاء، وتتناول بالدراسة والتقييم سيرته المسرحية والفكرية، وقد كتب عدد من المهتمين والمتابعين، ونأمل ان تكون النتائج إيجابية.

لا زلت أواصل العمل في "أرض السواد" ، وقد ألحّ عليّ "محمود درويش" لنشر فصل من الرواية في العدد القادم من "الكرمل" ، وقد بعثت إليه بهذا الفصل، والمليء باللهجة العراقية، والتي لا أعرف مدى معرفة الذين سيقرؤون بهذه اللهجة أو بجو الرواية، لننتظر ونر، أما بخصوص اختيار "محمود" لبعض أصدقائه من أجل عملك، فقد أبلغتني "سهى شومان" ان الأمر متروك لك، وسوف تبحث معك الموضوع، ولابد ان تكونا توصلتما الى النتيجة المطلوبة.

اتصل بي "ماهر كيالي" وأبلغني أنه لا يزال بانتظار الديسك الذي لديك لقصة "سيرة مدينة" أكون شاكراً لو تذكرته وأرسلته إليه، لأنه الوحيد، كما أبلغني، وبالتالي ليرسل إليك بديلاً يلائم الجهاز، ومن أجل ان تتواصل "لعبة" السيرة، ولا أخفيك أني لا زلت أتهيبها، ولا أعرف أية شكل ستأخذ!

انتهى حبر القلم، وبعد ان ملأته من جديد أواصل الكتابة!

لا أحب كتابة الرسائل في النهار، لا أعرف لماذا، ربما لشعور الإنسان أنه يقوم بعمل له حميمية وخاص، وبالتالي يجب ان يوفر له المناخ الملائم!


Twitter: @ketab_n

إذا وجدت المقالة التي كتبها "صلاح فضل" في "الاتحاد الاشتراكي" حول الباهي أكون شاكراً ان أرسلت لي نسخة منها، لأن النسخة التي كانت لدي ضاعت في "ركام " المكتبة، ولا يمكن العثور عليها حتى لو تولى الأمر منجم مغربي!

مضت فترة لم أر خلالها "نذير"، نظراً لتعدد سفراتي بين عمان وبيروت، ولأني انشغلت بعدة أمور طارئة. سأحاول المرور عليه في الأيام القادمة، وسأبحث معه أيضاً إمكانية المشاركة في كتاب عبد القادر.

وأخيراً... مشتاق لسماع أخبارك وإنجازاتك، ولأني أكتب الرسالة الآن في وضح النهار، فهذا ما وجدته لدي، وأكتفي بذلك، وإلى رسالة قادمة مع المودة الكبيرة وتحيات الجميع، والى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

5- 1- 1998

تحيات الشوق الكبير يا عبد الرحمن. لقد وصلت رسالتك اليوم ظهراً وها أنا أجلس مساءاً لأكتب لك.. الوقت المحبب لي، كما ذكرت، في كتابة الرسائل. يجب علينا ان نعيش العمر لنتعرف على مسالك الطرق ومنعطفاتها. عندما كنت أعود إلى دمشق في السنوات الباكرة كنت أحاول ان أسبق الطائرة ولو بقلبي لأرى أولاً أضواء القرى وأكاد أتعرف على تلك النسمات الجافة والعطرة بأنفي التي تأتي من أطراف البادية وتلك الهضاب الأنثوية المعانقة لدمشق وأسمع ذلك الضجيج من البائعين والمؤذن والصحاب والراديو. ان هذا الشعور ما زال يلازمني ولكن شيئاً جديداً جاء إلى مشاعري وإلى كوني وهذا ما أقصده بالمسالك والمنعطفات إذ ان شوقاً جديداً حلواً بدأت أتعرف عليه ألا وهو عودة القوس إلى مُنطلقه الأول واستكمال الدائرة في حركتها، عودتي إلى الأرض التي خرجت منها كالبذرة في شقوق الأرض تأتي نبتة وتنضج مخضرّة باسقة ثم يأتي الخريف وتعبّر عن شوقها للأرض ببذرة جديدة تسقط إلى الأرض المنبع. ان شوقي لدمشق ولكم شوق لذيذ يؤلمني أحياناً كالمحبّ المحروم. أنظر إلى أسراب (السِياد) في طريقها إلى الجنوب وأحياناً أتعرف عليها من أصواتها في الليالي مع ضوء القمر في كبد السماء فأسرع النظر بانتباه كبير لأرى ظلها في مسيرتها للحظات ثم أشعر بسعادة طاغية وفرح طفولي. ومع (السياد) يأتي حزن لطيف وأتمنى لو كنت منها ومعها لأطير إلى الجنوب، إلى دمشق.


Twitter: @ketab_n

لقد كتبت لعزة عما عملت من نهاية الصيف حتى اليوم وهو عمل هام لم أكن أتوقع ان يأتي بهذا الشكل رغم الجهد الكبير وأحياناً، أقولها اليوم، كنت كالفارس المهلل. سأحاول جلب طبعة منها معي إلى دمشق في الربيع وستكون طبعة تجريبية. لقد اتصلت بنذير قبل أيام وسألته عنك فقال إنك غالباً في بيروت وأنه لم يرك منذ زمن. ولا أعرف لماذا عمّ قلبي الحزن وسوف تضحك إذا ذكرت له السبب: شعرت بنفسي وحيداً بدونك في دمشق!.

كان فرحي بزيارة سهى كبيراً ولكن وللأسف اتصلت من فيينا وأجّلت الزيارة إلى أجل مسمى وهكذا سيكون اللقاء في عمان. ان موعد معرضي في رام الله سيكون بتاريخ 13 نيسان وسوف يُخرج دليلٌ لائقٌ تحت إشرافي مع المطبوعات كاملة وعددها حتى الآن في حدود 65 عملاً. ان فلسطين إذاً بعد المكتبة الوطنية بباريز تقتني أكبر مجموعة من أعمالي وهي مبدئياً ملك جامعة بيرزيت ومركز خليل السكاكيني حتى ترجع ملكاً لمتحف فلسطين في يوم ما. وكم أتمنى ان ترسل لي (فصل) "أرض السواد" يا عبد الرحمن إذا تمكنت من ذلك وأنت تعرف ولعي الكبير.... أما في ما يخص عبد القادر، وإذا رأيت فيما كتبت لك بهذا الصدد إمكانية ضرورية، فإني أرحب بذلك، وأيضاً بعد إشعار جديد منك. أما عن "سعد الله ونوس" فأنت ولابد تعرف من إشاراتي لك إعجابي الكبير بأعماله ومكانته في ذهني وفي قلبي وإذا قُدرت لي المشاركة فسوف يكون ذلك فرحة لي رغم أني لا أعرف قدر إمكانيتي رغم أني أحب ذلك وربما أوضحت لي الشكل والكم وسوف أحاول، فإذا خرجت "شعيرة" فننساها وإذا جاءت "قمحة" فنضعها في صفاف القمح. أفكر منذ قراءتي عن الذاكرة والموت بأخذ بعض المقاطع من سعد الله إضبارة



Twitter: @ketab_n

بالليتوغرافي أو الحفر عن هذا الإنسان النادر، ضمير العرب وضمير الزمن، زمنك وزمني وهو في مصاف الخلاصة والخَلق والإبداع. تأتي كلمة الإبداع رخيصة في هذا الصدد لأن الإبداع يرتبط بالفكر البرجوازي بالجمالية دون الإنسان وبرفاهية الكلمة والصورة وتبرجها دون المصير ودون الظلم ومع البلاهة والرماديات الملونة في صفحات الذهب اليومية. بدأت أشط ولذلك سأرجع إلى ماهر وسأرجع له "الديسكيت "رغم ان لديه الكثير منها وأشعر أنه يعرقل الموضوع لسبب ما.. وأنا بالانتظار وأرى الكتاب أمامي يا عبد الرحمن وسوف يكون حدثاً في المكتبة العربية. قل وخى!.

هناك سلسلة محاضرات في الكلية هذا الفصل عن الشرق وأوروبا ومنها عن التصوير العربي أو بالأحرى صور الكتاب التي جاءت من حظي وأنا كما تعرف يا عبد الرحمن لست من أهل المحاضرات وإن كان قسم مني من أهل الحفر. سوف لا أكتب وإنما سأتحدث مع البداية بالاعتذار عن بعدي عن العلمية والجبر والحقيقة والمعادلات وسوف أتحدث كالراوي عن الرمل واللات والعزى وألوان العيون والمها وخضرة أشجار العناب والجوز و (وادي العيون) وأن العرب ليسوا بحاجة إلى الوصف على طريقة البعد الثالث ورؤية المسيحيين في أوروبا لله والسماء بالسينما سكوب، لأن الله على الأرض معنا وبيننا في كأس ماء أو شراب مع الريحان وخرير الماء ولمسة يد وعين محب وشهقة عاشق وكلمة صديق وحرف أليف والمقصود ليس الأليف وإنما هذا الحرف الرائع (الأَلِفْ) بداية الله بالقلم والمداد على الورق وعلى السهوب في عيون المها كما جاء. وبعد ذلك إذا أعطاني الله المد والعون سأرجع إلى الكمال، إلى الأهرام واليمن السعيد من بني كليب وقيس وأبو



Twitter: @ketab_n

زيد الهلالي والأنباط والنابغة الذبياني وإن ينصركم الله لا غالب لكم وبعدها أعود أو بالأحرى أصل إلى درر الواسطي لأبرهن حداثة الفن والبقعة حتى ان هذا أخذ مساره ووصل إلى "أبو صبحي التيناوي" ولو كان حياً لقلت سلمت يداه ولكن رحمه الله له وليست عليه لأن عليه جاءت من الأعلى وإذا كان الله يَوُد خلقه فهو معهم وليس فوقهم ورحم الله الحلاج وأبو نواس وأنا معكم

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 23/1/ 1998**

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة حارة وأشواق أكثر

تلقيت رسالتك مع هديتك الجميلة، وشعرت منذ اللحظة التي أطل فيها الوجه وكأننا نعرف بعضنا منذ وقت طويل، وأتوقع أيضاً ان تكون المجموعة كلها بنفس الإيقاع، لتصبح كلها مثل السنفونية، وهذا ما أشتاق للكتابة عنه في وقت لاحق: "الرسم والموسيقى"، أو بشكل أدق موسيقى اللوحة أو اللوحات، وفي الحالة الثانية أوضح وأكثر انطباق على الفكرة التي تجول في رأسي. قد يكون الأمر سابقاً لأوانه، وإلى حين رؤية أعمال الحفر التي أنجزتها، ويبدو أنك بالغ الرضى عنها، وهذا ضروري جداً.

غداً باكراً سوف أغادر إلى بيروت، أريد ان أهرب من العيد، أصبح العيد ثقيلاً على صدري، ولا أعرف لماذا يذكرني بالموت. إنه شعور السنوات الأخيرة، ولم يكن الأمر هكذا من قبل. لقد فقدت الأشياء معانيها ودلالاتها، ولم يبق إلا الشكل الخارجي الباهت. في بيروت أرى من أشتاق إليهم، وأتيه على شاطئ البحر، خاصة إذا كان الطقس ملائماً، كما سألتقي "بماهر كيالي"، ومن أجل البت ببعض الأمور.

يبدو ان دعوة مترجمي "سيرة مدينة" ستتم في الثلث الأخير من شهر آذار، أي بعد شهرين، هل تتصور ما لدينا من وقت يكفي لإخراج طبعتنا الخاصة؟ لو ان أمراً مثل هذا حصل تكون مناسبة جيدة، إذ أتوقع ان يجري أكثر من احتفال وأكثر من لقاء، وما دمت



Twitter: @ketab_n

مقتنعاً ان العمل الذي بين يديك يمكن ان ينتهي إلى صيغة جميلة، فمن المفيد ان يعرض وأن يراه الناس، ويمكن أيضاً ان أتحمل الشتائم التي ستطالني لأني تعديت على مجال ليس مجالي، لكن أنت السبب!

قطعت شوطاً إضافياً في "أرض السواد"، لكن لا يزال بيني وبين النهاية شوط كبير، ولو تملكت الوقت الذي أريد لسار العمل بوتيرة أفضل، لكن مقال من هنا، ومقدمة من هناك، وانشغالات صغيرة أخرى كثيرة تحول دون الإقلاع بالسرعة التي أريد. سأحاول، المهم ان ينجز العمل بشكل جيد، ولا يهم التوقيت، ومع ذلك سأبذل جهدي.

هيأت بشكل مبدئي مواداً لكتابين يمكن ان أدفعها للطباعة خلال شباط، وهما عبارة عن دراسات أدبية ونصف سياسية. الأول سيكون بعنوان: زمن الأسئلة، والثاني يمكن ان يأخذ عنوان بين السياسة والثقافة. إذا تمكنت من مراجعة هذين العملين أثناء إقامتي في بيروت سأدفعها للطباعة، وإلا سأرجيء الأمر، وإن كنت أفضل الحل الأول سنرى!

لدي سفرة إلى القاهرة لحضور ندوة عن "الرواية العربية" موعدها 22 شباط، أقدم خطوة وأتأخر خطوة، وسأحسم الأمر قريباً. أصبح لدي يا مروان، تردد في السفر إلى درجة مرضية، وغير مرغوبة، اعتذرت عن دعوة لإسبانيا، كان يفترض ان تبدأ يوم 28/ 1 حتى إلى بيروت أشعر بالتعب، وأحتاج إلى أكثر من يوم لكي أتكيف مع المكان الجديد، وأنت تعرف ان بيروت على مرمى عصا، كما يقال. فما بالك لو دعيت إلى اليابان أو أمريكا؟ بالتأكيد سأتردد كثيراً قبل الموافقة.

لدي دعوة لإيطاليا مفروض ان تتم في منتصف الشهر الخامس، ومنذ الآن أحسب للأمر حسابه، لكن أعطيت كلمة ولا بد ان أفي بها.



Twitter: @ketab_n

إذا وصلت إلى ايطاليا يمكن ان أعرّج عليك في برلين لبضعة أيام. سوف نناقش الأمر أثناء زيارتك المرتقبة للشام، وسوف نقرر.

انتهيت أخيراً من دراسة قصيرة عن "جبرا علوان" ، يفترض ان تطبع مع كاتالوج معرضيه الأخيرين. الدراسة قصيرة نسبياً، لكن تحدثت بشكل اساسي عن ألوانه، حالما تصدر، وسوف تطبع في ايطاليا، سوف أرسل إليك نسخة.

سأحمل معي إلى بيروت مجموعة القصص التي ترجمها زهير خوري لتطبع هناك، وسوف تأخذ عنوان" إيماءات" ، وقد وضعت لها مقدمة تكمل المقدمة السابقة لحكايات من البوسنة، وسوف احتفظ لك بنسخة حالما تصدر.

لقد ثرثرت كثيراً، ولم أسألك عن أخبارك ومشاريعك، وماذا حصل بترجمة "لاريسا" للكتاب؟ وما هي فرص نشره بالألمانية أو بلغة أخرى؟.

كتب إليّ أحد الأصدقاء من باريس، يبلغني ان دار نشر تونسية ترغب بإعادة نشر إحدى رواياتي، وقد ذكر هذا الصديق ان تلك الدار تصدر أعمال فنية، وقد نشرت أخيراً عملاً أعجبه. أفكر طلب بعض هذه المطبوعات لمعرفة آفاق المستقبل لأعمال فنية قد نفكر بها بشكل مشترك.

سوف آخذ معي رسالة عزة، وإذا رغبت بالكتابة سوف أرسل الرسالة من دمشق لأن بريد بيروت لا زال متعثراً.

هذا ما لدي الآن، وقد انتصف الليل وزاد، أريد ان أنام بضع ساعات، لأكون غداً في بيروت، وبالمناسبة غداً ليلة القدر، وأنت تعرف ما ليلة القدر إنها خير من ألف شهر، فاحلم وتمنّى يا مروان، يا أبا يزن ، لعل الزمن يضيء طريقنا ويجعلنا أكثر غبطة.

تحيات الجميع، والى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1998/2/15

العزيز مروان

تحيات كثيرة، ولا أعرف كم ستكون حرارتها ما دامت مستمدة من شباط، الشبَاط اللباط، مع رغبتي ان تكون دافئة، خاصة وأني بقيت في بيروت أكثر من أسبوعين اكتسبت خلال تلك الفترة الاستعداد للمطر، وتقلب الطقس، لكن فيه نسمة دافئة، أما دمشق الشام، وفي هذه الأيام بالذات، فإنها ثلاجة مصنوعة بإحكام وبشكل جيد، رغم الرياح العاصفة التي تنذر "برعد الصحراء" ، كما تحاول ان تهددنا الولايات المتحدة... الآن!

لا أتصور ان هناك مهزلة تفوق ما نواجه في هذه اللحظات: عالم عربي بهذا الاتساع، بهذا العدد الوفير من البشر، ينتظر، مثل القطعان، الوقت الذي يساق إلى المسلخ. قرأت فقرة اليوم في جريدة أنه أثناء غزو هولاكو للمنطقة، وأثناء ما كانت ذئابه تجوس الأزقة بحثاً عن المطلوبين، كانت هذه الذئاب تصطدم ببشر تائهين، فتطلب منهم ان يبقوا إلى جانب الحائط ريثما ينتهون من مهماتهم، وكان هؤلاء البشر ينتظرون الدوريات - الذئاب إلى ان تنتهي من مهماتها الأكثر إلحاحاً وحين تعود، تبدأ تلك المجزرة الباردة: القتل!

عرب اليوم، مثل أولئك المنتظرين. يفترض القطر الواحد ان الضربة إذا وُجهت إلى غيره فقد نجا، ولا يتصور ان القتلة سيعودون بعد ان ينتهوا من مهماتهم الرئيسية، لكي يباشروا قتلاً بارداً ورتيباً... وأعمى أيضاً، لكي يخلصوا من هذه الحثالات التي تطلق على نفسها عرباً.



Twitter: @ketab_n

الوجع في داخل القلب، وجع مستبد ثقيل، وأتمنى لنفسي ولكل الأصدقاء والذين أعرفهم، ان يجتازوا هذه المرحلة دون ان ينفجروا. هل أصبحنا رخيصين إلى هذه الدرجة؟ هل نحتمل أكثر من هذه البهدلة؟ كيف لا تقوى على مغادرة الجدار قبل ان يصل القتلة؟ كيف لا نجرؤ على ان نقول لا؟

أتلقى تلفونات عديدة كل يوم من أصدقاء، وكل تلفون ينزف دماً، افعلوا أشياء أو على الأقل شيئاً واحداً. يمكن ان نتحول إلى دروع بشرية، إلى أشواك صغيرة تدمي الأكف والعيون، أما ان نبقى واقفين إلى جانب الجدار، وبصمت فهذا لا يمكن قبوله.

الكاتب، الفنان، المغني، الرسام، ضارب الطبل، أي إنسان يتصور أو يفترض أنه أكثر وعياً من الآخرين يجب ان يفعل شيئاً. ان يصرخ، ان يحفر، ان يدين هذه العربدة الأميركية التي تجاوزت كل حد. الرئيس الاميركي، بفيضه الجنسي العارم يريد أن...... البشرية، ولابد من البدء بالجواري، العرب، وأن يثبت فحولته، والعرب، برخاوة وبشبق ينتظرون من يعتليهم، وكأن هذه المتعة - الأمنية التي ينتظرونها، ولابد ان يفاخروا الأجيال القادمة ان كلنتون.....!

قد أكون غاضباً أو عصبياً وأنا أتحدث إليك الآن، لكن الأمور وصلت إلى هذه الدرجة من الرذالة بحيث ان أي سكوت يعتبر مساهمة في هذه الدعارة، وترويج لها، والاستمتاع بها أيضاً.

بعد غد سوف أسافر إلى القاهرة من أجل حضور ندوة حول الرواية العربية، وأريد أمام هذا الجمع الفخم من الروائيين الأجلاء ان أقول لهم: إذا لم نفعل شيئاً، إذا لم نرفع صوتنا، إذا لم ندن أمريكا فنحن أيضاً مساهمون معها فيما تريد ان تفعله. آمل، وأتوقع، ان تكون هناك استجابة من هذه الكوكبة التي تسمي نفسها طليعة، وأن تفعل، أو على الأقل تقل شيئاً.



Twitter: @ketab_n

تدرك من خلال هذه الطريقة في الكتابة المناخ النفسي الذي يخيّم الآن، وكيف يشعر الإنسان إذا وصلت المذلة إلى هذا الحد، أي ما يمكن تسميته الدفاع عن الكرامة والشرف، والحد الأدنى من حماية النفس؟ كيف يمكن ان نتطلع في عيون الآخرين أو نرفع أصواتنا أمامهم، ونحن نمتلك هذا المقدار الهائل من الجبن والخرس؟ وكيف يمكن ان نقنع أولادنا أننا حاولنا وفشلنا؟

لا أريد ان أحرّض، فأعتقد ان كل إنسان عربي، أينما وجد محرض إلى درجة الانفجار ما أريده ان نحاول صياغة أحقادنا وأفكارنا واحتمالاتنا بطريقة جديدة، لكي نموت، وفي وقت غير بعيد بطريقة لا نندم عليها!

أم الكويت واللي اخترع الكويت، أم صدام الذي أوصلنا الى هذه الدرجة من المذلة، ولكن لماذا نكون رهائن لأحد الطرفين، أو للإثنين معاً؟ وكيف نضطر ان نحن رؤوسنا إلى أحد الطرفين؟ ولماذا وصلنا إلى هذه الدرجة من الهوان؟

لا أعرف الآن كيف أتحدث معك، أو ماذا أقول لك. أصبحت الأشياء متساوية إلى درجة العدم، وأصبحت الملوحة والغبار والروائح السامة تملأ الجو، وسوف يموت الواحد منا مثل أي فأر تحت الدرج أو إلى جانب الطريق. مأساة، ويبدو ان ليس لها من منظور.

الكآبات لا تنتهي، الأفق مظلم، ولا أقول مسدود، لكن يجب ان نحاول، ليس لدي شيء محدد، لكن كما ترى. قد تكون رحلة القاهرة مناسبة لأن يقول الإنسان الأشياء بشكل أكثر وضوحاً وأكثر علانية، وسوف نرى.

كان بودي ان أكتب بشكل آخر، لكن كما ترى: المزاج



Twitter: @ketab_n

معتكر، والأعصاب مشدودة ولقد أحببت ان أتحدث معك قبل السفر، وبانتظار ان أسمع منك، وأن نلتقي قريباً وأعتقد ان لدى أي منّا أشياء كثيرة يمكن ان يقولها.

أحبك وأقبلك، وأتوقع ان أسمع منك قريباً، مع تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**برلين 7-3-1998**

لقد جاء المساء يا عبد الرحمن وجاءت معه بعض الخمرة. اليوم هو الأحد وما يزال أيضاً. ولكن قبل الخمرة والأيضاً أيها الصديق الرفيق أريد ان أعلن فرحي الكبير أولاً وثم تمنياتي الحياتية ثانياً بالتقدير الذي جاء والحق أنك التقدير للتقدير وإن المباركة دون فرح حاصل، كفرح سماع الشحرور بأغاريده للصباح والمساء أو رؤية عشبة تنبت من شق الأرض بلون ليلكي أو أرجواني، لا تكون مباركة وجدانية من أعماق القلب. لنقل إذاً إنها جائزة مبدع للأصدقاء وحق جاء ليعطي المتعة لوقت ثم ليعطي صاحبه مسؤولية السير على الدرب رغم التعب ورغم حمل أفراح وهموم السنين على ظهورنا التي بدا عليها انحناء خفيف من ثقل الزمان رغم فتوة الروح. أدعو لك، مبارك عطاؤك من قلب واثق لما قدمت لنا ولأمتنا كمبدع أول من هذا القرن وتاج له في أيامه الأخيرة. بارك الله فيك وأعطاك الصحة واطمئنان البال للاستمرار رغم عذابات اليوم والعالم.

انشغلت أكثر مما كنت أريد وأتوقع في أمور تنفيذية لا بد منها وقعت على كاهلي وإني أقف الساعات الطوال حتى الإرهاق، إلى جانب الاتصالات بسبب الترجمة والإخراج وكل هذه الأمور التي إذا جاوزت مداها بالنسبة للفنان تكون في مدار.. كذا ... ولكن كل ذلك هام وضروري : إضبارة الرؤوس التي تعد عملاً هاماً من أعمالي وتشبه ملحمة بتضاريسها الخلقية والتقنية ثم أحقية كل عمل منها دون رتابة. جاءت فورة كالحساب الزمني وأنا أعطيها حقها الأفضل في التنفيذ الآن ... كالعاشق الذي لا يبخل.

وأما عن مجموعتي (إلى أطفال فلسطين) فهي التفاتة وجدانية تعكس ارتباطي بالحق الفلسطيني العربي بالأرض والحياة ولتقف



Twitter: @ketab_n

تضامناً مع من أحبهم من المضطهدين الأوائل في العالم والذين نحمل عارهم حيث أصبح هذا عارنا اليومي وعارنا الخاص أيضاً.

لقد بذلت الجهد الكبير بأن يكون ذلك وثيقة في كتاب لائق أتوقع ان ينال إعجابك يا عبد الرحمن.

أخاف جداً ان يغدر الزمان بنا دون ان نتمكن من تنفيذ بعض أحلامنا. فكرت قبل ليالٍ بـ"نعيم إسماعيل" ورأيت بعض أعماله تصوراً وهي هامة. يجب ان نعمل شيئاً بالتأكيد وأن نبدأ بكل الوسائط الخاصة وإن هذا حق وواجب قومي وشخصي .

كم أنا فرح بلقائكم في عمان. الليل يسير وأنا أسير إليكم مع حبي وشوقي.

**مروان**

Twitter: @ketab_n

1998/4/3

عزيزي عبد الرحمن.

بدأت تباشير الربيع في برلين وأحلى ما فيها (كل شيء مفعم بالفرح والحياة) تغاريد الطيور بشكل يقارب الجنون العاطفي باستقبال العام الجديد وأول المغردين هو الشحرور.

أنام هذه الأيام في غرفة شرقية يزورني فيها ضوء الشمس فور استيقاظه بنور كالذهب وأن أول مبشّر بهذا النور واليوم الجديد هو الشحرور بغناء يصعب وصفه ثم تلحقه الطيور الأخرى ويستمر الغناء ساعتين...ثم يبدأ الصباح الباكر.

لقد انشغلت الأيام الفائتة بترتيبات أخذت الوقت والجهد، معرض فلسطين والدليل الذي بذلت جهداً كبيراً من أجله وقد خرج جميلاً ولائقاً وأنا فرح جداً بهذا وقد لعب الجهد والتدخل الشخصي دوراً كبيراً في الشكل والمحتوى أرجو ان يعجبكم، ومن الناحية الأخرى كنت مشغولاً بتنفيذ متتاليات 99 رأساً وكنت أراقب التنفيذ يومياً لأن المشروع كبير ونادر وأعتقد أنه حياتيّ بشكل ما ولأنه ليس صنعة رتيبة حرفية بل يأتي بها حساب (خلقي) لكل رأس... إني سعيد بأن العرض الأول سيكون في عمان ولأنكم سترونه. لقد واجهت هديتي (لأطفال فلسطين) وقعاً جيداً لدى الأصدقاء في الوطن المحتل وقد تأثرت بهذا كثيراً كما ان الأصدقاء يعملون جهدهم لإظهار هذه الحادثة في هذه الظروف بشكل لائق



Twitter: @ketab_n

كان أدونيس في 28 و29 في برلين حيث قرأ في بيت الثقافات ثم ترك برلين مريضاً بالزكام وأنا أيضاً حيث أني ألازم الفراش منذ يوم الإثنين وهذا يعذبني بسبب تنفيذ بعض الأشياء الضرورية.. ولكن تجري الرياح .. الكيالي لم يرسل شيئاً حتى الآن وللأسف.

اتصل "نوربرت" بي اليوم وهو سيسافر إلى دمشق مع ماجدة وسوف أرسل معه بعض الكتب لك أرجو ان تكون في دمشق والأهم من ذلك فرحي بكم في عمان. سأطير يوم 11 نيسان وأعود في 22 منه وربما تمكنت من زيارة دمشق بين 18 حتى 21 منه - وأمتع نظري بسهول حوران-

أعتقد ان الأساسي في الفن والأدب والموسيقى هو مشكلة الإبداع والمسؤولية الذاتية أمام العمل وإذا بعد الإبداع فإن الأمر لا يتعدى كونه الحرفة والصناعة للمحترف وكلما بعد الإبداع كلما فاقت مهارة الصانع (وتصنّعت) لتغطية النقص الأساسي في العمل : حسن الحضارة مجلوب بتطرية....

يعتقد البعض أنك تطيل في التفاصيل (لا إطالة في التفاصيل حيثياً) . إنها ليست تفاصيل وإنما هي الرواية وفن الرواية وإنها ليست أخباراً تلفزيونية أو إذاعية على طريقة الهامبورغر والماكدونالد وقبلها وما بعدها إعلاماً تجارياً يحكم العالم وقبل العالم، نسيت ان أقول وما بينهما. وهكذا نرجع إلى الموضوع الذي كنت أتحدث عنه، موضوع الإبداع . أو الإشراق. ان تلك الحوادث من دقائق وساعات وأيام الإنسان، والأيام هي النهار والليل والأسابيع والشهور والسنوات مع الربيع والخريف والموت وثم، لماذا، لماذا ، ولكن بين الشهور تأتي دقائق القناعة و(الغفران) النفسي بأنه كان شيئاً يستحق الوقوف معه والالتفاتة إليه والإشارة له. وإن هذا الوقوف هو



Twitter: @ketab_n

موقف لنا في محيط الزمان . أنت لا تطيل بحرف بل هو واجب الشهادة وشرف القول ونعمة ما تعودت ان أقول عنها أنها الرضاء الإلهي أو الأبوي.. وكما ترى أرجع إلى الحي والخبّاز والرغيف والفرح الحقيقي بالتراب والقمح ونار تصنع الرغيف وفم شاكر لدفء المعدة والتفاتة الشمس وغيث السماء.. وكلمة صديق. نعيش سنوات، وعلى الفلاح ان يدخل فيها قمحه إلى (حاصله) قبل أمطار الخريف الغادرة التي تتلف محصول الحياة وتتلف أحلام الربيع والصيف في لعام جديد بعد ان كنا في محيط دون نهاية، وحيث تبدو شواطئ المحيط من الطرف الآخر لنا لأول مرة.. ولكن عما أحدثك أيها الصديق.

أنت لا تطيل، هذا ما أردت قوله قبل الفلاح والمحيط وإن كل جملة منك فرحة للذهن والحس والتعطّش ولا أتصور أني أخطئ إذا قلت أنها مواساة وآثار لجيل وتاريخ معين ارتبط بما قبله وما بعده. (وربما كانت كلمة مواساة غريبة الاستعمال وليست في موضعها ولكني أحب قصدها وضرورته وهي من المعاني الهامة لي في الحياة وطبعاً في الفن أيضاً رغم شيطان الخلق ووادي عبقر ..)

واليوم لا أريد ان أطيل عليك وغداً في عمان.

جاء الصباح ويا صباح الخير في اليوم الجديد. إنه يوم رطب دافئ نسبياً. نظرت من النافذة وكان بين عيني والسماء زرعة

ندية خضراء من الحبق وقد بدت لي للحظة (كالآس) فتذكرت الأعياد وأفواج الرجال في أزقة دمشق تذهب إلى المقابر حاملة الآس

إلى أمواتها، -هل نعود إلى المواساة!- وهل جاء الآس من المواسي!، في ضحى الأعياد تواسي من ذهب بذكرى الحياة

الخضراء وتواسي الفقير بشيء من الخبز وبعض النقود للأعمى



Twitter: @ketab_n

والمقعد والمسلول والمحروم ولمن سارت الحياة على شماله بدل يمينه والمجذوب والسائل ... هل هذا ما يظهر إنسانية الشرق، (رومانتيكية) إسلامية بدل نظام اجتماعي اشتراكي عادل؟!

بدأت بالصباح وسأنتهي يا عبد الرحمن بالعدالة! ما هو الأكبر، قطعة الخبز أم الفرح أو الحب العارم؟!

يقول البعض حب الله.

واليوم أيضاً ، لا أريد ان أطيل عليك وغداً في عمان مع حبي.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1998-5-1

العزيز عبد الرحمن - أجلس مع شمس أيار بعد الفطور وأحاول ان تحمل يدي لك بعض الحروف بعد عجز كبير إثرعودتي من عمان. أشعر وكأني ساقية سارت طويلاً حتى جاءت إلى بركة وأعطت مياهها هناك ثم أنها لم تتمكن من الخروج إلى نبع جديدة لتتابع الساقية مسيرها وكأنها فقدت المياه والقدرة على أطراف التراب .

كنت أتمنى كثيراً ان ينجح معرض فلسطين في قصده الوطني والأخلاقي في عام النكبة. وبِراً بأهلي (أنتم) وصلت الغاية وجاء القصد أكثر وأحلى مما كنت أتوقع وشعرت لأول مرة بأني قدمت شيئاً للوطن، وللمضطهدين والمحاصرين ثم ذلك اللقاء والفرح والامتنان لمن وجهت لهم هديتي. ان الجهود الخاصة للعارفين أمر عظيم في النجاح والتوعية وقد يكون هذا الجهد العظيم في التوجيه والاستقبال، جهداً واحداً فردياً ينقل حماسه ومعرفته بعلم وعاطفة للآخرين فتتعمم التجربة ويصبح الحماس والفرح حماساً وفرحاً جماعياً حيث تبتعد البلادة ويبتعد الشعور بالإحباط وتنفتح نافذة للأمل ويستيقظ حس التحدي والإرادة. لقد لعبت "تانيا ناصر" دوراً كبيراً وأساسياً في هذا الموضوع كما أني شعرت بشكل واضح تجاه امتنان الآخرين بأن خبرة خمسين عاماً من الرسم واغتراب أربعين، أعطت للمتلقي احترام الجهد لتجربتي كإنسان وفنان وأن وطني (وفي هذه الحالة فلسطين) يُكنّ لي الحب والاحترام إلى جانب الدعاء والشكر.

لقد اعتذرت عن المشاركة في مؤتمر غرناطة ومن الأسباب



Twitter: @ketab_n

الطارئة هو خوفي على ضياع الوقت وبعدي عن الرسم ثم وهن كبير أخافني في الأيام الماضية. ان ما يثلج صدري رغم توقفي عن الرسم بسبب "المتتاليات" هو ان "المتتاليات" تشكل عملاً تاريخياً أساسياً وهاماً ربما يُعمل مرة واحدة في الحياة. كم أتمنى لو زرتم عمان لرؤيته.

حاولت الكتابة عن "سعد الله ونوس" وما تركه من أثر هام في اطلاعيّ الحياتي، حال عودتي إلى برلين ولكن الوهن المذكور تركني في (سُبات) جسدي أتعب روحي ومنعني من إكمال ما سطّرت. ربما عملت شيئاً بشكل فردي بين الكتابة والرسم وأخرجته هذا العام بعد التحاور معك وإعطاء الرأي. كنت أريد ذلك منذ زمن ولكن الخبّاز يصنع رغيفاً بعد الآخر بالتتالي! أليس كذلك؟ . و ثم، ورغم السؤال والتوضيح والإلحاح والوعد، لم يقدم "ماهر الكيالي" لي نص السيرة في عمان رغم كلمة الشرف.

تنتابني بعض المشاعر الغريبة والجديدة، مشاعر ماكرة خبيثة غدّارة آمل ان أتخلص منها: كالفلاح يشق الأرض ويضع البذرة وينتظر البراعم الخضراء الأولى ويراهما في الليالي مع القمر الهلال ومع النجوم وندى الصباح وحرقة الظهر ويصلي لله ان لا تحرق وأن يأتي الخير ويأتي آب وأغانيه وتتصاعد السنابل، ذهب الفقير والغني مع موجات الرياح وتمتلئ البيادر بعد الحصاد ويتزوج العُزّاب من غلة الكدح والشقاء ويعود الفلاح لخوفه من غدر أيلول بأمطار مستعجلة تفسد ما جناه قبل إدخاله إلى (حاصله) ليعيش منه أيام الشتاء والظلام... وأنا كذلك أخاف من غدر أيام أيلول، أيام الخريف قبل ان أنهي كلمتي وتسطير خطوطي. ولكن ويا عبد الرحمن وكما تعرفني فإني آنيّ ارتجالي، فسوف يأتي أيلول جديد وراءه أيلول آخر وسوف يأتي الربيع ووراءه ربيع جديد. اليوم.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 1998/5/9**

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

وصلتني رسالتك بعد عودتك إلى برلين، وازداد فرحي لفرحك حول المعرض الأخير، هذه الطاقة من الفرح تجعل الإنسان يولد من جديد، وتدفعه للتفكير بمشاريع جديدة. صحيح ان السفر، في مثل أعمارنا، صار مرهقاً، ويترك علامات، لكنها مثل علامات الحب! إذ لا يلبث ان يذهب الأزرق والبنفسجي من آثار العض والأظفار، وتبقى الذكريات والاشتعال الداخلي لمغامرات جديدة.

هذا ما انتظره منك، ولن نتأخر ولن تخلف ميعاداً.

قبل فترة التقيت بأديب غنم، تحدثنا طويلاً وحول موضوعات كثيرة، لكن الموضوع الذي كان يشغلني: كيف أستطيع ان أوفي الشام (وأحب كلمة الشام أكثر من دمشق) حقها، بحيث أكتب عن الدهشة والتاريخ الأشياء الحميمة، خاصة التي كانت في فترة الخمسينات. أحتاج إلى مساعدته، لأن أديب من أوائل الأشخاص الذين التقيتهم، وأنه "علامة " في أمور الشام صغيرها وكبيرها، وأذكر أننا في عدة ليالٍ، وكأنّ ذلك في وقت بعيد، كنا نجوس في دمشق شرق الأموي، وطالما فوجئت ليس بالمعرفة وحدها، وإنما برائحة المكان والتاريخ أيضاً.

أردت ان "أورطه" ، إذا صح هذا التعبير، في ان نكتب معاً نصاً حول الشام، لا أعرف ماذا يمكن ان يكون، لكن هذا ما



Twitter: @ketab_n

أحسه، وما أعتبره ضرورياً، أديب، كعادته، مستعد لأن يعطي معلومات، ان يتكلم كثيراً، لكن ان يكتب... ما زال رافضاً أو على الأقل متردداً، وهنا مربط الفرس.

أعرف أنك ستتحمس كثيراً لمشروع مثل هذا، وسوف تكون أول الفرسان الثلاثة من أجل إنجازه، ولديك الكثير... الكثير لتقوله، وبأشكال متعددة، المهم الآن ان تبقى الفكرة في رؤوسنا، ان ننميها لكي تتبلور، وأتمنى ان تتحقق، وإذا تحققت سوف تكون شيئاً جديداً، جميلاً، وهاماً أيضاً، فكر معي يا أبا يزن ، وباعتبارك صاحب بركات وحظوة لدى السادة الأولياء، لعل المشروع يتبلور ويرى النور في يوم من الأيام، ونحرّض الآخرين على عمل أشياء جديدة وجميلة، وأن لا يبقوا ضمن أقفاص البيغاوات.

من شروط عمل كهذا ان تتوفر فيه معلومات، ان يقدم رؤية، وأن يكون شاهداً على مرحلة. ومن شروطه أيضاً ان يكون محرضاً. ومن شروطه، في الأخير، ان يكون متاحاً لعدد كبير من الناس، خاصة من حيث سهولة شرائه واقتنائه. أنت متطلب وصارم، وبعض الأحيان متطرف في صيغة كيف يجب ان يكون. لابد ان نفكر معاً من أجل إنجاز مثل هذا المشروع، وأن يرى النور، ربما قبل سنة الألفين، ليكون ختام (لا أدري كيف أسمّي الألف.. فالعشر سنوات عقد، والمائة سنة قرن أما الألف فلا أدري كيف يجب ان تسمى) الألف الثانية. فكر معي أيضاً، وعسى ولعل!

مروان العزيز

أحد أغلفة الباهي التي حضرتها استعملته غلافاً لكتاب جديد سوف يصدر لي خلال الشهور القادمة.

الكتاب، باختصار، مجموعة مقالات ودراسات حول



Twitter: @ketab_n

موضوعات متعددة، لكن القاسم المشترك لها جميعاً: هاجس الموت.

الكتاب يضم دراسات عن: "سعد الله، جبرا، الجواهري، نزار قباني، لوركا، أندريتش، طعمة فَرمان وآخرين"، وتتذكر الغلاف: الوجهان المتعاكسان: الحقيقة والمرآة، الحياة والموت، وعلى أرضية خضراء، وكان هدفي ان أقول، ضمناً، ان الموت المادي لا يغيب الإنسان، وربما يخلقه من جديد، من خلال الآثار التي يتركها، وبالتالي إعادة تأملها والتعامل معها من منظور مستمر، لكن يحمل بعض الاختلاف عن السابق.

سميت الكتاب، والذي سيصدر عن نفس الدار التي أصدرت "عروة الزمان الباهي" "لوعة الغياب". وهذه التسمية مقصود بها الغروب الذي سيليه فجر آخر، يوم آخر، وليس بمعنى الغياب الكامل والنهائي، وأنت تعرف ان البدو في أحاديثهم يذكرون الغروب بكنية أجمل: الغياب، وهذا ما هدفت إليه، ما أردته.

واستعملت في الكتاب أيضاً بعض التخطيطات، كبداية لأي موضوع، وقد أوحى إليَّ بهذه الفكرة التخطيطات التي رسمها "لوركا"، أو التي رسمت له، وربما تكون الفكرة جميلة وجيدة، وأيضاً ضرورية في الكتاب العربي، لأن الصفحات السوداء حين تتوالى، دون استراحة، ودون وقفة، تتعب، وقد تشوش، لأنها تتداخل مع ما يليها، ولأن صور الجمال الأخرى غير موجودة.

تجربة أتمنى ان تتبلور.

ولقد استعرت منك هذا الغلاف، ولوحة الباهي الداخلية، دون استئذان، لكن أظنك ستوافق، وفي حال وجود ملاحظات بلغني، فالوقت لا زال مبكراً، ويمكن تدارك أي شيء!


Twitter: @ketab_n

بعد غد سوف أسافر إلى روما، لإلقاء محاضرة وقضاء بضعة أيام. أجد ان همتي ثقيلة، ونفسي غير مفتوحة، لكن نتيجة وعد سابق، وأيضاً الإلحاح، وافقت. لو كان لدي وقت إضافي لجئت بزيارة برلين، لكن لنتركها لمرة قادمة (لاحظ كم جاءت وراء بعضها، وهذا الأمر يزعجني بعض الأحيان، لأن الموسيقى تختل في الكتابة، والضرورة تفرض!)

في هذه السنة لم يزر الربيع دمشق - الشام- إذ بعد البرودة الشديدة جاء الحر الأشد، في الأيام الماضية كانت الخماسين: خماسين حقيقية، وكأن الإنسان في عز الصيف. يبدو أنها سنة غير عادية. لنتفاءل قليلاً، مع ان الكمأة ملأت الأسواق، وأصبحت بسعر البطاطا تقريباً، وقرأت ان حبة كمأة وصلت الى 2200 ، نعم لا تستغرب 2 كيلو و200 غرام!

بعد عودتي من إيطاليا (وسوف أتصل بك من هناك) سوف أزور عمان، قبل ان يبدأ البيات الصيفي بالنسبة لي من أجل الانتهاء من "أرض السواد" . أصبحت أخجل من نفسي ومن سؤال الآخرين، لكن لابد ان أفعل شيئاً، ولو ان الظروف مواتية أكثر لتفرغت تماماً لمواصلة العمل على الرواية، ولكن متطلبات الحياة تقتضي الموازنة، وهذا ما أفعله الآن. وكل الله، وسوف تنتهي الأمور بشكل جيد.

لدي الكثير لنتحدث فيه أو حوله، لكن يبدو أنني اثقلت عليك، ولذلك سوف أتوقف إلى رسالة قادمة، مع كل الحب وانتظار أخبارك والجميع يسلمون ، خاصة سعاد والأولاد والأصدقاء .

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**1998–5–19**

مساءً

عبد الرحمن بعد الانتظار والأمل وشيء من الحزن وقليل من اللوعة، جاء كتابك اليوم وفيه بعض المشاريع الجديدة والجيدة وكما أرى فإن الزمان يسبقنا ونحن نحاول ان نتسابق معه قبل ساعات (الغياب) وأتذكر ان حروفي الأخيرة في كتابي السابق كانت رمزاً عابراً على أحاسيس الغياب التي تنتابني. لم أصارح وأبوح بها بالكثير خجلاً وشفقة.. لبيك لبيك يا عبد الرحمن وأنا كما تعهدني بحفظ الكلمة وشرف الوعد. لقد كانت فكرة حقة الكتابة عن نعيم اسماعيل وثم عن عبد القادر والآن (الدمشقيات)* وقد أعجبتني الفكرة وسرحت خواطري بحارات طفولتي وبعض مراكزها الهامة، أماكن بسيطة جداً وبعض أشخاصها الذين هم من تراب ولبن ذلك (البنيان)الأول، جاؤوا وعاشوا وأخذهم (الغياب) دون ان يعرف عنهم شيئاً عدا ذكرى طفل وهم يجلسون على كرسي خشبي للأطفال في زوايا الأزقة وعلى أطراف الدكاكين تبتلعهم الأيام وينتظرهم الغياب وهم بين ذكر الله وأكل المجدرة في الأعياد وما يتزكى به أهل البِر كوسيلة من وسائل دخول جنة الله والحصول على الكواعب والغلمان.. وكما ترى فأنا مستعد إذا لم تتجاوز هذه الأفكار فقرات جديدة وهامة.

الوعد عند الحر دين ولقد كنت قد قمت بما يشبه الوعد بزيارتي في برلين بعد زيارتك لإيطاليا وأحب ان أطرح لك أملي الكبير الذي يعادل الشهوة بأن تعبر من إيطاليا طريق الشمال إلى



Twitter: @ketab_n

برلين: هناك معرض هام لي في برلين من 26 أيار وحتى 26 حزيران وحبذا ويا ليت كانت همتك كبيرة وحماسك أكبر ومجيئك إلى برلين هدية لي. قل نعم . وبالمناسبة لا تستعمل طريق اللياقة الماكرة في إنهاء رسائلك بقولك: أخاف ان أكون قد أطلت عليك.. لا تكاد رسالتك تبتدئ حتى تنتهي! وأقف حزيناً حائراً.



Twitter: @ketab_n

16- 6 -1998

العزيز الغالي عبد الرحمن،

لقد تنقلت الرسالة من المرسم إلى الدار ثم عادت إلى طاولة المرسم حيث أسطر لك بعض الحروف قبل ذهابي إلى البريد وشراء الطوابع الملونة الجميلة حتى يفرح قلبك عندما تفتح صندوق البريد.! وكما ترى فإنه يوجد أشياء صغيرة تفرح بالحياة مثل رؤية طابع ملون آت من بلاد بعيدة.. ولكن أين هو البعيد وأين القريب! ضاعت المسافات والتبست الطرقات وكم أتمنى لو ان قدماي تطأ طريق التراب في بوادي سوريا وتلتمس حرارة الأرض وبراءتها ومسارات الحيوانات التي انقرضت إلا في الذاكرة ومن الأحاديث الأولى. حبال خفية تشد (دماغي) إلى كل الأقطاب والاتجاهات الغائمة والضائعة فتضيع الرؤية وتكاد الرؤيا ان تضيع أيضاً وأحاول الابتسام لأبتلع يومي ولآمل في غدي. ولكن أين (زوادة) الغد! ويعيش السلطان في مستنقع الوحدة.

أنت تسمع عن "جورجي كونراد"(Gy?rgy Konrad) الكاتب الهنغاري ورئيس المجمع الفني البرليني. لقد تحدثنا بعض المرات بود. اجتمعت البارحة معه على موعد سابق للاستشارة بإقامة بعض الندوات الأدبية لكتاب وشعراء عرب وكان قد حضّر قبل مجيئي مع سكرتيره الشق الأدبي مشروع أمسية مع "أدونيس" وكتابه الجديد المترجم للألمانية (مهيار الدمشقي) .. وبما ان "أدونيس" قرأ في شهر آذار في برلين مع المترجم من كتابه ومرة لاحقة في بيت الثقافات، اقترحت ان تكون الأمسية الأولى معك وقد تحدثت عنك كما تتصور.. وقد وافقوا مبدئياً واقترحوا ان أقدمك تلك الأمسية كما



Twitter: @ketab_n

أني ذكرت لهم ما تُرجم لك بالألمانية وما هو مترجم دون نشر حتى الآن وقدمت بعض الاقتراحات. ان الموعد المطروح هو شهر شباط 1999 وكان هناك موعد آخر في الخريف ولكني أفضّل بدايات الربيع ليكون لدينا الوقت الكافي للتحضير وربما ترجمة بعض مقاطع من روايات أخرى لك ولأني أتمنى وأرى ان لا تكون الأمسية أمسية أدبية ممتعة فقط بل وأكثر من ذلك. أولاً أتمنى يا عبد الرحمن ان توافق وثانياً ان تذكر لي كتبك المترجمة للإنكليزية أو الفرنسية لأن ما هو عندي أرسلته لصديقي في أمريكا العام المنصرم.. وحبذا إذا كان لديك بعضاً منها في دمشق وأن ترسله لي في حالة إمكانية ذلك. تكاد أفكاري ان تكون اختزالية الطابع وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل من كل النواحي.. ولكنها البداية وأرجو موافقتك.

أنتظر خطوط الثقافة والسياسة ولقد اتصلت "آمال طرابلسي" بي هذا الصباح ومدّدت معرض بيروت بين 6 - 17 تشرين أول... ربما عرضت المتواليات.. لا أعرف. سأكتب لك مجدداً وقريباً عن... السلطان. مع شوقي ثم شوقي ومحبتي ثم مع شوق ومحبة الأصدقاء.

مروان

(ماذا نفعل لولا شجرة الماغنوليا وتغريد الشحارير!)

(الفرق هكذا: كمن يتكلم عن الصيد أو يشم رائحة البارود في البراري. لماذا جاءني هذا؟ لا أعرف.. أو ربما له علاقة بحديثي معك البارحة عن طريق المناجاة الداخلية وقد اخذني التعب وانسكب العرق من (لحيتي) وجبيني وصدري وأنا أرسم.. فكرت بالقنوات الأرضية المظلمة الباردة. بدأت العام المنصرم لوحة كبيرة عن الانعكاس وتوقّفت بسبب المتواليات وبعدها تابعت قبل رحلة دمشق.

جاء عمل الانعكاس لوحة متوازنة بها نعومة وهدوء وكان


Twitter: @ketab_n

بودّي عرضها مع الأعمال الأخرى في برلين فعملت لها إطاراً وأخذت أتأمّلها ظهراً لأرى الاستحقاق.

فجأة جاءت خبرية المرحوم أبو محمود وذهبت إلى سويسرا حيث عدت يوم الأحد اللاحق. نُقلت اللوحات إلى الصالة دون عمل الانعكاس، يوم الإثنين لأني لم أتأكد من (الاستحقاقية)

بدأت هذا الأسبوع - اليوم هو الخميس 11 حزيران - بتعديل العمل وتداخلت فيه ومعه فتعدّيت عليه فامتنع ثم امتنعت ولكني لم أتراجع وسارت الألوان متدفّقة على السطوح أغيّر كل ما هو مستحبٌّ برّاق، موضعاً وشكلاً ولوناً حتى ضاق نفسي وامتزجت الألوان بعرق جسدي وأخذني شيء من الانجذاب. توقّفت قبل الغروب وأنا جائع منهك، بين الهزيمة وفرح التحدي والتخريب (إذا ما خربت ما بتعمر!).

جلست متأملاً وجاءت وقتها فكرة القنوات الأرضية والإحساس بها معك بمناجاتك. قلت لك: يا عبد الرحمن، ان العمل الفني كما نعمل ليس بمجال الهدية تأتي مع اليمام إلى الشبابيك. بل إنه كمن ينتشل زرعة الورد بعد ان يمسّها برفق بأنفه ليحفر تحتها القنوات الأرضية المظلمة ويسير فيها منحنياً جاسداً واقفاً يدافع بغريزته وعقله ويديه، حيوانات ما تحت الأرض الباردة والرطبة وفغره مليء بالشتائم والحب وطلب العطاء، يتابع الطريق حافراً إياه بأصابعه وأظافره، مستمراً رغم التحدي دون وهن حتى يسوّي الطريق ويخرج إلى النور مع رائحة تراب الشمس حاملاً وردة جديدة، منتصراً بها. وثم!؟ . يبدأ البحث عن وردة أخرى قد لا تُطال إلّا بالخيال ومسيرة القناة مرة أخرى.)

هذا ما ورد بخاطري وأنا جالس بعد العمل مع الشعور بالنشوة واليأس معاً وانتظار يومٍ جديدٍ.


Twitter: @ketab_n

**بيروت 4 تموز 1998**

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

وصلت قبل أيام إلى بيروت، في محاولة لأن أبقى أطول فترة ممكنة من أجل العمل بشكل متواصل على "أرض السواد" عليّ ان أنجزها أو أنجز القسم الأكبر منها، خاصة بعد ان طال بعدي عنها وانشغلت بأمور ثانوية وأسفار عديدة. الآن، ولولا كرة القدم التي تسحرني، لبدأت العمل فوراً، ولكن من انتظر شهوراً طويلة يمكن ان ينتظر بضعة أيام أخرى، أقلع بعدها، فإذا وأتت الريح، وكأن الحر رحيماً يمكن ان أنجز الكثير. أنتظر دعواتك، ولا بد ان تكون مستجابة، خاصة وأن لك قدماً راسخة لدى أهل البركات ويسمعون منك!

أثناء الزيارة الأخيرة للأردن دعتنا "سهى شومان" إلى البتراء، وقضينا هناك يوماً رائعاً، أتيح لنا خلاله ان ندخل إلى مرسمها وأن نشاهد آخر أعمالها الناجزة والتي في طور الإنجاز، وقد تحدثنا عن بعض الأمور، بما فيها مشروع الجامعة المفتوحة للفن، والتي ستكون أحد أعمدتها، أتمنى لهذا المشروع ان يرى النور، وأن تصل إلى "التلاميذ" الذين يمكن ان يلبوا جزءاً من هذا الطموح، مع تخوفي ان لا ينوجد في عمان العدد الكافي والمستوى المطلوب، لكن المحاولة جديرة بالإقدام والتجريب، ويمكن ان تتطور وتتكيف تبعاً لعناصر كثيرة لاحقاً.

جو بيروت، بالرطوبة والحرارة، سونا حقيقية، لكن إذا لم أضطر إلى مغادرة البيت نهاراً، يمكن ان أعمل، أما جو دمشق، ومع



Twitter: @ketab_n

أنه أكثر رحمة لجفافه، إلا ان التلفون والزيارات غير المتوقعة فيجعل العمل صعباً وبعض الأحيان مستحيلاً، وهذا يقتضي ان نبحث عن أماكن أكثر ملائمة للعمل وعسى ان نوفق في فترات لاحقة.

مسألة الدعوة التي حدثتني عنها، والتي يحتمل ان تكون في شباط القادم، مناسبة، وإن كنت أفضل بداية الربيع، إذ تعرف أخوك البدوي وعلاقته ببرد شمال اوروبا، لذلك من المفضل ان تتأخر قليلاً عن الموعد المقترح بشكل مبدئي، خاصة وأن معنى ذلك قدرتي ان أحمل لك نسخاً من أرض السواد بعد ان تتم طباعتها!

نُشر على الغلاف الداخلي لمجلة الهدف في الأسبوع الماضي شيء عن أعمالك، إضافة إلى بعض الصور، كما هناك إشارة ان مقابلة جرت معك وسوف تنشر في العدد القادم، إذا لم ترسل لك سوف أحتفظ بها أو أصورها وأبعث لك بها إليك. كما وعدت من علي ماهر ان يؤمن لي ملفاً عما نشر حول معرضك في عمان، أرجو ان يتم ذلك في وقت غير بعيد.

وماذا أيضاً؟

هذه الرسالة للمرحبا فقط، ولكي نبقى على اتصال، خاصة وأن كتابتها يتم في نهار من نهارات بيروت الدبقة، وسوف أكتب إليك لاحقاً.

أرسل نماذج من الخط للكتابين، مع الإشارة ان "لوعة الغياب" انتهى تقريباً، وقد استعمل في العنوان خط الكمبيوتر أو ما يشابهه، وأحاول ان يكون أقرب إلى النسخ.

في الختام تحياتي الحارة وبانتظار أخبارك والجميع يهدونك السلام.

**عبد الرحمن منيف**


Twitter: @ketab_n

يا عبد الرحمن، أيها العزيز أين توقفنا في كتابي السابق؟ نعم عند القنوات المحفورة مع أمل عبيق الورد. لقد مضى وقت لابأس به منذ تلك الكلمات وأنا ما أزال أدخل الأعماق مثل جهنم المختارة دون عبيق حتى قبل يومين.

لماذا نختار هذه الطريق وهذه الدرب الوعرة حيث نجعل من أنفسنا أعداءاً لأنفسنا ونقاتل ما يشبه المستحيل دون هوادة بألم خارق حتى تأتي السعادة بالرضى الملتزم لساعات، لتفتح القنوات أفواهها من جديد لندخلها بقلق ثابت وأمل غامض حيث تكاد المعرفة والسنوات الطوال يأخذن مكان طفولة الخلق وعنفوان البداهة ليأتي السواد الثاني من عمرنا .يوجد هناك تشابه بين الأدب والتصوير. ان المعالجة الأولى غدّارة صبية فيها لذة الحديث وغنوجة الامتثال الحدثي السريع دون المراجعة ودون السؤال، ودون السؤال على الضرورة والسؤال عن التركيب وللقواعد المكتسبة الصعبة في التقييم الذاتي للعمل وأخلاقيته.

منذ كتابي لك كنت أنوي دون قهر ان أنهي ذلك العمل لأنه وقف جداراً منيعاً بيني وبين نفسي ثم بين الزمن. وقف ذلك الشيطان وحجمه 260×195 على حائطي الأبيض وجاء مع الربيع شهياً متقناً وكنت قد مارست العمل فيه مطالع الخريف المنصرم، ثم توقفت بسبب المتواليات وتابعت العمل عليه في مطالع هذا الربيع كما ذكرت. ولكن أعطيت عنادي لشيطاني (وليس لجني كما هو وارد في



Twitter: @ketab_n

شعراء الجاهلية) وهو متمرّس في عنادي حتى سبق نفسي وجسدي وأنا ما أزال أطارده حتى يومين وقد كدت أذوب من الشعور بالفشل والإرهاق. كانت اللوحة الكبيرة تتغير عشرات المرات كل يوم مع لحظات الأمل الطفيف أو التحطيم البدائي دون سبب غير البحث عن المعجزة وعن الإلهام. لماذا الإلهام؟ هل لأنه الواسطة الأولى للروح والقلب ثم العلم، أو لأنه دليل الصميمية والحميمية؟ .

لقد اخترت موضوعاً بدا لي مغرياً وفيه معطيات الإنسان والشكل : الانعكاس. زرت منذ سنوات قريبة عيسى في مدينته وذهبنا بعد الفطور لزيارة منطقة جميلة فيها بعض (المستنقعات) المسيّجة كمتحف طبيعي يتنزه الإنسان فيها على جسور طويلة بنيت من الخشب تشبه بشكل ما تلك الجسور التي بناها الرسام "مونيه" في حدائقه اليابانية في مرسمه في "جوفري" في فرنسا. كان اليوم صحواً وبارداً. توقفت على الجسر والماء أمامي كبحيرة صغيرة وعلى شاطئها المقابل مجموعة متعانقة من أشجار الحور التي انعكست على سطح الماء البارد الرصاصي الأزرق وكأن الماء مرآة للسماء الباردة بزرقتها، لتلك السماء وذلك الحور المتعانق. وبالاستطراد وفي ساعات (دقائق) السعادة تأتينا روح الاكتشاف وتموج الأفكار والأشكال وهكذا ولدت صورة الانعكاس في ذهني في بكارتها الأولى وعملت مستقبلاً، بعض التخطيطات وقد استعملت واحدة منها لك التي تظهر في كتابك : (الغياب .)

لا أعرف بالضبط ما أسم هذه المستنقعات بالعربي. إنها تشبه من حيث التركيب الغدّار صحراء الربع الخالي إذ ان من يدخلها أو يقع فيها لا يخرج منها.. الغياب!. ولكن بتلك المستنقعات أساطير تختلف عن الرمال. يقال ان من يغيب في أحضانها يبقى حياً محافظاً


Twitter: @ketab_n

على كل (كيانه) وتقول الحكاية ان فتاة في سكوتلاندا ضلت طريقها ووقعت في تلك (المرآة) المليئة بالطحالب وبعد مئتي عام جفّت المرآة وخرجت الفتاة وكأن شيئاً لم يحدث وتابعت طريقها في الدرب التي تعرفها إلى الدار ...

ولكنه كأن في شيطان اللوحة حساب يشبه الانتقام. عملت يومياً حتى السقوط والإفلاس وكان، كما يقول أهل دمشق في زمن سابق يا "قاتل ويا مقتول" ولا تراجع حتى بدا شكل اللوحة مترهّلاً مليئاً بالأخاديد والندبات مؤذناً بالتهافت والشقاء. يوم الخميس المنصرم قررت مرة أخرى قول أهل الشام المذكور ووضعت كل جهد أملكه أمام ذلك الشيطان لأترك بصمة لي وإن لم تكن متكاملة الروابط واجتماعية الظاهر، إشارة مندوبة وحرفاً يكاد يكون صريعاً لجمود مملوءة بالأسف والأمل أمام مسيرة الزمن. ربما خرجت الفتاة مرة جديدة!

وهكذا في الشمال الماء الجليدي مرآة الرصاص ، وفي الجنوب، أقصى الجنوب صحراء الربع الخالي. والموت واحد.

كنت أود ان أتحدث أكثر عن الانعكاس ويومياته كما يراه ويعيشه الفاعل ولكن في مرة أخرى أو في حديث شفوي. وإن أبعدت الأيام فليكن على شكل مناجاة.

أردت ان أتوقف هذا اليوم عن الكتابة بسبب مسيرة اليوم والليل حيث أنا السهران الوحيد وحيث ينام العالم. ولكني انتبهت كيف جاء بعض المداد لسبب مجهول ومعروف على كلمة (الفاعل.. والأيام ..ولكن) وأنا أقدر ان للشيطان يد في ذلك. ولكن هذا ما استطاعه الشيطان فقط أمام بحر الكلمات وصيرورة الشكل واللون يا عبد الرحمن، فالقصبة أو الريشة في يدينا والأمل في قلوبنا مع التحدي المستمر. أليس كذلك!



Twitter: @ketab_n

1998-8-9

العزيز عبد الرحمن. مضت أيام منذ كتابتي للرسالة وربما يوجد صعوبة في قراءتها بسبب (الليل) وبعض النبيذ والشوق لكم! أرسلها لك كما هي دون إعادة كتابتها. أخبأت اللوحة المذكورة يوم كتابتي الرسالة لك بمساعدة يزن بسبب ثقلها وحجمها ثم (كشفت) عليها بعد أسبوع لأراها لأول مرة بسبب زيارة صاحبة الصالة وفضولها.. فوجئت كم هي لوحة حميمية وجيدة وكم هي شهادة للإنسان بمصيره وكيف يرتبط هذا المصير بالفن وقواعده. ولكن كم هو الثمن غال إذا اختار (العامل) هذه الطريقة.

لقد تكلمت يا عبد الرحمن لتوي مع الأخت سعاد لأعرف لمن أرسل غلاف الثقافة والسياسة. لقد أنهيت الغلاف البارحة وأنا لا أخفي إعجابي به! لقد عملت أكثر من تخطيط وقد ارتبط ذلك مباشرة بحس الثقافة وخبث السياسة! اخترت المحاولة المرفقة وقد قلبت السياسة رأساً على عقب وبقيت الثقافة صادقة منتصبة واضحة ولا ينقصها بعض البراءة والدهشة.

والان أطلب يا عبد الرحمن وآمل وأتمنى ان ينفذّ الغلاف بطريقة مثلى كما هو النموذج المرفق واقتراحي هو: ربما من الممكن ان يكون التنفيذ مثل كتابي إلى أطفال فلسطين، أي مع (مانشيت) خارجية. أو ان يطوى جزءٌ من الغلاف إلى الداخل. ان يكون لون طباعة الأسود للغلاف مائلاً إلى البني القاتم جداً أو محاوره. ان لا يكون الغلاف لماعاً مثل قطعة الدهن أو بويا الحذاء، وإنما رقيقٌ أقصد وديعاً جميل الملمس! ناشفاً وأن لا يكون الورق (الكارتون) مثل الزجاج بل كما يقول أهل العامة (مبرغل) مثل النموذج المرسل. حاول الإصرار على هذه الشروط البسيطة جداً والتي لا تكلف جهداً



Twitter: @ketab_n

إضافياً وشطارة بالغة.. وفي حالة الالتباس أو السؤال يمكن (للمعلم) الاتصال بي.

ويا أخي دعنا نكون مثلا، لأن العين بتأكل وللمظاهر ثقافة وحضارة. أرجو ان أسمع منك قريباً.

سيكون معرضي عند شقيقة فواز "أمل طرابلسي" في السابع من تشرين أول في بيروت وسوف أكون في البلد في مطلع ذلك الشهر. مع شوقي

مروان

(احتفظ بالأصل لك وعامله برفق لأنه مرسوم بألوان الباستيل الشمعية وهي كثيرة الحساسية عند اللمس!)



Twitter: @ketab_n

1998/12/7

العزيز مروان،

صباح الخير والمودة

بيروت لا تزال تعيش أياماً صيفية: الشمس الدافئة، انقطاع المطر، وحيرة في معرفة الفصول. دمشق لم تر المطر، بعد، كما سمعت. معنى ذلك: القحط، إنه القحط مرة أخرى.

ربما من سنوات طويلة لم تأت حالة صيفية في كانون أول مثل هذه التي تمر الآن، فالله يستر!

ما زلت مرابطاً في بيروت أعمل في أيام السواد وفي الأرض المتشققة بحكم ملوحة وانحباس المطر، لكن يبدو أنني سأنتقل إلى "الحمى الشتوي" إلى دمشق، خلال بضعة أيام، أولاً لأني تعبت من الإقامة البيروتية، وثانياً لأني في أعماقي بدوي أبحث عن "الحرية" وليس فقط عن الكلأ والماء، ومعنى ذلك لابد من الانتقال، وحالماً أدق أول ضربة في عمود خيمتي سأكتب إليك من دمشق.

الآن أستفيد من سفر صلاح لأكتب إليك، رداً على رسالتك التي حملها صلاح أيضاً، لأشكرك على الغلاف الرائع الخاص "بشرق المتوسط" ، وقد بذلت جهداً مع الناشر من أجل ان يلتزم بكل التفاصيل التي أرفقتها بالغلاف، وخلال بضع أيام سينتهي طبع الكتاب، وسوف أرسل إليك نسخاً منه.

كان "ماهر كيالي" في بيروت، واتفقنا على إعادة طبع الكتب جميعها، والبداية "شرق المتوسط" ، وقد انتهى الآن من عادة صف



Twitter: @ketab_n

"النهايات" و"قصة حب مجوسية"، كما بدأ بمدن الملح، وسوف تليها الكتب الأخرى تباعاً. أعرف أني أثقل عليك حين أطلب أغلفة لهذه الكتب كلها، ولكن لأنها طبعة مميزة، وسوف تعتمد حتى في الطبعات اللاحقة، لذلك أعطي نفسي الحق في طلب هذه الأغلفة، ولك ان تختار من قديمك والجديد، حسب ما تراه مناسباً، من أجل تزيين هذه الطبعة وإعطائها شخصية مميزة، يمكن ان تؤثر لاحقاً على تصميم الكتاب العربي في المرحلة القادمة، خاصة وأن لوعة الغياب وبين السياسة والثقافة تعتبر الأبرز الآن من حيث الجمال والتعبير معاً.

"البيات الشتوي" من أجل إنجاز " أرض السواد" قد يمتد حتى نهاية شباط القادم، وبعدها سأدفع الرواية للطبع، وسأندفع أنا لصيد الفرّي، وبعده الترغل، إذا قدّر للربيع ان ينهض من الأرض، وللطيور ان تأتي، لي شوق كبير لرحلة صيد طويلة، عليّ ان أخلص من صدأ القعود الطويل، وبعد ذلك يمكن ان أفكر بالسفر والتجوال وبعض الراحة، لعودة لاحقة.

قالت سكرتيرة السير "بيرسي كوكس" المفوض السامي الأول في العراق عند تأسيس الدولة الجديدة، قالت هذه الأنسة، بعد ان تعبت من أجل تنصيب الملك فيصل ملكاً على العراق، قالت: "لن اشترك في تنصيب ملك مرة أخرى" وسيادتي لن أورط نفسي بكتابة رواية طويلة مرة أخرى، لأنه بالإضافة إلى الجهد والفترة الزمنية، فإن الإنسان يضيع في مثل هذه المتاهات التي يعرف كيف تبدأ لكن لا يعرف كيف تنتهي، تماماً مثل السباح الذي يرمي نفسه في البحر ويبقى سائراً وإلى الأمام، بحيث إذا ابتعد لا يستطيع العودة، ولا يعرف في نفس الوقت إلى أين يمكن ان يصل... وتعال حِلّها!



Twitter: @ketab_n

هذا ما حصل معي في هذه الرواية، مع رغبتي منذ البداية ان لا أجدد تجربة مدن الملح، لكن هذا ما وقع، دون قصد، وأصبح مطلوب الآن إخراج الزير من البير، فقول اللّه... وعسى ان تكون النهاية مقنعة وغير بعيدة.

ومن مساوئ الرواية الطويلة أيضاً أنها لا تتيح رؤية الأصدقاء، وهذا ما لاحظته أثناء زيارتك الأخيرة إلى بيروت، إذ بدل ان نتجول ونسيح في هذه المدينة اقتصرت الأمور على تلك اللقاءات السريعة. آمل ان نعوض ذلك من خلال كتابة روايات قصيرة وحياة عريضة.

وأنت أيها العزيز، في بياتك الشتوي، ودرجة "الحرارة" تلوح حوالي الصفر، وفي تلك النهارات القصيرة، ماذا تعمل الآن؟ وماذا تهيء للأيام القادمة. إنك تكتب أحياناً كثيرة: برقيات، وتعالي يا بصارة حلي اللغز!

سمعت أنه بمناسبة مرور عشر سنوات على إنشاء دارة الفنون، أعلن في الاحتفال عن الجامعة الفنية التي تتولى قيادتها بدءاً من الخريف القادم، وأبلغني من كان حاضراً ان هذه البشارة لاقت استحساناً كبيراً، وقد فكرت ان أسجل نفسي في هذه الجامعة، وعسى ان يكون طلبي مقبولاً بعد ان تجاوزت الخامسة والستين!

"صورة أم أحمد" التي بعثتها مع الغلاف، إذا أمكن ان نجد مثلها عشرة وتزين مع المقدمة، الطبعة من سيرة مدينة، ستكون مقنعة وربما جميلة، وأترك لك الباقي!

هذه الرسالة مجرد تحية، وحتى تتأكد أنك بالبال، خاصة وأنك لاحظت منذ البداية الإشارة إلى أنها تكتب نهاراً، ولك ان تقدر كيف تكون رسائل بداية النهار متطلبة، ولا تتناول إلا القضايا الإجرائية، ولذلك تبدو، في أغلب الأحيان، شاحبة، فتقبل العذر،



Twitter: @ketab_n

ويمكن ان تضاف إلى رسالة عزة لتخلقا معاً جواً أكثر رحابة وإنسانية.

في الختام، أيها العزيز، تقبل تحياتنا الحارة، وأشواقنا الكثيرة، والأمل بلقاء قريب.

الذين يرسلون التحيات كثيرون، ومنهم: سعاد وياسر وهاني وليلى ولؤي أبو عوف

وتحيات إلى أنجيلكا

دنيا

يزن

ويونس

وكذلك الأصدقاء

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1999-1-19

الصديق الغالي عبد الرحمن،

أفكر بكم وأحتاج إلى قربكم وهذا تعبير معكوس دلالة على الشوق الكبير والحنان إلى الدفء الحبيب. قرأت البارحة قبل النوم مرة أخرى: "مدن الملح والتوراة" ، أعتقد لـ"صالح آغا". فأخذني ولع جديد بإعادة قراءة المدن أولاً ولا أنكر عليك أنّي شعرت بالفخر والاعتزاز بإبداع الصديق وجلالة العمل ثانياً. وقبل الأول والثاني فإني أعتقد ان قراءتك في المجمّع الفني أصبحت شبه ثابتة هذا العام وسوف نؤكد الموعد خلال الأسبوعين القادمين وربما حسب اقتراحك في مطالع أيار، أي بعد زيارتك لأمريكا.

لم أرسم كثيراً خلال الأسابيع السابقة بسبب بعض التشتت النفسي والشعور بعدم الاستقرار ثم لأسباب خارجية مثل معارض متحفي "Jena" بعد غد ومتحف "Erfurt" في الشهر القادم يوم 28 وقد كُتب نص عني لأول مرة بشكل مختلف وهو عن رسمي و"ابن عربي وابن الرومي" والحب والوجد وأعتقد ان النص جيد يبرز أحد جذوري الثقافية وسأحاول ترجمته عن طريق (وبريشة) "ماجدة بركات" وسأرسله لكم.

تمشينا مساءاً على دروب بيروت وشئنا ان نتكلم عن بعض الأمور الداخلية ولكن اللسان والشفاه ثم العقل لم تجلب الكلمات والجمل ولم تجلب القصد. تلازمني أحياناً بعض الحسرة وتلاحقني



Twitter: @ketab_n

بعض التساؤلات (دون إصرار) عن سيرة العمر والأيام وعن الصواب والخطأ ولِم ولماذا والقدر ثم البحث عن ذلك العش المنتظر بعد الحصاد وبعد البيادر على حدود فصل الخريف المنتظر، خريف العمر. هل يكون العش دافئاً فيه حلاوة الأحلام المرة أو أنه سيكون رطباً فيه الاخضرار البشع للعفن والتهافت ثم الوحدة والوهن!

ما أتمناه هو الهدوء الداخلي والاستقرار، أو بالأحرى الهدوء الخارجي والاستقرار لأتمكن من العطاء والتركيز فيما إذا كان الينبوع لم يجف وفيما إذا كان الغضب والشوق ما يزالان رفاقي وأصحاب العطاء مع الوجد العظيم للالتحام بالأشياء في الطبيعة والحوار معها .

كتبت رسالة لعزة أرسلها عن طريقكم كي لا تصبح الرسالة حولية!

كنت أنتظر تسطير رسالة طويلة لكم ولكني سأقف هنا وأعدك بأني سأتابع الأفكار (الوسطية) على هذه الورقة قريباً جداً. فلا تقلق يا عبد الرحمن.

وصلت الخطوط عن طريق "نشأت" دون رسالة للأسف. آمل جداً ان أرسل لك قريباً (النهايات) والأغلفة الأخرى. عملت غلافاً لمجلة "Banipal" وأعتقد أنه جيد و"صموئيل" يهديك السلام والمحبة. ولكي لا أتأخر في الإرسال أقف هنا اليوم لأضع الطوابع وأكتب العنوان وأرسل (المكتوب) بالبريد على طريقي إلى البيت وأنا أحلم أني أطير مع الحروف إليكم لنجلس مساءاً على أطراف الفيلات الغربية في المزة مع (الحبايب) والعطف وفرح الأطفال الرجال مع الحديث والفكر والتنقل والطعام. (لم أنس "سيرة مدينة" بريشة عبد الرحمن)

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1999-1-20

- ملحق من رسالة البارحة -

1- كانت لدينا كلبة اسمها أفرا. (وكانت، أو كنت بالأحرى أتصور أنها كانت في حياتها السابقة أميرة لعوب جميلة نخاسية تحسن الشعر الحديث والطرب وتحب اللحظات والدقائق. كانت في الغابات سباقة وعندما يأتيها الفرح كانت ضحكة عريضة محببة تُرسم على خديها.

تحدث في مجرى الحياة أشياء ليست على قدر عظيم في الحدث الحياتي ولكنها كالحصى على القاع تؤثر دون ضجة على مسرى النهر بنغم / حزن أو فرح / يؤكدان حيثيات القدر وندبات الزمن الخافية

كانت البداية خطأ، ولذلك سأحاول الخروج من (البداية) لأصل إلى النهاية. عمّ أفرا الهرم فضعف نظرها ثم سمعها وجاء مع هذا وخزٌ في عظام الورك حيث صعب عليها النهوض والجلوس وأخذت ألاحظ مع الأيام التهافت اليومي والسقوط وهذا يظهر بسرعة واضحة على الحيوان وكنت أرى في ذلك مرآة مصير الإنسان المنتظر في السقوط والتلاشي والغرق بين البارحة واليوم وأن ذلك الشعور بالأسى رغم (التكامل) الأخلاقي لسيرة الحياة. قبل أسبوعين دخلت الدار مساءاً كعادتي وعرفت بعد دقائق ان أفرا ذهبت، أو حسب تعبيرك غابت. عرفت ان أنجيليكا ذهبت معها إلى الطبيب لتهبها الراحة. لم نتكلم أياماً عن الغياب وكنت أقدّر مدى العذاب الذي تتعرض له أنجيليكا ومدى (الرجولة) في وحدتها وقرارها بأن تنفذ القرار لوحدها. ما يهمني هو ملاحظاتي اليومية عن دخول الوهن للحياة والتساقط وأعرف من أفرا ما ينتظر الإنسان وما (ينتظرني).



Twitter: @ketab_n

جعلت من انشغالي بمعرضيّ "Jena" و "Erfurt" سبباً للرواح بدل الركض في عملي كما أتمنى وربما كان لذلك سببٌ آخر ألا وهو بعض التعب الداخلي ثم جاء كانون ثاني الذي أحمله على أكتافي لأن به إشارة واضحة وربما صارمة ألا وهي (إنجازي) عامي الخامس والستين ودخول حدود جديدة على سهوب الحياة دون حدود! . وصار عليّ ان أرتب ما يسمى بالاحتفال ودون تمعن أخذت (الحفلة) حجماً كبيراً لا يساوي وضعي الجسدي الآن لنقُل وضعي النفسي وعزائي هو "يزن" عندما يقول: لقد عملت حسناً وإن عام (65) لا يأتي إلا مرة واحدة ودع الأصدقاء يفرحون معك! .

أفكر في عمل غلاف جديد لـ "شرق المتوسط" إذا سمحت لي الظروف بذلك.. وخاصة إذا كان الناشر إلى جانب المؤسسة، المركز العربي... سنبقى على اتصال(وثيق) وخاصة لأعرف عما إذا جلب دعاءك الغيث وأنت واقف على قاسيون مشرف على سهل البقاع وبطاح فلسطين. مع حبي وشوقي وكما ذكرت لك على الهاتف: لترجع حليمة إلى عادتها القديمة ومعنى ذلك الكتابة.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق - الشام 23/ 1/ 1999**

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

الأيام تتوالى والصمت سيد، لكن الشطآن أصبحت قريبة ومرئية. انتهيت، تقريباً من "أرض السواد" على الأقل مرحلتها الأولى، وضعت نقطة ختام في اليوم الأخير من إقامتي في بيروت، وبعد ان عدت إلى دمشق، وتركتها تبرد قليلاً، عدت إليها من جديد، قرأتها القراءة الأولى، وأستعد بعد يومين أو ثلاثة للقراءة الثانية، أما بعد القراءة الثالثة فسوف تصبح، كأية سمكة، جاهزة للأكل. صحيح ان فيها كمية من الحسك غير قليلة، لكن في النتيجة يمكن ان تؤكل، وبعد ذلك يمكن ان يقال تسلم إيدين الصياد أو تتكسر. يمكن لكل واحد ان يقرأها بالشكل الذي يريد، المهم أني بذلت أقصى ما أستطيع ضمن ظروفي التي تعرفها، ومن له قدرة، وشهية أيضاً، ان يبلش، تعرف ان الأسماك البحرية، لكن لها مذاق مميز.

سوف تكون "أرض السواد" جاهزة لأن تدفع للمطبعة في منتصف آذار/ مارس، وهذا معناه ان تتكبد مشقة تحضير الغلاف في حدود شهر نيسان، مع الإشارة ان الرواية ستكون في جزأين، وسوف يصدرن معاً، وكل جزء يتراوح بين 500- 600 صفحة، ولابد ان تخصص أسبوعاً كاملاً من أجل الاستعداد للقراءة!

لابد ان تكون الخطوط قد وصلت إليك في مطلع الشهر، آمل أنها ملائمة، وربما أنجزتَ تصميم الأغلفة، لأن الأغلفة هي الباقية،



Twitter: @ketab_n

وحالما تصل، وبعد أسابيع قليلة ستظهر الكتب الثلاثة، بعد ان صدرت "شرق المتوسط"، وقد اضطررنا إلى إعادة طبع الغلاف مرتين، إلى ان جاءت أقرب ما يكون لما أردت، وسوف أرسل لك عن طريق البريد بضع نسخ حالما تصلني من بيروت.

أخبرني، تلفونياً، "إنتشال"، بعد ان التقى "بلاريسا" ، ان ترجمة "الرحلة" قد أنجزت، ويحتمل ان يصدر الكتاب في وقت قريب. لقد فرحت للخبر، ولابد ان تكون مشغولاً بالموضوع، لكي تخرجه بالحلة التي يليق بها. آمل ان أسمع منك حول الموضوع، خاصة وأن مولوداً من هذا النوع يستحق الاحتفال، وفتح شمبانيا بهذه المناسبة، وأيضاً تمهيداً لأخرى لاحقة. الله!

لا أعرف ان وصلك نص المقابلة التي أجريت معك في "الهدف"، ومع ذلك طلبت ان يؤمنوا لي نسختين، لأن العدد صدر أثناء غيابي ولم أطلع عليه، كما لازلت موعوداً ان تهيء لي ملفاً كاملاً عما كتب عن معرض بيروت. لا تنسى ان تفعل ذلك.

أعلنت "سهى شومان" عن الجامعة الصيفية، وقد رغبت ان أسجل فيها، أرجو ان تعتبر طلبي مقبولاً، إذ أريد ان أدخل أكثر في هذا الجو، خاصة وأن جو القصب والرطوبة والبدو، في " أرض السواد" قد أثقل روحي، وأنا بحاجة لأن أتنفس، وأريد جواً جديداً ومختلفاً. أقدم لديك هذا الطلب، و سوف أقدمه لسهى، مع نسخة من "لوعة الغياب" و"بين الثقافة والسياسة " آملاً ان يقبل، وأنضم لهذه الجامعة.

لم أسألك ، بعد، عن أخبارك وأخبار المعارض والعمل وما تحلم ان تحققه في الأيام القادمة. أتوقع ان تكون هذه الفترة منتجة ومرضية، لأن الشتاء، كما أفترض، فترة عمل. ربما أقيس الأمر،


Twitter: @ketab_n

اعتماداً على نفسي، وقد لا أعرف برد ألمانيا الذي يجمد كل شيء، لكن التدفئة يمكن ان تسعف، وقد تساعد على التخطيط إذا لم يكن الإنجاز.

آمل ان أسمع منك لكي أشاركك الحبور، إذا لم يتبق لنا إلاّ ان نخرمش، ان نصرخ لعل ما تبقى من أيام يسعفنا.

في فترة الاستراحة بين القراءة الأولى والثانية "لأرض السواد"، أنجزت كتابة مقال عن "جبرا"، خاصة عن كتابه "شارع الأميرات" وهذا المقال سيكون مقدمة للكتاب وهو سيرة ذاتية عن إقامته في العراق، ويتناول الفترة الأولى، 1951-1952، الكتاب جميل وجريء، وإذا لم يتسنى لك الاطلاع عليه، فحالما تظهر طبعته الجديدة سوف أرسله إليك.

لدى شهوة لكتابة أشياء كثيرة، ولا أعرف لماذا تعاودني الرغبة في هذه الفترة للكتابة عن بعض الذين عبروا في هذه الحياة.

قبل أيام كنت أتحدث لبعض الأصدقاء كيف ان هناك مجموعة من الرموز الشامية التي عبرت الحياة، دون ان يحفل الكثيرون بها بعد غيابها، وتذكرت بشكل خاص فخري البارودي. لقد كنت كريماً حين ذكرت هذه الشخصية، ورسمتها بأقل الخطوط، وتمنيت لو ان أحداً يعود من جديد لتناولها وإعادة إحيائها، لا أدري ان كان هناك من يتبرع للقيام بهذا العمل. حبذا لو يحصل ذلك، ولا أريد ان أتصدى أنا وأنت، إذ ربما تكون مشاغلنا وهمومنا تمنع إنجاز مثل هذا العمل، لكن ماذا لو حصل؟

لدي أشياء كثيرة لأقولها، لكن لا أريد ان أثقل عليك، وأحمّل ضميرك ما ينوء به.

هذه الرسالة مجرد عودة إلى الكتابة، بعد ان عدت إلى



Twitter: @ketab_n

قواعدي، وبعد ان استفدت من فترة "التنفس" بين قراءة وأخرى لأرض السواد.

نسيت ان أقول لك سنة جديدة حافلة، ونسيت رمضان والعيد وربما بين العيدين أيضاً: بأية حال عدت يا عيد.

مروان كل المودة، مع تحيات تنوء بحملها الجبال، وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**

Twitter: @ketab_n

1999-2-1

الغالي عبد الرحمن.

وصلت المرسم ووجدتك برسالتك الصوتية يوم الإثنين قريبا مني، فشعرت بالشوق لكم وتمنيت لو كنت معكم.

يشبه اليوم كوانين دمشق في عهدها القديم حيث المطر والغيوم والبرد والحطب والمدافئ وأرغفة الخبز مع الجبن على المناقل مع الخالة والجارة وأولاد العم وأولاد الحلال والحرام ثم أحلام الربيع والسيارين ودراق أبو ذبلة والتفاح السكري وبنت الجيران وبعدها يا ظلام السجن خيّم والظلام ما يزال مخيماً ولكن دون هوى ودون نور يتلألأ مثل حكم قرقاش في سراديب العتمة والنفخة والتخمة عند البعض بسبب الغباء الساطع وتصوّر ان للغباء سطوع رمز العهد الجديد وتاج الأيام المنيرة دون غيث وليس هذا من باب التشاؤم يا عبد الرحمن ولكنها علّقت معي وجاء الحديث هكذا. آسف أحياناً، أو لأقل أخاف عندما أكتب لك بحزن أو عن ثقل أحمله حيث تتجمع الأثقال في المزة ولكن حمداً لله لأنه في أطرافكم جبل قاسيون يحفظ التوازن لكي لا ينهار الصديق في وديان الأسى!.. كانت الـ 65 حائطا رمزياً اجتزته دون ندبات الحجار والساعات ولم تكن لأسباب الحائط مواقع هلع وخوف شكلية قدر ما هي ظروف لا تفرحني وتجلب أحياناً الأسى لنفسي. أشعر الآن بالراحة والرضا وسوف أحاول تهذيب ساعاتي قدر الإمكان لأستفيد من طاقاتي بأحسن قدر.

ولهذا اطمئنوا على الرسام مروان وبعد كل غيمة يأتي الغيث ولا غيث دون غيوم ورماديات اليوم تجلب أحلى إشارات النور



Twitter: @ketab_n

الداخلي الذي يسطع بعدها بكلمة أو لون ونغم. أنظر باحثا في جعبتي أو زوّادتي فأجد فيها رغيفاً أو رغيفين فيأخذني فرح الطفل لغدي.. وإنّ غدا لناظره قريب ولا ناظر دون قرب ولا قرب دون ناظر. أخذ ترتيب (اجتياز) الحائط بعض الوقت والجهد وربما الاضطراب القليل ولكنه جاء جميلا كريما طربا ولم يبق إلا آثار الجهد والتعب حيث ان البعض بقي حتى الصباح مع الطعام والحديث والشراب وكَيل المديح لأبي محمود ولقائه مع أم محمود في أحد أيام ربيع 1934 حيث فعل وصنع حسنا تلك الليلة بتركيب المدعو أنا ذكرى لإسميهما حيث قال قبلها ربي هبني ولداً صالحاً وربما أخذته الرعشة فأخطأ في تمتمته وقال بدل التركيب التقليدي المعروف آنذاك وتمتم ربي اهدني موهبة صالحة فبقيت الهبة مصدر الموهبة والصلاح أصل القوام ومن القوام يأتي الثبات وهكذا جاء للصلاح مضمون جديد يجدر التفكير به والأخذ بمعانيه وأبعاده المستقبلية وعلينا في هذا المقام ان نفكر بقدرات الرعشة المذكورة وقواها الخفية والنادرة في الإبداع والخلق وربما لتعميمها على أمة الشرق وخاصة أمة العرب الصالحين من الطبقات الدنيا حيث لا يقصد هنا ارتعاشات الأمراء والشيوخ المنحطة لأنها تمثل السفالة والتساقط وليس لها علاقة بتلك الرعشة التي يتوحد فيها المخلوق مع الطبيعة والأشياء ويصبح جزءاً منها كالخالق والمخلوق.

جاء الصباح والصباح رباح. اتصلت بالسيدة (وأعلنت) عن اعتذاري للمشاركة السورية الأتاسية في مهرجان بيروت الثقافي وعن حضوري.

سأرسل (النهايات) بعد أيام وقد جاءت الفكرة بما يتعلق بالقصة المجوسية للحب وسأنفذها قريبا (جداً) وتبقى رواية الجسر



Twitter: @ketab_n

بانتظار (الإشراق) ان شاء الله كما أنه وردت لي الفكرة الأولى لأرض السواد وهكذا ترون بأنه من جدَّ وجد وحبذا لو أرسلتم لي كتابة - أرض السواد - كالعادة لتكون تحت الاستنفار في حالة أني استيقظت وأحسست بإلحاح الفكرة وحماس العمل، أليس كذلك! نعم!

**الصديق والعم المشتاق مروان**



Twitter: @ketab_n

1999-2-3

أما عن (ظلام) اللون والسواد، فإن نجوم (اللون) لا ترى إلاّ في الليالي. وللون حديث جديد. لم أستطع ان أنم ليلة البارحة وأخذني قلق كبير وخبيث حاولت إيقافه بعدد من السجائر دون ان أفلح فلجأت إلى الكتاب : الحمراء. قصر الحمراء وغرناطة.

فتحت الكتاب وأنا في طريقي إلى الفراش (مثل أبي حيث كان يمهّد بالوسادات جلسته في الفراش ليفتح القرآن ويقرأ بعض صفحاته قبل النوم) وكانت بالصدفة صفحتين كاملتين لحائط من الموزاييك في زخرفة بسيطة حسابية ولكنها معقدة في ذات الوقت تتوسع وتتكرر إلى كل السطوح بالألوان الأسود (جعل العرب- الواسطي مثلاً- من الأسود لوناً وهذا قمة الأبداع - والزمردي النادر ثم لون خارق للمشمشي الترابي إلى جانب الأبيض النادر مجازاً، لأنه لم يكن أبيضَ تماماً بل عليه سماحة الشوق والحب. انبهرت عيناي وروحي بذلك الخلق الرائع والإبداع اللوني والحركي، وحيث ان ذلك كله جاوز المتعة البصرية الحُرفية وأدخل ذلك السطح في مرتفعات الروح وثنايا الفرح بوجد عظيم وتصاعد نادر. وفكرت برسالتك التي وصلتني البارحة وأنا في طريقي لأرسل لك بالبريد بعض الحروف. (وفكرت طبعاً بحوار الطرشان كما ذكرت لي مرة)

جاء في نهاية كتابك، أنك لا تريد ان تثقل عليّ بهمومك والحديث عنها وقد حزنت لذلك ولابد لي ان أعاتبك على ذلك يا عبد الرحمن فإن ظهري ما يزال يملك بعض القوة وفي قلبي مكان



Twitter: @ketab_n

كبير لك ويتسع لهمومك وجروحك إلى جانب فرحك. فلنتبادل الفرح ولنتبادل الهموم.. وإلا، فلماذا القرب ولمن يكون الفيء!.

أكاد لا أستطيع الانتظار فيما يتعلق بأرض السواد.. هل ترسل لي (الأوراق) لأكون من الأوائل في ليلة العرس؟

غضب الإبداع - الغضب - الشكل... في الشكل انتظار الشكل. حال الإنسان والغضب والتحدي... المصير. التصور الحلمي- التصور المادي معاناة المادة ومواجهتها-آدم وحواء قابيل وهابيل تأبط شراً مجنون ليلى عنتر وعبلة علي الحسن والحسين محمد الغزال رابعة أمي أخي صديقي ألفت تكية السلطان سليم أبو زنكة والأولياء والأحياء والغياب والشمس والقمر ..-

غرض العمل الفني ودواعيه الداخلية الفردية إلى جانب التراث الكبير خلال العصور ثم النواة الضرورية لدى الفرد الفنان كل هذا يسيّر الفاعل في طريق خاص وعام، خاص لأن الفنان لا يكون نقّاشاً حرفياً وعاماً، لأنه يقدم لفئة من الناس طموحاتها في الأمل ويرضي لهم المشاعر والأحاسيس الوجودية والإبداعية التي يعجزون عن إنجازها، وهكذا يتوحّد المعطي والمتلقي. ولكن لنرجع إلى نجوم الليل (اللون) في الصفحة السابقة.

أشعر بارتياحك عما يتعلق بعمل أرض السواد وبسبب ما أشعر أيضاً بارتباط أرض السواد بمدن الملح كامتداد جديد لذلك العمل العظيم والنادر والذي يأخذ مكانته في هذا القرن كتاج للرواية في العالم العربي، وسوف يصعد في يوم ما إلى مستوى العالمي. قرأت "كارين كيفوس" (Karin Kivus)، وهي الشاعرة والمسؤولة في الأكاديمية (المجمّع الفني) والتي تنظم قراءتك في برلين من شرق المتوسط ووادي العيون، أعجبت كثيراً بالأعمال وكان حديثي معها



Twitter: @ketab_n

حتى الآن هاتفياً، ومما ذكرت والجدير بالمعرفة، تعليقها الإيجابي بأنها تشعر بالتأكيد من ان موردك أو جذورك جاءت من حيث أنك عالم أو أنك جئت من العلم .. أي أنك لست حكواتي بل لك نظام صارم حسابي في الكتابة. سأحاول قريباً الحصول على موعد القراءة لكي نخطط للوقت منذ الآن ومع حديث لي مع "لاريسا" و"أحمد" وقراءتك في برلين، اقترحوا تنظيم قراءة في كولونيا.

خططت البارحة (النموذج) الأول "لقصة حب مجوسية" وأعتقد أنه لابأس به. سأعمل اليوم بعض التعديلات الهامة بالخط وحجمه وأرسل لك طبعة مصغرة عن هذا النموذج (على البيعة) كما يقول أهل دمشق ليستأنس قلبك. ولكي لا أنسى، هل بإمكانكم إرسال خط أرض السواد إلى جانب النسخ، خط النقش. أريد ان أرى. وعلى ذكر أهل دمشق فقد وجدت صفحتين أو أكثر عن الحارة كنت قد (سودتها) في حينه عندما طلبت مني ان أكتب شيئاً عن البلد. ربما تابعت الأمر عندما تأتي القريحة ويطيب القلب في الليالي. ربما كتبت عن نعيم أيضاً وللأسف لا أملك مطبوعات عن أعماله لأستعيد شيئاً من الذاكرة عن تلك الفترة وعن بقع الصديق الغائب والحاضر

مروان

وأما عن عمان والأكاديمية الخريفية يا عبد الرحمن فأنت المعلم والأستاذ والصديق العارف وإذا أقبلت فسوف تكون الضلع والقلب والفرح وسوف نخرمش، اعتباراً من اليوم والغد، ما دام هناك فسحة أمل وموضع قوة، ونفتح في الكلمة والورقة كوة من نفسنا. قرأت شارع الأميرات قبل عامين وهي سجل هام لتلك الفترة برجالها وأنسامها وخصوصيتها أيضاً، رغم أني أعتبر (وأنا رسام) ان البئر الأولى فريدة من نوعها وأقرب بحميميتها إلى عصب خاص. ان


Twitter: @ketab_n

البلاد دون (الغياب) والغائبين تبقى مناطق استهلاكية تأتي عليها الأجيال كالأغنام تأكل التبن وتنتظر الموت. ان تاريخ البلاد هو سيرة الغائبين الذين صنعوا السيرة الذاتية للبلاد بما قدموه من فكر وسعي وأثر. وأعتقد ان السعي على قدر الإبداع أخلاقياً على الأقل ولهذا فإن التقرير والذكر لسيرة الغائبين بسعيهم وآثارهم هي سيرة الوطن وواجب علينا ان (نخرمش) على حجر الزمن آثار (التراث) لكي لا نكون غنم المستهلكين والنسيان. استقبلت جريدة برلين الأساسية في مكان الثقافة يوم الأحد المنصرم تحية لعيد ميلادي الـ 65 مع تحليل موجز عن عملي وتطوره وإلخ... شعرت بالفرح بتلك الالتفاتة (الكريمة) في بلاد الغرباء. ذكرت لك ذلك لعلاقته بإشارتك في تكريم من رحل. هناك رسام هولندي يعيش غالباً في برلين ومن جيلي. لابأس بأعماله ولكنه ليس على مستوى البطولة. وصلتني دعوة من متحف افتتح قبل أشهر، خاصٍ به وبأعماله، بشكل دائم تحية لجهوده ولأنه زخر قومي.. شعرت بالأسف وقلت لنفسي " ويلي! وأين نحن! "

ملحق بسيط لرسالتي، وقبل ان أنسى: ما أطيب السمك النهري وخاصة أسماك الرافدين يا عبد الرحمن. تسلم ديارك مع شوق يماثل شوقك وتحيات لكم من الصديق أبو يزن.

**مروان**


Twitter: @ketab_n

دمشق 14/ 2/ 1999

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر،

أصبحت رسائلنا تتقاطع في الطريق، ومثلما يلتقي المسافرون في المحطات، ويتبادلون الأخبار السريعة، أصبحت حالنا كذلك، إذ لا يكاد الواحد يبدأ حديثاً حتى يحين وقت السفر، ولابد ان يلتحق بالقافلة، وهكذا تبقى الأحاديث مبتورة، سريعة، وبحاجة إلى وقفات أطول لكي تستكمل، وهذا ما يجب ان نفعله في مستقبل الأيام.

لقد كان الشجن يلوّن رسائلك الأخيرة، وكأن الخامسة والستين رقم فلكي، أو هذا شعورنا تجاهه، في الوقت الذي يبدأ الكثيرون، في الأماكن الأخرى، التفكير ثم التخطيط للنصف الثاني من العمر! يجب ان نحاول ذلك، وقد نصل إلى نتائج تفاجئنا، ومعنى ذلك ان نحاول، وأن نستمر في المحاولة، ولابد ان نصل.

أكتب إليك والشمس تملأ الكون، شمس أكثر من ربيعية، وكأن هذا الشتاء نسينا وعبر، ولك ان تتصور المصاعب التي تلحق الكثيرين نتيجة قلة الأمطار. ان علاقتي بالمطر خاصة، ربما نتيجة الجذر البدوي الذي يعتبر ان الحياة والموت يتوقفان على المطر. ومن يراقب أسئلتي عن الأمطار هل جاءت أو تأخرت، وهل تكفي أم لا، يظن ان لدي من الأراضي الزراعية الكثير، وهذا ما يقلقني!

ومع ذلك لنأمل وننتظر، لعل وعسى!

أواصل الرحلة في "أرض السواد" أقرأها الآن للمرة الثالثة، ولدي بعد القراءة الرابعة والأخيرة.



Twitter: @ketab_n

لقد توقفت في العمل عند محلة الصعود، إذا جاز لي ان أستعمل مثل هذه الكلمة، وتبقى مرحلة الإخفاق والانكسار، وهذه مؤجلة إلى وقت لاحق، لأن كم الحزن الذي يملأ القلوب في هذه المرحلة لا يحتمل إخفاقاً آخر، حتى لو في شكل رواية. المرحلة الثانية واضحة في مخيلتي تماماً، ولكن أفضل إرجاء التعامل معها، لأنها تحتاج إلى مناخ نفسي مغاير، ولأن العمل كبر واتسع الى درجة يمكن ان يرهق إذا زاد عن الحد، وهذا ما دعاني إلى التوقف.

أتوقع ان أنتهي من المراجعة الكاملة، وربما الأخيرة، في نهاية آذار، ويفترض ان أسلمها إلى الناشر في نيسان، وبعدها لابد ان أعطي نفسي إجازة.

بين مراجعة وأخرى، لأرض السواد، ومن أجل عودة جديدة، أكثر قوة، فتحت نافذة جانبية: ان أبدأ بكتابة رسائل مفتوحة، وقد سلمت الرسالة الأولى قبل أسبوع، وكانت حواراً مع "بينوشه" إمبراطور التشيلي المخلوع، وبدأت أيضاً برسالة أخرى للرفيق "غورباتشوف"، ويحتمل ان أسلمها قريباً، وأنوي ان أكتب رسالة كل أسبوعين، ولدى عدد هائل ممن يجب ان ترسل إليهم رسائل، ولقد وضعت هذه الرسائل كلها تحت عنوان رئيسي: "الرسائل الجديدة لإخوان الصفا" ، وحالما تنشر واحدة سوف أبعث بها إليك وبعد ان تقرأها، وتدخل في هذا الجو، يمكن ان نتبادل الكثير من الاقتراحات والأفكار حول من يجب ان توجه إليهم رسائل وماذا يجب ان يقال فيها. الفكرة نتيجة الغضب والتآكل، وأيضاً الأفق الأسود الذي يراد وضعنا فيه أو إيصالنا إليه، وهذا ما يجب ان يقاوم.

يمكن في وقت لاحق الدخول إلى عوالم وموضوعات كثيرة،



Twitter: @ketab_n

إنطلاقاً من الفكرة، لكن دون التقييد بالصيغة الراهنة، وقدم لنا، أنا وأنت، باباً واسعاً، آمل ان نصل إليه، وأن نفعل شيئاً في هذا المجال!

مشروع غلاف النهايات وصل بصيغته الأولية، والكيالي يلح على سرعة وصول الأغلفة، وأنا أؤجله، وأثقل عليك، لكن كما ترى، ليس في اليد حيلة. إذا توفرت لديك، من حواضر البيت أشياء مناسبة، فلا تتردد في إرسالها، لأن الموضوع لا يتطلب بذل جهد أكثر مما ينبغي، آمل ان تكون النتائج إيجابية.

أبعث إليك مع هذه الرسالة نسختين من "شرق المتوسط"، وقد أعيد طبع الغلاف مجدداً، لأن المحاولة الأولى كانت أكثر سواداً مما ينبغي. آمل ان يكون مرضياً، وإذا كانت هناك ملاحظات أرجو ان تشعرني بها، لكي نحاول التقليل من نسبة الأخطاء في الأغلفة القادمة.

وأبعث أيضاً الخطوط التي قد تحرض أكثر!

العزيز مروان

كما ذكرت لك في رسالة سابقة" : الكتابة النهارية لا تواتيني، ولأني أريد ان أرسل الرسالة مع مسافر، فقد حرضت نفسي ان أكتب، وبسرعة، وآمل ان أكتب رسالة ثانية ليلية في وقت قريب.

في الختام كل التحيات والأشواق، وإلى رسالة ثانية قريبة، مع مودتي وسلام الجميع!

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

أحتار أحياناً كيف أبدأ، هل أقول العزيز أو... أو.. فأرى في ذلك بُعداً يصعب وضعه أو يطول وأرجع إلى الصديق عبد الرحمن، وصلت الكتب ثم وصلت رسالتك البارحة. أعجبني الكتاب وأعتقد ان الكتب القادمة ستكون في تحسّن وكمال مستمر ولقد نفعت العصى كما ترى والفرس من الفارس.

أما عن قلق الصديق فهو في موضعه.. ولكن له شفاء. قلت لكم قبل البارحة على الهاتف جملة لم تعجبني وجاءت عرضاً ودون معنى أو قصد - أمسينا نرضى بالقليل - . ربما كان هذا في واقع بعض الوهن الجسدي أما الباقي فما يزال ثائراً غضوباً لا يرضى بالحلول. هناك أمور عضوية المعنى فيما يتعلق بالمجتمع الصغير، أي العائلة وبنيتها كخلية متعاضدة وكوحدة في فضاء الزمن. تشعر أنجيليكا بقلق كبير وحزن يكاد يكون متواصلاً وخاصة بما يتعلق بيونس وظروف حياته المدرسية والعامة..... يجب عليّ ان أكرّس قواي أو ما تبقى منها للحصاد الأخير بدل مشاكل اليوم التي يمكن مبادرتها بشكل جماعي في حالة الضرورة وفيما إذا كان هناك ضرورة لها.

ولكني، أرسم، ومع الربيع (سأعزّل) خيمتي وأنشر أعلامي الحريرية والكتانية وسأرسم معكم وأكتب معكم وأفرح معكم.

هذه كلمات سريعة سأعود في رسالة قادمة لك لنتحدث عن أمور تشغلك وتشغلني للمستقبل مثل (رسائلك) التي تحدّثت عنها


Twitter: @ketab_n

وهي فكرة رائعة وتكون في مثابة الضمير الإنساني الذكي والطفل الذي يسجل غضبه الرجولي، لسان الإنسان ضد الاغتصاب والحقد والكذبة المستمرة التي تجعل من الاضطهاد حباً ومن القتل بطولة وتضحية. إلى اللقاء على (صفحات) الليل التي نحبها. مروان

(ربما كان سبب تمهّلي في الكتابة لكم هو تمهّلي في الرسم. لم أستطع ان أفتح الباب الموصدة رغم المحاولة... وإنّ الأبواب الموصدة تغلق العين والقلب وتؤلم الروح فيصبح الأفق رمادياً ويفقد الأخضر طعمه ولا تنفع المواساة.. جاء الليل وعسى ان تكون رسالتي هذه لكم مفتاحاً للأبواب، اليوم وغداً. جاء الليل وسوف أذهب معه محمّلاً أنسامه حبي وشوقي لكم مع تمنياتي برمضان و الأعياد رغم ما قاله المتنبي: عيد بأي حال عدت ياعيد .. ولكن أعيادنا ستأتي وأنا أعرف ذلك. مروان

(إن الأبواب لا تُغلق إلّا إذا كانت قابلةً للانفتاح ولا تُفتح إلّا إذا كانت موصدة! فحمداً لله بالانغلاق والانفتاح!)



Twitter: @ketab_n

**دمشق- الشام 23/ 3/ 1999**

العزيز مروان

كل التحية والسلام

... وذهبت اليوم أيضاً إلى البريد علّي أجد الرسالة العتيدة، لكنها لم تصل.

يمكن اعتبارها، حتى تاريخه، مفقودة، ورغم ان أحد الأصدقاء في البريد، وهو " الفرّار" كلفته وأوصيته، إلا ان البحث، حتى الآن، لا يوحي بالأمل، وعليه يجب ان نعتبر الرسالة مفقودة، وأن نحاول شيئاً موازياً، إذا لم نستطع بديلاً؟؟، أو ان نقبض عليها.

غداً سوف أذهب إلى بيروت، ولا أعرف كم سأبقى هناك. الأمر يتعلق بإنجاز: " أرض السواد" ، وقد أصبحت في الخواتم، لكن الرتوش الأخيرة، الإصلاحات والتجميلات ضرورية، وأعتقد ان الإنسان لا يمكن ان يرضى أبداً، لكن لابد مما ليس منه بد، وهكذا سأضطر إلى الإقامة هناك إلى ان أنتهي. لا أعرف كم سوف يستغرق ذلك، لكنه لن يمتد أكثر من أسابيع، وحين أنتهي من المهمة سوف أعطي نفسي إجازة، وربما طويلة، فقد أصبحت أشعر بالتعب والملل، ولابد ان أضع نقطة النهاية، أياً كانت هذه النقطة، وأية كانت تلك النهاية.

وأتذكر الآن الكثير مما كنا نقوله أو نستعيده: الإنسان لا يرضى عن عمل، مهما كان متقناً، لكنه يشعر في لحظة معينة أنه ليس قادراً على ان يضيف أو ان يغير أكثر من ذلك، وإذا حاول يمكن ان



Twitter: @ketab_n

يفسد العمل كله، وعليه ان يتوقف في لحظة معينة، وإلاّ أتلف كل شيء!

يقول أحد شيوخنا، ما كتبت كتاباً في يومي إلا وقلت في غدي: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو استدرك ذلك لكان أفضل، ولو ترك ذاك هو ما يجب ان يكون، وهكذا تبقى العجلة تدور، ويبقى الإنسان قلقاً إلى ان يخرج العمل من بين يديه، عند ذاك يصبح ملك الآخرين، والآخرون هم الذين يحاكمون ويحكمون، ويمكن ان يكونوا منصفين ما داموا يعرفون طاقة الإنسان وقدرته على الإنجاز. أما إذا بقي العمل بين اليدين، وظلت تلك السوسة تنغل، فعندئذٍ لا يمكن إنجاز أي عمل!

لقد اشتقت إلى أحاديث من نوع آخر، وهذا ما جعلني أبدأ بالرسائل الجديدة "لإخوان الصفا". كتبت رسالتين، حتى الآن، الأولى: "لبنوشيه" والثانية "لغورباشوف" ولدي الكثير لأكتبه. أشعر، حتى الآن، أنّي مربّط، ولا أعرف كيف أنطلق، لكن مرور الوقت، وتزايد الرسائل لابد ان أوجه رسائل كأنها الطلقات، وهذا ما أريده.

في بعض الاحيان، وأكتب، أشعر أني لابس رباط عنق وبذلة سوداء، وأني مضطر للابتسام أو المجاملة. وهذا ما لا أريده. يجب ان أتحرر، ان أخرج من جلدي، أو ان أزيل الكثير من المواصفات التي تُربط الإنسان وتجعله دمية. حين أستطيع التخلص من هذه القيود يمكن ان أكتب كما أريد، وربما بشكل جميل، وحتى ذلك الوقت علّي ان أنتظر!

الجو عامل محبط: الأمطار قليلة إلى درجة تثير الأسى. وغياب الأمطار يغيب معها الفرح وغياب الفرح يجعل الإنسان منتظراً


Twitter: @ketab_n

شيئاً لا يأتي. دخل أمس الربيع، ولك ان تتصور ربيعاً دون مطر، دون تلك الروائح التي تملأ الجو في العادة. وهذا يعني انتظاراً قاحلاً مملاً، لا يعرف ماذا يأتي بعده!

وماذا أيضاً يا مروان العزيز؟

لا أعرف. أشعر بالكمد وبنوع من الحزن الشغيف، وأنظر لا أعرف إلى أين أو ماذا أنتظر!

أردت كتابة هذه الرسالة في ليلة السفر، وأردت ان أقول: علينا ان نتماسك.

أن نكون أقوى. أقول هذا لك لكي أقول ذلك لنفسي.

لدي، لدينا الكثير لنفعله، لكن لا أعرف هل نستطيع أم لا؟

إنه سؤال التحدي... والانتظار، وآمل ان لا تسبقنا الأيام.

وإلى رسالة قريبة كل الشوق والود... ومشمش المستقبل، ورائحة الطبيعة بعد المطر أو العشب بعد ان يُقص.

وتحيات كل الذين حولي، مع أشواق كثيرة.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1999-3-26

لو كان يوجد جمع لكلمة الأسف لقت يا عبد الرحمن ان آسافي لا تُتصور بسبب ضياع (المواد) وعندما أتذكر ما كان موجوداً (داخل الظرف، أشعر بالألم والغضب على نفسي لأني لم أرسلها مسجلة بسبب براءة (المسافر) وحسن ظنه بالطرق والأمانة والنباهة وعسى ان يكون الله (كريماً) معنا وأن يجد الظرف ظروف الوصول إليكم.

أعدت العمل وقد تغّير غلاف "حين تركنا الجسر" لضياع الأصل وكان لليلى. وإن الأصل الجديد المرسل هو تعويض لها عما ضاع. وكما ترى، فإن الأغلفة و دلائلها مسجلة بأدق التعليمات (التي لا يعرفها أهل العرب) وإذا اتُبعت فإن كل شيء سيجري كالجدول الولهان وعلى ضفافه النعنع البري برائحته الكريمة التي تفتح نوافذ الذكرى مع الحنين إلى اللقاء والحب والدفء وأيام مضت لها طعم حزين وآهة يختلط فيها الفرح مع الحسرة.

ربما كتبت لك في الرسالة الضائعة مما كتبت، ان يوم عيد ميلادي ظهرت في الجريدة الأولى البرلينية مقالة عني وعن سيرتي الفنية كالتفاتة حلوة أثّرت فيّ لتلك المناسبة ولم يكن لي علم بها وتمنيت لو جاء هذا بدل برلين، أو بالإضافة لها شيء كهذا في بلدي.

تصور حماقتي، الناس تحرق وتبلى وتغتصب والحقوق تضيع وأمريكا تضرب والوطن يتحمل المآسي من الخارج والداخل وظلم ذوي القربى .. وأنا أتكلم عن نفسي!



Twitter: @ketab_n

- شوقي لكم كبير -

ومما أتذكر من رسالتي الضائعة صفحة أخيرة ضحكت كثيراً وأنا أسطر حروفها لكم، وأحاول الآن استدراك بعض ما بقي في ذهني منها.

عن الورق الأبيض والأصفر

يعتبر أهل الشام، وربما معظم أهل العرب ان الورق الأبيض الناصع هو دلالة بورجوازية لأهل النعمة والأصل وأصحاب الكلام النادر والأدب المليح (ولم تأت الملاحة من الملح أو تكن اللحية من دلائل الكرامة والتقرب من النبي (صلعم) ، واليوم يوم الوقفة، ولنسرح قليلاً ونقول ان الأصل جاء من الحلي والحلاوة وكما هو معروف فإن للحلاوة طعمها المحبب عند أهل الشام والخاص أيضاً منهم لا يقولون ضَرَبَ وإنما تَرَبَ بفم صغير مستدير وعيون غمّازة ومن تضرب جاءت تترب وهكذا...

و إذا عدنا إلى حديثنا عن الورق، نواة الحديث والنواة لا تضيع على الطريق عند الرسام فإن الورق الأبيض المحروق نصاعة بحمض الكبريت وغيره من المطهّرات، يربط نصاعته بنصاعة أهل الشام الشريف. هذه النقطة الأولى وأما الثانية فإن الورق الأصفر الجميل بلون الرغيف الطازج التنوري يرتبط لونه وبهاؤه بالبداوة والقرى بعيداً عن دمشق وكما قال شاعرنا العظيم: حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب. ولكي لا أطيل عليكم أستشهد بـ"السليماني" وهو أوكسيد الرصاص السام الذي تطلي به المساكين من النساء السمراوات وجوههن ذكرى وارتباطاً بشرق طبقي وتقرب من بورجوازية من يظنون أنهم من منبت عظيم وأصل فاخر وشهرة فاقت الأجيال والأعمار مثل سيجارة (خانم) ذلك الزمان



Twitter: @ketab_n

وعليها فمٌ مذهّب ولهذا علاقة بالذهب وطموحات أخرى، وليس كما يخطر على البال للوهلة الأولى المذهب والمذاهب. سآتيكم يوماً لخطبة يوم الخميس تمهيداً وتدرباً لخطبة يوم الجمعة وخطبة بنت الجيران من المحب مروان

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ومرة أخرى مع شوقي وحبي.

Twitter: @ketab_n

1999-3-27

الغالي عبد الرحمن،

جمّعت لك الوثائق الطباعية للكتب الثلاثة البارحة مع أدق التفاصيل وأعطيتها اليوم صباحاً إلى صديقي زهير جميل الذي يطير هذه الساعة في طريقه إلى دمشق وسوف يعطيها بدوره إلى نذير غداً ولكنني نسيت ان أضع رسالة البارحة في الظرف ولذلك أرسلها لك اليوم مع البريد وأرسل لك الطبعة من غلاف "حين تركنا الجسر" والذي ضاع الأصل مع أسفي على الطريق والطبعة المرسلة هذه لا تعطي فكرة واضحة عن اللون الصحيح لأنها طباعة كمبيوترية ... وإذا شاهدتم يوماً هذا العمل على حائط أو عند "أبي نعيم" فهو لكم أو بالأحرى كان من المفروض ان يكون لليلى .. وعوضت لليلى بعمل جديد للغلاف الجديد.

إن أعمالي تأخذ وقتاً طويلاً في السنوات الأخيرة وعلى إطراد واضح للأسف. ان طبقات اللون الكثيفة اليومية على العمل يشبه تشققات الأرض العطشى منذ قابيل وهابيل وحتى اليوم. أحياناً أقول لنفسي عليّ ان أترك للوحة بهاء البكارة الأولى ثم أنظر وأقول لا، هنا وهناك وبعض السطوح الجديدة لأصل إلى النواة والوصول إلى النواة أمر عسير لا يتعلق بالوقت فقط وإنما بالهبة والانفتاح وهذا حق وضرورة وأقصد بهذا الزمن والمعاناة والتحدي الداخلي والندارة. عرضت في السوق الفنية لمدينة "كولونيا" في الخريف المنصرم لوحة رسمتها في الصيف ثم عادت إلى مرسمي. كان بها بعض الغنوجة والصبا. قلت لنفسي ربما هناك سطح بسيط يحتاج إلى عمل يسير



Twitter: @ketab_n

بدقائق. تحولت الدقائق إلى أسابيع وحتى شهر شباط. لم يبق من الأصل أصلٌ وأصبح ثقل اللوحة أضعافاً وجاء بها بعد العسر يسرى. لا أحمل السلم عرضاً ولكن يظهر ان سلميّ عجيب التشكيل رغم أني لا أرى به عجباً بل حقاً وواجباً فأنا لست صانع سلالم بل حاملها وكما تعرف فإن الحمل (الأخلاقي) أمام النفس ثقيل على الروح والجسد ولكن لنقل بأنه لكل درجة إشارة وخطوط وكتابة وهذا ما يعوّض و يفرح النفس لساعات الأمل.

ربما كان هذا جواب بسيط على سؤالك البارحة ماذا أعمل أو كيف العمل. لم أرض عن نفسي قطعاً ولم أتوقف للحصاد وعندما أسأل عن هذا أكاد أشعر بالذنب والتقصير وإن ما يسعد قلبي أحياناً ولع الآخرين أو بعض منهم بأعمالي واعتبارها حياتيةً ووجوديةً على جدران بيوتهم كالضمير يجلب الأمل رغم... رغم ماذا؟ . المواساات ربما كانت بالتاء المربوطة ولكنها من أجمل الكلمات في قاموس اليوم والمصير.

أتمنى لقاءكم و (حضوركم) لأن في ذلك سعادة قصوى لي وأكتفي اليوم بالشوق البعيد القريب مروان .

(أفكر في عمل غلاف جديد لـ "شرق المتوسط" إذا سمحت لي الظروف بذلك.. وخاصة إذا كان الناشر إلى جانب المؤسسة "المركز العربي"... سنبقى على اتصال(وثيق) وخاصة لأعرف عما إذا جلب دعاءك المطر وأنت واقف على قاسيون مشرف على سهل البقاع وبطاح فلسطين. مع حبي وشوقي وكما ذكرت لك على الهاتف: لترجع حليمة إلى عادتها القديمة ومعنى ذلك الكتابة.)

**مروان**



Twitter: @ketab_n

1999-4-25

الغالي عبد الرحمن،

بعد السلام والمرحبا مثل ما كانوا أهل أوّل يقولوا وأهل ما بعد الأوّل أيضاً في سهرات النضال الطربي على أغاني الشيخ إمام، أحييكم بمجموعة نضال إيجابية ثلاثة مرات من أغلفة "أرض السواد" أرجو ان تحظى بإعجابكم الكبير وإعجاب أهل الذوق والمعرفة في بلاد العرب.... ضاعت الفكرة على طريق الصفحة فتسليت بالرسم..

والحقيقة ان الفكرة لم تضع على الطريق ولكن الريشة (مْروكبة) وهي لم تعد تملك العطف والمرونة والحب وأصبحت مثل الجحش الذي لا يريد السير رغم الضرب وهكذا ألجأ إلى القلم رغم تعلّقي بالريشة وأنواع المداد التي أصنع بعضها بنفسي.. ونحن على أبواب القرن الجديد وعجائبه الكاوباوية البربرية من طيارات وصواريخ وأوروبا الكلب الصليبي المطيع للقارة الجديدة خلف محيط الظلمات في تنفيذ حقوق الإنسان على طريقة حقوق الأكراد في تركيا وحقوق الشعب العربي في فلسطين وما أحلى حياة الكلاب عند أهل الشمال. ما أغبى الإنسان. عندما كان الرجال والنساء يسألون آباءهم لماذا صمتوا أو مشوا مع النازية يأتي الجواب بأنهم لم يكونوا يعرفون... وأنا أقول لرجال اليوم أنتم تصفقون وتهللون (للقنابل والصواريخ الإنسانية في حرب الشرف والدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية المذبوحة) شأنكم شأن آبائكم من النازيين أو ممن ساروا معهم ببأس وحماس وفرح.. أشعر يا عبد الرحمن بكثير


Twitter: @ketab_n

من الغضب واليأس أمام وحشية أمريكا والعالم الجديد.

(ولا تنسى انتقام ألمانيا اليوم من يوغسلافيا في ما يتعلّق بالحرب العالمية الثانية والمقاومة العظيمة بعد أكثر من نصف قرن)

**1999-4-26**

ومرة ثانية يا عبد الرحمن، الله يرحم أهل أول ما تركوا شيئا ما قالوه مثلاً، واحد بيكمش التراب بساويه ذهب والآخر يكمش الذهب ويصير تراب. وهيك عند الكلمة وهيك عند اللون. أحياناً تسير اللوحة لوحدها وتكاد تسبق الصانع وتسير الكلمة الكريمة المبدعة وكأنها فراشة على شفاه الكاتب وأحياناً يريد الصانع اللون والكاتب الكلمة ولكنهما يستعصيان رغم كل جهد... أحس بوهن (وسأم) هذه الأيام بعد جهد طويل طويل (لاغتصاب) لوحة ثم قلبتها قبل أسبوع وتركت وجهها البائس تجاه الحائط مثل الأرض البور ولعل وعسى يهطل الغيث ويأتي الغضب بفرحة جديدة.. عسى.

هل أعجبتك البومة يا عبد الرحمن؟ رأيتها ظريفة مكسورة الجناح. نظرت اليوم من جديد لأغلفة أرض السواد وشعرت بالرضاء وأقترح ان تأتي علبة للأجزاء الثلاثة من كرتون بسيط على كعبها الخط ... ما رأيك؟ .

**1999-4-27**

سأذهب الآن إلى البريد لإرسال الأغلفة مسجلة مع واجب توقيع المستلم .. والمؤمن لا يلدغ... وأرجو إعلامي فوراً عن الاستلام والرأي والإعجاب الخ . بدأنا بتنظيم قراءة حزيران لك وسوف نأخذ مقاطع من "شرقي المتوسط" وربما تُقرأ من رجل وسيدة، ومن "النهايات" ولدي اجتماع مع السيدة "كارين كيفوس" (Karin Kivus) الشاعرة والمسؤولة عن القسم الأدبي في المجمّع



Twitter: @ketab_n

يوم الثلاثاء القادم، كما اتصلت بدار النشر في مدينة "بال" وأنت تعرف طبعاً ان النهايات أصبح عنوانها هنا (على أطراف الصحراء) والسيدة في "بال" كانت في غاية الود وذكرت ان مدن الملح مع الاهتمام الكبير سوف لا تترجم بسبب التكاليف الباهظة...

سأتصل بك هاتفيا لآخذ رأيك في اختيار المقاطع... في أربعة أو خمسة حزيران يقرأ "الطيب صالح" في مدينة "ماربورغ".(Marburg) سأنظف طاولة الرسم من رماد اللون عسى ان يفتحها الله في فؤادي عيناً مثل ينابيع البوادي، لوناً جديداً وشكلاً خبيئاً وفرحةً للأصدقاء. وعندما تمتلئ العين بماء عذب، آخذ منه مداداً لريشتي لكتابة السطور إلى الأحباء. مروان

**1999-4-28**

جئت من البريد يا عبد الرحمن لتوي وها أنا أكتب لك لأرجع إلى البريد مرة أخرى. سيتصل بي الياغي غداً ظهراً ومما قاله على المسجلة بأن أرض السواد ستكون (ربما) أكثر من جزء! أرسلت لك الأجزاء الثلاثة وأنا راض عنها تماماً وأعتقد أنها ستكون جميلة وجيدة ومتراكبة وموحدة.. ويا ليت أمة العرب كذلك. الحمير يصفقون لأمريكا ويهللون ولا يعرفون أنهم خراف الأضحى ولكن ليس على دين أبينا إبراهيم بل على طريقة الأمريكيين ونحن الهنود الحمر... ان كل ذلك يمرضني كثيراً والغضب يحرق داخلي وخارجي.

كثيراً ما أفكر بتقصيري، لماذا لا أذهب إلى المطار وآخذ الطائرة إلى دمشق لأقرع على باب داركم وأقول ها أنا ويا مرحبا وأبقى بعض الأيام.. وكما وعدت سوف أكتب لك وأرد على رسالتك قريباً.

مع شوق أواخر نيسان

**مروان**



Twitter: @ketab_n

دمشق 31 /تموز/ 1999

أخي العزيز مروان

تحيات كثيرة

مثلما تعرف... الرسائل الصباحية تكون عادة سميكة، لأن دافعها عملي أولاً، ولأنها تكون تحت تأثير بقايا كوابيس الليل، ثانياً، ولذلك أرجو المعذرة لأنها قصيرة، سريعة، وتخلو من الأشياء الجميلة والهامة التي يفترض ان نتحدث فيها.

الصيف الدمشقي لهّاب إلى أقصى حد، حتى ان الخروج من البيت لغير ما سبب ضروري مغامرة غير مضمونة النتائج، وهذا ما أحاول تجنبه قدر ما أستطيع.

السفر إلى بيروت يؤجل يوماً بعد آخر، لكني هذه المرة عازم ان أفعل، وبعد يومين، لأني عرفت ان النسخة الفنية من أرض السواد ستكون جاهزة أو قريبة من ذلك خلال الأيام القادمة، وأريد ان أرى كيف يسير العمل، خاصة وأن الطبعة العادية اكتملت لكن تأجل توزيعها، لتنزل بعد الفنية، ولاعتبارات تسويقية يقدرها الناشران.

ما زلت أواصل التفكير، دون التحضير "لبستان هشام"، وآمل حين نلتقي ان يتبلور المشروع أكثر، وعسى ولعل.

أبعث إليك طياً الخطوط التي طلبتها بخصوص مدن الملح، ويفترض بعد وصول الأغلفة ان تصدر بأيام قليلة، المعذرة لهذا الإزعاج، مع رجاء ان لا تنسى الأشجار واغتيال مرزوق، سوف أبعث بالخطوط قريباً.

في الختام تحياتي إلى الجميع وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**دمشق 23/11/ 1999**

العزيز مروان

سلامات، وسلامات مع أشواق كثيرة.

وعدت ان أكتب إليك، لكني تأخرت، وربما كثيراً.

الآن، في الحادية عشرة ليلاً، ومع صوت "محمد عبد الوهاب"، أكتب إليك، بعد ان بدأت بكتابة مقال عن "محمد محمود خليل" ومتحفه في القاهرة.

أشعر ان الكتابة عن الرجل ضرورية، وقد أجّلت هذه الكتابة عنه فترة طويلة، إذ كنت أريد ان أكون بمزاج طيب، وأن أفي هذا الرجل ما يستحق، لأنه أبرز المتنورين، والأثرياء، في جمع أعمال كثيرة للانطباعيين، ولآخرين.

لابد ان تذكر ان هذا الشخص الذي وُلد في الربع الأخير من القرن الماضي- ويجب ان ننتبه ان القرن الذي يليه يكاد ينقضي بعد عدة أسابيع - كان ذا أهمية بالغة من خلال اقتناء أعمال كثيرة كانت نواة، وذات تأثير، خلال، ثم بعد ذلك، في الأعمال الفنية المصرية، وربما العربية.

أين وعي هذا الرجل من أثرياء اليوم؟ الواحد من أثرياء المرحلة الحالية يفضّل ان يشتري حبتين أو ثلاثة من السيارات، أو إذا كرم يشتري مركباً، يختاً، على ان ينظر إلى لوحة، أو ان يفكر بشراء شيء ذي قيمة. إنه الانحطاط، السقوط، وربما رغبة التآكل ثم الغياب.



Twitter: @ketab_n

لا زلت اتذكر مناقشات مجلس الشيوخ في روما، حتى أيام نيرون. كانوا أكثر ثقافة وحساسية من عرب اليوم. قد يكون الانحطاط كلاً لا يتجزأ، وبالتالي من يخطئ في قراءة الفن لابد ان يخطئ في قراءة السياسة، وبالتالي اتخاذ الموقف الصحيح في الوقت الصحيح. ان حالتنا تتطلب نوعاً من القراءة الخاصة، لكي نكتشف أين فقدت البوصلة صوابها، وأصبحت تشير إلى الاتجاهات بسبب المزاج أو الرياح، دون الأخذ بعين الاعتبار أين هما الشمال أو الجنوب.

إنني أكتب عن خليل لكي أقول للناس أين أصبحنا، وكيف نواصل الاتجاه الخاطئ. لا أعرف ان كنت باختياري أكلِّم أحداً، أو أكلم نفسي، وماذا كنت أقول شيئاً صحيحاً أو مناسباً أم أنني أناجي نفسي، وأفكر بطريقة تغازل المزاج أكثر مما تخاطب العقل والناس المعاصرين.

ليت ان لي منبراً أطل من خلاله على الناس، إذ لقلت لهم: غادروا المستنقع، أيها السادة، قبل ان تغرقوا في الخراء، لكن يبدو لي أنني أفضل الكلام مع نفسي، أو مع عدد محدود من البشر. مأساة، انحطاط، سقوط، أو ربما محاولة للفناء، لا أدري.

تعتب علَّي، تقول ان الحجج، من أجل اختصار الرسائل، جاهزة دائماً، ولكن المسألة ليست كذلك. أشعر بإحباط، بعدم جدوى، وهذا ما يجعلني أؤجل، أختصر، وبعض الأحيان أصمت. لدي الكثير لأقوله، لكن لا أعرف كيف تسيطر علَّي حالة من العصبية تجعلني أشعر ان لا فائدة.

كل واحد منا يشعر بشعور مماثل، للأسباب ذاتها أو لأسباب مختلفة جزئياً، لكن المناخ العام يوحي بذلك، ويقضي على النغمة أو الفكرة قبل ان تصل إلى اللهاة، بل ويشعر ان الصمت أكثر بلاغة


Twitter: @ketab_n

وأقوى تعبيراً، لكن ما دمنا قد تورطنا بهذه الحياة، وفرض علينا ان نُقاقي مثل الدجاج، فها نحن نفعل، لكن بطريقة كئيبة، بحيث لا نعرف ماذا يجب ان يقال أو كيف نقوله.

يفترض من يرسم، نظراً لعدم وصول رسالته، ان الكلمة أ كثر تعبيراً، وأقوى من اللون في التعبير، لكن ماذا تتصور حين ترى الكلمات أصبحت مثل العاهرات في الطرق الجانبية، كل واحدة قادرة ان تقنع الزبون أنها الأفضل!

في ديوان بدر السياب، المومس العمياء، تقول تلك البائسة ، تعالوا يا سكارى، تعالوا جربوني فان اللذة التي تفتشون عنها ليست في العينين وإنما بين الفخذين، وتظل تشكو الزمان والدهر والسكارى، لكن دون جدوى، الحالة بالنسبة لنا الآن لا تختلف كثيراً عن تلك المومس، كل واحد منا يشعر ان مركز الثقل حيث لا يراه الناس، ولا يحاولون ان يجربوا، ان يكتشفوا، ولذلك تظل القضية مغيبة أو مجهولة.

بعد "أرض السواد" أريد ان أقف، وربما وقفة طويلة، لكي أجرب وأتأمل احتمالات أخرى، صحيح ان ما كتبته مجرد مقدمة، لأن ما سيلي أهم بكثير، لكن لا أجد في نفسي الاستعداد أو المزاج الكافي لذلك، وعليه لابد من وقفة، وإعادة النظر، وتأمل كل شيء من أجل وضع جدول جديد للأولويات، لا أعرف، لكن هذا ما أحس به، أبحث عنه، أحاول اكتشافه، ولا أدري ان كنت قادراً على الوصول إليه أم سأبقى باحثاً الى الأبد.

لست معكر المزاج أو يائساً، لكن لا شيء في وقته أو مكانه، حتى المطر لا نراه ولم نره حتى الآن. نحن اليوم في أواخر تشرين ثاني، بعد بضعة أيام ندخل في كانون، الشمس ساطعة وكأننا في عز



Twitter: @ketab_n

الصيف، درجة الحرارة ثلاثين أو تزيد قليلاً، السماء صافية مثل طيز السعدان، المطر ذكرى بعيدة. في الليل برد قارص، لكنه خنثى، إذ تعرف ان اليوم التالي سيصبح مشمساً وأكثر عداء، والناس تفتح حلوقها وتمد ألسنتها كالكلاب.

إذ أصبحت هذه السنة مثل تلك التي مضت فإن دمشق التي تعرفها سوف تكون مثل الكلاب العطشى، تمد ألسنتها، تستجدي، تسب الدين بكل اللغات، لكن لا يعرف!

سوف لن أعيد قراءة الرسالة، لأن مجرد قراءتها مرة أخرى سوف تجعلني أتوقف، أعيد النظر أحذف وأضيف، فالانفعال الذي يسيطر علَي الآن يجعلني أسترسل، أذهب إلى آخر الشوط، دون تردد، ودون شعور بالندم، فالكلمات وهي تتوالى مثل الطلقات لها جمالها الخاص، حرارتها، وبعض الأحيان جنونها، وهذا ما يلزم في مثل هذه الأيام.

لقد انتهيت أمس من كتابة دراسة صغيرة عن "عرار"، هذا الشاعر الأردني الذي مات قبل نصف قرن، والذي عاش بين النوَر الجزء الأكبر من حياته، والذي خلفَ ولداً أصبح ذات يوم رئيساً لوزراء الأردن، وصفي التل، وقتل الإبن في القاهرة، وبعد مدة، قد لا تكون طويلة سوف يواصل "عرار"، الأب، الحياة، في الوقت الذي ذهب ابنه إلى الأبد، علماً بأن وصفي خلال حياته كان أكثر أهمية من أبيه، لكن ماذا يعني البقاء والخلود في ظل أوضاع نعيشها الآن؟

لا أعرف ماذا وكيف يجب ان نواصل الحديث، فالأفكار مثل العواصف الشتائية، والأحلام مثل مزاريب الشتاء، وهناك أشياء كثيرة يمكن ويجب ان تفعل، لكن الهمة، يا مروان، ولا يُعرف ان



Twitter: @ketab_n

كان العمر يسعف أم لا ، وماذا إذا هناك ناس مهتمون أم لا ، وماذا لو قلنا أو فعلنا ، أسئلة كثيرة، وربما لا حاجة إلى الجواب.

بعد أيام سوف أسافر الى عمان، بدءاً من يوم 2/ 12 وسوف أبقى هناك أسبوعاً، وسوف ألتقي بالكثيرين، لكن النفس ليست مفتوحة، والأشياء متداخلة إلى درجة ان الصيف والشتاء على نفس السطح، وأشعر أنني بحاجة ماسة إلى رحلة إلى مكان مجهول، وإلى الصمت، وإلى البقاء في الظلال المعتمة.

لا تعتبر هذه الرسالة رسمية أو معبرة عن الوضع بشكل دقيق، لكنها فشة خلق، وسوف أكتب إليك قريباً وبشكل مختلف، وحبذا لو أستطيع ان أرسم.

حسن ياغي يفترض أننا بحاجة إلى غلاف جديد" لأرض السواد" ، إذ يقدر ان يعاد طبعها في بداية العام وأقصى حد في الربيع القادم. اتفقت مع "فخري كريم" على ان يكون الخريف القادم موعداً لمعرضين واحد لأنجليكا، ربما في أكتوبر، والآخر لك، للمتواليات، بعد فترة أخرى، أترك لك ان تحدد، سعاد وعزة وليلى وياسر وهاني، إضافة إلى أعداد كبيرة من الأصدقاء، يهدون التحية وإلى لقاء، ربما يكون قريباً... تحيات وإلى اللقاء.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

1999 -12- 23

العزيز الصديق عبد الرحمن،

عجزت عن الكتابة حتى الآن لأسباب أقلقتني غالباً ألا وهي الوهن ثم الاضطراب الذي يسببه خوفنا من (ضياع) الوقت أو الأحرى (ذهابه) ونحن نقف على الهاوية دون عودة. ورغم أننا مررنا بمثل هذه التجارب في عمرنا وأننا عدنا إلى الينبوع لننهل منه عملاً وأملاً إلا ان المأزق يبقى كما هو وخاصة قضية العمر. عدت من عمان متعباً دون قوة أو حول وبقيت غالباً في الفراش مع أحلام تشبه الحمى اختلطت فيها دمشق بعمّان على أرض برلين وقد كان في ذلك خيرٌ مادامت النفس بعيدة عن الكآبة البلادة والصمت رغم عجزي عن الرسم تقريباً بسبب الجسد الضعيف. واليوم، مع البرد والصقيع وهدوء المدينة التعبة بعد جنون الشراء والتحضير لعيد الميلاد وبعد ان انتظرت بالصف دوري لأشتري وزة لعيد الميلاد أيضاً، أجلس على الكرسي المعتاد في مرسمي مساءاً وبي القدرة لأكتب لك.

تغادر العصافير والطيور الرحالة أوروبا مع الخريف وتبقى السماء للغربان ونوع منها يسمى "الإلستر"، أصغر من الغراب وله ذيل طويل ولونه أسود إلى جانب خطوط بيضاء وصوته عدواني قبيح وهو لص جريء وربما رأيته على الأقل في لوحات مناظر الشتاء على الأشجار العارية. تحولّت شجرة الكستناء إلى جسور بنية قاتمة مثل السكك المتقاطعة وخلفها موزاييك السماء الزرقاء وعندما أنظر من فراشي عبر النافذة في الصباح أرى في التشكيل المذكور تلك الطيور، العقاب أو "الإلستر" وهي تقفز باستمرار وتصرخ منتقلة من



Twitter: @ketab_n

غصن إلى غصن وكأنهم يعرفون أنهم سادة الفصل العاري.

كنت أسمع حتى قبل أسابيع صوت الوز البري في الليل وهو مهاجر إلى الجنوب في أفواج كبيرة والتنظيم المثلثي الذي تعرفه. أقفز إلى النافذة فاحصاً تلك البقعة المفتوحة على السماء مع ضوء القمر لأرى ذلك الظل الحبيب لثواني، ثم يخف صوت الطائر حتى ينعدم. أشعر بحنان كبير وأتذكّر إحدى أمسيات دمشق وأنا في ديار البيت عندما سمعت وأنا طفل لأول مرة ذلك الصراخ آتياً من السماء فرفعت رأسي لأنظر حيث رأيت ذلك السرب العجيب الذي سببت لي رؤياه مشاعرَ عذبة وخفية حتى اليوم. ليتني كنت واحداً منها.

تعيش فوق سقوف بيتنا حمامتان من طيور المدينة. غالباً أقرأ متأخراً في ساعات الليل وأتعجب أنهما ليلة بعد ليلة يرتلان في حدود الساعة الثانية صباحاً لبعض الثواني ثم تعود السكينة رحمة للنائمين وأقول لنفسي ما السبب! .

لم يكن قصدي يا عبد الرحمن ان أكتب لك ملاحظات عن الطيور ولكن جاء هذا عفوياً ودون ترتيب. وما دمنا في هذا الموضوع فإني أحب ان أكتب لك عن (سلوى) وقد كنت أنت الذي علمني بأن أسمّي ذلك الطائر الجميل "سلوى" والحقيقة ان (سلوى) هي سلوى ولا يليق بها اسم آخر. جاءني بها "علي" مساءاً وأنا جالس بجانب الطاولة الرخامية في الدارة قائلاً أني الطبيب وهي جريحة. دهنتها بزيت الزيتون في العنق والساق وبداية الجناح ثم جلبت قفصاً وانشغلت بها حتى قبيل سفري. أطعمتها التين ووضعت لها الماء وكنت أمسح عينها اليمنى لأبعد القيح وشعرت ان "سلوى" قربت الشفاء رغم أنها أصبحت عوراء وفي ساقها الأيمن عرج وشغلني التفكير في إمكانية جلبها معي إلى برلين وعن الطريقة.



Twitter: @ketab_n

مثلت "سلوى" لي سحر الطائر في الغوطة والبراري والولع به لوناً وشكلاً وخاصة في ما يتعلق بالرشاقة والمعاني الخفية التي ترتبط بالطير والحرية وحتى الأنوثة أيضاً. كنت أخرجها مساءاً من القفص لأتركها في الحمام مع (سجادة) والماء والتين وشيء من بقايا الخبز. رفضت "سلوى" في الأيام الأخيرة الطعام واختبأت في نفسها. ان ما أثّر بي في كل هذا هو الأيام الأخيرة وبالذات نصف اليوم الأخير. كان الحمّام مظلماً فارغاً وتعيساً ليس فيه أي بصيص من أمل أو نور. وقفت "سلوى" مغمضة العينين دون حراك ثم استلقت على الأرض. حاولت ان ألمسها فوقفت في جهد كبير وحدث هذا مرات قبيل ان أضع يدي عليها برفق للمرة الأخيرة وأشعر ببرودة الطائر وتصلب جسده. هذا هو إذاً: من البراري ومتعة الوجود إلى الموت في غرفة مظلمة معزولة، هزيلة ومهزومة لوحدها. هذا هو الموت وهذه هي القصة. تأتي لتحرك الجناح في ظهر السماء وتسرق بعض ما تعطيه الطبيعة من غلّة ورزق ثم تموت وحيدة مع عبث الوجود. أثرت الحادثة فيّ كثيراً وخاصة ذلك الجسد البارد في زاوية حمام في (دارة الفنون) مع الاحتفال الحزين المتواضع والأخير في تغطية الرأس "بنكُد" وجناح كسير.

تحركني هذه المشاعر كثيراً مع شيء من التأمل والمعرفة والحقيقة أننا، أنت وأنا ننوّه عن ذلك بخوف أو بالأحرى بحذر دون ان نضع النقاط على الحروف وإذا كان الأمر كذلك فإن أهمية الوقت تتضح لنا مع نوع من الأسى أو لنقل الزمن والفراغ والدقائق والهم الأكبر في هذا ان يساعدنا الحظ جسدياً، و الأهم من الجسد، روحياً في تقديم الأحرف الأخيرة من قصتنا في رواية الحياة والموت في تلك الدائرة المستمرة أو كما يقول العوام "دولاب الدهر دار والزمن غدّار". نحاول ان نفتح صندوقاً خبيئاً في ذاتنا ألا وهو



Twitter: @ketab_n

صندوق العطاء و الإبداع وإشارات خاصة عن وجودنا ورؤانا للعالم والإنسان إلا ان هذا (الصندوق) يتصف بالمناعة وله نزواته وأسراره يعطينا ساعات السعد والفرح ويعطينا أيضاً ساعات (الخوف) والبؤس ولا نستطيع ان نتحكم به رغم الإرادة والرغبة والإصرار. ان همنا ان نخلق صورة في خيالنا أولاً عن تنظيم جديد وشخصي للطبيعة والأشياء والعالم ثم ان نحضر تلك الرؤيا من الخيال إلى الواقع على الورق أو (حاملات) الفن والأدب الأخرى. ان انعدام الصورة الإبداعية في الخيال والتصوّر تجعلنا حرفيين نغطي العّنة بتقليد الأشياء في تحويل عجزيّ وفاشل في بهرجة أو قباحة يملأها الغباء والقصور.

أحن إلى الوطن كثيراً وكم كنت أتمنى لو أننا قضينا عيد الميلاد ورأس السنة في دمشق أو بيروت و لولا زواج عزيز العظمة في توقيت غريب في 28 - 12 ووضعي إشبيناً لزواجه، لكنت معكم الآن. أحياناً أفكّر بأن أترك برلين بعد هذا العمر لأعيش معظم ما تبقى لي من الوقت بين الشمال والجنوب.



Twitter: @ketab_n

**بدون تاريخ**

مروان العزيز

سلامات كثيرة وأشواق أكثر

حاولنا يوم 31 كانون الثاني الماضي ان نسمع صوتك، وأن نقول لك أُبلغ التسعين وحاول بلوغ المائة، أيها الحبيب، لكن تلك الآلة الصماء لم تستجب، فقد حرن الهاتف وتبعه الفاكس، لكن أُذنك اليمين لم تكف عن الرنين، فقد تذكرناك كثيراً وطويلاً.

بعد ان حرن الهاتف والفاكس بعثنا إليك بتلك الرسالة السريعة عن طريق البريد، أرجو ان تكون قد وصلت.

أول صوت في القرن الجديد، وبعدما عدنا إلى دمشق، وكان ذلك الصوت أواخر الليل، كان صوت لشحرور!

لا أعرف لماذا فقت في تلك اللحظة الخصبة، وحالما سمعت ثم استمتعت بهذا الصوت، تفاءلت إلى أقصى حد، وشعرت ان أياماً أقل صعوبة تنتظرنا. يبدو ان الطيور، لي ولك، خلال هذه الفترة، أصبحت ملائكة الرحمة، إضافة إلى بشارات ان أشياء جميلة تنتظر ان ننجزها، وهذا ما أحاول ان أصمم عليه وأعتبره هدفاً رئيسياً، خاصة في ظل السواد الذي يخيم على النفس نتيجة ما يحيط بنا من كآبة وقبح وتآكل.

لقد أصبحنا متورطين في العمل، فإذا صدر هذا العمل عن قناعة ومعرفة وإتقان، لابد ان يصل إلى قلوب الناس، ويجعلهم بالتالي أكثر حساسية وأكثر وعياً، وربما هذا هو المطلوب من المبدع



Twitter: @ketab_n

أياً كانت الوسيلة التي يستعملها، وأياً كانت الطريقة التي تمكنه من "قول" ما ينبغي ان يقال.

أنجزت خلال الفترة الأخيرة، دراستين، واحدة عن متحف "محمد محمود خليل"، والذي يضم مجموعة هامة من الأعمال الانطباعية، ويعتبر أهم، ما موجود في المنطقة العربية. لقد كان هذا الرجل نموذجاً للرجل المستنير، وكانت الأجواء حوله محبطة في جانب، ومستعدة لاستقبال الجديد من ناحية ثانية. وهكذا، وعلى مدى خمسين سنة متواصلة لم يكن له من هدف إلاّ اقتناء الأعمال الفنية، وقد ساعده وضعه المادي، إضافة الى موقعه، على جمع ثروة فنية مميزة.

لقد بعثت بهذا المقال إلى مجلة تصدر في عُمان، واسمها نزوى، وحالما ينشر سوف أبعث إليك بنسخة منه، وإذا أردت ان تراه قبل ذلك فسوف أبعث إليك بالمخطوطة.

أما الدراسة الثانية فكانت عن صديق عراقي- أرمني، اسمه "أرداش"، وقد تكون سمعت عنه أو رأيت بعضاً من أعماله الفنية، وسوف تنشر هذه الدراسة خلال أيام في مجلة "المدى".

السبب الذي دفعني للكتابة عن "أرادش": الموت الذي اختطفه في بداية العام، بعد رحلة حياة غنية ومشوشة، وقد غُبن في حياته، وكان يجب ان يُرد له الاعتبار، وهذا ما حاولت ان أقوله في تلك الدراسة.

أفكر الآن الكتابة عن بعض النحاتين العرب، خاصة "مختار" و"جواد سليم" و"محمد غني"، وربما آخرين. لا أعرف لماذا يشوقني الكتابة في النحت هذه الأيام، ربما لأن دراسة ليلى تتناول النحت على البازلت، وتتذكر رحلتنا إلى السويداء في الصيف الفائت، ورؤيتنا ذلك التمثال في شهبا.



Twitter: @ketab_n

وأفكر أيضاً ان أكتب عن بعض الرسامين، على الأقل من باب التعريف وإثارة الاهتمام والفضول، لعله يستطاع غسل العيون من القباحة والتفاهة التي تملأ الكون. أفكر بالكتابة عن "ضياء" و "رافع الناصري" و "علي طالب" ، وربما عن فنانين من سورية.

وهكذا ترى ان مزاجي في هذه الأيام فني بالدرجة الأولى، وأريد ان أواصل لبضعة شهور قادمة، قبل ان أقدم على رواية جديدة، خاصة وأني أريد معرفة صدى "أرض السواد" ، ورأي الذين قرأوها، لأن من شأن ذلك ان ينير لي بعض الزوايا، ويساعدني على كتابة أفضل.

ينوي حسن طبع أرض السواد خلال الشهر القادم، لأن الطبعة الأولى على وشك النفاذ، وقد لاقت في أمكنة عديدة إقبالاً مشجعاً. واليوم بالذات قرأت في "السفير" أنها كانت ثاني رواية من حيث المبيع في معرض القاهرة للكتاب، إذ بيع منها الكثير.

هل تستطيع ان تقرأ هذه الرواية - العقوبة، قبل إعادة الطبع لأن رأيك يهمني، ولا زال بالإمكان تدارك بعض الأخطاء والنواقص، لا أريد ان أرهقك أو ان أغير من أولوياتك، لكن ان أسمع منك شيء هام.

زرت نذير قبل أيام وقضينا أمسية جميلة، وقد طلبت منه ان يضع لي رسوم وتخطيطات للنهايات، إذ ستصدر ضمن كتاب في جريدة، وأبلغني المسؤول عن المشروع أنهم كلفوك بإعداد رسوم وتخطيطات لإحدى روايات بهاء طاهر، ولقد فرحت لمشاركتك، خاصة مع هذا الكاتب الهام والحساس كمبدع وكإنسان. لقد تعرفت عليه قبل سنتين أثناء زيارتي للقاهرة فوجدته إنساناً رقيقاً شديد التهذيب، وكنت قد قرأت من قبل أكثر أعماله فأعجبتني.



Twitter: @ketab_n

مشروع كتاب في جريدة يطبع 5.2 مليون نسخة، اذ تنشره حوالي اثنين وعشرين جريدة في يوم واحد، وفي معظم العواصم العربية، ويصدر في أول أربعاء من كل شهر، ويبدو أنه يلاقي اهتماماً، خاصة وأنه دون ثمن، إذ يوزع كملحق مع جرائد الصباح في معظم الأقطار.

ليس هناك نشاط أدبي أو فني خلال هذه الفترة في دمشق، إذ ماعدا معرض واحد لرسامة لبنانية اسمها فاطمة الحاج، فإن أكثر المعارض الآن عادية أو دون ذلك، كما لم تصدر كتب ذات قيمة.

الجو لا يزال بارداً، دون أمطار، يجب ان نكثف أدعيتنا أنا وأنت من أجل ان يبعث الله المطر، إذ ما عدا الثلجة التي جاءت خلال الشهر الماضي، فإن رزقة السماء في هذه الإيام تثير الخوف. إذا وجهنا الدعوات للسماء يمكن أو لعل، ان يستجيب الله، خاصة وإن دعواتنا دون غرض فلا ارض لدينا، ولا محاصيل ننتظرها، لكن تضامننا مع الفقراء، وعواطفنا الإيجابية تجاه السماء، قد تؤدي نفعاً، فلا تبخل يا أبا يزن!

الأولاد في بيروت، وقد يكون وضعهم صعباً بعد الغارات الصهيونية اللئيمة، إذ لا كهرباء، وعليهم الصعود على الأقدام إلى الطابق السادس، والوقت وقت امتحانات، ومع ذلك أقدّر ان يتم التغلب على هذه الصعوبات في وقت قريب، كما ان أرجل الشباب وسواعدهم تمكنهم من مواجهة مثل هذه المصاعب.

أرجو ان تكون قد انتهيت من الفحوص الطبية وأصبحت أكثر اطمئناناً، كما أرجو ان أسمع منك كل الأخبار الطيبة في فترة قريبة، سواء تلك المتعلقة بالصحة أو بالعمل، وحبذا لو تكتب لي بالتفصيل حول المعرض الذي أقمته في معقل "بريشت"، أي في ذلك البناء الجميل، والذي رأيته قبل بضع سنين.



Twitter: @ketab_n

هذا ما لزم ان نخبركم به أيها العزيز مروان، إضافة إلى الشوق الكبير، والرغبة في معرفة أخباركم، كما أننا ننتظر ونتوقع قدومكم خلال الشهر القادم أو الذي يليه. وإذا تعذر عليكم، فقد وافقت اليوم على تلبية دعوة وجهت إليّ من هولندا لإلقاء محاضرة، وقد حدد الموعد إما 27/ 5 او 16/ 6 ومن المحتمل ان أقضي هناك أكثر من أسبوع، ولابد ان يشجعني هذا القرب على زيارتك مجدداً في برلين وقضاء بضعة أيام جميلة في ربوعكم الخضراء، فاحسب حسابك لمثل هذه المفاجئة، وربما أستطيع ان أحمل إليك "بستان هشام"، معظمه أو كله، في تلك الفترة.

أبلغتك هاتفياً ان "حسن" اتفق مع "هانس" على ان يضع تحت تصرفك أي عدد من نسخ الكتب، وقد بعث إليه مقداراً كافياً، وفي حال رغبتك في المزيد فلا تتردد في الاتصال بي أو "بحسن"، وسوف يصلك كل ما تريد.

الساعة الآن تجاوزت الثانية عشرة، وعليّ ان أتوقف، وأن أستعد لقراءة بعض الجرائد ثم النوم، على أمل ان أسمع توالي الليل الشحرور، هذا المخلوق الذي لا أعرف متى ينام ومتى يستيقظ، إنه طير استثنائي يجب ان نخصص له أنا وأنت مساحة في أعمالنا القادمة، وقد أشرت إليه سريعاً في الجزء الثاني من أرض السواد، لكنه يستاهل الأكثر، فلا تنسه أيها العزيز.

الجميع هنا وفي بيروت يبلغونك أرق التحيات وصادق المودة، وتقبل تحياتي، وإلى لقاء قريب، ولا تنسى بدورك ان تسلم على الجميع، فرداً فرداً.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

لقد ذهبت ليومين إلى منطقة في وسط ألمانيا لأحضر عرس عزيز العظمة البارحة وخاصة أنه اختارني إشبيناً له. خير. (كان الزواج على الطريقة الإسلامية والشيعية منها، حيث حضر الشيخ وتكلم بالوكالة عن النكاح وثم..)

عندما وصلت المرسم عصراً كان طرد بانتظاري من "علي ماهر" مع الفيديوات- وهذا جمع فيديو وليس جمع الفداوية!. حاولت فحصها والحمد لله وأخيراً وبعد السؤال المستمر كان معها فيديو المحاضرة وقد رأيت البداية لأطمئن أنه صالح أيضاً للسماع والتخريج والتطوير وسوف أعمل على التسجيل مطلع العام كي أرسل لك النص لإعطاء الرأي وربما التحوير الضروري وربما النشر. وما دام أننا بصدد العمل فإني أرسلت إلى حسن منذ أسبوع أو أكثر غلاف "سباق المسافات" وآمل جداً ان يكون قد وصله الآن ولابأس من إعلامي عن ذلك والأهم هو ان يعجبك يا أخي عبد الرحمن.

قاربت، تقريباً، إنهاء قراءة مسرحيات "سعد الله ونوس" كاملة ويعذبني أنك بعيد عني لأني أتمنى الحوار معك في هذا الشأن وعظمة هذا الإنسان. أعتقد الآن ان أحد أسباب همي في الأوقات الأخيرة هي كتابات سعد الله وخاصة أني قرأتها مكرّسة مع الليالي. ان هذا الهم وهذا النكد يؤكد عظمة هذا المسرحي وكيف أنه يجبر الرائي أو القارئ على حمل العبء التاريخي دون ان يكون المثقف


Twitter: @ketab_n

البارع أو المعلم المشير. ان تفصيله مجهري واضح وكامل الرؤيا، يلتزم ويلزم. إنه على صعيد آخر رفيق لمدن الملح والروايات الأخرى ولا شك ان "أرض السواد" تاج جديد وهي تنتظرني قريباً من فراشي وتعطيني الدفء أكثر من مخدتي - بدأت بقراءة جزء منها في الخريف ثم توقفت لأنهي قراءتي لسعد الله - . أشعر بالذنب والألم الكبير لأني ضيّعت فرصة لقاء الإنسان الكبير وإن في ذلك حسرة في قلبي وألم... وهيهات.. أيضاً هذا الضياع كان من أسباب الحزن الكبرى ولكن، ومع إضاعة فرصة اللقاء الجسدي ونظرات العيون، فإن الكاتب موجود وهو صرح وجزء من التاريخ وإشارات من نور.

يجب عليّ ان أغيّر جزءاً من برمجة يومي أو أيامي حسب المستطاع لكي أستفيد من الوقت بشكل أحسن وأعمق. عملت بعض أعمال الحفر هذا الخريف وبعض منها جيدة ومرضية واستطعت أيضاً ان أنهي ثلاثة لوحات كنت قد بدأتها في الصيف. أتمنى لو أستطيع ان أرسم أكثر وأن أبقى مع الأعمال، الأيام والليالي دون ان أفتح المجال للّوحة في الهروب مني أو أهرب أنا من رؤياي. يجب علينا الملاحقة والمطاردة وأن نبقى على السلالم كما يفعل الساعي والمتحدي.

ربما كانت الصفحة الثانية من رسالتي حزينة أو مقلقة ولكنها الأبواب الموصدة التي نتعرض لفتحها أو فتح جزء منها لنرى غموض العالم الآخر ونشم رائحته أحياناً و إنه لابأس في ذلك. لابأس من الالتفات و النظر وقد يكون التمعن رغم الألم من مسببات القوة والتحدي والعناد. إذن : ذهب الحزن! اليوم.

لم يكن بودّي ان أتوقف عند هذه الصفحة ولكني أخاف ان أنا لم افعل ان يطول التوقيت وتمر الأيام ويأتي تأريخ جديد ولتكن هذه


Twitter: @ketab_n

الرسالة لك اليوم، الاخيرة في هذه الألفية لنبدأ رسائل جديدة في تاريخ (معاصر!)

إياك ان تنسى ان الرسام مستنفر دوماً وبفخر في تزيين أغلفة الكاتب ولا تترك للخجل طريقا إلى سمرة وجنتيك. حبي للبنات والشباب وموقعهم في قلبي كبير ولكم جميعاً تمنيات العام الجديد بالغيث والصحة والسعادة ولا أغالي إذا قلت ان الشوق يكوي ويؤلم رغم عذوبته. مع تحيات وتمنيات أنجيليكا- ويزن ودنيا ويونس.

مروان

أعتقد ان تاريخ اليوم هو العاشر من شباط، وبما ان الساعة هي الآن الواحدة والنصف من صباح الأحد، فإن تاريخ اليوم الفعلي هو الحادي عشر من شباط... وكم مرّ شباط وشباط وتبعه آذار ونيسان ومايس وحزيران وعقبه تموز وآب حتى جاء خريف أيلول وتشرين الأول والناس في خير تنتظر الشتاء وتجمع البركات بعد مواسم الزواج وأمل الأمهات بالأحفاد والأطفال فيأتي تشرين الثاني وكانون الأول والناس تسعى وتسعى وتجمع الحطب بعد ان أمّنت مونة الشتاء على شمس الصيف في أيّامه الأخيرة على سطوح النور ويأتي كانون الثاني ويأتي الطفل مروان في بيت ما في زقاق البركة في القنوات تحت التعديل وهكذا تمرّ الأيام ويرسم "ناظم الجعفري" حارات دمشق فيأتي الأطفال الحالمون من جيوب دمشق من باب مصلى والشريبيشات فهناك عدنان ونعيم ونذير وعبد القادر وقمرٌ جاء من الجنوب ومن أطراف الشرق اسمه عبد الرحمن وآخرون ولدوا وتجمّعوا وحلموا وتعبوا وآخرون حملوا زوّادة الحلم وساروا على طريق الحلم الأول والثاني والثالث والرابع حتى جاء اليوم العاشر من شباط وتبعه يوم الأحد الحادي عشر من شباط من الألفية الجديدة


Twitter: @ketab_n

حيث كان من الصعب تصوّر ذلك الدخول لأن حمل الزوّادة مرهق أحياناً ولأن الزوّادة تحملنا في أحيان أخرى إلى شواطئ قديمة جديدة ونحن نتذكّر "نسيم" و"عدنان" و"نعيم" عن قرب وبُعد فتتّحد الأحلام ويصبح للمرارة طعم جديد ويصبح للشاطئ أفق آخر في أيام شباط حيث يتثبت طعم ذكرى الكستناء ورائحة الشتاء في أنفسنا مع أمل ان يعود.... شباط.. وإلا.... فقد حملنا الزوّادة لنا وللآخرين وربما لأطفال المستقبل الذين سيولدون في شباط وآذار وكانون الثاني حيث تحمل اليوم الأمهات جنين المستقبل وحيث يفلح البعض بحمل آمال الغد وآلام الغد أيضاً. وقد سمعت مرة أنّ من عاشر زوجته، عليه ان يقول قبل النكاح، ربي ارزقني ولداً صالحاً، ولكن لماذا لا يقول الناكح ربي ارزقني بنتاً صالحة، ولكن ليبقى ذلك الأمر تلميحاً بقدر الهمس بيننا لكي لا نطرح موضوع التفضيل ورجعية بعض الأمم والقارات في العالم الثالث كما يقال ولقد كان أستاذي رحمه الله يغضب إذا سمعني أقول العالم الثالث أو العالم المتطوّر ويعقّب على ذلك أننا أصل الحضارات والعلوم ولا أريد الآن ان أستشهد بأشعار عمر أبو ريشة بكل ما فيه من عنجهية و"فخر يعربي"، فليجعلها الله امرأة صالحة ومُصلحة وولداً كريماً صاحب زاد وزوّدة.

أرجو يا عبد الرحمن ان لا تحتدّ على شباط ولكل ما جاء ولكل ما جلبه شباط. ان كل ما جاء في خصوص هذا الشهر ليس من محمل أو تحميل لذلك الشهر إلّا أنّه اليوم بطريق الصدفة الشُباطية ولست أعرف فيما إذا كان لهذا الشهر كرامة مثل رجب وشعبان ورمضان ولكي لا نتورّط بالأشهر الأخرى مثل آذار مثلاً، فإنّ علينا ان نتطرق لأمر جديد مثل موضوع عرق الذهب أو عرق الماء في



Twitter: @ketab_n

أجواف الأرض، قد خطرت لدي فكرة وهي ارتباط الذهب برأس المال ورأس الحكم ورأس .. ، عفى الله عنك، وارتباط عرق الماء بالكادح والفقير وأهل الأرض الطيبين.. ولذلك سأحدثك عن عرق الماء أو نسغ التراب وربما من المستساغ نسغ الأرض لأن للتراب والتربة شيئية خاصة قد يساء بها القصد والمعنى بسبب دلالاتها المحدودة ونحن أهل الشام اعتدنا ان نقول تربة "الشيخ حسن" أي مقابر "الشيخ حسن" وقد تحوّل ذلك المعنى البلدي في وقت باكر إلى كناية جديدة أوردها بعض الكتاب في تسجيلاتهم التاريخية رمزاً للنكد والقهر الاجتماعي (وهنا يلاحظ الفرق الذي أوردته سابقاً بين عرق الذهب وعرق التراب لأن الطبقة المستغلة وهي من عرق الذهب تحاول دائماً السيطرة وقهر أهل عرق التراب). ولكي لا تضيع بعض حلقات سلسلة أفكاري، أعود لأتحدّث أو أتطرّق لموضوع العرق والنسغ فيما يتعلّق بالكادح الفكري والفني، رغم اعتقادي في هذه اللحظة ان الفرق بين الشيخ حسن (كناية طبعاً) والباحث عن نسغ الماء (ونحن نعرف ان الماء أصل الحياة وهذا ما دعاني إلى الدعاء والصلوات المستمرة في أيام شباط) فرق واضح وهو ان المتجوّل في أعماق الأرض باحثاً عن الندى حيث الماء هو الفنان والكاتب، الباحثان عن الحدث وعن الحياة وعن الشيء. ولكي لا يختلط الحابل بالنابل كما يقال فإني سأكتب لك، أيضاً في شباط عن هذا الخاطر في أمر ما، عن عذوبته وروعته ثم عن الحنظل المجاور لعيونه. فما أحلى الماء وما أقسى الحنظل في البحث عن مجاري الأمل، أمل اليوم... أمّا الغد؟!



Twitter: @ketab_n

دمشق 2000/1/31

العزيز مروان

تحيات وتمنياني وأشواق كثيرة،

هذه ليست رسالة، إنها تهنئة بالسنة الجديدة، والتي نريدها ان تبدأ كبيرة وجميلة، وأيضاً بداية لعمر جديد وطويل.

في مثل هذه اللحظات، حين يبدأ الإنسان سنة جديدة، فإن ما يريده لحظات تأمل أكثر مما يريد كلمات كبيرة وصاخبة، ولذلك، وكتعبير أننا إلى جانبك ومعك، ورغم لحظات التأمل، نريد ان نفرح بك ومعك، ونريد ان نشارك في انتظار أشياء كثيرة في الحياة والإنتاج، خاصة وأن لديك الكثير الكثير لتصفه.

الموجودون في دمشق، سعاد وليلى وأنا، والذين موجودون في بيروت، عزة وياسر وهاني نتمنى لك سنة جديدة ليس فقط هذه السنة، وإنما كمشة كبيرة من السنين القادمة، على أمل ان نكون إلى جانبك في السنين الآتية، ونتمنى ان تكون كثيرة وحافلة، خاصة وأنك الآن في قمة الشباب وأحلى سنوات النضوج والقدرة على التعبير. ولا بد ان تقول أشياء عديدة تفرحنا وتفرح الكثيرين الذين يحبونك.

مروان العزيز

قال "غاندي" "لطاغور" في عيد ميلاده الثمانين: ان الثمانين قليلة يا حبيبي أبلغ المائة. ونحن نقول لك الآن: ان الخامسة والستين بداية الحياة، ولابد ان تبدأ رحلة جديدة في الفن والحياة،



Twitter: @ketab_n

فكل التحيات والقبلات لك في عيدك الجديد، وكلنا نبعث إليك بالأماني الكبيرة والحب الأكبر.

سعاد وأم الليل وآل منيف عنهم أبو عوف

وإلى أعياد كثيرة قادمة.

ملاحظة: (كان من المفترض ان يكون فاكس ويصلك في 31/ 1/ 2000 إلا أنه عاند وشاكس، ولم تفد معه كل المحاولات ويصر ان يصلك مشياً على أقدامه، ويطرق صندوق بريدك في المرسم، ويقدم تمنياته بسنواتٍ قادمة مشرقة، وحيوية. رافضاً مرة أخرى كل التكنولوجيا الحديثة الخالية من أي روح، وروح الشرق التي تعشقها، فتحمل التأخير، وكل عام وأنت بألف خير وصحة ونشاط وعمل...... سعاد وآل منيف جميعاً)



Twitter: @ketab_n

إن "بيت بريخت"، كما تعرف يتكون في الطابق السفلي من أربعة غرف للعرض وقد قدمت 9 لوحات كبيرة أقدمها من عام 94 وثلاثة من العام المنصرم وكنت مقتصداً جداً حيث بقيت بعض الزوايا والجدران فارغة مما يسهل إمكانية الرؤية والاستيعاب ويؤكد صميميّة أو حميمية الأعمال وأساسها الوجودي وأعتقد ان المعرض واجه حماساً لدى من رآه ووصلتني قبل أيام رسالة من رسام معروف من برلين قال فيها: عزيزي مروان، رأيت معرضك في "بيت بريخت" وأريد ان أقول لك ان رسمك قد أثّر بي كثيراً وبشكل عميق. رسم لا يرضى بالجمال الأول المقدم وإنما يصل في حبك العمل لدرجة قصوى دون ان تضيع ردة الفعل الساعية أو حرية العمل. من النادر جداً ان أرى في هذه الأيام التزاماً ومعاناة كما أراها في أعمالك.) أفرحني كتاب الصديق وخاصة ان يكلّف رسام نفسه كتابة رسالة مثل هذه صادقة إلى رسام آخر. نكتب ونرسم لمن يحب ان يرى.

اتصل بي "محيي الدين اللباد" من القاهرة أواخر الصيف من أجل "بهاء طاهر" وكان قد اختار مجموعة من الأعمال من الكاتالوجات وأرسلت له ما يريد. انتهى العمل وسيصدر في الأشهر القادمة وأنا طبعا بشوق لأرى الكتاب. وعلى ذكر الكتب فإن اختيارك لـ"نذير" للنهايات، اختيار جيد وأعتقد أنه أحسن من يفعل ذلك وأحسن من يتفاعل مع "عساف". أما فيما يتعلق بـ"أرض السواد" فتكلم مع "حسن" وسوف أفكر فيما إذا خرجت الطبعة الجديدة



Twitter: @ketab_n

الأولى أو مع التجديد... ولا تخجل يا أبو عوف .. ولو.. تكرم عيونكم.

تكلمت الآن "آنيا" من أجل أغلفة جديدة لأرض السواد واقترحت ان يبقى الغلاف كما هو لسببين: أولهما اعتبار ان الكتاب نفق بسرعة وثانياً الملصق، وأن الأغلفة الأولى مطبوعة في ذهن الناس من حيث الطلب... الأسباب معقولة .. ما رأيك؟. رأيت مطبوعة من "أرداش كاكافيان" من مجموعة المعهد العربي وهي صادقة وللأسف لا أعرف غيرها لكي أكوّن رأيي عن الرسام.

هل الفنان شهيد المجتمع في الوطن بشكل عام لأسباب كثيرة، أم أنّه كل عنزة معلّقة من كرعوبها كما كانت أمي تقول!. ان أهم أسباب الفشل هو غياب التحدي والتحريض والجمهور. لماذا (ينجح) الشاعر أو الكاتب ولماذا يسقط الفنان؟ ... نسبياً. لذلك أسباب واضحة هي الكلمة والتراث وغياب الصورة وصعوبتها ولكني أعتقد أيضاً أنه إلى جانب الشاعر والكاتب الناجحين هناك آلاف الشعراء والكتاب المعدومين من الشهرة والمال و يعود ذلك أولا إلى مستوى قدرتهم الفنية وانعدام الإبداع والفرادة في أعمالهم. والضحية منهم في هذا المجال قليلة ونسبية أو أنها تعود إلى ظروف شخصية وخاصة ولا أعرف إلى أي حد أكون ظالما في حكمي.

إن زيارتك إلى هولندا وألمانيا (وهذا يعني داري داركم) تسبب لي ألف فرحة وأنا بالانتظار منذ وصلتني رسالتك، أما عن زيارتي فإني (أحلم) بزيارتكم لأيام في شهر آذار لأن الشوق صارخ حتى درجة الألم. أرهقتني الكُلية لأول مرة في حياتي والسبب الأول هو بعض الزملاء الذين جاؤوا من كلية أخرى وانضموا إلينا نتيجة قرار الوزارة وإلحاق جامعة بأخرى ومعظم من انضم منهم سياسيون



Twitter: @ketab_n

ماكرون لا تفرح برؤيتهم.. وكانت أمي تقول أيضاً الرفيق قبل الطريق. أما عن الإرهاق وأسبابه فهو النفس والجسد والزمن والشوق المستمر للراحة في قرية أو بادية وقد فرض عليّ الزمن رغم مشيئتي مخاوفاً واحتمالات تعذبني وكأني أعبر حدوداً جديدة من العمر عليّ تجاوزها والتغلب عليها. تأتيني بعض الحالات تشبه (الانقطاع) في ضيق النفس عن العالم في حالات سببها التعب وإن هذا الانقطاع مرعب ويجعلني وحيداً مع نفسي وجسدي وهو يشبه الاختناق. كثرت هذه الحالات في المدة الأخيرة حتى أنها... ربما صار الخوف منها أحد أسبابها. الرئة سليمة والقلب مبدئياً سليم، وبعد أيام سأحصل على نتيجة ما يصنعه قلبي الخ .

يفرحني "بستان هشام"(*) ويفرحني (نقله) معك من دمشق إلى برلين. وضعت بعض السطور منذ أشهر ووجدتها الآن. تحمست لذلك ووضعت بعض السطور الجديدة، لاحظت ان ما أكتبه يتعلق بالنور، نور دمشق الذي لازم حلمي وحياتي بفرح عميق وغريب وهو أحد مصادر نور (ألوان) لوحاتي. لحظات السعادة عندما أشرف، بعد عمل طويل على إنهاء لوحة، وحتى تأتيني، كالانجذاب إلى تلك اللحظات (النوريّة) من بلادي وطفولتي، قوة وإرادة وأنا كالمأخوذ بين الذكرى واللوحة و العمل وتسيّرني إلى الإشارات الأخيرة. عند ذلك أعرف أني ملكتها أو تقرّبت منها. سأتابع وضع ملاحظاتي الكتابية عن دمشق ونورها بالنسبة لي في دوائر الذكرى وربما خرج منها ما تراه مناسبا للمشاركة "لبستانك" من زاوية جديدة لا ترتبط بالأماكن بشكل مباشر قدر ما ترتبط بهلوسة نور جاء من الشرق فملأ قلبي وعيني وحرّك فيّ دافع العمل وشهوته بإطار خاص للضوء، للنور بالثبات والغياب، بالحضور والهروب وأنا أتابع هذا كالفراشة التائهة


Twitter: @ketab_n

بين رفرفة الانتصار ثم السقوط في أودية النسيان.

طلعت من المرسم ثم توقفت بالسيارة تملؤني الدهشة والاستغراب في الدوّار قرب مرسمي عندما انفتح الشارع باتجاه الشرق. دائرة كبيرة بيضاء غير طبيعية في ليالي برلين تحملها سقوف المدينة: قمر بدر لا أعرفه إلا في البراري والآن أجلس لأكتب لك، ومن خلال نافذة الدار الشرقية، وفوق البيوت، يسافر القمر حاملاً أشواقي لكم.

---

(*) اقترح الصديق عبد الرحمن في إحدى زياراتي دمشق ان نشترك في كتابة كتاب عن دمشق تحت عنوان بستان هشام. وقد قرأ لي بعض الصفحات التي كتبها في هذا الخصوص، كما أني دوّنت لاحقاً بعض الصفحات عن دمشق كما أراها. ولكن، ولأسفي الكبير لم يكتمل هذا المشروع.



Twitter: @ketab_n

2000-2-19

العزيز الغالي عبد الرحمن،

الحقيقة لا أعرف كيف أبدأ رسالتي إليك وخاصة ان كتابك الأخير حمل الكثير من الأخبار. بدأت رسالتي في المرسم ثم تعثّرت وتركتها لأبدأ من جديد في الدار. قصة الطيور خاصة وجميلة ولو ذكرت لأهل (العقل) لقيل عنا: ما شاء الله رجال وشياب وكأنهم أطفال يتكلّمون عن الشحرور وسلوى واليمامة ويأخذهم صوت طائر وغناء عندليب! والحق ان أسباب إيجابية الأيام تأتي من هؤلاء أو (هذه) الطيور. كتبت في شهر تشرين الثاني العام الفائت الجملة التالية إلى جانب تخطيط صغير:- عصر رائع مع برتقالي السطوح المقابلة وبعض ما تبقّى من أوراق الشجر الذهبية. ما أحلى حادثة الطائر عبر نوافذي - . وكتبت في نفس التاريخ 11-11-99 على الصفحة المقابلة ما يلي: تأتي علاقاتي في رؤية اللوحة مع لحظات التفتّح في ان أضع (الرأس) موضع الطبيعة في فصولها الأربعة والعكس. رافقني هذا الشعور مدى عملي الفني ولم يتغير هذا مع تغيّر (موضوع) اللوحة وفيما إذا كانت طبيعة صامتة أو دمية. كم أحنّ لأكون مع الطبيعة البكر هذه الأيام - .

ألاحظ ملاحظاتك فيما يتعلق بالشحرور وصوته. إنه ليس دائما غناءاً فيه الطلب وفيه التقرّب على الدوام. بدأ منذ أيام (بصراخ) منفرد وكأنه يدرّب صوته بعد صمت أشهر الشتاء وكان وحيدا دون جوقة كما هو المعتاد في أشهر الربيع والصيف والخريف .

إن للشحرور صرخة دامية رهيبة عندما يتعرّض للخطر ويكون



Twitter: @ketab_n

فريسة وضحية لقط متريّث أو طائر قاتل. كنت في حمّام الصباح قبل عشرين عاما وأنا شبه عار أحلم بيومي حين سمعت صرخة جريحة جلبت لي القشعريرة وكان مصدرها الدرج .

اندفعت مع عراي وفتحت الباب بسرعة، وكنت في الطابق الأخير لأرى قطّا كبيراً وبين أسنانه شحرور مدلّى الجناح.

صرخت في نفس اللحظة - وأنا لا أعرف الصراخ خجلا من صوتي! - واندفعت مثل مقاتلي "السوموراي" في اليابان باتجاه القط الذي فاجأته صرختي وقراري، فترك الشحرور وهرب. أخذت الشحرور برفق وهو ينقر أصابعي إلى البيت حيث ناديت أنجيليكا لأريها ذلك المخلوق الرائع بلونه وشكله ثم منقاره البرتقالي وطلبت منها ان تجلب لي بعض زيت الزيتون لأمسح جرحه ثم فتحت النافذة وبسطت ساعدي وهو قابع على يدي .

كانت المسافات كبيرة حتى البيوت الأخرى المجاورة بسبب حديقة كبيرة وملعب للأطفال. أحس الشحرور ببعض الحرية وطار من يدي بعيدا وأنا أراقبه حتى وصل إلى سقف منخفض وقف عليه دقائق ثم طار إلى مَربعِه. وكلما غرّدت شحارير مرسمي في المساء أقول لنفسي أنهم من سلالة ذلك الطائر يقدمون لي الحب والامتنان لما فعلت من أجل الجد الأكبر! .

أمّا عن الزيت، فإن السبب ان رأيت أكثر من مرة عصفوراً على التراب مستلقياً على ظهره مكسور الجناح وهو ما يزال حيّاً وعشرات من النمل أو الذباب تأكل كبده وجسده .

(يوجد قانون في ألمانيا يوجب على أصحاب القطط ان يضعوا على أعناقها طوقاً مع جرس من بداية الربيع حتى نهاية الصيف لكي لا تتمكن بخبثها من مفاجأة الطيور في أعشاشها.. ولمن توضع الأجراس في بلدنا! ..)



Twitter: @ketab_n

أتمنى ان ترسل لي دراستك عن "محمد محمود خليل" ومتحفه. لقد رأيت ذلك المتحف النادر في القاهرة إبّان معرضي هناك.. ولا أستطيع ان أعلّق ... ربما تجدر منك دراسة جديدة وهامة ألا وهي الارتباط الثقافي الفني في فترات حضارية من الطبقة التي تتمكن من ذلك مادياً، ثم كيف تتصرف الطبقات الميسورة الجديدة في أزمان الانحطاط والتهافت. ان لدى الثروة العربية إمكانات بناء أروع المتاحف والحصول على أحسن المجموعات... و و... ولكن ما أحلى قصور فرانسا وسويسرا وبغاياهم وذهبهم و (ما إلى ذلك) لأبناء بلدي أصحاب المليارات البترولية واللابترولية. ولكن أيناك يا محمد محمود!

رائع وعظيم، ان تقوم بدراسات عن بعض الفنانين العرب. سأحاول غداً ان أجد مطبوعة للفنان (أرداش) في كاتالوج المعهد العربي أو في كتاب عن الفن العراقي المعاصر. أهنئك على هذه البادرة، ولك في ذلك بوادر ورغم ذلك فإني لا أحسدك يا عبد الرحمن. حبذا لو أرسلت لي المخطوطات الأولى منها إذا أحببت لأطّلع معك عليها. إنه عمل هام وضروري.

عدت منذ أيام إلى "أرض السواد" التي كنت قد قرأت قسماً منها، الجزء الأول في بداياته في عمان ولكني رأيت ان أعيد ما قرأته هناك. كم أتمنى لو كنت قد أنهيتها الآن لأتحدث معك عنها.. ولكن لا بأس في ذلك لأنها ستكون صديقة الليالي الآن وهي مثل (المطمورة) في انتظاري كي أفتح الكنز. لاقيت لذّة كبيرة وحماسا نادراً وأنا أقرأ استرسالاتك الرحمانية مع مئات الزوايا في حياة الناس وتصرفاتهم ثم الدقّة الرائعة في الحبك ومعرفتك الهائلة بآلاف الصناديق المغلقة التي تفتح كلا منها في وقته وبطريقة مغرية


Twitter: @ketab_n

كالحاوي، حاوي الرواية الفنان وليس الحكواتي . كنت ذكرت لك أني كرّست قراءتي في الأشهر السابقة في إنهاء سعد الله ونوس ذلك الإنسان الفذ. وأنّ ذلك كان من أحد أسباب شعوري بالقهر.. وإلّا ما هو غرض الأدب والفن ان لم تكن هموم الإنسان والجماعة إلى جانب آمالها وأفراحها وتقديم كل ذلك للآخرين عن طريق الكشف الفردي والرؤيا الشاملة!

شكراً لمن يجب علينا ان نقدم الشكر لهم يا عبد الرحمن، للقوى المخزونة لدينا والقوة في طريق التحدي الدائم لأنفسنا مع العناء والعراء في محاولة العطاء .

خلص المساء وانتصف الليل. سأترك الكتابة الآن. رتلت اليمام لأول مرة هذا العام قبل يومين وكان في ترتيلها بعض البحة. أما اليوم، ومع بعض الشمس، فكان ترتيلها دمشقياً هذا الصباح وعند العصر رأيتها تجاوز نافذة مرسمي كالشراع .

**2000-2-22**

وقبل ان أدع الرسالة لساعي البريد، وبعد ان تحدثت معك هاتفياً، أريد ان أكتب لك بعض الحروف مع هذا التأريخ الكثير المثنيات! ما أزال أفكر بحلم الرسم في دمشق لبعض الأيام في موضوع معين وبالذات رؤيتي لعزة وليلى في سلسلة من اللوحات وأعتقد أنه إذا تحقق ذلك ونجحت في ذلك ايضاً، فإن (المجموعة) ستكون نادرة ومغرية. ألا ترى ذلك!

وبما أني استرسلت في بعض الاستشهادات اليومية، وللأسف النادرة، أورد لك ما جاء في 2-2-2000 .

(لا يستطيع الفنان ان يبدع إلا مع اندفاع داخلي و(شهوة) كبيرة للعمل مع المقاومة الذاتية والتحدي للتمكن من العمل والاحتمال في



Twitter: @ketab_n

موضع من الزمن.) وبعدها.. (لا مفر. كلما بدأت في عمل جديد وطوّرته في جلسات متتابعة حتى وصل إلى درجة جديدة من ناحية الرسم وغنائية اللون والإيقاع إلى جانب الشفافية والمادية ثم اعتقادي الساعي أنه (هو) وسأتركه هكذا، عدت في اليوم الثاني لأدرك أنه ليس(هو) وأعيد الكرّات وتمضي الأسابيع والأشهر وأنا أبحث عن وجودية الـ (هو) وضرورته. إنها ملامح الفرادة والهوية والضرورة التي أبحث عنها دائما.. تخرج من الأرض البكر - وما أندر البكارات؟- بعد الكدّ فاكهة وحيدة تستحق ذلك الجهد الطويل.)

والآن أودّعك، انتشيت بصوتك مع شوقي... البكر. مروان

أعتذر عن خطي وتراكب الجمل والأخطاء وتراقص السطور وربما كان السبب إلى جانب الاقتصاد هو حولٌ خفيّ أو "حولة الحسن" كما يقال عنها قد حاولت أمي إصلاحها في وقتها بواسطة شمعة وضعتها على حجر مطحنة في الشاغور وأنا أجلس على كرسي من بُعدٍ في ظلام المطحنة أراقب دوران الشمعة المنتظر والبطء على الحجر وأمي تراقب تتبعي للضوء... وهكذا قويت عضلات عيناي وأصبحت من أهل النظر البعيد والقريب واختفت تلك الحولة الحسناء التي لا تظهر إلا في تراقص الأسطر؟ .اتصلت بي قبل أيام "تانيا ناصر" لتعلمني أنه سيفتتح لي ثلاثة معارض في الأسابيع القادمة، تبدأ بالقدس ثم بيت لحم وبعدها نابلس وتكلّمت كثيراً عن "أرض السواد" وروعتها وأنها في حالة كبيرة من الإعجاب والتأثّر وروت لي عن بعض أشخاص الرواية وقدّرت من كلامها أنه هناك "متعب الهزال" من جديد. أنقل لك ذلك مع التحيات والمودة.. وإلى جانب ذلك عبّرت عن إعجابها الكبير بالأغلفة، لهذا السبب طلبت من عمان جميع كتبك التي صمّمت لك أغلفتها لتعرضها في معارضي



Twitter: @ketab_n

كمثل لتعاون الكاتب والرسام وإظهاراً لنوعية جديدة (ظاهرة) الكتاب الفنية. طلبت مني ومن أجل المعرض فيما لو أني كتبت بعض الأسطر عن محاولتي في هذا المجال ومعك وتمنّت لو أنك كتبت أيضاً بعض السطور في هذا المجال ووعدتها بذلك وأرجو ان توافق وسأحدّثك غداً بالهاتف لأن الوقت قصير.

كنت أحبّ ان أكتب بعض الحروف التي سجّلتها قبل عشرة أيام وهي كالتالي: (أشعر بالحرقة والأسى وأن أعيش مع الحنين القاهر لكل ما فاتني في وطني وأنا أعيش في المهجر.. الحنان، الصديق، الشمس، التراب، الشجرة الوحيدة وكل المراجع للذكرى والتطلّع الفائت.. التطلّع والحسرة لما مضى. ذهبت أجمع الأزهار والآثار لوجودي ووجود الإنسان في قارة الشمال. وتركت بلدي ثمناً لهذا لأعطي بلدي ربما شيئاً ثميناً من البعد. يعذّبني الشوق ويقهرني الزمن..) ... ولكني لا أكتب هذا لكي لا أُحزن قلب الصديق! ولذلك أُتبع هذا بما تراءى لي قبل ذلك: (إن أصل الإبداع أو ماهيته هي ان نخلق صورة في خيالنا عن تنظيم جديد للطبيعة والأشياء ثم ان نحضر تلك الرؤيا من الخيال إلى الواقع على الورق أو حاملات الفن الأخرى. ان انعدام تلك الصورة في الخيال يجعلنا نقلّد الطبيعة أو ننقلها بشكل فاشل وحرفي فيه العجز والقصور.) . ولأنهي كلماتي لك على خير كما بدأت فإني كتبت بين هذا وذاك في 8 شباط: عادت العصافير، سمعت نداء الشحرور قبل أيام. عندما أنظر من نافذتي صباحاً وأرى شجرة الكستناء بأغصانها البنيّة ثم السقف البرتقالي خلفها مع موزاييك السماء، أتذكر لوحات سيزان وأشعر بالرضى وبعض الفرح..). ربما كان هذا التوقيت هو ذاته الذي سمعت به بشرى شحرورك في دمشق.


Twitter: @ketab_n

**دمشق الشام 5/3/ 2000**

العزيز مروان

سعدت كثيراً برسالتك، استلمتها أمس وعشت في أجوائها وظلال حزنها، وهذا التوجس من الأيام القادمة، لكن، أقولها بصوت عالٍ وبالفم الملآن: الصحة والمرض، في أغلب الأحيان، مزاج نفسي بالدرجة الأولى، ويمكن للإرادة ان تلعب دوراً كبيراً، وإن كان غير حاسم، اليوم زرت ثلاثة أطباء، نتيجة وعكات ومخاوف، وكانت النتيجة إيجابية، وحين عدت للبيت شعرت أني أصغر سناً بعشر أو
عشرين سنة!

أفكارنا أكبر من أجسادنا، وهذه الأفكار هي التي ترهقنا بالدرجة الأولى، لأننا أخترنا أوعر الطرق وأكثرها صعوبة، لكنها الأجمل والأبقى، وحتى الأجساد يمكن ان نعيد صناعتها بشكل جديد، على الأقل في بعض الجوانب، كي تخدمنا لأطول فترة ممكنة. يمكن ان نضع لها " نص نعل" يمكن ان نرتيها، ويمكن ان نصلّبها أيضاً، بأن نقول لها: اصمدي، احتملي أكثر، لأن المشوار أمامنا لا يزال طويلاً، أو هكذا يفترض ان يكون، أحس، لا أعرف لماذا، أننا قادرون ان نفعل شيئاً من أجل تقوية هذا المركب، الجسد، وجعله قادراً على خدمتنا.

يجب ان نفعل ذلك دون مكابرة، دون تباهٍ زائف، لكن بمقدار ما نرعى الروح الداخلية، وهي مثل الغزلان، مثل الطيور، يمكن ان تخدمنا وتساعدنا.



Twitter: @ketab_n

تقول ان من يقرأ رسائلنا يظننا مجموعة من الصبية الأشقياء، خاصة ونحن نتحدث عن الطيور، ولا أعرف لماذا عبرت في فكري اليوم قضية يمكن ان تكون شائكة: باعتبارنا نحن الإثنين، صيادين متقاعدين، وللتكفير عن صيدنا الجائر في أيام قديمة، لما كنا ننتشي برائحة البارود، وكنا نلبد في الدغل أو وراء الصخور، انتظاراً لطريدة، انتظاراً للحظة التألق القصوى، لماذا لا نحاول الآن قلب المعادلة، فتلك المخلوقات التي قسونا عليها، وطاردناها عند ساعات الفجر الأولى، أو حين تقبل العتمة، لماذا لا نعوض عن تلك الفترة بأن نرد لها الاعتبار من خلال الصورة والكلمة؟

ليس لدي مشروع كامل حول الموضوع. الأمر نزوة، فكرة، احتمال، وقد يأخذ شكلاً ويمكن للصورة، للكلمة ان تسعف. أتذكر حين كتبت "حين تركنا الجسر" و "النهايات"، كنت محموماً بذلك الجو، وقد استعدت، من خلال الكتابة، رائحة الأرض والعشب والندى، ولحظات الترقب ومرارة الانتظار، وكانت الأمور تعطي نفسها بسخاء، دون انتظار، ولقد خلقت لي توازناً من نوع ما، فلماذا لا نحاول الآن، وبشكل مشترك، ان نفكر بالموضوع، ليس صيغة كاملة أو واضحة، لكن حين نفكر بشكل مشترك قد يتبلور مشروع، خاصة إذا اشتبكت الكلمة مع الصورة، مع رائحة الأيام الماضية.

الأمر يحتاج إلى تفكير، إلى تحضير نفسي، لكن وهذا الشحرور الذي يملأ الفجر والغسق، والذي يتسلل إليّ صوته وكأنه الصوت الوحيد في الكون يشجعني ويفتح أمامي دروباً أتصور أنه بالإمكان سلوكها والوصول إلى نتائج. فكّر ملياً بالموضوع واكتب إلَي، وسوف أفعل الأمر ذاته وأكتب إليك.

الأشياء "الكبيرة" في هذا العالم تحتاج إلى حصى، ومثل ما



Twitter: @ketab_n

تعرف الصخرة الكبيرة تسندها حصوة، وكذلك الحِب والخابية وعناقيد العنب.

غداً سأذهب إلى بيروت للبقاء هناك بضعة أيام، لدي ندوة يجب ان أشارك فيها، ولدي موعد مع "ماهر الكيالي" لحسم كثير من الأمور، ولدي الرغبة في تغيير الهواء، أو السيران حسب التعبير الشامي.

أكتب هذه الأيام مقالات قصيرة وتنشر في دولة الإمارات، في جريدة الاتحاد، وأغلبها حول الرواية، وهمومها ومشاكلها. كما كتبت قبل أيام رسالة مفتوحة "لسمير سرحان"، بعد ان منعت عدة روايات لي في معرض القاهرة، والروايات هي: "حين تركنا الجسر" و "الآن هنا" وجزآن من "مدن الملح"، الأمر أثار بعض الانتباه، وربما يتفاعل، خاصة وأن الهم الأساسي إثارة قضية الرقابة ومحاولة وضع حد لها، أو تقليصها على الأقل "أخبار الأدب" في القاهرة تعاطفت مع الموضوع، وأثارت جوانب متعددة، في الوقت الذي سكت الجميع تقريباً!

قبل أيام وجهت رسالة مفتوحة جديدة من رسائل إخوان الصفا، وكانت هذه المرة موجهة إلى مواطنك الألماني: "هانس فون سبونيك"، المنسق العام للشؤون الإنسانية في العراق، بعد ان قدم استقالته، والمساعدة الألمانية التي تعاونه، احتجاجاً على ما شاهده من مآسي في العراق.

نشرت الرسالة في "السفير" وبعثت بنسخة منها إلى "القدس العربي" و"الرأي" في عمان، وأرفق صورة عنها في هذه الرسالة.

بعثت قبل أيام بكلمة قصيرة "لعلي ماهر" كي يوصلها إلى "تانيا ناصر"، بمناسبة المعارض الثلاثة التي ستقام في الضفة



Twitter: @ketab_n

الغربية، أرجو ان تصل الكلمة في الوقت المناسب، خاصة بعد الحفلة الكبيرة، والرائعة التي قام بها طلبة "بيرزيت" أثناء زيارة "جوسبان". ان المنظر يوحي باحتمالات إيجابية، وكذلك المناخ العام، ويمكن تلمس آثاره في بيروت، حيث كان لقصف إسرائيل للكهرباء آثار مدمرة، لكن إيجابية في الناحية الثانية، ولا بد من استثمار مثل هذه الأجواء ودفعها للأمام، ولا أدري كيف يمكن ان نساهم أكثر في هذا .

جاءني قبل أيام حسن ياغي بزيارة إلى دمشق، وقد سلمته "أرض السواد" مصححة، وهو يعدها الآن للطبعة الجديدة. "حسن" وأنا موافقان على اقتراحك ان يبقى الغلاف كما هو، لكن حبذا لو تركنا إشارة، ولو صغيرة، ان هذه الطبعة الثانية، وعلى الغلاف. "حسن" يقترح ان يتغير لون الأرضية بمقدار بسيط للدلالة، وربما إذا أضفت شيئاً، يعطي الموضوع لفتاً للنظر قد يكون مهماً، فكر بسرعة وقرر، ونحن جاهزون.

كُتبت أكثر من دراسة خلال الفترة الأخيرة عن "أرض السواد" ، وأتمنى ان تحصل على العدد الأخير من مجلة "الحدث العربي والدولي" ، أي العدد السادس، وهي مجلة تصدر في باريس، وفيها دراسة "لفاروق عبد القادر" ، والتفات خاص للأغلفة. إذا لم تجد هذا العدد فأنا أحتفظ بواحد منه، لكن أقدر ان تجده، والمحرر المسؤول "قصي صالح الدرويش" .(العدد السادس)

حالما تصدر المقالة المكرسة "لأرداش" سوف أرسلها إليك، وكذلك المقالة عن "محمد محمود خليل" ومتحفه. وسوف أوافيك، وقبل النشر، بالدراسات التي قد أكتبها عن بعض الفنانين لتبادل الرأي وسماع اقتراحاتك.



Twitter: @ketab_n

آذار، كما يبدو، أبرد الشهور، فالليالي شديدة البرودة، وإن كانت شمس النهارات جميلة ومشجعة. لكن يبدو ان الربيع قد دق الأبواب معلناً قدومه. كل ما نتمناه شتوة أو اثنتين، لكي نضمن المواسم ونتوقع ان الناس لن تعطش.

أبلغت "نذير" بتحضير الرسوم اللازم "للنهايات"، وقد أبدى حماسة، وأثناء زيارتي الى بيروت سوف أحسم الأمر، أي بالطلب ان يكلف رسمياً، ويجب ان يصدر هذا التكليف عن "اللباد".

أريد ان أهرب من دمشق أثناء العيد. لديّ أكثر من شغلة بين بيروت واللاذقية ولابد ان أوازن الأمور وأصل إلى صيغة ملائمة.

الوعد بزيارتنا أثناء آذار، أو مطلع نيسان، لا يزال قائماً، كما أعتقد، خاصة وأن ليلى وعزة في حالة الجاهزية الكاملة كي تكونا "الموديل" للمرحلة الجديدة من الوجوه.

هذا ما أردت كتابته الآن وبسرعة ورداً على رسالتك الرقيقة. تحيات كثيرة وأشواق أكثر، وبانتظار سماع أخبارك ورؤيتك، وتقبل تحيات الجميع، خاصة سعاد والأولاد، ولا تنسى ان تبلغ الجميع تحياتنا.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

2000-3-11

الغالي عبد الرحمن،

سيطير إلى دمشق صديقي ياسين الطرابيشي بعد زيارة له في برلين وأنا أنتهز هذه الفرصة لأرسل لك بعض الحروف والمقبلات - لاحظ كلمة المقبلات!- معه لكم عسى ان تكونوا في دمشق ولكي أطيب من خاطرك في البداية أرسل لك بعضاً من المقبلات التي كتبتها البارحة وأنا أتسلى، وأنت تعرف يا أبا عوف قيمة الابتسامة والولدنة في ساعات العسر وقد كان من المفروض ان تكون كلماتي ومقبلاتي، بعض الشعر وبعض اليسر إلاّ أنها تحولت إلى جمل عدنانية.. والمهم أني كنت بدي أسألكم عن أشجار البرتقال وإذا كانت حاملة زهر أبيض كثير هذا العام وإذا نزل مطر منيح ونحنا صرنا في أواسط آذار ويا ترى إذا رجعت اليمامة تغني على شجرة "الأكي دنيا" وتقول، كما كانت تفهمها خدّوج : "مصري ياتتن مصري ياتتن.. مصري ياتتن" ، بجانب "الدرابزين" ببيت خالتي "أم عدنان" بالشريبيشات وراء القنوات وإن شاء الله صار زهر المشمش أرعون وزهر اللوز طلع وصار كثير بفلسطين وهيك سمعت، والله عليم وسقا الله هلأيام زمان لما كنا نفطر الصبح تسقيّة وفول مدمس وبعدين فطاير بباب الجابية وبعدين نروح لعند الحلاق منشان نحلق ذقونا ونشرب قهوة وسيجارة ونتصوّر حالنا فنانين وثوريين وقبلها اشتراكيين وثوريين ونقول لفلان دخلك إذا رحت على المسكيّة ماتنسى تشتريلي كتاب قواعد الإنكليزي للمبتدئين لأن الواحد ما يعرف شو بيصير بالدنيا بركي نروح مرة إلى بريطانيا ان الله راد، الله يحرقها لنخلص منها ويرتاح العالم وفلسطين وأمريكا بعدين الله



Twitter: @ketab_n

بيدبرها لأن الله ما نشاف لكن بالعقل نعرف ولكل مقام مقال ولكل زمان دولة ورجال. وقبل ان أفرط في الكلام وأقول ما لا يقال أريد ان أنهي مقبلاتي وأطراف ذكرياتي ما كان يرونه أهل أول من العارفين ويقولون سبحان الله القدير خلق أمة محمد بباه عظيم ليس له شبيه في العالم وخاصة الفرنج الكافرين ومن أجل هذا ترى نسوان برّا يموتوا على الفحل العربي ويفضلوه على رجال أهل الدنيا وما عرفوه. هيك روى أبو داغر الكدع وهو يصلّح طربوشه ويبرم شواربه ويتلمّس خاله على خده اليمين. هذا بعض ما جاءني اليوم فحمداً لله الذي ألهم محمد سيد الأنبياء وخير العارفين آمين، يا أغنياء ويا مساكين

رسالة أصيلة وأصيلة!

صفحة جديدة حتى لا نخلط الحابل بالنابل و(ساعات العسر بساعات اليسر) وآمل جداً ان يكون خطي بعد التنقيب، ومساعدة سعاد وعزة ممكن القراءة وإلاّ فعليكم بصاحبة الآثار ليلى في فحص السطور وترميم ما ضاع بين الحروف. أخذني العجب والغضب وأنا أقرأ بعض ما كتبته (البنت) ليلى غصناً على صفحات الحياة كنقد لأرض السواد! لا أريد ان أعلق على غباء ما ورد وبعده عن أي نقد لأن النقد فن أيضاً وله مقوماته ولا يتمكن منه إلاّ ما ندر، ولكني سمعت ان جريدة النهار قد أوردت نقداً سلبياً للأرض أيضاً قبل أسابيع، ولهذا جاء ما يشبه القناعة لديّ وعلى الفور ان ذلك لم يأت صدفة غرضها النقد الأدبي للرواية وإنما أمر مدبّر وله من دفع ثمنه من أهل (الجنوب). (ديدان بلا لون)

أشعر بتحسن روحي وأحاول الخلاص من (الروكبة) الروحية في العمل عندما تنغلق الكوى وعندما لا يفيد فتح الستائر للبحث عن النور والاندفاع الداخلي في الإحاطة بالشيء وملامسته. يلعب الزمن دوراً جميلاً وإنسانياً في الحياة المتأخرة ، ولكنه أيضاً دورٌ خبيثٌ



Twitter: @ketab_n

وقاسٍ وخاصة عندما نشعر بأننا مطاردون في قول كلمتنا الأخيرة وفي تسطير حروفنا وأن الزمن أصل الإبداع ولكنه جلاد خبيء ولا إبداع دون وجوده وأخلاقية فكرته.

افتتح معرضي في قاعة الواسطي بالقدس يوم الخميس المنصرم وكنت على اتصال مع تانيا، وقد أرسلت لي كلمتك فأعجبتني كما هي العادة ، والعادة هنا ليست العادة وإنما القدرة وطبيعية العرض وبساطة الكلمة مع مسؤوليتها.. ضحكت وأنا أقرأ الجملة الأخيرة من كلمتك مع فرح جاء من الصدر والسبب هو تشابه الجملة مع جملتي الأخيرة أيضاً.. أعرف أنك غالباً (لا تجنّح) كلماتك ولا تتهور مثلي بحماس داخلي تنقله إلى الحروف بل ان سردك وإحاطتك بالمعاني والأحداث هما جناح كبير، ان لم نقل سقف عال رائع البناء ونادر مثل قبة جامع الحسين في القاهرة (وهذا إشارة سابقة إلى أرض السواد والتي سيجيء وقتها قريباً ... وقبل ان أنسى، ان السيدة "غصن" حاولت التعرض لمدن الملح بشكل خفي دون ان تتجرأ على الإفصاح). . سألتني تانيا ماذا تضع أو تكتب عن الإطارين حيث كلمتك وكلمتي، فقلت ببساطة ان تضع عنوان (صديقين) وقد فعلت ذلك وأنا مرتاح ، والأكثر أنا سعيد بذلك.

أفكر كثيراً بزيارة دمشق لمدة أسبوع وهناك احتمالين في ذهني، الأول قبيل نهايات آذار والآخر هو منتصف نيسان وقبل افتتاح الأكاديمية. سوف أرى وسوف أعلمك في حينه عن ذلك.

هناك مجموعة معارض لي في العالم العربي هذا العام في دارة الفنون وسوف يأتي دور سوريا في الخريف عن لبنان وقد سألتني سهى عن رأيي وهي تتصور فاتح ونذير ثم أنا ولكنها ليست متأكدة تماماً فيما يتعلق بنذير، فبددت حذرها ووصفت الأعمال الجديدة بأنها جيدة وأصيلة ويجب ان يكون أبو عمار معنا. أحاول مواساة سهى بالرسائل كل أسبوع. ان مرض خالد وما حدث شكّل في حياتها



Twitter: @ketab_n

رؤيا جديدة وتجربة قاسية مليئة بالورع والأمل والتصورات الجديدة التي لا تأتينا إلاّ في حالات مأساوية نادرة .

اكتب لي عن "بستان هشام" وأين وصلت وما هو مخططك في هذا الشأن وعن حجم البستان بالقيراط والميزان . أتمنى جداً من ان أتمكن من متابعة (القصاصات) عن (نور البستان) وما تركه في تركيبي ورؤياي الحسية والفنية وأثره في عملي التصويري في محاولة القبض على هذا النور وملامسته. ربما تنفع عصى الذكرى منك في حماسي لهذا المشروع.

أرسل لي من "بترا" كتاب- على أطراف الصحراء- وأعجبني إخراجه وبعد يومين اشتريته لأهديه إلى صديقنا (شتري) وزوجته، وبالمناسبة هل وصلتكم أدوية ليلى؟ لقد أرسلتها مع صلاح إلى بيروت يوم 25 المنصرم وأعتقد بضرورة الثبات والاستمرار في العلاج حتى يصبح جمال أقدام ليلى، وهي جميلة ، لا يماثله جمال إلاّ أقدام عزة.

أرسل لكم كلمتي عن أغلفة الكتب ثم ما كتبته تانيا عقب افتتاح معرض صالة الواسطي وربما المسودة الأولى والثانية لهذا القصد. كتبت كلمة عن أكاديمية أيلول ولكنها لم تصل للأسف في الوقت المناسب وجاء في النهايات بعض الاضطراب والاختصار. أرسلها لك أيضاً وسوف أكتبها من جديد مع بعض الإسهاب أو الاختصار اللازم. شوقي لكم (هائل) وأحياناً معذّب ولكن، وكما تعرف فإن في بعض العذاب متعة وثروة، فليدم لنا هذا العذاب، وإلا ما فائدة الأيام وما فائدة الحياة!

أرجو ان أسمع منك قريباً ولا تؤجل ذلك حتى زيارتك برلين . ولو!.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

2000-3-20

اليوم الأول من الربيع،

فرحت برسالتك كثيراً ولم أرد ان أقرأها (على الماشي)، وضعتها (بعبي) وتلذذت بفتح ظرفها الساعة الثالثة صباحاً، وقبل ان أقرأ بعض صفحات أرض السواد قبل النوم وعليه فقد كان لدى (خسكارين)، والخساكر (زوادات) الحياة وكل إنسان يغرم بخسكاره (حتى و بدون أقواس).

أرجو ان تكون رسالتي قد وصلت عن طريق إبن الطرابيشي رغم الفوضى ورغم الكثرة. اتصلت اليوم بمكتب السفر لكي أزور دمشق يوم الأحد القادم وللأسف لا توجد محلات... يظهر الناس تلاحق "البابا" صاحب روما من أجل البركة وراحت علي بركة الشام.. ربما وجدت موعداً لاحقا في نيسان رغم صعوبة الموعد بالنسبة لي.

يوجد مثل ألماني شعبي يقول بعد الأخذ والعطاء - الرد - ولحل المناقشات، (والآن علينا ان نستعمل مسامير برؤوس).

والمسمار الأول هو فكرتك بالكتابة عن الصيد والمشاركة الخطية واللونية، وثم الخطية، فإن الفكرة راقت لي وسوف أحاول التركيز والاقتراح معك وعن رأيك وربما أخرجنا شيئاً لابأس به.... وبرأس! .

ولابأس أيضاً بالضغط الأخلاقي على الصديق لكي تصل الساقية إلى الحقلة ولا تتسرب إلى أعماق التراب وتضل الطريق والقصد.!



Twitter: @ketab_n

وحبذا لو شجعتني فيما يتعلق بنور دمشق في العين وقلب الذكرى. إذا رأيت ذلك مناسباً. لا أستطيع ان أكتب إلّا إذا أحسست بأنه يوجد أمل لبقعة في لوحة أو انحناء جديد في صدر اللوحة أو أطرافها المتعددة أو تغيير لون... يدخل قلبي الأمل وأشعر بالقوة وتنفتح نفسي وتصبح السماء قبة لا نهاية لها، لها زرقة الفيروز حتى ولو كانت لها رمادية الشمال.. وتنفتح نفسي للكتابة أيضاً.

لعن الله لوحة أعمل عليها منذ أسابيع طويلة وقد كان تقديري أنها هكذا وسوف ألتهمها في يوم مع صراخ الأزرق والأصفر، مع شيء من الزهري ثم عواميد النور في الوسط ، من أسفل اللوحة حتى قمتها، من الأرض حتى مركز السماء... لا تتصور مدى التغييرات ومدى البؤس والشقاء في النهار والليل. نريد شيئاً غير عادي ولكنه بسيط وعليه بصمة التأكيد والقصد الذي نعرفه وندركه دون ان نعرفه ويأتي "سيزيف" الخبيء في زوايا قناعاتنا وشرف غرضنا. تأتي الفوضى ويأتي الغضب وتأتي المحاولة الدؤوبة في إعادة الفوضى إلى نظام الغضب إلى جانب الرفض، جسداً جديداً مع روح الخالق. لا بد في هذه المحاولات من الجروح، جروح اللوحة وجروح البحث إلى جانب جروح الأمل وجروح التعثّر.. حتى نصل. ربما . ثم، مثل "سيزيف" ، نبدأ من جديد.

ذكّرني صديق قديم بتصرفات لي في مطلع الستينات كنت قد نسيتها، قال بأني كنت مجنوناً إذ أنه استعار لوحة مني علقها على جدار غرفته وكانت مؤطرة وعندما زرته يوماً ما، وبعد جلسة طويلة أخرجت موساً من جيبي ومزّقت اللوحة إلى قطع كثيرة وهم ينظرون لي بمنتهى الدهشة والاستغراب وعلقت على ذلك بأنها عمل سيء! .

وتذكرت أنّي غالباً ما كنت أمزق اللوحات في الأكاديمية وبعدها أيضاً عندما أصبحت أرسم في الدار... يا حرام.. والحمد لله.



Twitter: @ketab_n

واليوم وبعد إحراج الأسابيع المنصرمة والشقاء النفسي لأن اللوحة لا تريد، كنت على وشك الانتقام بالنصل الدمشقي... ربما ذعرت اللوحة وقد اطلعَت على أسرار ما في نفسي، فأعطتني شيئاً منها بعد المحاولات التي ربما جاوزت الخمسون وغداً سوف أرى!.

أرسلت لحسن ياغي قبل ثلاثة أيام نموذجاً لإشارة الطبعة الثانية وأعتقد أنه جيدٌ وطبيعيٌ وجميلٌ أيضاً ولكني نسيت ان أقول له في ان يوصي (المجلِّد) في الاعتناء بالتجليد أكثر لأني رأيت في مدن الملح الجديدة بعض التموجات وإذا كانت الهمة أكيدة فإنه من الممكن تجاوز هذا الأمر.. ونسيت أيضاً ان أسأله إذا كان في المستقبل ورق يماثل كتاب الآثار الكاملة لغسان كنفاني طبعة 1988 لأنها أعجبتني وربما سعرها هو ذات السعر. أُنظر في مكتبتك إلى هذا الورق.

نسيت ان أرسل على الظرف السابق بعض (الطوابع) للغزالتين لأن التسليم كان شخصياً ولا خوف من البريد.



Twitter: @ketab_n

2000-4-7

(روعة الكاتب عبد الرحمن منيف هي ان رواياته تبدو وكأنه لا يتدخّل في وجود أشخاصها، في أهوائها وتحركاتها، في أعماقها وبواطن نزعاتها. تنحبك الرواية وتأخذ مجراها، والقارئ يعيش أحداثها بشغف وعاجلاً يشارك الأشخاص سيرتهم ويرتبط معهم بالعطف أو الرفض وحتى الغضب أيضاً وكل ذلك بحماس وترقّب.

ومع الوقت ندخل في عالم الأشخاص والأشياء ونكاد ننسى أنه، وراء المحركات والأقدار، الكاتب، إنّه لا يروي لنا حكاية أو يقص علينا سالفة، إنما يصنع الرواية وكأن وراءه (جنيّ) يمسك بقلمه ويأخذه بحكمة إلى متاهات الإنسان وأقداره في أمكنتهم وزمانهم.)

2000-4-18

أولاً وثم أولاً التهاني والفرح والتمنيات لليلى وعمر ولكم جميعا .. ولي طبعاً (وانشالله الفرح الكبير عند عزة) .

2000-4-22

حاولت الاتصال مراراً الأيام السابقة واكتفيت، ولو تعويضاً بسيطاً عن الكلام معكم، بصوت الحبايب على المسجلة.

جاءت منذ أيام حرارة صيفية إلى برلين وفتحت القلوب الكثيرة بعد برد الشتاء وعتمته وانجررت أنا إلى هذا الانفتاح ولكن بالعين أكثر منه بالقلب.

كنت أكتب على كيفي ولكن الآن، وبعد ساعتين من الرسم



Twitter: @ketab_n

راح أكتب على كيف الكيف وراح أكتب شروي غروي وأعتقد ان هذه الشروي كما يقول أهل دمشق محرّفة والأصل شرقي غربي .. ولاّ شو رأيكم بهذا التفسير. همني كثيراً عندما سمعت عن بعض التلبّك البسيط على صحة عبد الرحمن - والخطاب موجه لأهل المنوف جميعاً في هذه اللحظة - وجاءني حزن عميق أقرب منه إلى الوجع وتمنيت كثيراً ان أتكلم معكم ولكن للأسف دون طائل وتمنيت أكثر ان أكون بقربكم في الشرق، أسهر الليالي مع سيفو وبدري وشلال والأغوات.... وداود (داود بواو واحدة أو اثنتين!) ولا أنكر عليكم، وهذا لكم، أني عندما قرأت تحضيرات "بدري"(*) بكركوك للعرس وانتظاره وصول زكية ثم مقتله أني لم أتمكن من إيقاف دموعي، وكانت الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل.. وهكذا سالت دموع حارّة وأنا أتابع القراءة ولوقت ليس بالقصير... هل هذا عيب يا عبد الرحمن وهذا ما يقصده الكاتب... ولكنك ذكرت أكثر من مرة عن بكاء أهل العراق بعد المحاولات الكبيرة في ان لا يبكي الرجال .. وأنا بين دمشق وبغداد والسلوى الكبرى هي عودتي وانتظاري لساعات الليل حتى أفتح أرض السواد.... كنت أحب ان أضع (علامات) مثل "الجراميذ " صبيان الكشافة، في أمام أو بالأحرى بين الصفحات من أجل الإعادة أو ربما السؤال .. ولكن من يقرأ وهو مستلقٍ، فهو (مستلقٍ) لجريان ذلك النهر العظيم وأحيانا أضحك وأسب عليك وليس من غاية المسبة والقهر وإنما من غايةٍ بلغ فيها الإعجاب والتعجب درجة هائلة حيث تأتي المسبة بسبب الإبداع والروعة المتميزة والنادرة في دخولك زوايا التاريخ والحارات والبيوت ثم اصطياد الدرر من أعماق الإنسان بشكل يكاد لا يُتصوّر.. فهل أنك أيها الكاتب الصديق لا تستحق مسبة الحب والامتنان ثم



Twitter: @ketab_n

الشكر من ملايين العرب الحاضرة واللاحقة. دعني أقبّلك وأشكرك باسم الملايين أولاً... ولكن القبلة الخاصة مني ولوحدي وليس لأحد شغل بها! . نعم .

قررت ان أنهي حروفي لك اليوم وسوف أرسلها اليوم أيضاً (بين العصر والغروب كما وردت في الأرض مرات ومرات!).

هناك أشياء كثيرة أريد ان أكتبها لك ولكن هناك من ينتظرني وعلي الذهاب وآمل ان لا أنسى.. أتعرف يا عبد الرحمن، لا أستطيع الكتابة عندما أكون في حالة الرسم، أو تصوّر أني أملك للحظات هذه الإمكانية، فعندها ينفتح قلبي وأرى العالم بصورة مختلفة، أراه من الوسط، من السرة، وليس من الأطراف مع الشعور بالخجل واللوعة... والتساقط ... ولكنني سأترك السقوط ولنفكر بتساقط الثمرات من أعالي الأشجار وهي يانعة حلوة عذبة لذيذة وغير محرمة.. وإذا كانت محرمة فلابأس أيضاً... أليس كذلك. أرجو ان أسمع منك وأنا (كلّي) معكم بحبي وشوقي.

**مروان**

---

(*) مدن الملح



Twitter: @ketab_n

**دمشق الشام 8/6 / 2000**

العزيز مروان

كل المودة والتحيات والأشواق

أنتهز فرصة سفر ليلى ومرورها "بأمستردام" كي تضع هذه الرسالة بالبريد من أجل ان تصلك بسرعة.

أولاً: مرفق بهذه الرسالة الخطوط التي طلبتها لسيرة مدينة "والتقديم" أرجو ان تستفيد منها.

ثانياً: مشروع مقال عن "علي طالب" للاطلاع وأبداء الرأي. النقص في المقال أنه يفتقر إلى الصور، لكن أظن أنك رأيت عدداً من أعمال هذا الفنان.

ثالثاً: أريد ان اشتغل على سهى ومختار خلال الأسابيع القادمة، إذا عنّت لك ملاحظات اكتبها إليّ.

رابعاً: موجة الحر الأولى انحسرت، لكن التهديد ان موجة جديدة على الأبواب، الله يستر!

أخيراً : تحيات لك ولمن حولك وسوف أكتب إليك قريباً.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

2000-8-8

عزيزي عبد الرحمن،

اشتريت دفتر الورق من أجل الكتابة لكم منذ أشهر وكنت أراه على الطاولة بين الحين والآخر وهو ما زال بكراً فأشعر بالذعر وأغض النظر هارباً ومتناسياً. قبلت هذا المساء التحدي وقلت علي ان أجرب فلعل وعسى . هناك ظاهرة لدي ترتبط بالرسم وعلاقته بالمحيط. ان الرسم هو المركز في حياتي وتصرفاتي، فإذا كان سعيي موفقاً، وأقصد بالتوفيق تلك الشهوة في العمل اليومي مع ألوان الزيت أو المائي رغم المناعة المعتادة، شعرت بالحماس والانفتاح لكل الشيء مع التوازن والأمل. وإذا توارت الشهوة بعض الأيام والأسابيع، فقدت حماسي وفقدت توازني وعمّ قلبي حزن عميق. فُتحت علي في الأشهر السابقة عدة جبهات حياتية ارتبطت ببعضها مع الوقت وأصبحت كالسلسلة المترابطة علي ان أجهد في فتح حلقاتها لمتابعة الطريق (أو ما تبقّى منها). أعرف الآن حداً جديدة عليّ فهمها وتجاوزها وأعتقد ان تلك الحد تشبه من سبقتها في الحياة وهي حدّ التساؤلات والعثرات، ترتبط بالنفس والجسد ورؤيتنا في هذا العالم وفي هذه السن. إنها لا تشبه من سبقتها بسبب ضيق (الحقلة) وقرب الأفق. إنها سنوات الحصاد والبيادر قبل مجيء الشتاء.

نعيش فصل الخريف مع الطبيعة وهو من أجمل الفصول بالنسبة لي، وإن الحزن الذي يسببه مرور الزمن، وقبل استقبال الشتاء، حزن عذب ومحبب لا يخلو من القوة والتحدي.... أما الخريف الذي



Twitter: @ketab_n

نعيشه بحياتنا فهو زمن آخر يختلف حزنه ويأخذ التحدي مجرى آخر. وما أقصده بحياتنا هو العمر في هذه المرحلة وكل ما يرتبط بها من مظاهر جديدة لا نعرفها بهذا الشكل. نحتفظ بها لأنفسنا، أو حتى أننا نطمرها في أعماقنا لتظهر في أحلام الليل واليقظة مع الألم المُلِح عما بقي من قوى الروح والنفس وعما بقي من قوة الجسد. تتلاطم هذه الأحلام مع بعضها بفوضى تجلب الأسف وتكسر القلب.

هذه هي حدود الآن التي علينا اجتيازها وثم قبولها والرضاء بها وقبول تحدّيها (لندخل) المرحلة الجديدة بوعي مختلف واستقبال جديد مع التقبّل ومعرفة جديدة نجاريها بإيجابية وعطاء دون تمنّع ودون نظرة السقوط والانهزام.

ورد في نفسي بعض المرات موضوع القصة الذاتية في اللوحة وقد جاء هذا عندما كنت أُخرج بعض الأعمال من سنوات مختلفة لأريها بعض الأصدقاء فأرى (وجوه) السبعينات و (أسير) معها حتى اليوم. أرى الوجوه الأولى مع نضارة الوجه ان لم أقل فتوّته وعناده إلى جانب الطبقات اللونية الشفافة الناعمة وتناغمها مع الطبقات الأخرى من الألوان السميكة الحسية الملمس والمكملة للأولى في موسيقى البناء الكلي، ثم تأتي الثمانينات ويتلاشى (زفاف) الفترة الأولى تدريجيا ليحل محله (زفاف) جديد بوثائقية مختلفة، أو بالأحرى امتداد مختلف ومنطقي. تأخذ النضارة معنى آخر و تأتي الشفافية من منظور جديد وتتحول الفتوة (العنيدة) إلى بداية رجولة. يأتي النور من طبقات الصخور والأرض والتراب بعد ان كان مصدره الأول السماء التي اقتربت الآن لتلامس الأفق ولتصبح مرتبطة مع الأرض. واليوم، أصبح هذا الارتباط عضوياً وموحداً بين القطبين ومصدر النور (الضوء) المذكور يأتي من (الكل) ، وربما من الأرض


Twitter: @ketab_n

والتراب أكثر منه من (الوشاح) الانطباعي (الجميل) المطلع مع هواء عليل! .

**12-8 يوم السبت مساءاً.**

عدت من المرسم حيث قضيت بعض الساعات الهادئة. أفسحت مكاناً كبيراً نشرت عليه رسومك من أجل الاختيار الأخير داخل كتاب السيرة وصنّفتها في ثلاثة مجموعات وسوف أقوم بالاختيار الأخير غداً وأعتقد ان العدد سيكون بين 25 - 30 رسمة. أما فيما يتعلق بالمقدمة، فهي عشرون صفحة مزيّنة بحوالي 32 رسمة صغيرة على الجوانب للاستشهاد وقد قمت مع "أنيا" ويزن في الليالي السابقة بتنظيم النص مع تلك الشواهد.... سوف أرسل نسخة لكم بعد غدٍ لإعطاء رأيك بهذه (الولادة)(*)!.

طلب مني "وسام جبران" ان يسجّل معي مقابلة مع بعض الأسئلة وأن يكون التسجيل على درجة جيدة من الاحتراف. استمرت المقابلة أربع ساعات وقد جلبها لي البارحة على ثلاثة CD ومدتها تقريباً ثلاثة ساعات استمعت اليوم للجزء الأول والثاني. هناك بعض الأفكار المعروفة مني... ربما كان بعضها طويلاً ولكنك تعرف مدى الصعوبة أحياناً في الارتجال وخاصة بعد تلك الساعات الأربعة. سأرسلها لكم دون تقليم أو تهذيب أولاً على اعتبار أنها وثيقة صادقة رغم الطول ورغم... القواعد في المبتدأ والخبر وإنّ وأخواتها.

هناك مشاعر مختلفة لدي فيما يتعلق بأكاديمية الصيف في عمان. فرغم قناعتي بأهميتها وبأهمية الدور الذي أقوم به لدى الشباب وتقديم تجاربي وآرائي، فإني أشعر بالتضحية الكبيرة من طرفي وبالدرجة الأولى قواي إلى جانب الشهر (الضائع). سهى تقدّر ذلك كثيراً ولهذا اقترحت ان أحضر الأسبوع الأول والأخير. سوف نرى. (وانظر إلى هذه -السوف- الدسمة!).



Twitter: @ketab_n

عسى ان تكون رسالتي رغم فوضاها، طليعة موجات جديدة من الرسائل بيننا لا تنقطع. سآتي عمان يوم 2 من الشهر القادم وستأتي أنجيليكا يوم التاسع منه مع صلاح لأنه سيأتي متأخراً هذا العام وللأسف. شوقي لكم كبير يا عبد الرحمن ولابأس إذا احتفظنا بالابتسامة الصادقة للأيام. مروان

13-8-2000 يوم الأحد

أنهينا اليوم التعديل الأخير للنص والتقديم إلّا بعض التصحيح البسيط... وأنا أرسل لك الآن النص (كوبي) وهذا لا يظهر طبعاً جمال المطبوعات. أرجو ان تعطي رأيك به وفي منتصف الأسبوع سأرسل لك أو لحسن المواد مع الشروح كالعادة ويجب الاتفاق مع حسن على طريقة إيصال المادة إلى "مجلة الطريق" وأرحب ان تطبع في المجلة بذات الحجم والتفاصيل. والآن أعود إلى آخر تفاصيل يوم الأحد قبل الذهاب إلى النوم مع الحب.

**مروان**

(*) (الإخراج الجديد لسيرة مدينة مع تخطيطات عبد الرحمن التي جاءت أثناء كتابته للرواية مع مقدمة مني عن تلك التخطيطات كتبها له.)



Twitter: @ketab_n

**2000-8-31**

الصديق الغالي عبد الرحمن،

لعن الله البعد. أفرح بالحديث معك وتضحك روحي. أحب ان أكتب لك قبل سفري بعد غدٍ. وجدت في أوراقي (مسودة) رسالة كتبتها في أحد ليالي عام 1997 في وقت متأخر. لسبب ما لم أرسلها لك في وقتها... والأوراق مثل الأرض حيث كان يقول والدي ان الأرض مثل الذهب لا تضيع! وهكذا، ورغم ان الكتابة ليست من ذهب، لم تضِع السطور وأحب اليوم ان أنقلها لك كما وردت دون حشيش ونبيذ ودون القمر البدر في الليالي.

(ويحك عبد الرحمن، أين حروفك!؟ .. هل تتركني هكذا يتيماً!.. أو أنك ربطت الحروف ببعض وأرسلتها مع المحمل والهودج على دروب الحرير والبخور فضاعت في مهالك الطرقات! . اليوم هو السبت. ذهبت قبل البارحة ، يوم الخميس إلى المرسم وتمهلت، ولكن بعجلة أيضاً في فتح صندوق البريد (أطال الله عمر هذه الصناديق في عصر الفاكس والإنترنت) ويا أسفي لم أجد في داخله إلاّ دعوة لمعرض وأشياء أخرى ولكني لم أجد نقاط السلوى، نقاط الأزرق والأحمر من دمشق بخط دقيق، ناعم وثابت، خط يربطني بجزيرة العرب في مركزها المزّاوي، خط عبد الرحمن منيف الصديق الكاتب.. وأخذت أتصور رحلة حروفه من شمس الجنوب باتجاه بحر البلطيق وهي تترابط مع بعض دون ان تفقد حرارتها أو تضيّع مقاصدها. وغداً من جديد (بعد عيد العنصرة) سأعود إلى مرسمي وأقف على نافذتي، أتتبع الأفق لأكون أول من يرى قافلة



Twitter: @ketab_n

الحروف آتية من فسحة صغيرة عليها شجرة صنوبر في أحد مواقع الفكر والحب من مزة دمشق. يجب ان ننتبه أيها الصديق صاحب الحروف ان لا يسبقنا العمر ونحن توأمان وأن لا تطيل القافلة في متاهات السير. كتبت لك في المرة السابقة عن مشاعر جديدة أخلاقية ووجودية الطابع عن مشاعر ارتباطي (الجذري) وعودة الغصن إلى الجذر، إلى الوطن. ولا أعرف إذا ...)

هنا توقفت دون معرفة السبب الآن ويجب عليّ ان أبحث الآن عن موضوع (الإذا) في نهاية الحديث أو وسطه أحب ان أرسل لك اليوم (لعثمة) الليل وأعتقد أنها جاءت في شهر أيار لسبب ورود كلمة عيد العنصرة. وهكذا تعود الرسالة إلى صاحبها!

مع شوقي الكبير وتمنياتي وحبي لكم.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**دمشق الشام 15/ 10/ 2000**

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق

رغم مشقة أيلول إلا ان نتائجه توازي، وربما تتفوق على التعب، وقد لا تظهر كل النتائج بسرعة، لكن الأيام ستقول ، فدعنا نراقب ونتأمل ونردد في الختام ان في أيلول الكرم يعتصر، ولابد ان نشرب في قادم الأيام خمراً لذيذاً!

وأيلول، في الجانب الآخر، حافل هذه السنة ، إذ قبل ان ينقضي انفجرت الدنيا، وعسى ان يكون انفجاراً مباركاً ، خاصة وقد طالت الأزمة على ركود المستنقع ، وأصبح آسناً إلى درجة القتل ، فلعل أواخر أيلول ، ثم ما قلته من أيام تغيّر الرتابة والبلادة وهذا الخمول المزمن.

في الأفق سحب كثيرة . فعسى ان يأتي معها المطر ، كي تخضر الدنيا من جديد، ونحس ان الحياة ما تزال تمارس دورتها الأزلية، خاصة وأن شمس هذه السنة كانت عدوّة لدرجة القهر ، وجلبت صيفاً ليس كالأصياف الكثيرة التي سبقته. الآن نحتاج إلى أمطار كثيرة كي تبلّ الأرض ، كي تعاودها النسغ ، ومن أجل ان نبقى أصدقاء الأرض بعد هذا الجفاف والعداء لنأمل!

لا أدري ماذا حصل " لسيرة مدينة" أتوقع ان يواصل حاتم العمل، وأن تظهر في نهاية هذا الشهر أو بداية الذي يليه وخلال أيام سوف أرسل إليك نسخة من " الطريق" وقد أبلغني دكروب ان



Twitter: @ketab_n

مقالتك ستحتل صدر العدد الجديد، استكمالاً للملف، وكذلك مقالة حسن .

أرسل طياً خطوط الكتب الجديدة، بخصوص "الآن.... هنا" أرى ان يكون هذا العنوان وحده على الغلاف الخارجي، أما " شرق المتوسط مرة اخرى" فالأفضل ان يرد في العنوان الداخلي .

في الختام الجميع يهديك التحية وسلّم لنا على الذين حواليك وإلى اللقاء.

**عبد الرحمن منيف**

Twitter: @ketab_n

سأحاول الكتابة بعد انقطاع يبدو لي وكأنه سنوات طوال. دخل كانون الأول برطوبته مع قصر النهار وأضواء النوافذ ابتداءاً من ساعات العصر ثم ذلك الجو المشحون بمشاعر معروفة تعيد نفسها كل عام والناتجة عن قدوم عيد الميلاد ورأس السنة والارتباك لدى البعض في البحث عن الهدايا وتبادلها التي أصبحت طقوساً تجارية هامة للأوضاع الاقتصادية العامة.. فتحيّة لسيدنا عيسى الذي يأتي ميلاده وقد أصيب الناس بالوهن والتعب إلى جانب التخمة بانتظار عيد جديد بعد ان يعلن التجار والرابطات الاقتصادية عن مدى النجاح والربح مقاساً إلى الأعوام السابقة... ولكن أشجار الميلاد تضيء بالشموع والكهرباء في الشوارع والواجهات ونوافذ البيوت. لم أكن أريد ان أكتب عن كل هذا والذي أردته هو الكتابة عن أضواء العصر الباكرة مع رائحة الرذاذ وما تبقى على أطراف الشوارع من بقايا أوراق شجر الخريف والشعور الخفيف بالحزن وتأمل تساقط الزمن بالأيام والفصول.

أرسلت قبل أكثر من أسبوعين رسوم وتصاميم الكتب الثلاثة إلى حسن ولقد اتصل بي حاتم قبل أسبوع بسبب "سيرة مدينة" ولون الغلاف ثم تكلمت مع حسن ورجوته ان يتصل بي حين استلامه التصاميم لأطمئن وإن لذلك سيرة كما تعرف. آمل ان تكون قد وصلت بالسلامة رغم ان حسن لم يتصل بي حتى الآن. شعرت أولاً ببعض الارتباك والحيرة أثناء العمل وعملت قدراً من الرسوم



Twitter: @ketab_n

والتجارب حتى فتحها الله في قلبي ويدي واخترت الأفضل منها وأعتقد أنها جيدة وجميلة و ... جديدة .. وأرجو جداً ان تحوز بإعجاب الكاتب والصديق عبد الرحمن منيف وعائلته الحبيبة أينما كانت.

أتعبتني عمان في الأيام اللاحقة ومثل العام المنصرم رغم (نضالي) بأن أنتصر على نفسي بعد أيام أيلول. ان الجهد النفسي والروحي الذي أبذله هناك يمتص في الأشهر اللاحقة معظم طاقاتي ولكني، ورغم هذا كله، أعتقد اليوم بالأهمية القصوى لما أقوم به وإنّي أرى ذلك في مجال المهمة الوطنية الضرورية والواجب الثقافي الكبير وحق وطني ودفع الدين له. أصبحت أرى بوضوح أهمية (الركائز) الفنية الشابة التي تتوزع الآن في المشرق العربي خاصة وأنها ستكون (الرسل) في المستقبل حاملة قضية الفن والإبداع بفرادة بعيدة عن القصور والغباء والتفنّن في المحيط العربي المعاصر. ولذلك فإن تضحيتي تحمل بذور العطاء في المستقبل.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

*

لقد زرع المرحوم والدي أحمد آلاف أشجار المشمش في القاسمية في منطقة لا تبعد عن "الدايرة" وكان القسم الشمالي منها مركزاً بحيث يصعب السير بين جذوع الأشجار الفتية وكان يطلق عليها اسم الغيطة. كنت في البداية طفلاً وأتذكر كيف كان الفلاحون يأتون بالأشجار ويضعونها في تلك الحفر مع جذورها المحاطة بكمّ من التراب. ترعرعت الأشجار وترعرعت أنا وانتقلت من حمل (النقيفة) إلى حمل البارودة وكنت أقف قبيل الغروب على طرف الغيطة لأستقبل العدد الوفير من طائر الترغل الذي أخذ قلبَ الغيطة مركزاً ومكاناً في الليل يحتمي به وينام في أعماقه التي تشبه الغابة الكثيفة. كان الترغل يأتي بسرعة خارقة ويكاد هبوطه إلى مأواه يشبه الصواعق مما يسبب لي الحيرة والتردد دون تمكني من إطلاق النار من البندقية الصغيرة وعندما أتأهب لذلك تكون الطيور قد آوت بسلام على أغصانها داخل الغيطة التي تشبه المتاهات المتعانقة. كنت أدخل تلك الغابة الكثيفة بحذر كبير وكنت أتصور أني في غابات الهند أو إفريقيا البكر وأنا أحمي وجهي بيدي من الأغصان والجذوع وأسمع تصفيق جناح الطيور المتنقلة من شجرة إلى أخرى دون التمكن من التصويب أو الإطلاق. كبر الوالد وتغيّر الزمان وجاءت التركتورات وقُطعت الأشجار وبقيت الذكرى.

لا أعرف لماذا بدأت رسالتي بالكتابة عن الغيطة والترغل والغابات وأسراب الطير كالصواعق .. ربما كان السبب الأعداد



Twitter: @ketab_n

الوفيرة من الطير وأنا واقف متعجّب تملأني الحيرة، أُصلي باستمرار دون إطلاق النار لأني أغيّر الهدف في لحظات يسيرة وثم، وحين أقرر يكون الطير غاب ولا شيء إلّا زرقة السماء ..! وهكذا أردت الكتابة وتعددت الأفكار والقلم في يدي والورقة بيضاء ناصعة دون سطور الكلام والحديث.

فرحت لعزة كثيراً وألف مبروك رغم حزن خفيف وهو أني عندما أزوركم في دمشق أو بيروت تكون عزة على الطرف الآخر من خليج العرب وهي إذ تترك فراغاً كبيراً في دمشق، تترك فراغاً آخراً وهو حلمي برسمها في عدد كبير من اللوحات وفي مجموعة وحيدة وكعمل فريد في فصول عديدة وأن نقوم بمعرض لتلك الأعمال في دمشق أو بيروت وعمان... ولكن لنأمل ونؤمن لأن الألمان يقولون في مثل ربما مصدره الشرق ان الإيمان يحرّك الجبال وعسى ان يحرّك إيماننا الحبيبة عزة من أرض الخليج إلى أرض الشام! ولغاية مؤقتة وسامية، غاية الفن والإعجاب بالمثل العظيم في الرسم لكي لا نقول الموديل عزة ولها حبي وتمنياتي مثل حبي وتمنياتي لليلى.

أعتقد أنكم نزلتم دمشق الآن وقد أحببت وطربت لمرحكم في حديثي الأخير معكم في بيروت. أدام الله عليكم الفرح والطرب والإبداع عند الكاتب. كم أحنّ إلى دمشق. لدي معرض في 11- 3 في متحف "جورج مايسترمان " (George Meistermann) في بلدة قريبة من "كوبلينز" (Koblenz) وأنا أخطط في داخلي لزيارتكم بعد هذا الموعد، أي مع أزهار اللوز ثم المشمش و"الأكي دنيا". لقد أعجبتني سيرة مدينة وجهد حسن وحاتم وأنا فَضول عن آراء الآخرين! هل أعجبتكم الأغلفة الثلاثة الأخيرة؟. أغرف الآن من فولاذ فيما يتعلق بأعمالي الجديدة وآمل ان يتحول الفولاذ إلى عسل مع حبي وشوقي لكم . مروان



Twitter: @ketab_n

عندما يأتي المساء ونجوم الليل.. وقد جاء المساء والقمر هلال بدرٌ يشع بين أشجار الحور العارية، صورة رومانتيكية لأهل الغرام وأصحاب البال من أضواء الفلك ونزهات الليالي وفوق ذلك وعلى المقلوب لوحة من نهاية الستينات لم تُعرض حتى الآن كانت خبيئة في مرسمي وهي تظهر نوراً آخر غير نداءات عبد الوهاب على الحبيب، أو ربما كانت هي النداءات؟! وعلى كل حال فهو وهي، وهي وهو، وهما مع الأيام ونداء اللحظات في فضاء العمر الأول والثاني والثالث والطريق طويلة بعد عمر طويل لكل النداءات الصافية والصامتة والمتوسطة وإذا صوّبتم آذانكم باتجاه الشمال فسوف تسمعون نداءاً كالهمس يقول لكم بأنّي مشتاق وسوف نستمتع بالأحاديث المحمولة أقواساً بين دمشق وبرلين(*)

**مروان**

(*) المقصود (كوبي) في الرسالة، عن لوحة لشخصين من عام 1965.



Twitter: @ketab_n

**دمشق 20/1/2001**

العزيز مروان

تحيات من صبا بردى (ما أبلد هذا التعبير!) فأنا أكتب في وضح النهار، ويوم جمعة، وخلال فترة الصلاة، وفي ظل جوٍ لا هو ماطر ولا هو صاح، ولك، بعد ذلك، ان تتصور ماذا يمكن ان يُكتب!

المهم: عدنا أخيراً من بيروت، بعد ان قضينا الجزء الأكبر من رمضان، ثم العيد، هناك، كانت فترة راحة بالدرجة الأولى، وأيضاً مراقبة انهمار الأمطار الغزيرة، كنت أرقب المطر وهو يهوي من السماء بغزارة وقوة، كنت أرقبه بفرح، وكأن لدي آلاف الأفدنة المزروعة، والعطشى، وهكذا عوّضت عن فترة الجفاف الطويلة. دمشق هذه الأيام بلا مطر، لكن الكميات التي سقطت خلال الفترة الماضية جيدة وتوزيعها مناسب، المهم ما تبقى من فصل الشتاء وكميات الأمطار التي ستسقط، وهذا يعني ان أخصص جزءاً من جهدي ووقتي لاسترضاء السماء علّها تجود بالمطر، وهذا ما سوف أفعله، وعسى ان تستجاب دعواتي!

أرجو ان تكون راضياً عن "سيرة مدينة "، وسوف تصدر خلال هذه الأيام: الآن... هنا. كما ستعاد " شرق المتوسط " حبذا لو اتصلت "بحاتم" وبلغته بالتعديلات التي ترتئيها بالنسبة لغلاف شرق المتوسط، حتى لو كانت بسيطة، كي يتميز عن الطبعة السابقة.

أنوي ان أضع برنامجاً لعملي، وبالتالي المضي قدماً



Twitter: @ketab_n

بالمشروعات المشتركة التي فكرنا بها، ولكني قبل ذلك أريد الذهاب إلى عمان كي أرى الطبيب، خاصة وأن سنة، تقريباً، مرت على الأزمة، وربما تطلب الأمر الآن إعادة النظر وترتيب الأدوية، تمهيداً للانطلاق. آمل ان تكون النتائج ايجابية.

قرأت ما كتبه "أسعد عرابي" حول مشاركتك بالاحتفالية المتعلقة "بأدونيس" في باريس، وإشارته ان لوحتك كانت متميزة وتشكل نقلة نوعية في عملك ومسيرتك الفنية، لا أدري ان كنت تشاركه الرأي؟

رأيت معرض الخريف في بيروت. كان عادياً جداً.

ولأن الدنيا الظهر، وحانت الصلاة فعلي ان أنهي الرسالة بسرعة، وآمل ان أكتب إليك في فترة قريبة جداً كي أهنئك بسنة جديدة. تحياتي الآن وتحيات الجميع، وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

العزيزة سعاد صاحبة الهمّة واللهفة وأحسن من دبّر الأمور وجبر الخواطر وأفرح القلوب وفتح نوافذ الأمل للنفوس فأصبحتِ المطر غيثاً وأصبح الظلامُ نوراً حتى ان عصفوراً صغيراً أخذه الطرب وأسعده حنان الأصدقاء فوقف على شجرة السنديان المغرقة في علوّها واتخذ أعلى غصناً منها مكاناً ليغرّد أنغاماً رائعة بصوت باهر قوي يبشّر المتعبين بنعمة الزمان وجلال الحياة والوجود وأنّ الربيع قادم وإذا كان اليوم وقبله رمادي الطلعة، فإن المروج ستحمل غداً أحلى الألوان وستتفتح آلاف الزهور في براري القلب والعين، بعضها من ذكريات وأحلام الطفولة الأولى المُغرقة في القدم رغم أنها كانت البارحة، والبعض الآخر من سرّ دفين غامض يعطي راحة اليد الدفء، دفء الحبيب فتشرق الجباه بنور المعرفة لثوانٍ زوّادة ليوم جديد ولأمل نسرقه من بقعة لون أو.. من تغريد ذلك العصفور.. أو من صوت "عزة " وهي ضاحكة وسارحة مثل الآلهة الأولى العَزة فوق مروج الزهر ودروب البراري حيث تستيقظ من كل بسمة وردة ومن كل لمسة زهرة.

مازال اليوم الأربعاء قبل الأخير من شهر كانون الثاني وما زلت أحلم بتناغم الألوان وتداخلها(في غابة الوجهين) رغم أني لم أتوفّق اليوم رغم السعي الشديد والأمل الكبير.. أنتظر (الحدث) منذ أسابيع لأني أعتقد ان لكل عمل فني حدث وهو سر العمل أو روحه التي تؤكّد ضرورته وفرادته وما أصعب استحصال ذلك الحدث وما


Twitter: @ketab_n

أحلى ذلك الشعور عن طريق المعرفة الحدسية بأن شيئاً ما قد جاء مثل الحمامة البيضاء التي وصفها ابن سينا فيما يتعلق بالروح. ولكن بعد دقائق يبدأ الخميس. يوم جديد. لك يا سعاد شكري ولكم حبي الكبير وشوقي.

**مروان**

Twitter: @ketab_n

2001-1-27

طال النهار قليلاً بعد ان كانت العتمة قبل أسابيع تأتي بعد الظهيرة وقبل العصر وهكذا لم أكن ألحق ضوء النهار، إذ ما كدت أبدأ بتجميع الألوان والأفكار حتى يهجم المساء على مشروع الرسام اليومي وهكذا تتعاقب الأيام وأنا أبحث عن النور.. ولكن من سار على الدرب وصل... ولكن إلى أين! والآن السلام عليكم يا جماعة الخير والله يمسيكم بالخير. أول شيء اليوم هو ان نتكلم عن الأخبار رغم ان الأخبار متواضعة جداً أو أنها غير إخبارية، مثلاً، ما في عرس جديد وما في وعد بعرس وثانياً لا يوجد تخطيط بزيارة مكة والمدينة للحج حتى ولا للعمرة وثالثاً ما نزال في دارنا ولا يوجد مشروع بالشراء أو الانتقال ورابعاً لا يوجد حَبَلْ لا عند النساء ولا عند الرجال هذه الأيام. وهكذا، وكما ترون فإن الأخبار متواضعة عدا أني قطفت غصناً صغيراً من شجرة كستناء قبل أسبوعين وكان أعجراً ينتظر أيام الربيع وقد هذّبته ووضعته في كأس على شباك مرسمي وفرحت البارحة عندما رأيت ان البراعم تفتحت خضراء صبية وأفرحت قلبي وهكذا. أيها الأصدقاء وكما ترون فإن الحب والأمل يفتح القلوب ويثمر الأشجار ويولّد الأخضر.. ربما توجد بعض الأخبار مثل خبر اخضرار غصن الكستناء أو تغريد الحساسين أو الأمل بانفتاح البصيرة للوحة جديدة أو خط يَعد بالعطاء كي تستمر الحياة وتبقى الأيام معقولة ويسيرة.

وصلت الآن الدار، أو بالأحرى قبل الآن بآنات، أي آن



Twitter: @ketab_n

الوصول ثم الطعام وآن كأس الويسكي على غير العادة لأن المستورة أم يونس جلبت لي زجاجة أصيلة وكريمة المنبت هذا اليوم وقلت لنفسي لأشرب كأساً أو كأسين مثل العادة عندما أكون في زاويتي بداركم... وهكذا أحس الآن وكأني بينكم وطبعاً فإن الجامع بيننا ليست كؤوس الويسكي والزوايا وإنما العطف والفن والكلمة والوطن والتاريخ وحسن الأخلاق والوفاء للأصدقاء وأحياناً الطرب والمعشر والغضب.

حاولت منذ شهر آب، وبشكل أنتقل به من التسجيل الجنيني على الورق والمائي إلى القماش، ورسم لوحة برأسين متقاربين وكانت الفكرة هي الحوار اللوني والشكلي بين الرأسين وجاء مع ذلك الحوار النفسي والجدلي المتعلق بالصورة مثل العلاقة الغامضة والحسية ثم التشابك ولاتصال رغم الانفصال وقضية الضوء وصورة للأرض والحضور والأيقونة الترابية والتماوج وألوان البرتقالي والأصفر والبني وبعض أخضر أشجار اللوز الفتية ودرجات الضوء اللونية، والتفاتة وألوان طير الحجل وسهل البقاع وانعكاس جذوع الأشجار على مياه نهر وديعٍ وذكرى بعيدة للوحة رسمتها... وهكذا، وكما ذكرت، بدأت في شهر آب، ان بدايات الرسم سهلة وبدايات تلوين اللوحة (يقول أهل المغرب صبغة!) ممتع مطرب فيه الغنج وفيه اليناعة والتمتع ولكن البناء وشموخ العمل لا يأتي إلاّ بالمناعة والرفض الذي يقارب اليأس والذي يحمل حزناً عميقاً ويحجب النفس بوشاح رمادي يبعدها عن الفرح والاستبشار حتى تنحل العقد وتضيئ مراكز الأسرار وتنهض اللوحة واقفة لتقول ها أنا مرتبطة صبية بالفنان ولكنها تنفصل عنه بحياتها الخاصة قائلة: ابحث من جديد عن مركز الأسرار الأخرى فأنا طليقة حرة. هذا ما حدث منذ آب وأنا


Twitter: @ketab_n

أرسم قبل عمان وبعد عمان على تلك القطعة من القماش التي أتلفت نفسي ويومي وبعثت الشك الأسود في عيني وقلبي وكنت عندما أسقط، أقف من جديد لأقول اليوم سأكشف بعض الأسرار بيدي وحدسي وتصعّدي فأخلط الألوان وأتبع متاهات الفكر والإيقاع والرؤيا لأعود متعباً حاملاً ثقل يومي وثقل فشلي وقصوري لوحدي منتظراً صباحاً جديداً كي يشرق السر المكتوم بإشعاع فريد.. وإلا ما فائدة العمل إذا لم يكن مرتبطاً بالإشعاع والفرادة. حلمت البارحة بالقرمزي وبعض الأزرق والبرتقالي وبخطوط من مساحات بنية تربط الرأسين بشِباك من الطرف الأول في اليسار حتى الطرف القطبي وكأن العين السكرى تنظر بين جذوع الأشجار العامودية في غابة في أيام الخريف لتتبّع مساقط نور الذهب الهاربة بين الأغصان وصوتٌ للحن خفي يملأ قلوبنا بسحر فرح غريب نعرفه منذ الأساطير الأولى للإنسان. لم تنته اللوحة كما أريد ولكني عنيد وسوف أتابع البحث حتى أصل إلى ذلك النور أو بعضاً منه وحتى أحتضن ذلك اللحن أو همسة منه، زوادة لأملي ولأيامي.

كيف حال عزة وليلى وكيف حال هاني وياسر وكيف حال عبد الرحمن وسعاد؟! أرجو ان أسمع منك يا عبد الرحمن قريباً وربما مطولاً إذا تيسر لك ذلك.. وإلا تبقى أخبارنا عن طريق اليمام والحمام والاستقراء والأحلام. مع شوقي وحبي لكم. مروان

1/ 2/ 2001

مروان العزيز

يوم ربيعي ولا كأنه واحد من أيام الشتاء! الشمس تملأ الدنيا، والدفء يسري في الكائنات من أشجار وأزهار وحيوانات فيجعلها في حالة من الفرح الخائف، أو الخوف الفرح، إذ لا يعقل ان تكون



Twitter: @ketab_n

بداية شباط هكذا، ولا يتصور ان يبدأ الصيف في هذا الوقت المبكر. صحيح ان قرصة برد تملأ الكون ما ان تختفي الشمس، لكنها قرصة خفيفة، مقبولة، وتؤكد أيضاً ان الدفء قد بدأ. الطيور الصغيرة والحشرات تخدع، بعض الأحيان، بموجة دفء مثل هذا فتظن ان الصيف حلّ، وأن الشتاء قد انقضى، لكن ما ان تنحسر مثل هذه الموجة حتى يبدأ الخوف من جديد.

بعض أشجار اللوز، خاصة تلك التي تلبد في المنخفضات أو في الزوايا، أزهرت، لكن ماذا إذا هجم البرد مرة أخرى؟ كان المغفور له "صبحي المحملجي" يقول: كل شيء بوقته حلو، ويبدو ان هذه السنة أخلفت المواعيد. كان لنا، في قديم الزمان، صديق شاعر أيام كنا في بغداد للدراسة، ومن جملة ما قاله في يوم من الأيام: الأعظميون (نسبة إلى الأعظمية، إحدى ضواحي بغداد) يعرفون ان وعدوا والأعظميات لا يخلفن ميعاداً! والسنة التي نعيشها الآن.. هكذا!

ومع أنها كذلك إلا أننا نرفع أيدينا إلى السماء ابتهالاً وتضرعاً ان ينظر سبحانه إلى عبيده بعين الرأفة والإحسان، وأن يجعل غدهم أحسن من اليوم الذي يعيشون، وأن يأتي الصيف في أوانه وأن يأتي الشتاء في أوانه، أما إذا اختلطت الفصول وتداخلت الأيام، ولم يعد يعرف هل نحن في الصيف أم في الشتاء، فإن في ذلك إشارة لقرب قيام الساعة وأن الدنيا في نهايتها، فيا حامل السموات دون عمد، ويا مسخّر المطر والرياح، ويا فاطر الأرض، وهادي الركبان في ظلمة البحار وأعماق الصحراء، ويا من لا تفوتك دابة في الأرض أو طير في السماء، ويا قابض الملك مذ خلقته وأعطيته هده الصورة، إليك نتوجه وإليك ننيب، فارأف بنا يا مالك الملك، وارحمنا يا



Twitter: @ketab_n

رؤوف ويا رحيم، عليك توكلنا، وإليك نتلهف، ومنك قوتنا، ومن عزمك عزمنا، ومن فضلك أكلنا، فلا تتركنا يا رب، يا أرحم الراحمين.

بدأنا بشباط الدافئ وانتهينا بابتهالات أقرب إلى الدراويش، ولا يعرف لماذا حصل ذلك أو إلى أين سيقود، لكنها رخاوة القلم وعماه، وتلك الموجة من الظنون والاحتمالات، خاصة بعدما قرأت رسالتك إلى سعاد، والتي بدت لي قطعة فنية وكأن حرفة الكتابة قد أدركتك، وهكذا أخذت تجود رسالة بعد أخرى، خاصة بعد ان زال التهيب واقتحمت الموجات واحدة بعد أخرى! اللهم يسّر ولا تعسّر!

وكما ترى أيها العزيز مروان: الكتابة لليل وليس للنهار، أو بالأحرى للنهار كتابة غير الرسائل والأخوانيات، وهكذا مثل الطيور الصغيرة والحشرات حين تختلط الفصول، إذ لا يعرف هل يستمر الإنسان في كتابة الرسائل أم يكف عن ذلك انتظاراً لوقتٍ أفضل؟ المهم أني بدأت هذه الرسالة ظهراً، وها أنذا أكملها بعد ان جنّ الليل وملأ الكائنات. مضت شهور طويلة لم أكتب شيئاً خلالها يستحق الذكر، نفسي غير مفتوحة، كما يقال، والشيء الذي أفعله بعبقرية تأجيل كل شيء، وأشعر بالراحة عندما أؤجل عمل اليوم ليس فقط للغد وإنما إلى ما بعد غدٍ! ومثلما لاحظت في كتابة الرسائل، ليس لي مروّة، لكن لا بد من وضع حد لهذه الحالة من الكسل، وربما يبدأ الانتقال اليوم باعتباره أكثر دفئاً وبداية تغير الفصول، عسى ولعل!

سوف أسافر إلى عمان قبل نهاية شباط لإجراء فحوص، إني أشعر بنوع من التعب، الأمر الذي يستوجب مراجعة الطبيب الذي أجرى لي العملية. أما الحساسية التي تخلصت منها خلال السنتين



Twitter: @ketab_n

الماضيتين، وبعدما رأينا الطبيبة وزوجها في بيروت، فقد عاودتني من جديد، الأمر الذي يجعلني أطلب منك سؤالها من جديد، لعلها تصف لي علاجاً حلاً، وأنت تعرف كم تزعج مثل هذه الحساسية، فافعل ذلك لأجلي جزاك الله خيراً!

تلقيت أمس رسالة ان الترجمة الإسبانية "لشرق المتوسط" ستصدر قريباً، ويطلب مني المترجم اختيار لوحة للرسام الكبير مروان قصاب باشي لتوضع غلافاً للكتاب، لم أجبه بعد بانتظار رأيك واقتراحاتك، وبانتظار ان أسمع منك.

هذا ما لدي الآن، وسوف أكتب إليك، من جديد، بعد ان ينتهي " الروداج" وعسى ان تكون النتائج أفضل من هذه الرسالة " السميكة ". مع تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

يوجد في جانب كلية الفنون شجرة كستناء باسقة ومغرقة في القدم. اعتدت منذ سنوات الدراسة الأولى وحتى اليوم على ان أكون الشاهد لحياة هذه الشجرة في كل الفصول وخاصة عندما تحمل الأزهار الأولى العناقيد المرجانية وتملؤ الفضاء باحتفال ربيعي جميل، كما اعتدت أيضاً قطف عنقود أضعه في البيت في مزهرية لأنقل بهاء عناقيد شجرة الكستناء إلى فضائي. قطعت في الأسابيع الأخيرة من العام الماضي غصناً أعجراً من ساق الشجرة ووضعته في كأس في مرسمي رغم شكّي في قدرة الغصن في الانفتاح وإظهار براعمه البكر. وقبل أسبوعين تفتحت البراعم وامتدت بسرعة كالأيادي اليانعة والناضرة فرحة لعيني ولقلبي.

(إن في لوحاتي الجديدة ما يشبه الحدث الإنجيلي، التوراتي والقرآني في خلق الإنسان والطبيعة وفيما يتعلق بالتراكم وتزاوج البحار بالقارات ثم الطين والماء والمستنقعات والنبات الأوليّ وليس النرجس وورود الأقحوان وإنما تلك الطحالب الأولى الثابتة في مادّيتها تحت المياه القصديرية وعلى سطح التربة الأولى التي تكرر ذاتها مجبولة بجسد الإنسان والحيوان والنبات على مر ملايين السنين، حيث يتوقف الهواء وتنام الرياح ويثبت الضوء الباهت الخفي في أفق دون خلفية لأن خلفية الأفق هي الدوام والثبات وهي الصدر والظهر والكل، لا شيء يتحرك والأشياء تبقى في مكانها دون ظلال.) من قصاصة كتبتها في منتصف الليل من أيام كانون أول


Twitter: @ketab_n

2000 وقد بدأتها بملاحظة كالتالي: (إن البساطة السطحية مع الزخرفية تعجب بعض أهل الثقافة فيما يتعلق بالتصوير على أنها الشيء الحديث والثمين، وإلى جانب ذلك يأتي الطرف الآخر من الوعي الثقافي الذي يعتقد ان ما يراه من تعقيدات وصفية حكواتية على سطح اللوحة، بأنّه الشكل الأمثل في التصوير، أي سطحية الثقافة الثانية والتي تأتي مرادفة للأولى وهي مشكلة الرؤية التصويرية فيما يتعلق بالعمل الفني واللوحة ..).

(... تلك السطوح المتراكمة والكثيفة ذات القصة الذاتية للّوحة والرسام في جهده الدائم والوظوب في السعي نحو (العمل الفني) الوجودي الذي يحمل آثار الزمن والطبيعة والجِد الدائم المحطّم في الرغبة المستمرة في الاكتشاف والبحث عن الوصمة الإنسانية الفردية في وحدتها وأملها، في فرحها وتساقطها ثم نجاحها في حالة ما، في حدث ما و في أثر ما: شيء كالأخدود الفريد في مسارات الأرض والتربة السوداء يجري مع الجهد والأمل في الخصب والعطاء بجهد العامل.).

عزيزي عبد الرحمن، تكلمت اليوم صباحاً معكم والآن، أكتب لك هذه السطور وخاصة بعد سؤالك عن أعمالي. أعتقد ان ما كتبته في رسالتي الأولى والثانية وهذه أيضاً، يوجد موقف واضح تقريباً في علاقاتي الفنية الخاصة بعملي وبي رغم عدم الحيادية في ما يتعلق بالعاطفة وعلاقة الفنان بعمله كمبدع وعلاقته بالطبيعة والحياة وثم الموت طبعاً.

أودّعكم الآن بانتظار حروفكم

**مروان**


Twitter: @ketab_n

عما يبحث الشاعر وعما يبحث الكاتب والموسيقي والفنان؟!

هل ما نبحث عنه هو الطرب والانشراح وتقديم ذلك لمتلقي عن طريق القدرة والحرفة والتمكن منهما أو أنه يوجد غاية وإلحاح في نفسية الفنان يعادلان الضرورة المصيرية في التعبير والبحث عن ماهية، عن شيء وعن موقف ضروري فيه الفرح بالعطاء أو ما يسمى بالإبداع وفيه أيضاً الريادة وبكل ذلك تعويض عن الجهد الكبير والشعور بالفشل أحياناً ان لم نقل الخوف المستمر والتطيّر من فترات القحط الطارئ. أريد ان أؤكد أولاً اعتقاداً لي وهو ان المبدع مهما كانت وسائله، إنسان ذكي ومطّلع بشكل ما عما يهمه وهو أيضاً على قدرة كبيرة من النقد وخاصة النقد الذاتي والشك في تلك الذات وما تقدمه من عطاء وإن هذا الشك أمر ضروري يعادل الإبداع ويرتبط به. وكما ترى، فإن قصدي وهدفي في ذلك من يقدم شيئاً وهو المبدع وليس الحرفي الطروب صاحب الشطارة والموهبة السهلة على جوانب المجتمعات والطبقات وثم الأذواق. أكتب لك هذا أيها الصديق لسبب وهو أنه عَرضت عليّ فكرة أو خيال، وأنا في الطريق، وهو ان الفنان مثل الفلاح أو إنسان الصحراء الذي يبحث عن الماء سبيل الحياة، ونحن نعرف ان المياه عروق داخل الأرض وقد تتجمع في جيوب وإن العروق والجيوب المذكورة غير مرئية رغم بعض الإشارات عن وجودها في موضع ما. ان بحث المبدع الدائم عن عمله واكتشاف أسبابه وصحته وفرادته ثم الشك والجدوى والقهر



Twitter: @ketab_n

إلى جانب الأمل يجعل ذلك رديفاً قريباً لابن الأرض الذي يرتبط مصيره بعروق الماء، كعروق الدم في جسد الإنسان وهذا ما دعاني إلى هذا التشبيه وهذه الكناية والصورة في البحث. ولا شك ان مصدري الجغرافي وصور طفولتي وارتباطي قد أعطوا هذه الصورة دفقة عاطفية في بحث ونضال ابن الصحراء وفي بحث الفنان. وهذا ما قصدته قبل أيام عندما ذكرت عروق الماء... وعروق الذهب.

أفكر منذ أيام بموضوع القشرة الظاهرة على سطح اللوحة أو لنقل البُشرة. لماذا هي كذلك أو هكذا ولماذا تختلف بين فنان وآخر وما هي الدلالات الباطنية والضرورية لهذا (الظاهر) أو ذاك؟! . ان القضية ليست موضوع الأصح والأحسن، أو موضوع الأجمل والأقرب لأنه على الفنان اختيار الطريقة المثلى، أو لنقل الطريق الضرورية لقول جملته في إظهار قصده وبشكل مادي وبصري يعتبره الأمثل والأجدى في مرحلة ما. ربما ما يهمني وما أقصده هو مشكلة لماذا وارتباطها بذات الفنان ونفسيته ومسألة حياد الفنان في عمله وابتعاد نفسه وقصته الحياتية أو التحام القصة والذات بتلك البُشرة والقشرة وإعطاء ذلك قراءة مع مدلول معيّن خاص يبتعد عن الحيادية ويقترب من صراخ الذات وزفرات النفس وأفراحها وندوبات الأيام.

(وأنا لا أقصد بذلك العراء المسرحي أو الإشارات المستهجنة الرخيصة..) قد يؤخذ بعض الأمثال مثل "فان كوخ" (Van Gogh) و "مونيه" (Monet) ثم "ماتيس" (Matisse) إلى جانب "دومييه" أو "كورو". أعتقد أننا نرى في هذه الأمثال فروقات كبيرة في الهوية وفي المواقف وفيما قدمته لنا بُشرات هؤلاء في تلك الباقة الرائعة من الورود رغم الاختلاف الكبير في الصورة وتطلعاتها وما قدمته للإنسانية ولعيوننا من كنوز نادرة. "دومييه" مجدٌّ ببساطة ودقة الأرض


Twitter: @ketab_n

والعائلة الفلاحية بتديّن يكاد يكون وحيداً من حيث ارتباط الفلاح بالأرض بشكل لا يخلو من رضاء داخلي وفرح شامل. أما "كورو" فقد لجأ إلى بساطة الطبيعة دون الزخرفة البرجوازية وأكّد على بساطة المنظر بنور غريب يبعث الاطمئنان والرضاء بلكنة غريبة ولكنها أيضاً قريبة وقد استعمل كلاهما، "دوميه" و "كورو" بُشرة هادئة ولكنها أيضاً سهلة معقدة ندخل من خلالها إلى العالم العظيم والبسيط الذي أرادوا وأرادونا الدخول فيه. كان "فان كوخ" الطرف الآخر من الإثنين، أو ربما الأخ المتمرد الذي أراد ان يلمس حرقة الوجود وماهية نوره بشكل حسي في أشيائه البسيطة أكانت أشجار الزيتون أو السرو ودوار القمر أو نجوم الليل المجنونة أو ذلك الهيكل العظيم : الكرسي الراكز في طرف غرفة النور والمادة، حيث أصبحت المادة لوناً واللون مادة بقشرة وبُشرة لا تعادلها بُشرة في خمس مائة عام. أما "ماتيس" فهو ماهية فرح العربي وغنائيته.

**15 شباط**

لا أتذكر أحلامي. تبقى خزينة نفسي للأسف الكبير. استيقظت البارحة صباحاً على قرع جرس الهاتف حيث كنت مع حلم بسيط عذب مثل أحلام الأطفال أعاد بعض الاطمئنان لروحي وأن بعض الخير ما يزال في قلبي. كنت واقفاً وأمامي سهل لا نهاية له وأنا على مرتفع بسيط وبجانبي شخص أشرح له بحماس عاطفي كبير عن روعة المنظر وأصوله الهندسية والتشكيلية حيث البساطة المعجزة، معجزة الطبيعة وعظمة نظامها اللوني والبنائي. وكالعادة، وكما أحب وأهوى كان الوقت غريباً يشبه الرؤية الأفيونية، فهو ليس نهاراً ولا ليلاً ولكنه على عتبات السَحر وكانت عتمة ملوّنة رائعة في الشرق تخفي هضاباً وكأنها مثلث بعيد وكذلك في الغرب أيضاً و كنت (أعرف) ان بين



Twitter: @ketab_n

الشرق والغرب، وبعد انفتاح السهل وادٍ يتصل بسهول أخرى. أخذني سحر نور العتمة الرمادية البنية مع السماء المنشرحة أيضاً بذات اللون عدا بقعة من السهل تحمل خضرة يانعة بلون (الفيروز) فكان تضارب السطوح وسماحتها ثم اتساعها اللانهائي وبساطتها وظهور الأخضر في تلك العتمة فقط وأنا آخذ موضع عين الباشق، قد بهرني بانفعال جميل وأنا أحاول شرح كل ذلك (للصديق) الذي كان يقف على شمالي. رأيت شيئاً من جنات عدن ومساطبها المعلقة مع حبات القهوة على مدرجات الجبال.

---

حاولت الاتصال بكم هاتفياً ولكن يبدو أنّكم في عمان. كنت أحب ان أستفهم منك عن "شرق المتوسط" لبلاد الأندلس لأنك ذكرت في كتابك عن عمل لي، فهل القصد نقل عمل سابق للوحة ما أم التجديد؟!

سوف أرسل الرسالة اليوم كي لا يحصل شطط! وسوف أكرّر الاتصال.

---

وقّعت قبل البارحة اللوحة الثانية وهي أخت الأولى، اللتان كسرتا ظهري وسبّبتا اعوجاجاً في نفسي، ان لم أقل في ذاتي وكنت قد ذكرت لك أني بدأتهما في شهر آب المنصرم وحتى .. البارحة. واليوم وقبل ساعات نظرت إلى الثانية فوجدتها جميلة ومهذبة، بها بعض الشقاء وبعض الحياد رغم (كتل) اللون والصواعد والنوازل وكل ما يمكن وصفه على مدى صفحات... ولكن بقيت اللوحة مهذبة وشقية كما ذكرت.. وأنا أريد ربما الشقاء في هذا المضمار دون تهذيب.



Twitter: @ketab_n

وهكذا ودون ورع أخذت الفرشاة على ضوء الكهرباء و (دهنت) القسم اليميني فقضيت على التهذيب وبنيت بعض السطوح باحثاً عن غول ابن نفسي حقيقي سوف أتابعه غداً وإما ان يقنعني ذلك الغول أو أتمكّن منه بعد نصف عام. هاي قصة يا عبد الرحمن، أليس كذلك؟! . ولكن التحية هذه ليست دارجة وإنما طازجة جاءت من القلب مثل أخضر حلمي المذكور. مع حبي مروان


Twitter: @ketab_n

20 آذار 2001

البستان الغربي لدمشق الشام

•

إلى المكرم العزيز مروان بن أحمد، أبو العزايم القوية والشهامة العربية، إلى مصور الأجيال وكاشف الأمصار مولانا صفي الدين ناصر الإسلام والمسلمين ورافع الحق المبين والمدافع الذي لا يلين عن حق الشعوب في الحرية والعيش الرغيد، آمين.

أما بعد،

فبروح الاستمرار مع الهاتف الذي هبط كأنه زخّة مطر في نيسان، وقال كلمات أكثر من الكلمات، وعبر عن الأشواق والغربة والسؤدد وأيام الربيع الآتية، بهذه الروح نواصل الحديث الذي بدأ، ونقول ما يلي: زيارة اليمن ولادة جديدة، خاصة لرسام، لأن ما يمكن ان يشاهده هناك لا يتاح له في مكان آخر، ولأن ما سيرجع به، لا يعثر على مثيل له في مكان آخر. أكثر من ذلك: من يزود اليمن يولد من جديد، هذا ما شعرت به أكثر من مرة، أثناء زيارة الشمال ثم الجنوب، لأن الحياة هناك بكارة دائمة: الأرض كأنها في لحظات ولادتها الأولى، الصخور كأنها تتكون في اللحظة، الجبال تعيد خلق نفسها بغبطة، حتى الأنهار الصغيرة في أعماق الأودية تبدو شقية وهي تتدافع رافعة رؤوسها بتحد. أما الضوء، فإنه شيء خارق تماماً، لأنه في حالة سيولة دائمة، يتغير في كل ثانية، يتقلب من الباص إلى السواد بحيث تعجب ان تكون كل هذه الأشياء موجودة في ذات الوقت، في ذات الشيء. اسأل أنجيليكا بعد ان تعود عن الألوان فقط، وسوف تكتشف حجم التغير الذي حصل.



Twitter: @ketab_n

هل يمكن للصخور ان تحكي بهذه الطلاقة، بهذه الغزارة؟ عجيبة جبال اليمن، وأي مصور، رسام، أو صاحب آلة تصوير لا يذهب إلى هناك، حياته، كما يقول العراقيون: خسارة. من يريد ان يصوّر، ان يكتشف، ان يتعلم، عليه ان يذهب إلى جبال اليمن، وحالما تطل على صنعاء أو تخرج منها إلى تهامة أو الصحراء، سوف تذهل لهذا المقدار الهائل من الجبال التي تجمعت كلها في هذا المكان تحديداً. أما إذا وصل الإنسان إلى عدن، إلى ذلك الجدار الأسود الذي يناطح السماء، فسوف يعجب لماذا اختار الإنسان هذا الموقع بالذات ليسكن فيه!

المهم: ان تكون ضمن اهتماماتك خلال الفترة القادمة زيارة اليمن. سوف تعود من هناك بذخيرة كبيرة، وسوف تضيف إلى ذاكرتك البعيدة مفردات جديدة. أما الألوان فحدث ولا حرج. ولابد ان نتحدث عن ذلك مرات كثيرة قادمة. طبيعي من المفيد اختيار وقت مناسب للزيارة، لأن البحر الأحمر في غير الشتاء قاس، وهذا ما يجب ترتيبه.

وماذا أيضاً!

بعد حفلة المرض الجديدة أحاول تعديل مزاجي. الأمر يحتاج إلى بعض الوقت، لكني سأجتاز هذه المرحلة المملة، والتي لا تخلو من قسوة وعبث، خاصة وأن سيادتي وأمور الصحة على طرفي نقيض، أي لا أعير الأمر ما يستحقه، مما يضطرني لدفع الثمن متأخراً، علاوة على الجهل وما يترتب عليه من نتائج. لكن هذه المرة أريد ان أعبر المضيق بسرعة لكي أتفرغ لبعض الأعمال التي يمكن ان تخلق توازناً جديداً. فعسى ولعل!

أبعث إليك صورة عن الخطوط الجديدة للكتابين اللذين أصبحا جاهزين. الأول بعنوان: "رحلة ضوء"، والثاني "ذاكرة للمستقبل". الأول يتضمن مجموعة من الدراسات والإشارات ووجهات النظر


Twitter: @ketab_n

حول موضوعات عديدة، لكن عمودها الفقري الرواية وهمومها، ومن العناوين :

التاريخ من خلال الصورة

مفهوم البطولة في الرواية

العلاقة بين السيرة الذاتية والرواية

المدينة في الرواية العربية

سيرة الأعلام وسيرة المدن

الشخصية في الرواية، هل هي حياة أم قناع؟

الزمن الذهبي للكتابة

لغة الحوار في الرواية

المخطوطات العربية في الخارج

التحولات في الشخصية المصرية

وربما موضوعات أخرى مشابهة.

أما الكتاب الثاني فهو، اغلب الأحيان، عن أشخاص:

جبرا/ الجواهري/ كنفاني / يوسف عواد/ حيدر حيدر/ مقدمة شرق المتوسط/ وبضعة كتاب آخرين.

العزيز مروان

هذا ما لدي الآن، خاصة وأنني أكتب هذه الرسالة نهاراً. الشمس تملأ الكون، ليس من حيث الضوء وحده وإنما من حيث الحرارة أيضاً، وكأن الصيف العالي قد بدأ، خلافاً لما ذكرته أمس عن برلين، فسبحان رب العالمين، وإلى لقاء قريب في رسالة قادمة، تحيات الجميع.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

2001-12-7

عزيزي عبد الرحمن

الساعة الآن بعد منتصف الليل وقد عدت لتوي من طعام المساء بعد ان زرت "بشارة دوماني" و"عصمت" مع أولادهم، أو بالأحرى بناتهم "تارا ويارا"، زرتهم قبل أسابيع وقد شعرت بارتياح كبير بقربهم وخاصة (طفولة) بشارة مع تواضعه وصدقه. نوع من سعادة نادرة تقرّبني من ارتباط (عائلي) أصبح نادراً وأحنّ إليه. نوع من الدفء والحرارة والارتباط. الارتباط الذي أصبح بعيداً ونادراً والذي أحنّ إليه وخاصة مع، أو بعد "أيام الرماد".

لا أعرف ماذا حدث لي بعد عمان، أهو أنا أم الفراغ أو تنبئي بالحروب الصليبية الجديدة بعد ألف عام ووقاحة عالم الشمال بذلك الازدراء والحقد وتأكيد ذلك بكذبة الحضارة وتمدين الجنوب الهمجي البدائي ... قتلني لون الرماد وشعرت بالفراغ حيث ذهبت المعاني والآمال ولم يعد للون معنى وضاع الخط مع ذرّات الرمال.

كتبت منذ أسابيع بعد أحلام الضياع -حتى ان حلم الضياع شيء رائع لأنه مجدي ومحبّذ! - كتبت وكأني أشعر أنّي جذع شجرة هرمة تنخر فيها آلاف الحشرات التي تتآكلها حتى تصبح هشة تسقط على التراب، فتعود إلى أصلها وتصبح جزءاً منه. وقلت، إذن، لأرسم هذا التساقط وعلّقت تلك القصاصة على حائطي. ربما.

بعد أسبوع. ان النهار أصبح قصيراً و (فترات) النور أقصر وأنا أحب (العصرونية) وما بعدها في ما يتعلق بالرسم حيث أصل إلى نوع



Twitter: @ketab_n

من التحرر والجرأة .. أو الانفتاح ولذلك حاولت الأيام الأخيرة ان أخرج من الدار في وقت مبكر. الساعة العاشرة! .

أنهيت لوحة بعد عمان.. وربما لوحة أخرى إذا لم أعد إليها من جديد... وثالثة كانت منتهية أكثر من مرة وعدت إليها أكثر من مرة واليوم (مسخت خلقتها) طوال النهار أكثر من مرة وحتى على ضوء الكهرباء! ..

وإن غداً على بركة الله وبركة النور وإن شاء الله أصل إلى نصف البئر دون ان ينقطع الحبل فينا.. وثم أتابع حتى الأعماق والمشكلة هي مشكلة الأعماق التي نطلبها من أنفسنا في تحدٍ دائم وعلى أنها الشيء الأساسي في العمل الفني أو الأدبي وإذا انحرفت الطريق فلابأس، ولكنه عندما يضيع العمق وظل العمق وأمل العمق، أُصاب بنوع قاس من الألم وتصبح أيامي بلهاء وكأنها دون معنى.

أنهيت رواية "قصر المطر" لممدوح عزام وهو روائي جيد على ما أعتقد وقد نقل بروايته حقبة هامة من تاريخ سوريا وأهل الجبل واستطاع ان يصعّد الأحداث في الثلث الأخير بشكل مثير ومأساوي تقريباً عندما يتحدث عن تساقط آل الفضل وتساقط الثورة وربطهما ببعضهما.. ولكني أعتقد أنه يزيد من استعماله للكلام الشاعري على حساب الاختصار أحيانا وخاصة في البدايات....

أرسلت، أو أعرت الرواية لحليم بركات في أمريكا ثم ان حليم قال لي بأنك من المدعوين في الربيع القادم.

سأنهي رسالتي اليوم - 7- 12 -2000 وهي البداية و سوف نتابع أحاديثنا في المستقبل مع حبي و شوقي لكم .

**مروان**



Twitter: @ketab_n

2002.01.08

تدور السنوات ويبدو ان حجمها لا نهاية له ونحن نتربع على عرش الأيام أحياناً وأحياناً أخرى نكون في الظلمات، ما تحت العرش والعروش مع همومنا - هذا إذا كان لنا هموم - ثم نفتح دُرجاً أو إضبارة بحثاً عن شيء ضائع ونتوقف ساعات بذهول وفضول حيث نرى سنواتنا وأيامنا التي كانت خبيئة مع طيّات الزمن موجودة في ذلك الدُرج أو تلك الإضبارة. صورة صديق أو رسالة من شقيقة، رسالة من حبيبة لأيام طارئة، ربما كانت مهووسة أو جريحة غطّاها النسيان وبقيت لحظة الأسف بالذكرى مع سؤال قد يكون أساسياً؛ لماذا! . وعد وأمل، كما يلعب الأطفال في بواكير الحياة. كل ذلك في مصنف والمصنف في درج الحياة. ما أطول الحياة وما أضيق الدرج، وثم من تُهمّ تلك القصاصات والإشارات!

الصديق العزيز عبد الرحمن، كان لي ان أجد عقداً للإيجار وضعته في مكان ما ولم أجده بالسرعة التي كنت أتوقّعها فعدت إلى المخابئ المهملة حتى ملأت الأكوام طاولتي وفراشي والفسحات الأخرى بلا نظام مع أني اعتقدت بضرورة النظام كي لا أضيع بفوضى الأوراق والصور والقصاصات. امتلأني شعور غريب عن (كومة) الحياة وحجمها (الخاص) إلى جانب ناقوس الزمن الذي أنا به. طالت الساعات ولم أجد ما كنت أبحث عنه عدا الفوضى وموضوع الدرج! . يمكن لي ان أُستدرج الآن لأسير في طريق الإشارات، إشارات الماضي وارتباطها بالحاضر ولكني لا أعرف إذا كان يحق لي اليوم فتح أبواب الهموم والأسف ولذلك سأتركها ليوم آخر فيه بعض المرح وحيث يكون الأفق وردياً ربيعياً وليس كيوم الشتاء الرمادي اليوم.



Twitter: @ketab_n

2002-1-22

مرّت الأيام و حالي في مدّ وجزر وكنت قد عوّدت نفسي ان أبتسم قبل النوم - هذا ان استطعت النوم الذي أصبح عذاباً أخاف منه!- وأقول لنفسي غداً سيشرق صباح جديد ونور جديد وهذا شيء أنيس، عليّ ان أفرح به كطفل يعانق ألعاب الغد قبل ان يذهب مع دروب الليل.

2002-24-01

لقد انشغلت بتأويل جديد للوحة - الصديق - منذ عودتي من عمان وقدرت في البداية أني سأرسم بشكل (مباشر) ونزق ولأصل إلى النواة بسرعة وطزاجة.. ولكن .. عملت وعملت حتى قبل أسبوعين كعادتي بالحوم حول ما أحلم بالوصول إليه بشكل دوائر تشبه الكرّ والفرّ والإحباط والأمل. أعتقد ان العمل لابأس به ويحمل نتوآت الزمن وفيه ما يشبه (الشهادة) والهوية ... ما أصعب الشهادة وما أحلاها إذا جاءت وما أشقّ الطريق إليها. ان الصعوبة الكبيرة هي الوصول والصعوبة الكبيرة أيضا هي الفرق بين الطبيعي والوصفي وبين المجرّد الجديد الذي يخرج من إطار الوصفي الطبيعي التقليدي ليأخذ شخصية جديدة وسمة خاصة ترتبط بالإبداع والمبدع.

أحلم بأن أكنّ إلى نفسي ووقتي باقتصاد يناسب الموقع الجديد الذي أدخل إليه اليوم أو ربما منذ زمن. أحن إلى الهدوء وتحلم عيناي بالقرية والواحة والنهر وليس نادراً ما أقول لنفسي لماذا لا أذهب معك إلى إحدى قرى الفرات أو مدنه لنبقى أسبوعاً أو أكثر، نخلط الماضي بالحاضر ونحلم مع الأفق البعيد ونحن جزء من النسيم والتراب واللون.

هناك معرض لي بتاريخ 22 شباط ليس فيه دخل لأنه من



Twitter: @ketab_n

ممتلكات رجلَين جمعا أعمالي في الستينات ومطلع الثمانينات، ثم آخر بتاريخ 17 آذار وهو معرض تكريميّ بسبب حصولي على جائزة للرسم وهي سنوية ويجري الاحتفال بها في معرض تكريميّ كل عام بنفس التاريخ. ومعرض آخر كبير وهام في متحف في شمال ألمانيا بتاريخ 20 نيسان والباقي في رسالة جديدة.

31-1-02 فرحت بالحديث معكم قبل دقائق وكان الحديث أحلى هدية لي لعيد الميلاد.. وبعد دقائق اتصلت عزة فاكتملت الفرحة.. ان الحديث مع الأحباء يضيء النفس ويفتح نوافذ الأمل والرضى.

مع شوقي ولهفتي لرؤياكم،

**مروان**



Twitter: @ketab_n

02-2-22

عبد الرحمن، اليوم هو أول عيد الأضحى وقد باشرناه بالدعوات المشتركة هذا الصباح من أجل الماء والسترة والخير ونداء يا دستور. نستعمل الكلمات الكثيرة دون ان نفكر بأصلها ومنبتها... وأنا (كتير الغلبة) في مثل هذه المواضيع المتعلقة بالمنبت والأصول وقد فكرت وأنا أكتب كلمة دستور عن الأصل وأعتقد أني وصلت بسرعة إلى أصل الكلمة وهي القانون والنظام المسيّر، فإذاً فهي مجاز للإله الأعلى الحر... ولكي لا أشط في هذا الموضوع الخطير في هذا اليوم الجليل الكريم، وقد كدت أستطرد في هذا الأمر على مبدأ السحبة والشطحة والانفتاح، فإني سأترك هذا الأمر إلى يوم آخر إذا تذكرت ذلك الأمر الهام.. وإلا فإننا سوف نبحث في أمور أخرى لها أهميتها أولاً وثانيا رضاء للنفوس ودخول في فسحات الزمن والتأمل المجرّد الخلّاق.. وكدت أزل الآن وأبدأ في منبت جديد وهو الخلق والخلّاق وفكر "سبينوزا" الذي ذكرناه قبل ساعات.

02-3-23

لا أعرف بالتأكيد إذا كان تأريخ الأسطر الأولى خطأً في الشهر الثاني أو كان هذا الشهر آذار. توقفت قليلاً وأردت إتمام رسالتي في ساعات لاحقة وكما ترى فقد مرت أسابيع والرسالة تنتظر على طاولتي. يا للعار. ونحن جماعة ما نزال نعتبر العار عاراً والعيب عيباً رغم انتصارات العولمة وديموقراطية الأمة القائدة وسعادة الشعوب قاطبة في شمالها وجنوبها وفي شرقها وغربها وخاصة شعوب آسيا وإفريقيا وإلخ ...

افتُتِح معرض لأعمالي في صالة جديدة وجيدة في 22 المنصرم والأعمال التي عُرضت جاءت من مجموعتين خاصتين ولذلك فإن


Twitter: @ketab_n

علاقتي الوحيدة بها بأنّي رسامها وهي بعض أعمال السبعينات مع نهاية الستينات ومطلع الثمانينات.. والإنسان، أي الرسام أنا، يشعر بالخوف ويكون في موضع الانتظار. مر الانتظار ولم يكن هناك ضرورة للخوف وأثنت الصحافة على المعرض بالمدح وبيعت بعض الأعمال.. وقد بيعت بأضعاف أضعاف الأسعار التي اشترى بها الجامعون اللوحات ذلك الوقت.. والحمد لله والسمعة الحسنة أحسن من السمعة السيئة.

والخبر الجميل في قصدي هو أني حصلت على جائزة هامة من ألمانيا للتصوير وقد كان التكريم يوم 16 المنصرم في متحف خاص وكان التكريم كلمة مطوّلة للشاعر والمسؤول عن مهرجان الثقافة في برلين "يوآخيم سارتوريوس" . كانت الكلمة جميلة، وجدانية وهامة إذ أنه نظر إلى فني من ناحية إنسانية اللوحات وفرادة العمل مع عنادي وإصراري أنّي بعد خمسين عاماً من الرسم استطعت ان أري بأن اللوحة لم تمت بعد ان أُعلن عن موتها منذ زمن بعيد. لقد ترجمت كلمة التكريم وسوف أرسلها لك كاملة الأسبوع المقبل. لقد كانت الليلة تشبه العرس والاحتفال العظيم (بالرسام السوري المقيم في برلين) وأين وطني أين بلدي! لقد جاء كم كبير من الزوار لدرجة ان المكان كاد يضيق بهم وكانت المرة الأولى التي جاء بها أربعة أضعاف المعتاد. ليتكم ليتكم كنتم معي... رغم أنكم معي على الدوام.

إن تقاعدي يكتمل في نهاية آذار وهكذا تبدأ مرحلة جديدة في يومي. هناك مشاعر جمة ومتعارضة ألمّت بي في الأشهر الأخيرة تتراوح بين الأمل والخوف وبين الحسرة والسكينة. كيف ننظر إلى حياتنا ونحن في هذا العمر مع مشاعر وأفكار لا نعرفها إلى هذا الحد



Twitter: @ketab_n

أو على الأقل عن طريق الأدب والرواية، الرواية الشخصية أو الأدبية. لا نريد ان نقع وإذا وقعنا يجب ان لا نفقد كبرياءنا. لقد قمنا بالواجب بالقدر الذي مارسناه وبالقدر الذي كنا نملكه.

انتظرت أربعة أيام حتى تمت ترجمة كلمة التكريم لأرسلها لكم مع هذا الكتاب بالإضافة إلى كاتلوج المعرض المرافق للجائزة إلى جانب كاتلوج آخر لمعرض المجموعتين من السبعينات خاصة. لم يصل بعد كتابك حتى اليوم وعسى، وإن شاء الله يأتي غداً وإن غداً لقريب ولا نستطيع إلّا الانتظار. اليوم أشرقت الشمس قبيل عيد الفصح رغم برودة الطقس.

مع حبي وتمنياتي وشوقي الكبير الكبير.

**مروان**

**2002-3-7**

أكتب لكم، العائلة الرحمانية بسرعة كبيرة لأن أم علي- سمر أطرش- زوجة ابن زمرد بنت سلطان باشا الأطرش ستطير بعد ساعات إلى دمشق بعد زيارتها برلين وسوف أرسل معها الكاتالوج الأول والثاني، الأول هو معرض السبعينات من مجموعتين خاصتين عُرضت خلال شهر آذار وبعض نيسان والثاني هو بروشور تكريم الجائزة التي حصلت عليها وأُرفق بطيّه ترجمة الكلمة التكريمية وقد نشرتها جريدة الحياة يوم السبت البارحة وأعتقد أنها كلمة هامة بصدد أعمالي وشخصي والمصدر الروحي والذاتي لتلك الأعمال.

سوف أتصل بك قريباً، واليوم أقول لكم أني أحبكم وغداً وحتى... سألني شخص لا يخلو من بساطة وبلادة فيما إذا كانت صداقتنا مستمرة! فقلت له : وسوف تزداد بعد الموت وفي لقائنا في برزخ النور وفسحات الضوء الكونية. جميل. أقبّلكم.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

(إن طباعة اللوحتين في البروشور- الصديق- وثم- الانعكاس، سيئة جداً وللأسف ولا تعطي صورة عن(خمرية الألوان) والإشعاع النوري الكبير الذي تتصف به لوحاتي...كما تكون الخطيبة يوم العرس أجمل من صورتها لدى الحبيب وليس العكس!)

**مروان**

**15/ 3/ 2002**

العزيز مروان

تحيات قناطير وأشواق لا تقوى على حملها قوافل، وانتظار للأخبار لا ينتهي.

بدأ الربيع في دمشق، أينما التفتّ تطالعك الأشجار المزَهوْرة، نوار على مد النظر، أبيض وزهر. أما أوراق الأشجار البازغة الصغيرة فإنها مهرجان للفرح ودليل صارخ على قوة الحياة. فالأعواد التي كانت إلى أيام قليلة سابقة يابسة تفجرت فجأة عن براعم في كل سنتيمتر وبدأت تطل الأوراق الصغيرة تعبيراً عن الحياة وتأكيداً لوجودها الفذ. إنها الحياة مرة أخرى يا مروان، وبمجرد مشاهدتها وتأملها يحس الإنسان بالتفاؤل والتجدد وإمكانيات الاستمرار. هكذا تبقى الحياة وتستمر، وعلى الإنسان ان يتلقى درساً من هذه الحالة.

هذه أول رسالة أكتبها بعد انقطاع طويل... طويل. أجلّت الكتابة مرات، واليوم وجدت نفسي مدفوعاً لأن أكتب إليك علّ الدفء الموجود هنا يسيري إلى برلين الغارقة في البرودة والعتمة، وأيضاً لأن أذكّرك ان الربيع آت، وأن السنونو بدأ يطرق أبواب السماء. صحيح ان سنونو واحدة لا تعني الربيع ولكن تبشر أنه آت وأنه لن يتأخر كثيراً.

ولأني لا أكتب فأنا أقرأ. تصور الحياة دون قراءة ما أشد



Twitter: @ketab_n

جفافها وقسوتها، لكن ما يخفف من الشعور بالإثم ان لديّ مقداراً غير قليل من الكتب المؤجلة وكلها تنتظر القراءة، لكن الصحف اليومية اللعينة تأكل الضوء من العيون ولا تترك من الوقت ما يكفي. يجب ان أختصر قراءة الصحف، لأنها متشابهة وبدون جدوى، لكنها العادة، وتعال إخلص!

هذه الرسالة ليست مثل رسائلنا المعتادة، وإنما هي عملية تسخين لكي نعاود سيرتنا الأولى في الكتابة المنتظمة والواسعة، ولذلك أعتبر الاختصار الآن ميزة، لأن المطلوب أولاً وقبل كل شيء قول: مرحبا، وحين ترن كلمة مرحبتين سوف تتوالى الأسئلة والضحكات وينفض الإنسان جعبته ويقول كل ما عنده.

وضعي ماشي الحال مؤقتاً، بدأت الغسيل قبل أكثر من شهر، العملية في لحظتها متعبة، لكن في الأيام اللاحقة الوضع أفضل. أداوم هذه العملية أسبوعياً، وعلى ضوء الفحوص اللاحقة سوف تتحدد الخطوات التالية.

في الختام تحياتي وتحيات الجميع وإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

**2002-10-16**

العزيز عبد الرحمن

بدأت في كتابة رسالة لك قبل أيام وكان من الدواعي الكثيرة للكتابة إلى جانب الشوق والأخبار هو أني أيضاً وجدت رسالة قديمة بدأت بكتابتها لك آذار 99 ولسبب ما لم أرسلها، أحببت ان أرسلها لك بعد غياب الأعوام لطرافتها. أجلس الآن، عصراً في مكاني الجديد وهو في الواقع مستودعٌ لأعمالي ولما تجمّع منذ ثلاثين عاماً من ذكريات وأشياء وصور وإشارات ورسائل وبعض الأحجار (يارايح عالبحر جيب معك حجر!) وهكذا. ورغم التشذيب والتطهير احتاجت الهكذا 70 كرتوناً أو بالأحرى صندوقاً ولم يكن بإمكاني تصوّر ذلك. ساعدني يزن كثيراً ودائماً ووقف معي أمام هذه المحنة كما وقف شاب رسام أسابيعاً إلى جانبي وهو سعيد بعلبكي ابن فوزي من لبنان ربما سمعت باسمه أو أنك تعرفه. جمّع الأعمال سعيد ورقمها وو.. أسابيع شاقة، في المكان وهو ثلاثة غرف، غرفة حجمها 30 متراً تقريباً أستطيع الجلوس بها وأستطيع أيضاً الرسم إذا شئت وهذه مشيئتي والغزالة الشاطرة بتغزل على ذنب الكلب وهو نوع من التحدي لي أيضاً ولا ينقصني إلا عطر التربنتين وهدوء البال وعودة القريحة ونزول سلطان الإلهام من جبل الإبداع. شايف ما أصعب الطريق وما أكثر التواءاتها!

**2002-10-13**

- عودة إلى الرسالة التي بدأتها في الدار قبل أيام -



Twitter: @ketab_n

(أمارس دور المتنقل منذ أسابيع من وإلى مكان كان حتى وقت قصير في مثابة العش لما يقارب ثلاثين عاماً. لا يسعني الآن وصف المشاعر وهي كثيرة ولكن عندما تنبثق أضواء الروح في يوم ما وتأتي الهمة فربما كان باستطاعتي كتابة صفحات كثيرة تأتي بالتداعي عن ذلك العش الذي فقدته وفيه قسط كبير من قصتي الذاتية.

قد تكون الأشهر القادمة عسيرة وفيها التحدي الكبير الذي آمل مع بعض السعد والصمود ان تبدأ صفحة جديدة- أستطيع ان أخرمش عليها بعض الألواح. وجدت في زاوية خبيئة في عشي المذكور على رسالة مني لك لم أرسلها، وهذه مزية الأعشاش!)

- الرسالة -

8-3 -1999

العزيز الحبيب عبد الرحمن،

مضت عشرة أيام على إرسال الأغلفة وأرجو ان تكون وصلت... بالسلامة. ليس المكان الذي أجلس به الآن مكان كتابة لصديق إلا بالمناجاة. إنه مطعم والساعة العاشرة مساءً أجلس لوحدي لآكل بعض الشيء قبل ذهابي إلى الدار. أنجليكا في روما مع زوجة شبرنغر ويونس مع صديقته. نظرت عبر النافذة إلى الشارع والمتجولين في ليلة تبشر بالربيع مع كأس بيرة بانتظار الطعام. ان ما يدعوني للكتابة حقاً هو طاولة بجواري والحوار الذي يدور بين شخصين.

الأول منهما ويجلس تجاهي حيث أستطيع رؤيته بسهولة، يلفت الانتباه بالشاربين الغليظين التي تتصعّد أطرافهما حتى وجنتيه وكأنه من بقايا العهد القيصري وعلى عينيه نظارة غليظة تدل على ضعف كبير وطبيعي في رؤية العالم! أما الآخر فكان ظهره لي ويظهر عليه دور المستمع وكأن ذلك وظيفة أساسية له. شاطرتهم الحديث


Twitter: @ketab_n

بالسماع فقط ولأن الحديث كان غريباً وحماسياً. كان في بحر كذا وهو يسبح غائصاً في الأعماق عندما لاحظ شيئاً ينوف طوله الثمانية أمتار فأقترب من ذلك الشيء حتى لاحمه وأخذ الصور الكثيرة لجوانب متعددة نافت على الثمانية صور عندما اكتشف أعداداً كبيرة من هذا الشيء وفصائله تقترب منه... تحرك المتحدث بشكل مسرحي وهو يصف صعوده الهادئ إلى أعلى.. ودون توقف أخذ بعدها يتحدث عن الفيلة والأسود والكركدن ولم ينسى الصلّ والأفاعي والتماسيح. لم يكن في حديقة للحيوان بل كان قانصاً في الأدغال والصحاري في أطراف العالم.

رجع بعد ذلك إلى الدببة والوحوش والغزلان وأسرار الغابات وفنون الصيد ومهارته التي ليس لها شبيه. تكلم عن فن الانتظار ولحظة إطلاق النار والسقوط وأنواع البنادق التي يملكها وأغراضها كما أنه لم يهمل أمر العمق والقرب والبعد. ولكي لا أطيل عليك ويصبح الأمر رواية، أقدم ملاحظة وهي ان الرجل كان يطلب من النرد بإيقاع ثابت كؤوس البيرة الكبيرة وإلى جانبها الكؤوس الصغيرة مع الشراب الثقيل ويشربانها بشهية كبيرة مع إيراد التفاصيل عن الرصاص ومكان الإصابة ومسافات الكمين..... ويكرر الراوي كلمة أليس كذلك باستمرار ويطرق السامع برأسه موافقاً.. كانت خمسون متراً وسمعت الطلقة وركضت وتصببت عرقاً...لم أشعر بشيء غريب.. وبعد خمس دقائق، بعد أني لم أر شيئاً أو أحس بشيء.. لقد كان ذلك العام الماضي، أو ربما قبله كان الصقيع قوياً.. أتعرف هول الصقيع! .. تصورت أنه كان جباناً.. ولكن هذا الكلب.. مع اتجاه الريح.. وفجأة.. لقد كان خنزيراً برياً... هل رأيت مرة ذلك الوحش، السكين، أتفهم ذلك! ولكنها كانت مشطاً من الألمنيوم وأنا أعرف


Twitter: @ketab_n

ذلك لقد كان الجدي.. ثم وقفت.. أتعرف وتفهم هذا.. أليس كذلك....

أراد المتحدث الوقوف للذهاب إلى الحمام، بتعثر وجهد كبيرين، بعد استناده إلى الطاولة والاستعانة بالكرسي والحائط، استطاع الوقوف بعملية مجهدة، وهو نصف مقعد، التثبت على عكازتيه تحت إبطيه وذهب زحفاً أكثر منه مشياً إلى المطاهر ثم عاد ليتابع روي مغامراته في أطراف القارات حتى وصل إلى ألأسكا والقطب الشمالي ولم يبق فيها طويلاً حيث عاد من جديد إلى إفريقيا... وسوف أترك لك أيها الصديق الكاتب إملاء الفراغات وتكملة النواقص والواقع يبقى الأقرب إلى المستحيلات!

ولكي لا تبدو رسالتي نحيفة فإني أرفقها بورود الزنبق. حاولت اليوم ان أضع عقلي في يدي بدل رأيي و ان أعمل مائية لكي أتمكن من الحصول على المفتاح، وكما يقول الفرنسيون فإن الشهية تأتي مع الطعام والعمل مفتاح الثقة والثقة مفتاح الفرج والفرج مفتاح الفرح والفرح مفتاح الحياة.. ويرجى التفريق بين الفرج وما يشابه ذلك كتابة وله معنى آخر ويرجى أيضاً ان لا تؤخذ المتواليات المذكورة مأخذ الحديث الشريف لأنه للحديث الشريف موقع آخر ودور يأتي في محله.

مع شوقي وأرجو ان تكون أحوالكم بخير وحتى اللقاء في مطلع رمضان.

مروان



Twitter: @ketab_n

**27-10-02 طنجة**

العزيز عبد الرحمن،

من الصعب جداً تغيير العادة، ولا أقصد العادات الخبيثة منها والتي يُقال فيها بالعربية (جلد عميرة) وإنما العادات الجيدة منها والمحمودة. وربما جاء - حديث - في هذا الأمر حيث قال عن محمد بن أحمد مروان الرسام أنه سمع ما يلي: من كتب بالأحبار والقصب فإن كتابته ملأها الله بالوقار ودخلت مقاصدها قلب القارئ عن طريق العين إلى اللّب: انتهى الحديث والله وحده يعرف إذا كان هذا الحديث منسوباً وصحيحاً أو أنه أُريد به الخير فقط وإعادة الكاتب إلى المجرى الحسن والذوق الرفيع حيث يسيل الحبر بدل الدم من ضمير الكاتب إلى قلب القارئ وبالخصوص إذا كان الكاتب صديقاً والقارئ حميماً.

وأما بعد، فلقد نسيت أحباري وقصبتي في برلين، وليس لذلك علاقة بالقصاب.. باشي وإنما لما أعطته الطبيعة من روعة أبدية وصوت يشبه ترانيم الناي عندما يلامس النسيم صفوف القصب على شواطئ الأنهار والبحيرات وقد جاء هذا في رواية الروائي عبد الرحمن منيف (حين تركنا الجسر) عندما أصاب بطل الرواية بطلقته في أعماق الليل ملكة الوز وهو منتظر ذلك الحدث ما يقارب الدهر وعندما استعان الراوي بأضلاع القصب للوصول إلى (ملكته) وقبل ان يشعل سيجارة إرضاءاً لنشوته بالوصول... ولكن الدهر يمر ولا نصل.

إذن، وشوقي للكتابة لك جعلاني أخرج من عادة الكتابة بالحبر والقصبة وهنا أقصد الريشة والمساكة وقد جاءت القصبة مجازاً



Twitter: @ketab_n

لقدرة الكلمة التعبيرية ولما تحمله من تاريخ أسطوري! وأعود إلى قلم الرصاص لما في ذلك من علاقة وجدانية كما جاء في القرآن الكريم عن القلم، وأما الرصاص فلقد كان بيننا أحاديث عن العالم ولون الرصاص وربما كان الرصاص قبل النطفة وقبل ان يأتي الإنسان على مدرجات الخليقة بالترتيب. أتذكر كتابي عن الانعكاس والمستنقعات وكأن الوقت قد توقف منذ ملايين السنين...

لا شيء يتحرك ولا هواء وكل شيء ثابت والقدر كان في طريق آخر من أطراف الكون! . ربما كتبت ذلك بشكل آخر في حينه ولكن الصورة العالقة في بالي هي كما أوردت.. تقريبا. والآن أكتب لك من طنجة حيث وصلتها البارحة ولكني سأترك أمور اليوم والطعام الآن ولأروي لك مشهد الشقيقات الثلاثة. إنه اليوم الثاني والأمور تجري خيراً. تركت فندقي في السُّرة العليا من المدينة وقلت، لأتجول في الأسواق القديمة التي أذكرها. كان علي الاحتفاظ بالسترة الزرقاء الصوفية الجميلة لأني أحتفظ بنقودي وأوراقي فيها. نزلت الأدراج بالحدس باتجاه المرفأ والناس مثل آجوجو ماجوج. النساء المتبضعات وكم كبيرٌ من الشباب والشابات وجماعات البسطة وسوق الدجاج وقاعة الأسماك. شعرت بنوع من الرضى وأخذت طريق العودة عن طريق (القصبة). كان الدخول في (الجماعات) وبعض الروائح يجلب لي الخوف سابقاً بسبب ضياع الأوكسجين. تحدّيت ذلك الخوف مع السترة الزرقاء وهي جاكيت نيلي أو كحلي. وجدت على أطراف القصبة بائعاً للصبار. ترددت قليلاً اخترت (كوماً) أكلته بلذة بعد ان اخترت الشقراء منها مع ان ولعي وأساس حبي هو السمراء.

تشرف نافذة فندقي على ذلك البرزخ بين المغرب آخر بلاد



Twitter: @ketab_n

العرب وإسبانيا. (أُنظر إلى التخطيط الواقعي في الصفحة السابقة .!).

نمت ظهراً وصحوت في الخامسة مع لذة النوم والراحة المكتسبة ثم خرجت إلى الشرفة الكبيرة المطلة على البحر وفي الطرف الأيسر جبل طارق أتأمل مع نوع من الرضى هذا العالم، عندما لفت انتباهي ثلاثة بنات صبايا على سطح منخفض ينظرون إليّ ويلوحون بأيديهن ضاحكات وهن يقفزن بمرح. كانت لهن جدائل من شعر أسود غزير ويرتدين "الجينز". أعدت لهن تحياتي بالتلويح بيدي مع بعض الحياء الظاهر. شعرت بفرح وأُعيدت لي ذكريات كبيرة من طفولاتي وأيامي. كانت ثلاثة عَزات.

لقد تغيرت برامجي وجئت المغرب قبل عمان ودمشق وسوف تكون زيارتي لكم في وقت متأخر لأسباب طارئة وسأكتب لك عن ذلك من برلين. مع شوقي وحبي . مروان

- المزار -
أو
القبر
كما يراه المستلقي
من الداخل .. أو :
القاطن في مزار المقبرة
والجنة عبر نافذة
الموت

كنت أنظر من نافذة الطائرة وهي تعبر مضيق جبل طارق بشوق وحرارة حيث دارت كالشراع دائرتين قبل هبوطها في مطار طنجة كان على اليمين الخط الأخضر اللامتناهي لمحيط الظلمات وعلى اليسار


Twitter: @ketab_n

خط أصفر كالح لامتداد رملي مع نقاط خضراء من أشجار البلح الموزعة دون انتظام مع نقاط أصغر منها وهي لحيوان الماعز أو البقر. أخذتنا العربة من المطار باتجاه الجنوب ونحو أصيلة وقلبي يخفق بقوة ولكن بعذوبة أيضاً وأنا أرى لأول مرة أرض المغرب. لم يطل الوقت حين بدى في انعراجة الأفق خطٌ أبيض يتلألأ كالقلادة على المحيط. قال السائق: ها هي أصيلة من بعيد. كان هذا عام 1987 . دخلنا المدينة وقد سُحرنا بمنظرها الأخّاذ من أزقة صغيرة مطلية جدرانها بالكلس وأرضها بالنيلي مع محلات البيع الصغيرة وخصوصاً البيوت المتلاحمة كأجساد التصقت ببعضها كالحكايا التي نسمعها بالخيال والقلب ممتليء بحنان تاريخي يتموج بين الأندلس وشمال إفريقيا، بين البارحة واليوم واسم زناقاتها (أزقّتها) تحمل أعلام التاريخ من ابن رشد وابن عربي والكندي وابن خلدون وإسحق والحمامة المطوّقة.

كل شيء أبيض مكلّس. أبيض على أبيض على أبيض. أخذت أبحث عن بقعة (سمراء) لأرى نفسي وحجم جسدي وفسحة روحي. كل شيء أبيض والشمس بيضاء ولا شيء إلّا الأبيض ونقطة زرقاء. أين العتمة المضيئة وأين ظلال النور!؟- . (ربما كان هذا سبب اختياري لألوان الأسود المشع ومشتقاته في السنوات اللاحقة حيث يشع النور من خلالها إشارات اللون والمواساة كنجوم من كواكب بعيدة تشير دون ان توحي بأسرارها، بعيدة عن دائرة الزمان والمكان.) .

تهرع الجماعات إلى مكان مرتفع على المحيط قبل الغروب لترى اللون، لون الشمس البرتقالي وانعكاساته على المحيط وكأنّه الرابطة الوحيدة لهم بين البارحة واليوم والغد ولتعرف بواسطة اللون



Twitter: @ketab_n

أنهم على قيد الحياة، يريدون قطعة منه زوّادة للّيل ومطالع النهار.

واليوم، الأسبوع الأخير من تشرين الأول عام ألفين واثنين، عدت إلى المدينة ورأيت من بعد تلك القلادة الباهتة على شاطئ بحر الظلمات. قال لي الولد الذي ائتمنته وهو ينتظرني على طرف المقهى، بأنّه حجز لي غرفة في فندق جديد جميل وخاص. دخلنا الوكر وكان كل شيء مطلي بالنيلي. نظرت إلى فسحة صغيرة خارج الوكر وكانت قبالة حديقة تغطي بخضارها الرائع ذلك الوكر الأزرق وأغصان شجرة باسقة تتآلف أغصانها الغليظة بلون رمادي بنفسجي وتتشابك بشكل ساحر كما هو في منمنمات المتاهات مع أوراقها الكبيرة. لم يكن هذا فقط بل كان هناك غناء مجنون من الشحارير وعصافير الدوري واليمام. قطعة من الجنة. أو تشير لها وبها. صعدنا درجاً ملتوية وسياجها من حديد وعلى الحائط النيلي بقع من نور زهري باهت بين الظلال الرمادية. قال الولد هذه غرفتك. شعرت بسعادة "هندية" بسبب المنمنمات في ذهني مع غناء الطيور. وضعت الحقيبة بسرعة وخرجت مع صديقي لطعام الغذاء. عدت. أردت النوم بعد الظهيرة. كنت متعباً. كنت فرحاً. كانت الغرفة مظلمة. كان النيلي ظلاماً. نظرت من النافذة حيث الأشجار وصوت العصافير. الفراش كالحطب. رائحة عفونة ورطوبة. أغمضت عيناي وتجاهلت. دخلت رائحة العفونة رئتي. دخلت الرطوبة الخربة نَفسي. نظرت إلى النافذة بأشباكها الحديدية. رأيت نفسي في قبر. نعم في قبر وأنا موضوعُ المزار. أنا الجثة. أنا ذلك الولي في ضريحه العفن. شعرت ببؤس جارف لا يخلو من غضب. أريد الخروج. أريد الهروب. يا ويلي. والعصافير تغرّد. مزار في مقبرة. مقبرة في مقبرة ورائحة العفن تقتل رئتي. رئة الولي وطعم الدود. ثم تلك النافذة المسيّجة حفظاً


Twitter: @ketab_n

للسلامة!.... خرجت من داخل المزار أردت الهروب. حملت حقيبتي .. أين أنت يا وطني! أين أنت يا مرسمي! كل شيء أبيض. أبيض على أبيض و لا يحمي النفس إلّا سواد الليل مع السكارى وأهل الحشيش وأنا أعُدّ الدقائق لأعود إليكم، إلى دمشق بعيداً عن نافذة المزار ورائحة عفن بحر الظلمات .

**مروان 2002.10.30**

---

(*) من هذا الطرف خرج طارق بن زياد إلى إسبانيا ليمنح العالم بعدها أسس الحضارة الأوربية وكما قال عمر أبو ريشة بعد سؤال إسبانية عن أصله وبعد ان قالت عن أصلها مفاخرة : هؤلاء الصيد قومي فانتسب ان تجد أحسن من قومي رجالا.. وحيث أجاب صامتاً. أطرق القلب وغامت أعيني في رؤاها وتجاهلت الجواب. و رغم ذلك يا عبد الرحمن...

(*) مائية رُسمت على الرسالة في طنجة، لمضيق جبل طارق.



Twitter: @ketab_n

2002-11-9

الغالي عبد الرحمن

لقد اتصلت بك قبل وقت قصير وقالت لي سعاد بأنك في قيلولة ولم أشأ ان أزعجك. أردت ان أطمئن على وصول التصاميم لحسن وأن (أثرثر) معك قليلاً بعد صلاة التراويح .

آمل ان تكون في خير أو في خير معقول على الأقل وكما قلت لي سابقاً، لقد أصبحنا نقبل بالقليل رغم تمردنا على هذا القليل ولا أريد اليوم ان أسترسل وأن أندفع في أمر القليل والكثير لأني قد أفتح بذلك باباً لا يمكن إغلاقه بسطور ولنترك أمر ذلك الفتح والإغلاق لوقت آخر .

سمعت من سعاد ان رسالة أصيلة قد وصلت اليوم وكنت قد أرسلت لك رسالة من طنجة قبل الرسالة المذكورة وفيها مرح وبعض التداعيات الطنجاوية وعجباً ان الثانية وصلت قبل الأولى .. ولكننا نعيش عصر العولمة وقد تغيرت موازين الأمور .

يهمني جداً ان لا تكون رسالتي وشكواي من أصيلة على تلك الطريقة العجيبة قد جلبت بعض الكرب لنفسك في هذه الأيام، والحقيقة أني سجلت بعدها بعض السطور عن أصيلة أخرى تختلف عن اللحظة النفسية التي عشتها هناك (لأصلح الأمر معك) ولأضع الليلكي جاراً للأصفر كي يكتملا ويصبحا (أصيلين) .

لقد اخترت هذه المرة لأجزاء مدن الملح الخمسة خلفية واحدة بلون العاج تقريباً واخترت معها خمسة مناظر (صحراوية) الأول منها



Twitter: @ketab_n

فيه الأزرق والأصفر والأخضر كناية عن طبيعية المشهد وسير الحياة ثم تغيّرت هذه المناظر تباعاً فكان الثاني ضبابياً والثالث وهكذا حتى سماء النار والخراب وهروب الأوكسجين وآثار الحياة. كنايات، لا ظبي ولا جآذر أو غلام ولا تهامة ولا نجد، غبار ونار وأمريكان وأمير أمير الأمراء، (أتذكر حروب سائق المحملجي من حران)، كان من الممكن الاسترسال في أمور متتابعة تأتي مع الليل عن الإنسان وعلاقته بالشيء وبما حوله ثم عن القاعات وبستان هشام وعن الإيمان والخمرة والورود وعن الحرفة والوجود والداخل والخارج وفرويد والمرايا ولكني سأترك هذا إلى ليلة أخرى حيث يسير الحبر مع النفس في رسالة إلى صديق. مروان

الغالي عبد الرحمن

بدأتُ لك بالكتابة أكثر من مرة بعد دمشق وخاصة لأني لم (أشبع منكم) وأنت تعرف مدى الشوق والأشياء الكثيرة التي نتحدث عنها أو تعرضنا لها بسرعة دون تمهل.. ثم أنك الجسر والقاعدة وليس لي فقط. ثم توقفت عن الكتابة لغد أو لبعده. وربما كان السبب معرفتي الداخلية بأني قادم إلى دمشق وأني سأغتصب الساعات والأيام لنكون سوية.. واليوم عرفت بأن المعرض قد تأجل لأسباب مقنعة وضرورية ووافقت منى على التأجيل وكما ترى، فها أنا أسرع إلى القلم بدل العين، رغم ان العين معكم. أحيانا تأتي الأفكار كاليراعات تضيء بعض دهاليز النفس والفكر، وكما عرفت فإن اليراعة تضيء فقط أيام الجماع وتضيء معها ما حولها وهكذا الفكر والقلم .. والفرشاة أيام الجماع!.

شغلتني برفق وابتهاج أفكار سيرة مدينة بالعدد الخاص ورسومك، ان لم أقل بجانب الابتهاج والانفعال والحماس. وجاءت



Twitter: @ketab_n

يراعتين قبل أسبوعين وحصل بعض الانفتاح وسجلت بسرعة بعض (الخطوط) التي قد تكون رئيسية وكقواعد لنصي لرسومك مع بعض الإشارات قبل ان أدخل بشكل مباشر بخطوط رسومك!. بدأت بالورق... ثم بالقصب ثم الورق والعرب والفكر والحبر والقصب والماء والهواء والنور وحب العرب المدمن للورق وكيف جاء النور خلال القصب مع المداد إلى الورق بالكلام بالحرف تغترفه العين إلى القلب... وكيف حوّل عبد الرحمن قصب (الجسر) من الكلمة إلى الخط وكيف تحوّل خط الكلمة إلى خط الرسمة بضرورة داخلية فيها الإصرار والحماس الحر... فرحت باجتماعنا القريب ولكن ذلك أصبح الآن بعيداً نسبياً. كنت أود ان ترسل لي بعض النسخ عن رسومك لأراها (فوتوكوبي) . ان ذلك اصبح الآن ضرورياً وما أريد معرفته منك أولاً، الموعد وربما فيما إذا كان لك الحق في ان تؤكد إخراجاً جيداً وفيما يتعلق بالتصميم أيضاً، لأن الإخراج هام في تقديم الرسوم ثم الشواهد الأخرى. سأحاول تأمين جلب رسومك التي كنا قد اخترناها في دمشق عن طريق صديق قادم وسأعلمك عن ذلك قريباً.

إن أخبار توسيع التقديم للكتاب بمعرض كبير محضّر بشكل جيد، أفرحتني وخاصة نقل المعرض للقاهرة. سوف أختار لوحات هامة من حقب مختلفة كمحطات أساسية وكنت قد فكرت بدمشق بسبعة لوحات.. والآن اختلف الأمر وإن العدد الأقصى في الصالة هو خمسة لوحات أو ستة على الأكثر ومن الضروري إيجاد مكان آخر في نفس الوقت. والشيء الآخر هو خوفي على الأعمال بسبب عدم وجود ضمانة فيما يتعلق بالصيانة و (المعاملة).

بدأت الرسم رغم ان أفكاري لم تكن مستمرة بسبب بعض



Twitter: @ketab_n

الواجبات الضرورية والناقصة من أجل الكتاب (الغلاف والصفحة الأخيرة) ثم بداية الفصل والتحضير لمعرض في مدينة "فوبرتال" وهكذا .. ولكن غداً يا عبد الرحمن سأحاول الاعتصام وأستنير يراعة قد يكون يوم بهجتها ولتقدم لي شيئاً من نورها. كيف عزة وليلى والشباب والراعية سعاد مع حبي وشوقي لكم تحياتي ولأهل نبعة وأرجو ان أسمع منك قريباً مع تمنياتي بالعيد الكبير .. ويا ليتني كنت معكم. مروان (هل توجد رسالة على الطريق؟)


Twitter: @ketab_n

2003 /1/1

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق

كانت سنة ثقيلة تلك التي انقضت، أشعر الآن ببعض الانفراج والأمل رغم الحزقة التي لم تبارحني بعد، مع أني بذلت، ولا أزال، جهداً من أجل المقاومة، فعسى ان تنفرج ويعود الصوت والنفس كما كانا، وتعود الأشياء كما أيام زمان!

العزيز أبو يزن

اسم يزن خلال هذه الأيام في العلالي، إذ أصبح لدينا منهم ثلاثة، وهناك رغبة في الزيادة لتبلغ الثلاثين وتشكل قبيلة جديدة يخرج منها النحاتون والموسيقيون والرسامون وذوي الوجوه الصبوحة التي تدوخ البنات، فادع ربك يا مروان ان يبعث لنا بمثل هذا الجيش الذي قد يستر إفلاسنا ويعوضنا خيراً عما فاتنا.

أكتب إليك في مطلع العام، وهذه أول رسالة منذ وقت طويل... طويل جداً، وأريد لهذه السنة ان تكون بداية جديدة للحياة والفن، وسوف تكون الكتابة إليك عنصراً أساسياً. لا أدري ماذا يمكن ان أكتب، حول أية موضوعات، وكيف، لكني سأحاول ان أبقي الكلمة المكتوبة النافذة الخضراء المفتوحة لنطل عبرها معاً على العالم، ويمكن نرى أشياء جديدة يمكن ان تفتح النفس وتجعل الأمور أقل كآبة وسواداً، ولدي قناعة أنه يمكن ان نكتشف من خلالها أشياء كثيرة وقريبة كانت غائبة عنا لأيام طويلة سابقة.



Twitter: @ketab_n

لقد تراجعت وتكاد تندثر الرسائل بين الأصدقاء في الفترة الراهنة، خاصة بعد ان حلت تلك الآلات السوداء القاتمة بدل الأصوات الشجية الصادرة من العين والقلب، وبعد ان خجلت الكلمة من الصوت العالي ومن ذلك الضجيج الذي يصمّ الآذان. هل يمكن ان نبدأ رحلة جديدة من هذا النوع؟ لنأمل ولنفعل، ولابد ان نرى النتائج لاحقاً، وربما سوف نفاجأ!

العزيز مروان

لدي رغبة، ان أكتب رواية جديدة، ليس لدي هناك فكرة ثابتة ووحيدة، لدي عدة أفكار لكن لم أستقر بعد على واحدة. ربما من خلال حوارنا تتبلور واحدة منها، فلنأمل ولنجرب، وسوف نحصد ما سنزرع!

الجو شتائي بكل معنى الكلمة، إذ بالإضافة إلى البرد القارص، فإن أمطار السنة، حتى الآن، تبشر بموسم يتمنى الكثيرون ان يكون جيداً وأخضر. لقد مللنا من الصحراء ورمالها، ومن الحرارة وشواظها، ومن ذلك الجفاف الذي يقطع النسل، والآن نمتلئ حنيناً إلى أيام الطفولة التي كانت مليئة بالأمطار والكستناء وروائح الخصب. من يسمعني أتحدث هكذا عن المطر يظن أني أملك آلاف الدونمات، ومن يرنِ أقرأ بإمعان تقويم النيل، أو عن أيام التحاريق في دجلة والفرات يظن أني سمكة أو ان أشجار العالم وسيقان النباتات لا بد ان تمر أمامي لأختار وأنتقي! يا سيدي تهمة غنى ولا تهمة فق، وليأتي المطر ثم ليلحق به الربيع، وعند ذاك سوف أشفى بكل تأكيد!

هذه الرسالة تجربة، فقد أردت ان أمتحن نفسي ان كنت ما أزال قادراً على الكتابة، خاصة الرسائل، وأنه بالإمكان إعادة


Twitter: @ketab_n

الاعتبار لهذا الفن - كتابة الرسائل - الذي نسيه العرب أكثر من غيرهم، مع ان الآخرين يملكون أكثر منهم آلات ومعدات تتكلم نيابة عنهم!

مروان العزيز

إلى ان ينتهي المرسم أتوقع ان تكون "اليوميات" المرسومة والمكتوبة وسيلة أساسية لك ولديك، ولابد ان نرى الكثير الرائع، وأفكر ان أشغل هذا "الفراغ" إذا صحّ التعبير وأن أتبادل معك الكثير من الأفكار والكتابات، والرسوم من طرفك، لعل ما سوف يتجمع يصبح ذخيرة لأيام قادمة، وبالتأكيد سوف يستفاد من هذه الذخيرة بأكثر من شكل، وهذا سوف أحاوله معك.

في الختام تقبل تحيات كثيرة حارة، وسوف أبقى معك على اتصال. وإلى رسالة قادمة مع كل المحبة.

**عبد الرحمن منيف**


Twitter: @ketab_n

**تاريخ 18- 1-2003**

الغالي عبد الرحمن

•

وصل البريد. الرسالة مع ظرفها ليست غريبة علي، عرفت أنها منك رغم خوف صغير باحتمال أنها من إنسان آخر وحسب طقوسي حملتها حتى وصلت إلى مكاني فأشعلت سيجارة وفتحت الظرف بتأنٍ حتى بدت حروفك وسطورك. قرأتها بلهفة مرتين وفرحت بها كثيراً بعد ذلك الانقطاع الطويل كما فرحت بمشاريع المستقبل ومشروع الرواية الجديدة التي حدثتني عنها. كتبت قبل أسابيع على قصاصة : (أنا أرسم فأنا موجود) وأعتقد ان سبيل وجودنا هو الكتابة والرسم وإن أي انقطاع يسبب لنا حرجاً كبيراً في الحياة وفي معنى الأيام والزمن بالنسبة لنا وربما كانت كلمة الحرج ليست كافية وربما كان الأسلم من ذلك كلمة القهر والفراغ والضياع ومع هذه المعرفة نستطيع ان نقدّر مدى ذلك الحظ العظيم إذا لم أقل الرحمة بالمنحة الكبيرة، ونحن في هذا العمر بأننا كنا من المختارين حيث قدّر لنا ان نعبر عن موقفنا من الحياة والأشياء التي تهمنا رغم مشاعر الإحباط والتقصير التي كانت ترافقنا كالصديق الوفي وحمداً لذلك الصديق. ان كل ذلك لا ينفع عندما يحصل انقطاع وعندما لا تقدم النبعة ماءها الحلال لتعطي الوردة لونها الزهري حيث نقبع عندها في الزوايا والشعور بالهزيمة يملأ قلوبنا بطعمه المر.

علّقت قبل سنوات في غرفة النوم، تجاه الفراش لوحة قديمة دمشقية رسمتها وأنا شاب في دمشق لقرية داريا. كنت أراها كما هي خلال السنوات الطويلة حتى جاء صباح قبل أيام ونظرت إليها متأملاً وأنا ما زلت في الفراش، رأيت فيها شيئاً جديداً وخاصاً لأول مرة :



Twitter: @ketab_n

بيوت القرية الطينية وشجرة الكينا وفلاحة وسط الفسحة الترابية. ملأ قلبي شوق كبير لتلك البيوت، بيوت الطين المتلاحمة المتلاصقة المليئة بالحرارة وحس الأرض والإنسان ببساطته مع يومه وطعامه وفرحه وهمومه وحكاياته القديمة التي تمتد خلال قرون بعيدة قبل التلفزيون والهاتف والباطون. شعرت ببعض الدفء وشيء من السعادة ذلك الصباح بسبب تلك (الأيقونة) الترابية والقصص الصغيرة المرتبطة بالقرية داريا، وما هي إلا مثال لقرى لا حدود لها ترتبط ببعضها كطوق تمتد من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب. قدمت لي اللوحة دفء السلوى والعزاء وزرعت شيئاً منها في قلبي عزاء لضجر الساعة وفراغ الزمن عندما يأتي وقت الضيق ويثقل القلم وتجف الفرشاة ... لوقت. لقد ضاعت داريا وكفرسوسة وجوبر ودمر ودوما وبرزة. التهمتهم الآلة والتهمهم الإنسان والمدينة والحضارة ولم يبق إلا صورة، لوحة من شاب لم يعرف وقتها أنها ستكون أيقونة من تراب الماضي تقدم نوعاً من السعادة والسلوى لرجل يستيقظ عند الصباح ليمسح عيناه برؤيا فيروز السماء وترابية البيوت مع شجرة كينا وفلاحة في رحابة المكان قبل خمسين عاماً.

لم أكن أقدّر أهمية الفسحة الفراغية التي اعتدت عليها لأنها كانت هناك وقد أخذ جسدي مكانه فيها. ارتبطت خطواتي وحركاتي بتلك الفسحة واتحدت معها في الإيقاع والتهجئة والأخذ والرد. لم يكن ذلك الارتباط عضوياً فقط مع الإيقاع والحركة الداخلية بل كان أيضاً ارتباط الذات والنفس بالمكان. ان الارتباط بالفسحة يشبه الارتباط بالوطن وبه نعرف مدى الغضب ونعرف مدى الأمل ومدى الخيبة ولا يتوقف سيزيف عن المحاولة وهكذا تصبح الذات والمكان شيئاً واحداً لا ينفصلان.

حاولت في المكان الجديد العمل رغم الظروف حسب العرف ان الغزّالة الشاطرة... ولكن كانت الفسحة، فسحة المكان وفسحة



Twitter: @ketab_n

النور عدواً مشتركاً ربطا يديّ ولم أتوفق في التهجئة أو الثورة الداخلية التي تصرخ أحياناً بتحدٍ تريد الخروج، تريد فرحة مجنونة عابثة بحلم ورؤيا وأمل تتحدى المادة وتتحدى اللحظة كما قال محمد صلعم دثريني بجرح الرؤيا ولعثمة الكلمة الحارقة. تريد ان تسبح، ان تخوض بجسدك بحر اللون والمادة، لحظة تشق بها أخدوداً وتنصب مسلة لإشارة، لبصمة وموقع رؤية من جديد. الأسود فوق الأحمر والأبيض فوقهما من جديد وثم الأحمر بعد ان يفشل الأخضر ويعود الأسود والبرتقالي وثم سطوحٌ لاحدّ لها تعاد، تهمل تتجدد وتذوب في النتوآت والترسبات ثم اليمين والشمال ورفع المواقع ثم إنزالها ثم طمرها من جديد مع الأحمر والأسود والأصفر والليلكي مع تأكيد جديد... ألم يخلق الله العالم في ستة أيام!

أفتقد لتلك الفسحة كثيراً... ولأشيائي البسيطة: صورة طفل يموت برصاص وحش غدّار على حائطي، رقم هاتف، جملة كتبت على قصاصة، فكرة طارئة قد تكون محرضة.. أشياء لا تهم كثيراً ولكنها تثبت حدودي واتزاني مع أيامي.

أحاول ان أحلم بالمكان الجديد وارتباطي به في المستقبل، كالطائر الصغير في عشه يحرك جناحيه محاولاً ان يطير وأن يلامس صدره السماء. سأضع القماش في صدر المكان وأن أحمل فرشاة في يميني والأخرى في يساري متحدياً به الكتان واللون والذات في فصل جديد. سأكتب لك قريباً لأنه يوجد الكثير (على الحساب) وخاصة لما ورد في رسالتك الأخيرة من اقتراحات وأفكار. مع حبي وشوقي.

هناك أمانة من نصر حامد أبو زيد بأن أقبل وجناتك أربع مرات و أنه بغاية الشوق لك مع احترامه و تقديره الكبير لك.

(هل صدرت مدن الملح بثيابها الجديدة؟)

**مروان**



Twitter: @ketab_n

**2003-2-18**

نافذة المساء

عزيزي عبد الرحمن،

هناك رغبة بالكتابة لك رغم أني لا أعرف ماذا أكتب، أجلس في المطبخ وأنظر إلى عتمة الليل. هناك نافذة يشبه ضوؤها لون العنبر. يقدم لنا ضوء الآخرين بعض الألفة وأفرح به. ربما لعلاقة ضوء حارتنا وانتظار حكايا الليل مع الفطائر الساخنة على منقل الفحم مع الخالة والجيران وخدّوج طبعا، ما أقسى الظلام المدقع دون لمحة ضوء أو صوت ناي من بعيد. نظرت اليوم صباحاً من النافذة ولفت انتباهي زوج من طير الحمام يقف على سطح البيت المجاور متلاصقان ويتداعبان بمنقاريهما رغم الصقيع وبقايا الثلوج. ليت لي الذاكرة البصرية لأرسمهما، ولكن ما أحب رسمه منذ أمد بعيد هو الغراب يقف على أعلى السطح وخلفه زرقة السماء وتحته حجار الآجر البرتقالية، ان الذاكرة البصرية نعمة.. وقد تكون فخاً. أنظر بعيني وأرى الواقع ومن خلاله أحاول الغوص إلى صورة تتحرك بموسيقاها في داخلي وأحاول الغوص بالترتيل والدعاء والنداء حتى الانهزام وحتى يعود ترتيل جديد وكأني أسحب لزاجة المستنقعات وما ترسب فيها حتى أصل إلى إشارة.. إلى غراب يقف على مدخنة من الآجر في صقيع الصباح أو وردية الغروب. أصل إلى البيت متعباً وآثار الألوان ملتصقةً على يديّ. أحبها مثلما يحب الفلاح تراب حقله ولكن ما فائدة التراب إذا لم يأتي الغيث.. وزمان الوصل! . على التراب ان ينتظر وثمن القهر غال .

لأحدثك عن يومي هذا: ذهبت إلى (البستان) صباحاً وأنا



Twitter: @ketab_n

متأهب للحظة الفصل في لوحة بدأتها في كانون أول. تصورت ان أنهيتها قبل أسبوع، كانت متوازنة ومنوّرة ولكني عرفت قبل أيام أنها متوازنة وخالية من الصرخة الداخلية و (الحدث) ، بدأت بالتخريب والتهليل واعتقدت البارحة أنها (جاءت) ، وبعد ساعات، وفي المساء، أيقنت أنها لم تأت، وهكذا جمعت (تصوري) وذهبت كما قلت إلى (مكاني) وأنا متأهب. غيرت العمل أكثر من خمسة مرات كالصياد الذي يوقن أنّ الفريسة أصبحت من نصيبه. عصرت ألواناً جديدة وقلت سوف أنتقل إلى أصفر مريض وأسود رحيم وأقتصد في الميزات الأخرى وبدأت من جديد للمرة السادسة وبدت اللوحة كأنها شاة مسلوخة يسيل دهنها على أضلاعها.. ولكن دون صراخ .

حاولت اللعثمة (وضيقت) بعض الخدود وفتحت (مجاري) جديدة وغاليت في بعض التفاصيل للتميز وللوصول إلى (الصرخة) الداخلية. جاء المساء وذهب النور وأصبحت اللوحة لزجة مهترئة. هكذا، بحثت ساعات في صحراء اليوم عن نبعة ماء ولكني لم أجد سوى الألوان الملتصقة على يديّ وجبهتي. زرع الإحباط أخاديد (التعاسة) على وجهي وقلبي بدل ان أزرع أخاديد (الحدث) على قماشي، يجب ان أتروّى. ان أحوّل الطريق لآتي عليها من مجرى آخر وأحفر وأحفر في مستنقع الترسبات حتى أحصل عليها. وحبذا لو كان الأمر كذلك .

كيف حال حبيبتي عزة وحبيبتي ليلى؟ أرى عزة بردائها الأسود واقفة قرب حائط، أو بالأحرى مستندة على حائط إبان معرضي الأول عند أتاسي. جوهرة المعرض، وأراهما في دارة الفنون بانتظاري مع شجرة الياسمين وحائط أبيض، أراهما على نبعة جبلية قرب البحر الميت، حبايب .

وسعاد؟ هل ستغني من جديد - أنا زرني طيفك بمنامي قبل ما حبك؟ ، أمنيتي. مع شوقي الكبير وحتى حروف جديدة .



Twitter: @ketab_n

**مروان 18-02-2003**

عزيزي عبد الرحمن،

إن كتابة رسالة إلى صديق تماثل العمل النثري وتقترب منه وإن تقاعس الفكر يولّد التقاعس في كتابة الرسائل، واليوم، السابع عشر من شباط قلت وأنا أقضي هذا المساء وحيداً بعد ان طبخت دجاج البارحة بالرز ووضعت عليه بعض البهار والصنوبر أني سأكتب لك. تذهب أنجيليكا كل مساء من يوم الإثنين إلى درس العربية الفصحى والكتابة بخط النسخ وقد تقدمت بهما كثيراً وهي لا تحادثني إلا بها أيها الرجل والخال الصغير الطيب وابن التاجر الكبير... ولهذا أكلت لوحدي وذكرني طعام اليوم بالوز المحشي وكل ما يقترب من الطير والرز والفستق من المأكولات في دمشق أيام العز قبل الاستقلال(!) وبعيده! قلت وأنا آكل ان كتابة الرسالة والاستمرار بها حتى النهاية حيث تتوالد الأفكار لوحدها، تشبه رحلة الصياد مع الصباح وجعبته فارغة ثم تمتلئ على مهل بالفرّي والسمّن وربما البط والأرانب والحجل.

تشبه أيامي وساعاتي أيام الحاوي أومن يريد تسيّر الدمية، تسير أحياناً وتتعثر أحياناً أخرى فيتعب الحاوي ويتعب مسيّر الدمى وتصبح الليالي ثقيلة مظلمة بانتظار صباح جديد.. ويتذكر الحاوي من أنه لابأس عليه في حمل ابتسامة لا لشيء، بل لعله يوجد هناك شيء يستحق الابتسام.

وحشية العالم الجديد وضراوته بالطليعة الأمريكية لا تترك في قلوبنا ويومنا شيئاً للفرح أو الأمل ونحن أبناء عصر الخمسينات


Twitter: @ketab_n

وتطلعه لعدالة اجتماعية ولحقوق الشعوب الصغيرة وأنا طالما أذكر جملة سعد الله ونوس عندما قال - ان إسرائيل سرقت عمري -أيامنا تاج أسود ملئ بأشواك مسمومة نحمله على رؤوسنا وفي أرواحنا بعد عقد الخمسينات وعهد الآمال. حدث اضطراب في مسيرتي، حدثتك عنه في رسائلي السابقة. ألجأ إلى الصور والكلمات لأجد الحلقة الضائعة وأتعجّب. كان انتقالي من مكان السنوات كالسقوط في هوة عميقة. أتوقف باحثاً عن مصدر للنور وشق للفرح وغالباً ما أحلم بعش فلاحي من التراب على السفوح ومن بعيد الهضاب الوردية الناعسة المليئة بالسلام والبعيدة عن حس الزمن. وأحن إلى مكان طفولتي وأصدقائي وحكايات المساء. لماذا.

قرأت قبل أشهر كتاب- الجمر والرماد - ثم أنهيت قبل أيام الكتاب الثاني لهشام شرابي - صور الماضي - اللذان أرسلهما لي حليم بركات. تمتعت كثيراً بالكتابين وخاصة لصدق الكاتب في القصة الذاتية وبساطته في الكتابة والتعبير ثم ابتعاده عن موقف البطل المترفع العظيم الذي ورث المجد من الأطراف. إنها قصة أخرى من قصصنا الذاتية نقرأها بفرح وألم الزمان الذي عبر عنه هشام بعد مرضه ومواجهته لذلك الحائط المغلق في الألوان وهو يلتفت إلى الوراء وينظر إلى أيامه دون أسف ودون نصب يضعه لذاته بعد الترميم والتصحيح والحذف والإضافة والتنوير، هذا ما أعجبني وما فرحت به. كنت أريد كتابة رسالة له وأرجو ان ألتقي به يوماً.

وصلني كاتلوج نذير وقرأت النصوص. حاولت ان أفهم المقدمة. لم أفهم شيئاً. ذلك التذويق الكلامي المعطر المطّرد والمسيّر بعيد عن مفهوم الكلمة والخطاب والمناجاة. تصعيد جنسي بلا جنس، ويحنا. هل نكتب هكذا! ما أحلى الصمت والصلاة على النبي.



Twitter: @ketab_n

إن تجليات نذير مليئة بالشحنة الشاعرية وقد رأيت فيها وشاح التأمل العاطفي عندما تأخذنا شحنة أمواج الرؤيا للتفاصيل التصويرية. ولكن.. ربما كان من المستحسن الاكتفاء بتقديم - موضوعي - وكلمة نذير فقط.

هناك مشكلة ربما بحثتها مع نذير في وقته ألا وهي مشكلة البشرة للوحة، ان البشرة حاصل ينتج مع الوقت وهو ما نرى في اللحظات الأولى ولكنه يوجد تحت البشرة أشياء كثيرة من الأوتاد والأعصاب وكل ما ترسب وما هو خفي ولكنه ظاهر موجود في الرؤيا وما هو عنصر أساسي، أكانت اللوحة رقيقة المظهر في وجودها أو ملآ بالترسبات وإشارات الزمن. يجب على البشرة ان تكون متكافئة ومتكاملة في وجودها. ان (التعبئات) المادية قبل التشكيل بمواد (تأسيسية) بيضاء تبعد اضطراب لعثمة الخلق والصراع الدائم بين الشكل والمادة حتى (الوصول)(*) وهذا، حسب اعتقادي أمر هام في عملنا أكانت كلمة في جملة أو لون وفسحة في لوحة.

إن الظاهر معقول وجيد ولكن الباطن لا يقدم تلك الرجفة. ان هذا النقد من محب يتمنى إلى حبيب...الأيام المخمورة وعن الذاكرة والموت. نبحش حتى تقتلع الأظافر.. وإلاّ! .

هذه جعبة الصياد اليوم وربما عثرت على طريدة جديدة ، ان السمّنة أخت الشحرور فعاملها بالرفق إذا طالعتك بألوان الرحمة

مع حبي الكبير وشوقي.

**مروان**

---

(*) ثم الوصول إلى الإحتمال الأخير الممكن .. احتمال وقرار وضعناه . وثم وصول جديد .. ربما.



Twitter: @ketab_n

2003-02-20

الأمسية الثالثة.

أجلس لوحدي مع الزنبق وقطعة خبز وكأس خمرة.

إن أسوأ الممثلين على مسرح الحياة هم الناس، كل يحاول ان يقدم دوراً. دور باهت لا يجاوز العادة... يقولون ويتبجحون بأشياء لا تعادل حقيقة موت دودة في دورات الأرض ثم يذهبون إلى الفراش الخاوي مع أحلام لا تعادل انقراض الدودة في مخابئ التراب لتحيا الأرض من جديد. ليحيا الدود لأنه فوق انحطاط البشر وضحالة الأيام .

عدت إلى بستاني. رأيت عمل الأيام. توقفت ووافقت. كنت متعباً، ولكن منفتحاً بما يتعلق بالإشارات...لا ، ليست هي وسوف أبدأ من جديد مع انفتاح الأخاديد والنور....تأملت وأجّلت العمل إلى الغد. قاتل أو مقتول. سوف أعجن بيدي حلم الشرخ والظهور. كانت أمي تعجن الدقيق. تعجن وتعجن بيديها ونحن نحلم برغيف الغد. واللوحة رغيف الغد وعلينا الانتظار . وليس "الماكدونالد" وإنما قمح البوادي سهوب الجزيرة والشمال وحوران. ذلك الأفق الزمردي مزين بأحجاره السوداء. كل حجر شهادة وكل حجر تمثال منذ العهود التقطته الأيادي الجماعية ووضعته ببديهة الإنسان الأرضية في مكان سرة الكون.

هكذا يجب ان يكون. كم أتمنى ان أكون حجراً أو نبتة في



Twitter: @ketab_n

تلك السهوب. أتَذكر ذلك النحات في عودتنا من السويداء؟ لم يفلح في صرخته في أرضه الممتلئة بثقل التاريخ. وكيف عساه أمام ذلك الثقل وذلك الزخم، زخم التاريخ ومجد الحضارة ومسيرة الأيام والأشياء.

التواءات الشمال وانحرافات الوسط والجنوب ثم ذلك الأمل الحزين على الشفاه. نعم. هذا ما سأقوله غداً إذا كانت يدي بيضاء وجبهتي ناصعة وحلمي مغالٍ في توهجه نحو قلبي وقلمي.

رومانتيكي من القرن التاسع عشر يضع جملته وسط الانهزام وعصر العولمة وموت الفرد وطموحه بالعدالة وزهرة الحياة. زهرة الحياة! ماهي!

أعطني ذلك الانفتاح، أعطني حقيقة التفاح وزهرة اللوز ولون المشمش وعبق الأرض الندية وصورة أمواج الزرزور والعقاب والأرض السوداء المثمرة وترتيل اليمام. دعني أقول حرفاً جديداً بسيطاً كما كانت أمي تعجن الطحين وكما يتلذذ الإنسان الفقير بقطعة خبز وقليل من الزيتون والجبن.

هل أثقلت عليك يا عبد الرحمن؟ أناجيك، هذا فرحي بليلي وأنت الصديق

والآن سأعود إلى فراشي متدثّراً بأحلام الليل -

مع حبي وشوقي لكم جميعاً.

**مروان**



Twitter: @ketab_n

5/ 3/ 2003

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق

في هذا الجو الملبد بالهموم والاحتمالات الخطرة لا أعرف كيف أكتب إليك، إذ ان النفس مليئة بالشجن والكثير من القرف، خاصة من وضع عربي لا نُحسد عليه، فكل شيء يوحي بالانحطاط والعجز وأنانية الحكام وخوفهم، وبالتالي انسداد الأفق بحيث لا يعرف ماذا يمكن ان يحصل غداً أو ماهي الخطوة التالية.

في هذا الجو ربما كانت الشتائم وحدها القادرة على فش الخلق وليس حل المشكلة، ولأن الشتائم غير مسموح بها، أو لم تعد كافية، فإن الصمت أقوى وسائل التعبير، وهذا ما جعلني، رغم الوعود، أتوقف عن الكتابة طوال الفترة الماضية، ليس ذلك فقط، أحاول ان أعزم نفسي كل يوم لكن لا أجد الهمة أو ما يشجعني على الكتابة. يضاف إلى ذلك ان العجز الذي أشرت إليه لا يقتصر على الحكام أو الفئات الحاكمة وحدها، وإنما سرى إلى الجميع، وبحيث أصبح الخرس الطابع الذي يلف المنطقة وبشكل خاص المثقفين، إذ ليس لديهم ما يقولون أو يخافون من قوله خشية ان ينتقم منهم الحكام ، حسب المثل: "ما قدر على حماته التفت لمراته".

المهم ان الطبيعة خلال الأسبوع الماضي كانت أقوى من الجميع، إذ عبّرت عن عنوانها وقوتها بكل معنى الكلمة، ودمشق التي نعرفها لم نرها أبداً كما كانت في الأسبوع الماضي. مطر طوال



Twitter: @ketab_n

أيام، مع رشقات من الثلج، وحالة أقرب إلى الطوفان، خاصة في المنطقة الوسطى. أما بردى الفقير المسكين، والذي يستحق الصداقة والصدقة طوال السنوات الماضية، إذ كان أقرب إلى المتسول، بدا في هذه السنة عربيداً، إذ خرج من عزلته وتجاوز مجراه، وارتفع صوته وبدأ يتفلت وكأنه يريد ان يعارك كل ما حوله. الطبيعة قالت بعض كلامها، وليت الإنسان يتعلم من الطبيعة وأن يجاريها، لكن إنسان بلادنا تبلّد إلى أقصى حد، وأصبح عاجزاً عن قول كلام قوي أو كلام واضح.

قيل ان المياه وصلت من جديد إلى العتيبة، وربما إلى الهيجانية، ولا شك ان ملأت الجداول والغدران التي تتذكرها، وفجّرت ينابيع كثيرة كانت غائرة، وعسى ان تستمر هذه الحالة سنين أخرى قادمة. لقد تصحرنا وجَفت عروقنا يا مروان، ويبدو ان الدواء المطر، وها قد جاء هذه السنة. لو كنت في وضع صحي أفضل لحملت بندقية الصيد وذهبت مع مجرى بردى لأكتشف عالم الماء من جديد، ولا تعرف كيف تَحول المياه الأرض والأشجار، وبالتالي الإنسان إلى مخلوق جديد.

يقال ان موجة مطر جديدة ستأتي في الأيام التالية. هكذا تقول الأرصاد الجوية، فهل تقوى الأرض الجافة على احتمال كل هذه الأمطار والثلوج؟ لننتظر ونرى!

كنت أفكر ان أبدأ الكتابة في هذه الفترة لكن يبدو أنني سأمهل نفسي أسبوعاً أو اثنين قبل ان أبدأ. طبيعي هذا التأجيل نتيجة القرف والكسل والوهن، لكن هذه الأمراض يمكن معالجتها وأيضاً الشفاء منها، وسوف نرى!

غداً سوف تنعقد ندوة حول المعرض وسيشارك فيها "الزيات"



Twitter: @ketab_n

و"معلا" إضافة إلى "نذير". إذا وجدت لدي همة وصحتي ساعدتني سوف أذهب إلى تلك الندوة.

هذا ما لدي الآن، وسوف أوافيك برسالة قادمة سريعاً.

تحياتي الكثيرة، وبعد أيام سيبدأ الربيع، فإلى لقاء قريب.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

2003-3-3

عزيزي عبد الرحمن،

كنت أحب ان أرسل لك الأحرف المرفقة قبل أسبوعين، كتبتها في ساعة متأخرة مع كؤوس النبيذ وأنت تعرف ان النبيذ يدعو شاربه إلى بعض الخفة وحماس الكلمة. ترددت بإرسالها ولكني لم أرمها في السلة. أخذت بتغطية بعض الكلمات والجمل بالألوان عسى ان أحتفظ ببعض الصالح منها. ان آخر ما حاولت طمسه كلمتا - مجد الحضارة- شعرت بالعار والخزي لسخافة الكلمتين في هذه الايام ونحن أبعد ما نكون عن المجد والحضارة ولاشك ان المجد والحضارة يبكيان من ثقب التاريخ على مانحن عليه اليوم .

إني بطيء في عملي ولكني أحاول. أرأيت النملة الصغيرة وهي تحاول ان تجر الى دهاليزها قطعة من الخبز أو حبة تكبرها بأضعاف؟. يكاد الضحك يختلط بالإعجاب الكبير لذلك الدأب العظيم والجهد الكبير لتلك النملة التي لا تعرف الإحباط حيث يختلط الجهد بالواجب وغريزة الحياة والبقاء. ورد في خاطري أني أشبه النملة في هذه الأيام. أدور وأسحب وألتف وأعاود الكرّة ثم أعود وأحب وأظن وأتراجع وحبة الحنطة لا تتحرك من مكانها. الليالي قاسية وأحياناً مرعبة. ذهبت اليوم متأخراً الى مكاني وفي نيتي ان أقلب لوحة من الحجم الصغير رأساً على عقب أو أجعلها عرضية بدلاً من تصوري الطولي لها بعد ان أتعبتني وكنت أريدها في الأصل عند بدايتي فيها ان تكون غنائية زاهية في تصوّر القناع قبل شهر ونصف. رأيتها اليوم عصراً بعد نهاية الأسبوع. لم يؤذني شيء فيها.



Twitter: @ketab_n

تأملتها مرات ووجدتها محتملة. إطار أحمر وداخله الوجه بين الأصفر وظلال خضراء مع قليل من البنفسجي. وقّعتها على القماش من الخلف وشعرت ببعض الرضى يستطيع الكاتب العودة دائماً الى النص القديم ليحاوره ويعدّل به وليأخذ القرار النهائي، أما في حالة الرسام، في حالتي، فإن المحاولات الكثيرة تُدفن وتُطمر تحت البشرة الأخيرة ... وما طُمر دُفن تحت مخزون الألوان والمادة وبقي علامة للترسبات والجهود المستمرة للعمل وتصعيد. سوف أتوقف وأرسل هذا الكتاب اليوم قبل ان أغمره بـ(جداول) الألوان. مع الشوق. مروان

الليلة الرابعة

**03-3-14**

عزيزي عبد الرحمن، سألتني قبل يومين في حديثنا الهاتفي، فيما إذا كنت قد أنهيت اللوحة. لا شك أني تكلمت عن هذا في رسالتي السابقة. أحاول ان أكتب يومياً بعض الملاحظات عن يومي الفني إذا أفلحت. نظرت البارحة إلى الدفتر وراجعت بعضها. لا يوجد أحداث غريبة وعظيمة. مرآة متواضعة ليومي وقد رأيت ان أسجل لك بعضاً منها وبها جواب غير مباشر على سؤالك، وها هي:

18-12-2002 . أشعر اليوم بالهزيمة وبشيء سلبي يفوق الحزن ويغلق أبواب الأمل.

3-1-03 ان الوصول إلى ما وراء الشيء هو غايتي في الرسم وليس التقليد والبراعة، بل الخروج من المنظور المرئي إلى المنظور الخاص الوجودي والبراعة ماهي إلّا إحدى وسائل الوصول ومدادها.

20-1-03 وصلت الساحة. كان اليوم صحواً وبارداً. سمعت صراخ طير الزاغ يملأ المكان. توقفت ورفعت رأسي لدقائق. كانت


Twitter: @ketab_n

عشرات طيور الزاغ تقف على غصون الأشجار العارية ثم تطير دوائرها في مرآة السماء لتعود إلى الأشجار السوداء من جديد. رأيت في بقع الطير الأسود وفروع الأشجار تحت مرآة السماء الصافية لوحة شتائية للرسام "برويغل".

3-2-03 يحتاج ظهور اللوحة الأخير في أعمالي إلى خرق الحدود وكسر المعتاد. ولهذا أسلك طريق "سيزيف" لأنه لعملية الخرق طريقها ولا يأتي من البداية ولهذا ألجأ إلى (التخريب) باستمرار بسبب عدم الرضى، وعن طرق هذا التخريب المستمر تظهر لي اللوحة مع الوقت كما أراها في السعي المستمر، محتملة في لحظة الاختراق. ولهذا فإني أسعى إلى جانب التصور بالخيال، التفكير المستمر بواسطة المادة وخلالها، ثم خلال الزمن عن طريق المعاناة المستمرة والمكررة حتى الوصول إلى الظهور والاحتمال الأخير.

18-2-03 أحاول العمل رغم الفراغ. كلما أحس بالوصول، أكتشف بعد وقت قصير بأن علي البداية من جديد. واليوم أيضاً. جئت وكلي أمل بأن أنهي العمل وأن أسيطر عليه. فشلت.

20-2-03 وصلت (البستان)(*) وكان أول ما فعلته رؤية ما رسمته البارحة طوال النهار وكنت قد قدرت فشله عند غروب الأمس. المادة لزجة والرماديات مع الأصفر والبني الأحمر تغلب على اللوحة. رأيت في ذلك معقولية واحتمالاً. وقعت اللوحة على ظهرها سوف أرى .

27-2-03 جاء اليوم الثاني وتأملت اللوحة وما فعلته. لم أرض. بدأت بالتغيير من جديد... أصبحت اللوحة تشبه إصطبلاً خرباً عجنت ألواناً جديدة وأخذت أحدد اتجاهات الفراغ بضربات الفرشاة


Twitter: @ketab_n

وكثافة اللون ومادته كمن يضرب السجاد أوقات (التعزيل) في ربيع دمشق. توقفت مرهقاً وعدت إلى الدار، و لم أعِ ما فعلت وما حدث وبقي لي فقط الأمل بأني اخترقت الحاجز .. جئت البستان من جديد. أوصلت العمل إلى حد يمكن المكوث عليه .

3-3-03 بدأت قبل أكثر من شهر لوحة صغيرة نسبياً. حاولت ان تكون طازجة وإشارة إلى فكرة (القناع) المأخوذة من لوحة الصديق أو الغياب. بدأتها بالأزرق النيلي الخفيف خلفية وإشارة إلى الفراغ ثم الوجه بألوان الأخضر والأصفر وبعض البنفسجي داخل الإطار الأزرق. بدت لي خفيفة ودون قرار واضح. عالجتها عدة مرات من جديد وكان حجم اللوحة الصغير يوقف انطلاقاتي على الدوام، كانت المحاولة الأخيرة يوم 28-2. غيرت العمل باستمرار حتى أخذني الإحباط والحزن. قررت ان أعود إليها نهاية الأسبوع، اليوم وأن أرسمها عرضياً بدل الطولي، دخلت مكاني وتأملتها سريعا، بدت معقولة وممكنة. أنظر إليها الآن وأنا أكتب بين لحظة وأخرى. أرى أنها تستحق ان تبقى كذلك كما هي. فرحت. سوف أقلب وجهها تجاه الحائط وأرى من جديد بداية عمل آخر. لو كان عندي قماش قريب من المربع من أجل عمل القناع. ان نسبة الارتفاع إلى الطول تلعب دوراً هاماً وأشعر بالقصر أو الإحراج الكبير بالعمل إذا نقص العرض أو الطول بعض السنتيمترات. كمن يريد النوم على فراش ضيق أو قصير!

4-3-03 جاءت الشمس وعبرت نافذتي اليسرى إلى جدار الرسم. قررت بعد ان جندت شجاعتي، العمل على لوحة القناع الكبيرة والرديفة للعمل الصغير. إنها الأولى لهذا الموضوع . من أصعب الأمور العودة إلى عمل (مزهر) يكاد يكون منتهياً بعد وقت.


Twitter: @ketab_n

عملت لساعات، والآن وقبل ان تبدأ العتمة أنظر إلى العمل . بدى واقعياً ويشبه أعمال السبعينات إلى حدٍ. أتروى. ربما تركته هكذا. جاء الوشاح في مطلع السبعينات وكان في أواخره مرتبطاً بفكرة الفدائي. وفكرة القناع جاءت من لوحات الغياب أو الصديق وكان مصدرها الشهيد المحمول. وهكذا، يصبح وشاح الشهيد بالحطاطة حول رأسه دائرة تحيط بالأذرع وجه الشهيد وهو في مركزها كوكب. اخترت لهذا الغرض ألوان الأصفر والأخضر ثم البنفسجي وبعض البنّيات. سأحاول في الأعمال القادمة ان أقوم بعملية (الترسّب)

6-3-03 استيقظت رغم تعبي بنشوة لا أعرفها إلّا نادراً، شعور بسعادة مطلقة وكأني أنصهر بوجد مع العالم والأشياء. ظهرت لي باقة أرضية من السمرة تفوح بالعطر والنور. عيناها نصف مغمضتان ومليئتان بالفرح المطمئن. عانقتها والتفّ ساعداي حول الرأس الحبيب، إطار مستدير حول ينبوع للحب والأيروسية الفريدة، صورة أزلية للعطاء وذلك الوجه الأسمر والعينان الناعستان المليئتان بالإشارات، إشارات الوجد والذوبان في جسد وروح الآخر .

10-3-03 يوم الأحد ذهبت إلى (البستان) وأنا مليء بالأمل في تغيير لوحة (القناع) الكبيرة التي أرسم عليها منذ مدة. رأيت ان أغير الشكل وأن أحصر الوجه مثل باقة تحت التفاتات من الرمادي الأزرق. عملت لساعات ثم عدت إلى الدار حيث رسمت بعض المخططات لكي أفهم عملي بالقصبة مع المداد والمائي. شعرت بالرضى وأنا أرى العمل ينفتح أمامي وفرحت بالغدِ .

ذهبت بعدها إلى مطعم "جول فيرن " حيث عملت موعداً مع مصطفة الحج إبراهيم ليطلعني على عمل حول صديقي عبد الرحمن منيف. شعرت ببؤس وإرهاق أخذا قواي ونمت بشكل سيء .



Twitter: @ketab_n

عملت قليلاً ثم جاءت الشمس أمشاطاً على حائطي منعتني عن العمل .

أريد ان أجن على القماش مع خيالي ومادتي لآتي (بالعمل) كما تصورته البارحة .

11-3-03 غيوم بين الألماسي والبرتقالي الخفيف تغطي السماء وتفتح أحياناً فرجات للزرقة الناعسة. رأيت شحروراً يقف أمام سيارتي عند الصباح. منقاره أسود. إنها أنثى. وصلت (البستان) وحاولت جاهداً ان أتابع في خيالي شكلاً وألواناً جديدة أنسف بها ما عملت البارحة وأنا في طريقي إلى هنا. بدأت بتتبع خطوات البارحة. أدركت أنها طريق مغلقة دون وثبة أو خطأ مقصود وهذا من أصعب الأمور إذا كان الخطأ (شريفاً) وآتيا من الجهد و(الصورة) . وضعت حدوداً جديدة غيرت بها كل ما كان حتى اليوم فغيرت مواضعها مع الفراغات. يبدو لي العمل أقرب ما يكون حتى الآن من (قصد). سأتركها هكذا. سوف أنتظر. المطر رذاذ.

12-3-03 مادة الرسم وانسيابها على القماش تشبه تحضير العجين مع نَفَس العجّان العامل كي يخرج الرغيف طازجاً ومتكاملاً. نظرت إلى لوحة البارحة التي اعتقدت أنها قد تكون منتهية. ظللت أتأملها طويلاً وأنا أعمل بعض الدراسات. قررت، وقبل العتمة ان أعود إلى بعض أجزائها وخاصة خلفيتها لوجود تضارب بين الوجه (الباقة) والخلفية. يلزم الوضوح والإصرار وخاصة فيما يتعلق بالفراغ لإظهار الوجه بالنور المتخيّل في ذاكرتي .

13-3-03 اللوحة تشبه أحجار الدومينو، إذا وقع حجر وقع الباقي. عملت بحماس على الخلفية فأصبح الوجه غريباً. عدت إلى كامل اللوحة ورسمت بسرعة وحماس قبل دخول نور الشمس. أعتقد



Twitter: @ketab_n

أني أنهيت اللوحة (القناع)، بعد ان أخذت موقفاً واضحاً .

مع حبي وأشواقي وإلى لقاء قريب .

**مروان**

31-3-03 بقيت أعمل على لوحة (القناع) أو (الموشح) خلال الأيام التسعة الماضية. كانت تأتي وتغيب باستمرار وأنا بإصرار دائم وفشل مستمر. كلما بدت غابت بجلالة كبيرة وكثيفة من الألوان والاحتمالات غطّت ما كنت ما كنت قد رسمت. جئت قبل البارحة ثم البارحة. نهاية الأسبوع لأرى طبقات السطوح والأشكال ولأحكم فيما إذا كان علي ان أبقيها هكذا. بدت لي وكأنها خريطة الخراب والاغتصاب والحزن، كأنها وجه العراق المغتصب من هولاكو الجديد جامعاً حقد التتار والصليبيين وجشع وحش الشمال. قلت لنفسي لأعطيها عنواناً مؤرخاً : يوم هجوم الوحش على بلاد الرافدين من الأرض والسماء، نهاية الأسبوع الثالث من آذار... أو ربما وجه العراق.

هذا حديث اليوم يا عبد الرحمن، وكما تعرف أو يعرفه الرواة فإن للحديث بقية ولكنه لا توجد نهاية لشوقي لكم.. وأنا معكم أنظر إلى العيون المُحبة.

**مروان**

---

(*) أعطى صديقي سعيد مرسمي المؤقت اسم (البستان).



Twitter: @ketab_n

03-4-14

عزيزي عبد الرحمن،

الشمس ساطعة صيفية. جئت (الحوش) الصغير متأخراً. تجرّأت و بدأت الرسم على لوحة كبيرة. مثل زمان أوّل. رائحة التربنتين تملأ المكان. رائحة محبّبة وأولى في الذاكرة الحسية التصويرية. قيل لي قبل سنوات بأنّ تلك الرائحة تأكل الدماغ. الوقت متأخّر لعمل الحسابات الدماغية وإذا كان كذلك فإنه الحساب وعلى الأقل أحسن من ان يؤكل الدماغ بأمور ومسائل أخرى وكما يقول المثل كل عنزة معلّقة من كرعوبها.

دخلت الشمس جداري وراحت تتحرك على أقسام اللوحة، مشاعل نور. مثل مسرحية يحلو تأمّلها ولكنها توقفني عن العمل وهكذا جلست لأكتب لك. وكما أنّه عندما يأتي الرسم يسيل المداد وبدونه تأتي غصّة صامتة وجافّة.

حدّثتك البارحة وخلطت كلمة الشهود بالشهادة والشهداء. اعتراني بعض الخجل وحاولت معرفة الأصل وعلاقة الشهادة والاستشهاد والشهيد... تعثّرت قليلا رغم إمكانية الاسترسال وإمكانية ربط الشاهد بالشهيد وقد يكون الشاهد من أمثالنا على الاغتصاب شهيداً بسبب اللوعة والقدر الكبير من الغضب والأمل ثم الإحباط، وعليه، فإنّ هفوة اللسان التي لم أكن أقصدها، ربما كانت في محلّها في الوقت الذي تموت فيه ذاتنا ولا يبقى إلّا ظلال بلا معنى نتأمّلها بغباء بين الصحوة والنوم والجدار.



Twitter: @ketab_n

كانت والدتي تحذّرني باستمرار. كانت تقول لي: إسمع ياولدي، إسمع يا مروان، إيّاك ان يغري بك جامع الملابس القديمة الذي ينادي بالحارات عن الملابس القديمة للشراء... إيّاك ان تذهب معه حيث يأخذك إلى داره ثم يذبحك ويضع دمك في قارورة له ولأولاده كي يشربون من دمك وتختفي أنت وهم يعيشون بدمائك. حدثت 67 وبعدها أحداث... وهم يمتصون دماءنا وذاتنا حتى جاء الذبح الأخير آذار 2003 وهو المذبح الأخير ومستنقع العرب الذي يُدفنون به ويسبّحون بحمد الله دون أمّ . يا ويلي ولو تشوف عيونك يا أمي شو صار فينا.

كتبت لك في رسالتي السابقة بعض ملاحظات الأيام عن ساعاتي في (البستان)، أحببت ان أكتب، أو أحاول ان أكتب ببساطة بعيدة عن التزيين أو حتى أنها تقترب من ما يسجل حسابات اليوم بعد البيع والشراء وأسماء من استدان عند المساء بشكل يقترب من العادية وشيء من البلادة. واليوم أعقب تلك الرسالة ببعض الإشارات التي تلت ما كتبت لك.

13-3-03 . كما قلت لك، اللوحة تشبه أحجار الدومينو، إذا تحرك حجر سقطت كل الأحجار. عملت بحماس على خلفية اللوحة. تغير الوجه وأصبح غريباً. عدت إلى كامل اللوحة ورسمت بسرعة وحماس قبل دخول الشمس على حائطي. وضعت لوحة كبيرة بيضاء كستارة أمام الشباك لتساعدني قليلاً فيما يتعلق بضوء الشمس. أعتقد أني أنهيت العمل بعد ان أخذت موقفاً واضحاً.

14-3-03 . أعمل هذه الأيام بعض الدراسات عن فكرة القناع بالألوان المائية على ورق بشكل سريع وجديد نسبياً عملت البارحة واليوم بعضاً منها على ورق رخيص. أشعر بالاطمئنان وأن



Twitter: @ketab_n

شيئاً جديداً على طريق الوقوع. ان ما يشغلني في هذا الأمر، وقد أصبحت الفكرة إلى جانب القناع، وجه الشهيد أو الغياب، أمر التعبير حيث لا أريده ان يكون (أدبياً) وصفياً بإشاراته بل ان تتحول تلك الإشارات إلى قضية الرسم واللوحة رغم المصدر الأول الذي جاء، شأنها شأن أعمالي كافة. ان أكثر ما أكره في التصوير، الحديث الأدبي الوصفي الكتابي على حساب الفن، فن اللوحة بخصوصيتها التصويرية الملتزمة، وإذا جاء المنبت، فعليه ان يكون تلميحاً من صلب العمل وهو يعطي بذلك للناظر المتأمل أمواجاً متكررة ولكنها جديدة ومختلفة دائماً... طريق نسلكها ونتشعب في ذاكرتنا بعدد لا ينضب من الرؤى بأثواب جديدة.

21-3-03 . كلما وصلت إلى اقتناع في عمل فني في أثناء العمل المرير، أعود في اليوم التالي لأرى نقصاً أو أطمح في تغيير كي أصعّد العمل. (انتهى) عمل القناع أو (الموشح) في الأسبوع الماضي وكنت مرتاحاً. أعدت النظر أياماً ومراراً قبل ان أتشجع وأقرر تعديل بعض أطراف اللوحة الصفراء مع السواد. غابت اللوحة ثم عادت طوال يوم البارحة. جئت اليوم ورأيت احتمالاً معقولاً إلّا... وبدأت من جديد حتى جاءت الشمس. شعرت بالخيبة. أنظر إلى العمل وأرى الاحتمالات الممكنة.. ولكن الغوص في هذا العمل الدبق يشبه من يغوص في مستنقع ليُخرج درّة.... ما أصعب الوصول إلى الدرّة!.

(تلامس الشمس بقع اللوحة فتبتهج ببهاء عظيم... لو قدّر لي الإتيان بهذا الشعاع!...



Twitter: @ketab_n

2003 /7/26

العزيز مروان

تحيات كثيرة وأشواق أكثر

أعتقد ان الصمت الذي لزمناه نحن الإثنين طوال الشهور الأخيرة له ما يبرره، فهذه الحرب الحمقاء من قبل أميركا، وذلك الضجيج الذي صدع به النظام رؤوس الناس، ثم النتائج التي انتهى إليها، كلها أسباب كافية لأن يغرق الإنسان في الصمت، ويتأمل ما حصل، والشفاء من هذا الإحباط الذي أعقب الضجيج، بحيث يمكن بعد ذلك التقاط الأنفاس مرة أخرى ومعاودة سير الحياة كما كانت، أو كما يجب ان تكون.

لم أستطع خلال الفترة الماضية سوى كتابة مجموعة من المقالات عن تاريخ العراق المعاصر، كمحاولة للتماسك، والزعم بالمشاركة. حتى القراءة التي تعودت عليها خلال السنتين الماضيتين أثناء المرض فقدت لذّتها وفائدتها، وأصبحتُ عازفاً عن القراءة إلا في حالات قليلة ومتباعدة. يبدو ان حزيران سيكون حياتنا كلها في المستقبل المنظور، فقد افتتح حزيران 1967 هذه الدراما التي لابد ان تتكرر بين فترة وأخرى، وتصبح أمنية ان تبقى هكذا بعيدة المنال.

قد تكون الكتابة، والغرق في رواية جديدة حلاً، كما الحال بأن ترسم، لكن "عبقريتي" تتجلى هذه الأيام في ان ابتعد عن الورق الأبيض، في ان لا أقرب طاولة الكتابة، في تأجيل كل شيء لوقت آخر، مما يولد المزيد من الحزن والشعور بالإحباط، وبالتالي تتعقد



Twitter: @ketab_n

الأمور أكثر، لا أدري كيف الخلاص من هذه الورطة التي تبدو كأن لا نهاية لها في الفترة المنظورة، ولكني سأحاول!

أقدر ان ظرفك لا يختلف عن طرفي، ربما أكثر قليلاً، وكأن قدر علينا ان نبقى نلف في هذه الحفرة الضيقة إلى ان يستوعبنا القبر الأوسع! لا أدري.

إنني أقيس على نفسي وما فعلت فيّ الحرب الأخيرة، آخر أم المعارك، لأن العراق والمنطقة كلها بدأت تدخل في نفق ليس له نهاية، وكأنه مكتوب عليها ان تبقى كذلك قرناً آخر وإلى ان يستطيع العربان ان يمتلكوا زمام أمرهم، إذا ظل لهم زمام!

اليوم وأنا أكتب إليك قلت لنفسي أنني إذا لم أكتب اليوم فلن أكتب لفترة طويلة من الزمن، وهكذا انتزعت الورقة البيضاء من مرقدها وبدأت أهذي، وفي النهار أيضاً.

لا أريد ان أثقل عليك أكثر، أو ان أسوّد الأيام أكثر مما هي سوداء، في الوقت الذي أقول لنفسي، نظرياً، ان الفنان، أياً كانت الوسيلة التي يستعملها، في وضع أفضل من الآخرين، لأنه يستطيع ان يعبر، ان يقول ما يضطرب في عقله وقلبه ويخرج بنتيجة يراها ماثلة أمامه ويمكن ان يحاكمها، بينما الإنسان العادي يأكله الكرب ويفتك به الألم دون ان يقوى على قول شيء، والتعبير عما يحس به. هذه مجرد فرضية وربما لا تكون صحيحة لكن الإنسان يرتكز إليها كمحاولة لما يحس ولما يمتلئ به من أحزان!

العزيز مروان

أكتب هذه الرسالة السريعة فقط لكي أقول لك أنني ما زلت حياً، وأن لدي رغبات واحتمالات، وربما استطعت ان أترجم بعضها إلى كائنات حية، وعسى ان يتم ذلك قريباً أو في فترة منظورة.



Twitter: @ketab_n

سأكتب إليك في فترة قريبة لاحقة، وأتمنى ان تكون رسالتي القادمة أقل تشاؤماً.

مع تحياتي ومحبتي، ورجاء ان تسلّم على الأصدقاء، وهنا الجميع يسألون ويسلّمون.

**عبد الرحمن منيف**

ضمن حالة القلق وانتظار ما سيأتي أريد ان أرسم، لو كنت قريباً لأزعجتك بمحاولاتي الفجة، لكن نظراً للبعد أريد ان أرسم الآن، وبحالة من النزق، وأترك لك ان تعطيني الصفر مكعباً، لكن للأسف.

تخطيط بقلم ابو عوف

أخي مروان

حالة من القلق الشديد تنتابني هذه الأيام، ومن أجل ترويضها والسيطرة عليها لا بد ان نتعاون في أكثر من مجال، وإلى ان أكتب إليك، وأن أسمع منك، تقبل تحياتي الحارة.

**عبد الرحمن منيف**



Twitter: @ketab_n

ما يزال أملي ساعي البريد وعلامات الرسائل فيما إذا كانت من مصدر غريب أو من صديق بعيد نادر ... ويا ندرة ما أنتظر. ربما كانت أو لم تكن. لا أعرف، رسالتك الأخيرة .

ركبت السيارة وأخذت اتجاهاً آخر لا فرق فيه والاتجاهات الأخرى ، إلاّ أنه ليس التي الاتجاه الذي عرفته سيارتي منذ حوالي 30 عاماً تقريباً، إذن لا فرق هناك إذا كان الاتجاه شمالاً أو جنوباً. لا أعرف متى فتحت الظرف. لم أعرف أنه منك. رأيت خطك وأسرعت في إغلاق الرسالة وإعادتها إلى الظرف كمن يتمتع بحبيبته أو زوجته النادرة عندما رأى رجلاً قريباً فأسرع بالحجاب ليغطي جمال الحبيبة بالخمار خوفاً عليها. قلت والله لا أفتحه إلاّ في مكان آمن وخاص. كان ذلك في الماضي وكان في مرسمي السابق وكانت طقوس السيجارة (البرتقالية) والشاي والطاولة البنية المستديرة الصغيرة حيث العالم على يميني ورائحة التربنتين على شمالي وأنا أتمتع بقراءة حروفك، حروف العزيز عبد الرحمن .

وضعت كتابك في كرّاس ثم قضيت بعض الأمور. ذهبت إلى المستودع الذي أصرّ سعيد بتسميته البستان بعد ان قلت أنه دكان. صرت أكره ذلك المكان منذ أسابيع ولهذا حديث آخر. فتحت الباب وجلست على الكرسي مقابل الطاولة وأخرجت رسالتك من الكرّاس بعد ان خطفت نظرة إلى لوحة كنت أتمنى لو أنها انتهت - أعتقد أني أستطيع الوقوف عندها - ثم أسرعت بقراءة حروفك. فرحت. نعم



Twitter: @ketab_n

فرحت لأني أعرف ذلك الجهد الكبير في كتابة حرف أو حتى إمكانية التصور بحمل ذلك الشيء الثقيل الساخر : القلم وتسطير حرف ثم حرف وحرف آخر. ولهذا فرحت لك وفرحت لي، قرأت الرسالة. قال لي إنسان بعد ان سألت اليوم عن "عمر السيد جبر جد علي قاق" ، بأنه ليس كبيراً.. ولكن قتلته الكآبة، كآبة الوطن وكآبة الأحداث. كنت أخاف ان أكتب لك عن أحزاني وبالأحرى عن مخاوفي. مررت في الأسابيع الأخيرة على بعض عتبات جهنم وكادت تلك المخاوف الرمادية البشعة تقتلني دون شرف ودون رجولة المتنبي حين قال قتلتني.. الخيل والليل والبيداء... دون خيل وبيداء ودون سيف ودون قلم! حتى عرفت أنها الكآبة السوداء ورفضت الحبوب وتركت بعضها للعتبات الزلقة بين بين ودخلت إلى نفسي وقلت، فإذن، فإنه عليّ الصعود بقوة الروح والعقل. ولكن أين الروح وأين العقل دون السيجارة البرتقالية ودون التنباك!؟ لا أعرف لماذا قررت يوم التاسع من أيار الوقوف عن التدخين... وحتى اليوم. ربما كان هذا انتقام من النفس وأنا أتغنى ساعة بعد ساعة بمجد (الشقراء) وحسنها.

كانت صديقتي في الكتابة والرسم وكانت صديقتي في الحديث وفي أيام المحن. كيف أكتب بدونها! كانت النجمة وكانت الخمرة في مكان القمر. كانت (قبلاتها) تسعفني وتسعدني كنظرة حبيب في أمسية دمشقية في أيام الشباب : بدأت في صفحة كتابة مرتجلة عن ذكراي عندما دخنت السيجارة (الأولى وكان عمري 15 أو 16 عاماً). كانت سيجارة الجمل وكانت في المزة. قال لي شاب لا ، ليس كذلك يجب ان تشفطها إلى الأعماق. فعلت ذلك ودار الكون دورته حولي. هبطت. كانت تحتي صخرة صغيرة نزلت بجسدي إليها


Twitter: @ketab_n

ونظرت بعين سكرى إلى العالم . رأيت هضاباً وهضاباً ثم هضاباً سكرى بعد المزة على اتجاه قطنا ورأيت جملاً أشقراً عربياً يعربياً يمشي خبباً. واليوم:

واليوم أقول آخ يا مروان آخ، كان الجمل يعربياً فصار أمريكياً. كانت القبلة الشقراء الأولى لي. ما أحلى التتن بعد نصف قرن من الزمن، وما أحلى الأحلام إذا أتت وقت الصحو ولكن لابأس عليها إذا جاءت مع الظلام لأنها تعطي بشكل خفي أسرارها ليوم جديد نحمله على أكتافنا.

ولكن لأعود إلى الحديث عن رسالتك. فرحت فيها كثيراً وهي لم تزد على كآبتي من جديد. أشعر بألم قاتل. سألت فارسيّ شاب عن علاقته ببلده إيران فقال شبه معتذراً بأن ذلك أمر بعيد حيث ترك بلده قبل 23 عاماً. فقلت لنفسي وأنا! لقد تركت وطني قبل نصف قرن تقريباً، فهل نحن مريضون بحب الوطن!. نتألم كثيراً يا عبد الرحمن ومأساة اليوم التاريخية والسياسية أفظع وأخطر من مأساة 67. وإذا قال سعد الله ونوس في ذلك الزمن، لقد حكم علينا بالأمل، فماذا نقول نحن اليوم! يكاد يكون الأمل صعباً في تصوره اليوم حيث يقترب الأمل من العدم ولكن لقد قال لي صديقي عبد الرحمن دوماً: إذا ماخربت ما بتعمر. فليكن هذا أملنا : من الخراب الكامل إلى العمار.

حدثت نفسي ، وأنا في السيارة أيضاً ورسالتك في كرّاس ،أن لدي اقتراح في كتابة رواية جديدة لك. فنان....الصعود، لون خاص من التصور الوجودي والشهادة البيوغرافية... حوادث وأحداث خاصة... السقوط... النظرة إلى الخلف... شيء من المعرفة...الرضا مع المقارنات بالقرائن.


Twitter: @ketab_n

نصف الليل، سأتابع غداً لأخرج ربما من الفوضى المحببة إلى الفوضى المنتظمة

**2003-8-6**

يوم جديد درجة الحرارة القصوى في ألمانيا كانت 42 درجة. الأمل هو ان يتحول الشمال إلى صحراء والجنوب إلى جنة خضراء يسعى إليها عمّال الشمال للعمل وكسب الرزق! كان (عالم بلا خرائط) عملاً مشتركاً بينك وبين جبرا.. ألا ترى إمكانية جوهرة عمل جديد دون امرأة أساسية إلا قضية الكاتب أو الفنان. نعرف نماذج كثيرة قريبة منا وربما كانت بعد سفري أقرب لك، مثل ناظم الجعفري ونذير نبعة أو عدد آخر كبير تعرفه أنت في العالم العربي.. أو أنا وتخلط بين الجميع لتخرج بإنسان جديد : قوة الوحدة وانتصار النفس في الإبداع دون الآخرين مع الأفراح والانتصارات وتبرير الوجود إلى جانب الحرج وحتى الفزع في حالة الفراغ والضمور حتى تنبت بذرة جديدة تذهب معها آلام الخوف و الفزع وهكذا تسير الأيام مع الأحداث الأخرى الخاصة والعامة التي تعكس أخلاقية جيل ومآسيه مع أحلام الشباب في عالم أخلاقي عادل وجديد.... وثم تسير الأيام ويسير الكاتب والفنان معها ويأتي الخوف من (الآخرين)، تتغير الأعراف ويبدو لنا خطأ شخصي، بأن الآخرين يجاوزون النصب... أعني نعود بعد فترة الحدود الجديدة التي علينا ان نتجاوزها لنبدأ من جديد وكأن شيئاً لم يحدث. اجلس يا عبد الرحمن وتصور : هناك المتفائل الفاشل مع الزمن والمقهور.. وهناك من يتحدى الرب والحجر ويسير.

أعني، وأني أتصور بأنه بالإمكان اليوم، لك ولي، ان نعطي صورة عن جيل في صورة الفنان مثلاً أو بالأحرى في صورة فنان



Twitter: @ketab_n

معين نأخذ تفاصيله مثل الموزاييك من صور كثيرة متعددة لأشخاص نعرفهم بالواقع والخيال، وأنت الكاتب الذي يجعل من هذه الموزاييك عملاً كاملاً ونادراً. هذا ما قصدته البارحة في كتابي في منتصف الليل.

أخاف ان أثقل عليك بحزني وكآبتي عندما أكون كئيباً وحزيناً وأنت تخاف أيضاً.. إذن، لنتحدث عن الكآبة والحزن لننتصر عليهما. مرت عليّ أسابيع ثقيلة لم أعرف لها مثيلاً في حياتي ونصحني الطبيب بأخذ بعض الحبوب (النافعة). أخذت بعضاً منها، حبة أو حبتين وشعرت بنفسي كالنائم دون سرج. قلت لا. وإذن فعليّ ان أتغلب على الكآبة بالروح والعقل وتركت الحبوب، عرفت بعض أسباب كآبتي وتحسنت حالتي وكما ترى فإني أكتب إليك.. مثل أيام زمان.

تأخرت الدار وتأخر المرسم ووقفنا في حيرة كبيرة وسوف نضطر إلى اللجوء لبعض الحلول الموقتة، للبيت حديقة. جلسنا نحتفل بها مع العمال حسب التقاليد الألمانية في العمار وهو أنه في حالة نصب السقف يجب إقامة احتفال بطقوس. رأيت ظلاً على زاوية سقف الدار، ظل من قصّ خشبة مثل تمثال لطائر كبير. أمعنت النظر. كان الطائر الصامت الواقف طير (الدلم) ، تعجبت وتابعت عيناي الطائر لمدة تجاوز النصف ساعة. لم يطر وكان يقلب رأسه قليلاً لينظر باتجاه الحديقة، لم تكن المسافة بعيدة ولا تجاوز 15 متراً. أنت تعرف يا عبد الرحمن مدى خجل الدلم وحذره وحتى في ألمانيا. لم أترك الطائر للحظة وتأكدت بأنه جاء يحمل رسالة لي، جاء ليبارك لي المكان. ربما حبيباً أو روحاً في صورة الدلم من مكان بعيد. فرحت.



Twitter: @ketab_n

يشبه مرسمي المحراب مع ثلاث نوافذ من السقف. أتمنى اللحظة التي أجلس فيها بجانب طاولة صغيرة مع النور لأعيد لنفسي توازنها ولأنظر إلى قصاصات الورق، قصاصات الأيام التي بدت وكأنها ضاعت مني وكأن نفسي ضاعت معها، إني متفائل ويسكن قلبي بعض الفرح وكثير من الشوق لكم. سأكون في عمان في مطلع أيلول وسوف أزور دمشق... لأكثر من مرة. وماذا عن زيارتكم لعمان؟. مع حبي لسعاد وعزة وليلى وهاني وياسر.

مروان

أعني، وأني أتصور بأنه بالإمكان اليوم، لك ولي، ان نعطي صورة عن جيل في صورة الفنان مثلاً أو بالأحرى في صورة فنان معين نأخذ تفاصيله مثل الموزائيك من صور كثيرة متعددة لأشخاص نعرفهم بالواقع والخيال. وأنت الكاتب الذي يجعل من هذه الموزاييك عملاً كاملاً ونادراً. هذا ما قصدت البارحة في كتابي في منتصف الليل.

أخاف ان أثقل عليك بحزني وكآبتي عندما أكون كئيباً حزيناً وأنت تخاف أيضاً .. إذن، لنتحدث عن الكآبة والحزن لننتصرعليهما.

مرت عليّ أسابيع ثقيلة لم أعرف لها مثيل في حياتي ونصحني الطبيب بأخذ بعض الحبوب (النافعة). أخذت بعضاً منها، حبة أو حبتين وشعرت بنفسي كالنائم دون سرج. قلت لا وإذاً فعليّ ان أتغلّب على الكآبة بالروح والعقل وتركت الحبوب. عرفت بعض أسباب كآبتي وتحسنت حالتي وكما ترى فإني أكتب إليك.. مثل أيام زمان.

تأخرت الدار وتأخر المرسم ووقفنا في حيرة كبيرة وسوف تضطر إلى اللجوء لبعض الحلول المؤقتة. للبيت حديقة. جلسنا نحتفل بها مع العمال حسب التقاليد الألمانية في العمار وهو أنه في حالة



Twitter: @ketab_n

نُصب السقف يجب إقامة احتفال بطقوس، رأيت ظلاً على زاوية سقف الدار، ظل كمن قصّ خشبة مثل تمثال لطائر كبير، أمعنت النظر، كان الطائر الصامت الواقف طير الدلم، تعجبت وتابعت عيناي الطائر لمدة تتجاوز النصف ساعة. لم يطر وكان يقلب رأسه قليلاً لينظر باتجاه الحديقة، لم تكن المسافة بعيدة ولا تتجاوز 15 متراً. أنت تعرف يا عبد الرحمن مدى خجل الدلم وحذره وحتى في ألمانيا، لم أترك الطائر للحظة وتأكدت بأنه ربما جاء يحمل رسالة لي، جاء ليبارك لي المكان، ربما حبيب أو روح في صورة الدلم من مكان بعيد. فرحت.

يشبه مرسمي المحراب مع ثلاث نوافذ من السقف. أتمنى اللحظة التي أجلس فيها بجانب طاولة صغيرة مع النور لأعيد لنفسي توازنها ولأنظر إلى قصاصات الورق، قصاصات الأيام التي بدت وكأنها ضاعت مني وكأن نفسي ضاعت فيها، إني متفائل ويسكن قلبي بعض الفرح وكثير من الشوق لكم، سأكون في عمان في مطلع أيلول وسوف أزور دمشق... لأكثر من مرة، وماذا حول زيارتكم لعمان. مع حبي لسعاد وعزة وليلى وهاني .. مروان



Twitter: @ketab_n

## الرسالة الأخيرة

عزيزي عبد الرحمن،

أناجيك كثيراً وأفكّر بك كثيراً ويحملني الشوق والحنين للتصوّر بأنّي مقيم معكم في زاوية ما في دمشق. بيت ترابي يكون بيتي وبه مرسم وبعض الكتب وعندما ينادي المؤذن لصلاة الغروب أحمل ذاتي وأتوجّه إلى داركم مع الأمل والرضى.... أو تسيرون الهوينة مع ما بقي من ذاكرة الصّيف وروائح الياسمين والليلكي حتى تصلوا البيت الترابي، بيت الأخ والصديق المشتاق مروان... تكاد البذاءة تتغلب على آدابي مع الورق لأقول ... هالحياة. لماذا نحن بعيدون.. ربما ما أقوله هو رومانتيكية الساعة المتأخرة وعالم برلين بين العواصف وبعض الثلوج والليل. ولكن لا. إنّ شوقي لترابي كبير كبير ولو سمحت لي ظروف المداد والورق وقدرة البوح لقلت إنّي أحبكم وأتمثّل فيك خُلاصة الوطن والأرض والعطاء وأراك جزءاً وكلّاً من أرضي وترابي وذاكرتي تشعّ عيناك بالنور والسؤال المستمر، من ذاكرتي لهذا الوطن المباح وذلك التناقض الهائل بيننا وبين الواقع وحضارة الإنسان. ولكنّنا أعطينا ما قدرنا عليه دون سؤال أو انتظار إلّا الحب والتفاني والسؤال. ارتبطنا بالإنسان ومصيره وارتبطنا بأرض تسمى أرض العرب.

وهكذا، وكالعادة أشطح في البوح مع الحروف والسطور والورق الأبيض دون فكرة سابقة إلّا الرغبة في اللقاء معك على هذه المادّة العجيبة، الورق، المداد وسيران الروح في لقاء صديق قريب قريب وأراك جالساً في بيت نذير وأنا أحاول بجهد التقاط ما تُشعّ به



Twitter: @ketab_n

عيناك من إشارات الوجود بنور حبيب يشع بثبات وإرادة عن كلّ ما جاء منك بآلاف الصفحات والفصول. ليتني قريب منك هذه الساعة لأحاور ببصيرتي وألواني التقاط بعضاً مما يأتي منك وأنت كالصخرة الملساء المنوّرة ما بين نجد وعمّان وبغداد ودمشق وفي بطنها ينابيع الإنسان.

لأرجعْ إلى غرفتي، إلى حدودي وإلى مرسمي. لقد بدأت العمل رغم جدّة المرسم وبياضه. الأبيض مخيف أكان ورقاً أو حائطاً أو قماشاً. جاءت بعض بقع اللون على الأرض... وكل من سار على الدرب قد يصل.. إلى أين! إلى حلم رافقنا في بطن الأمّ. من نحن وأين ينتهي الكون!

هناك الفرق الهائل بين الصنائْعي المهني وبين من يحاول السير في الأنفاق ليصل إلى بعض نقاط انفراج النور. طريق عسيرة صعبة ولكنها لذيذة وتستحق ولكن ما أصعب الوصول إلى الزهور والنور وبعض شقائق القناعات ولكنّنا نقف مع إعياءٍ شديد لنشق الطريق إلى شهادة جديدة وما أصعب الطريق المفروشة بالأمل والخيبة ونحن نسير بين الأشواك وحنظل الروح.

إن مرسمي جميل وهو يشبه صومعةً ومحراباً يشعّ بالنور الأعلى وهو مثل فراش الحبيبة في يوم اللقاء الأول يلامس حبّات النور... و مسيرة الألوان وتياهِها في أخاديد المادة حتى تلتقي من جديد مع نجوم الضوء وصراخه ليصمت في مساحة جديدة وإيقاع مجيب. أشعر بالأمل أحياناً مع بعض الاحتمالات من حديقة الماضي حيث عليّ ان أبحث عن مصادر الينبوع والانفتاحات. وإنّ ما يشغلني كثيراً، لعن الله المادة، الالتزامات الكثيرة بسبب البناء والقروض، ومن الطبيعي ان يكون هناك قليل من العيب عندما أتحدّث عن هذا



Twitter: @ketab_n

الأمر بعد حديثي عن (الصورة). وصوّرناكم بأحسن صورة.! هل هذا من القرآن أم أنّه ارتجال مني! لا أذكر، ولكن لابأس بذلك.

أعمل الآن على لوحة انعكاس ثلاثية وتواجهني مشكلة النور... يا للتعنّت!. كان مرسمي يجلب لي النور من اليمين وأنا أحمل المرآة عندما أرسم... يا له من تصوّر رجعيّ، الضوء من اليمين .. والآن يأتي الضوء من أعلى وعليّ التكيّف مع هذه الحالة، حالة النور ومصدره!

هذا مصدر كتابي لكم اليوم وسيكون في المستقبل مصادر أخرى. المهم هو النور، النور والفسحة لأرواحنا ونفوسنا مع حبي الكبير لكم.

**مروان**

**2003 أو بداية 2004**



Twitter: @ketab_n

# ملحق

## رسائل بريشة ورسم
## مروان قصاب باشي

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

٢٥-٤-١٩٩٩

الغالي عبد الرحمن، بعد السلام والمرحبا مثل ما كانوا أهل أدلب يقولوا وأهلا ما بعد الأهل أبعث في كلمات الشكر الطريح على أغاني الشيخ إمام، أحييكم بتجربة نضال إيجابية تضيء مرات من أغنية أرض السواد أرجو أن تحظى بإعجابكم الكبير وإعجاب أهل الذوق والمعرفة في بلاد العرب.

(ضاعت الفكرة
على هوسه الصفحة
فتلهيت بالرسم)

والحقيقة أن الفكرة
لم تعتمد على الطريق وتكن الريشة مرونه وهي لم تعد تملك العطف والمرونة والحب وأصبحت مثل الجحش الذي لا يريد السير رغم الضرب وهكذا ألجأ إلى القلم رغم تعلقي بالريشة وأنواع المداد التي أصنع بعضها بنفسي .. ونحن على أبواب القرن الجديد وعجائبه الكاوباوية البربرية من طيارات وصواريخ وأدربا الكلب الصليبي المطيع للقارة الجديدة خلف حميط الغلمات في تنفيذ حقوق الإنسان على طريقة حقوق الأكراد في تركيا وحقوق الشعب العربي في فلسطين وما أحلى حياة الكلاب عند أهل الشمال، ما أغلى الإنسان. عندما يجأث الرجال والنساء يسألون آباءهم لماذا صمتوا أو صدوا مع النازية يأتي الجواب بأنهم لم يكونوا يعرفون ... وأنا أقول لرجال اليوم أنتم تصفقون وتهللون (للقنابل والصواريخ الإنسانية في حرق الشرف والدفاع عن حقوق الأقليات الإسلامية المذبوحة) شتان بين شأن آبائكم من النازيين أو على من ساروا معهم بيأس وحماس وفرح .. أشعر يا عبد الرحمن بكثير من الغضب واليأس أمام وحشية أمريكا والعالم الجديد اليوم

(ولا ننسى انتقام ألمانيا في يوغسلافيا عما لحق بها في الحرب العالمية الثانية والمقاومة العظيمة بعد أكثر من نصف قرن)

Twitter: @ketab_n

١٩ - ٥ - ١٩٩١
حاج م

عبد الرحمن! لقد انتهى الاحتفال وأول ربيع حتى الحرارة وتكيل حتى اللوعة جاء كالبلسم وفيه بعض الملامح الجديدة والجميلة كما أرى جاء الزمان يبعثنا وحتى تحاول أن تلاحقه كيوم ساعات (الغياب) هل تذكر أن حروفي الأخيرة في كتابي السابق كانت رمزاً عبراً عن أحاسيس الغياب التي تنتابني. ثم أصارح أو أبوح بها بالكثير من الحكمة وشفقة [illegible] لبيك لبيك يا عبد الرحمن و[illegible] كما تعرفه في حفظ الكلمة وحروف الوجه. لقد كانت فكرة الجمع عن نعيم إسماعيل وفريد من عبد القادر والقارئ الدهشيات وعند أحجيتي الفكرة من سرعة خواطري ساعات طفولتي وبعض مراكزها الهامة من [illegible] (أذاكر) [illegible] دمشق إخوانها الذين خلقهم من تراب وبين ذلك (البلدان) الأول حادة وعاشوا وأخذهم (الغياب) دون أن تعرف كيف [illegible] عدا ذكرى طفل [illegible] يموت على سرير خشبي للأطفال في زوايا الأزقة وعلى أطراف الدكاكين يتكلمون الأيام ويتذكرون الغياب وهم يتذكرون الله وراء المجدرة في الأعياد وما يتركون به أصل البرغل [illegible] من [illegible] الله والحنين على الكراعيب والقلب [illegible] وكما تحب [illegible] مشهد [illegible] تتجاوز هذه الأفكار فكرات جديدة وهامة.

الوعد عند الحدود، ولقد كنت تحرجت بما فيه الوعد برؤياي في برلين [illegible] الإيطاليا وأحب أن أخرج [illegible] الصغير الذي يعادل الشوق [illegible] أن تجد من إيطاليا طريقه الشمال إلى برلين في [illegible] عام [illegible] منذ ٤٦ [illegible] ومنذ [illegible] وحبة [illegible] كانت [illegible] كبيرة [illegible] ومن [illegible] بالتأكيد [illegible] تستعمل [illegible] اللياقة [illegible] نعيم [illegible] أنت [illegible] رسالتك القصيرة حتى تنتهي! [illegible] أحببت [illegible]
وأحب من نفسك، مروان.

الحب يا عبد الرحمن [illegible]
[illegible]
وستكون ثم أيدي [illegible] - [illegible]!

تحدثكون الرسالة القصيرة مثل الأكلة البايتة !

بدون تاريخ

يا صباح الخير يا حماة، وإن شاء الله صبح
عربي بالصحوة على البنى واليوم صوبان يوم
العيد أعاده الله علينا أيّ جانب القوى بالحب
والإبداع مع أفراح الصغار والكبار وعلى مصبح
الشام بلاد الحريات وخصوصهم وشركاتهم الصهاينة
وأتباعهم أيا كانوا شرقيين أم غربيين، وتعص
هذا أقدم لكم بمسمى الطاهر كالصفوة أحمله
صباحًا وخارجه صباحًا خارجه (اللؤلؤ والمرجان).
والأمر هكذا، نعبر التفكير الحرفي والمشافي سن
يوم البعث والإحصر، أن يكون كتاب السيرك
(العمانية) أقرب منه إلى الملوك لتكون فيه أسهماتي
غريبة واتجاهًا نحو الأعلى نحو الخاتمة البكرى بكلمات
حلوة من المبدع (الكاتب صاحب الوعد والأوكسجين)
عبد الرحمن منيف صديق الأصدقاء وصديق
الرسام مروان.
هذه الفكرة الأولى ولكن يمكن التحرك بها نحو الكتابة
أو باتجاه الشرح بعد محاولات نظرية وأعلن في
موسيقية تأتي من الروح والإيمان.

أيام الغضب في حماة
مروان أعتذر منك.

ولهذا يقترح مروان أن تكون شرائط النقش
بعرض ١٢ × ١٢ كي أتلمسها مع العيون والرسومات
بهدي الكتاب حيث تكون موصلة للعين والقلب
والحرم محمودًا ضيا الطبقة العربية وحضرًا لأهل الكتاب
ومثقفًا للمستقبل ليقتدي به الشباب وحمد الله.

Twitter: @ketab_n

اليوم هو الثامن من آذار ١٩٧٤

الصديق عبد الرحمن، كثيراً كثيراً ما كررت هذا المقطع (وهو ما يقال عنه (المناجاة)). والمناجاة تملك قطعاً من العادة الداخلية، وهي بين المحادثة الشخصية والدخول بسرعة إلى ذكريات وتقسيم أفكار وقت عمر اليوم البارحة والتأكيد على أحاسيس بسيطة تأتي بالتداعي وسريعاً تأخذ معنى تجريدي وأكثر إغراقاً. واليوم - غروباً - وبعد استراحة قليلة وبداية (مناجاة) جئت إلى الريشة والحبر والورق لأسجل دون سابق تفكير خطة بسيطة مما يجول كداعياً بين عيني وقلبي، بين برلين ودمشق. مثلاً: هنالك الطيور الرحالة والطيور المقيمة أو المستوطنة. ومن الطيور المستوطنة المقيمة طيور مقيمة متنقلة مكانها في دار أو سطح أو في شجرة صغيرة لا تتركها إلا لتتقفز على بعض الأغصان وحتى خلال تلك الأغصان ترى إنها كاملة. تحن هذه الطيور بين حين وآخر لتكون طيراً جوالاً بين أخرجها والشال البعيد ترى من السماء الهضاب والسهول، ترى القرى والمدن وترى البراري والغابات وترى البحار والأنهار وتعود خرقاً وربما إلى (بيوتها) الكثيرة. وسريعاً ما يعود ذلك الطير الصغير إلى عالمه (الكبير) ويشعر بالرضى بحلمه أو بالأحرى برؤيته العالم من خلال عينه الصغير. وأنا أشبه يا عبد الرحمن ذلك الطير المستوطن وعندي بيتي عشي في برلين وهي (دمشقي) وكم أحلا برلين أو دمشق هي مرسمي وهو العش الحار حيث (عزلتي) به عاماً بعد عام القسط الأكبر والمهم من حياتي بكل ما فيها من اليومية المعتادة والأمل والمتاعب والفرح والحزن.

إن أجمل رحلاتي النادرة هي دمشق حيث يعود الطفل الرجل إلى مدينته الأم وعند أخذت دمشق طريقها كما أخذت طريقي والمدينة لها حكمة حياة كما للإنسان. في دمشق أستقر بالحنان وأكتب والغربة أيضاً. وأعود إلى برلين غريباً من جديد. وليست غربتي اليوم كغربة الأمس الطفل بل إنها غربة جديدة كبعدين عن الشواطئ المعتادة حيث يوجد الظل ونسمات الأمل الفرحة. أحاول كل جهدي في الظروف المذكورة أن أكسب توازني من خلال الرسم وإلزام أو خصمه حيالاً فأكد صديقي هو الحزن وقليلاً من اليأس والقنوط والشعور بالانعزال التام. لقد عدت من دمشق بشعور الغربة المذكور ثم أن مرضي لازمني في برلين وأحاول منذ أيام الرسم بشكل محموم لأكسب شيئاً من الاطمئنان والتوازن.

وقد تعوّد بعد أخيه أم شبيهة أو آخر بشرية .. ولعله
كان ذلك إنعام الماضي ؟ أو ربما قبله كان أن صمّم
قويًا ؟ .. أتعرف حدود التصميم ! .. تصورت أنه كان
جبانًا .. ولكن هذا الكلب .. مع اتجاه الريح .. وفجأة
.. لقد كان خنزير بري ... هل رأيت بحيرة ذلك الوحش
السكين ؟ أتفهم ذلك ! وتكونوا كأنه مسطحًا من الألمنيوم
وأنا أعرف ذلك ، لقد كان الجدي .. ثم وقفنا .. أتعرف
وتفهم هذا .. أليس كذلك ..... .

أراد المتحدث الوقوف للذهاب إلى الحمام . بتعثر وجهد
كبيرين بعد استناده إلى الطاولة والاستعانة بالكرسي
والحائط استطاع الوقوف بعصبية جهيدة وهو ينفخ
مقعده المتلاشي على عكازتيه تحت إبطيه وذهب زحفًا
أكثر منه مشيًا إلى المقاهي ثم عاد ليتابع روي
مغامراته في أطراف القارات حتى وصل إلى ألاسكا
والقطب الشمالي ولم يبقى فيها طويلاً حيث عاد
من جديد إلى أفريقيا ... وسوف أترك لك أيها
الصديق القارئ إملاء الفراغات وتكملة النواقص
والواقع يبقى الأقرب إلى المستحيلات ! .

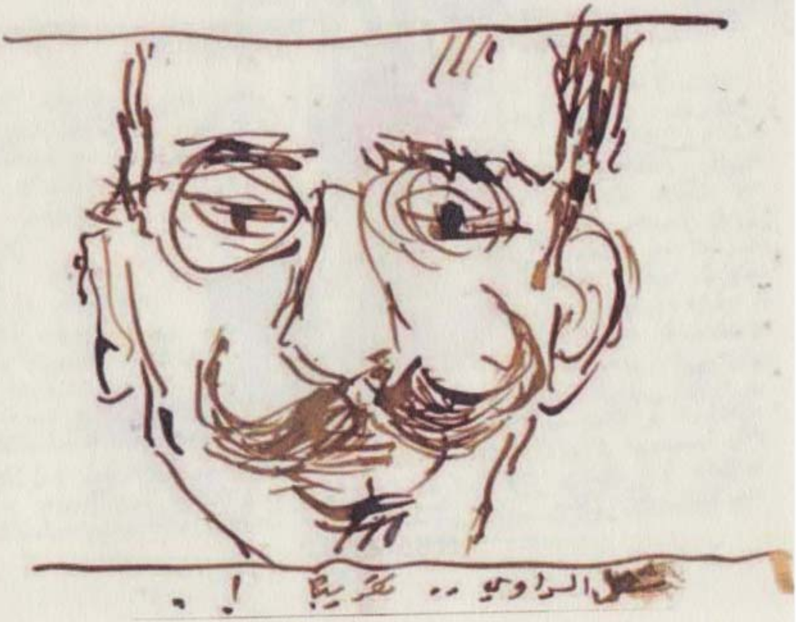

شكل الراوي .. تقريبًا ! .

ولكي لا تبدو رسالتي خفيفة فإني أرفقها بوردة
الزنبقة . لقد حاولت اليوم أن أضع عقلي في يدي
بدل رأسي وأن أعمل مائية لكي أتمكن من الحصول
على المفتاح وكما يقول الإنسيون فإن الشهية
تأتي مع الطعام والعمل مفتاح النقد والنقد
مفتاح الفرح والفرح مفتاح الخروج والخروج مفتاح
الحياة .. ويرجى التفريق بين الفرح وما به ذلك
كتابة دون معنى آخر [illegible]
المتوالية [illegible]
لحديث الشريف. موقع آخر ودور يأتي في محله .

وأرجو أن يكون أمد الحكم [illegible]
وحتى اللقاء في مطلع رمضان . مروان

- المزار -
أو
القبر
كما يراه المستلقي
من الداخل .. أو
القاطن في سرار المقبرة
واجهة عبر نافذة
الموت .

كنت أنظر من نافذة الطائرة وهي تعبر مضيق جبل طارق بقوة وحرارة حيث دارت كالشراع دائرة نصف قطر هبوطها مطار طنجة. كان على اليمين الخط الأزرق اللامتناهي لمحيط الظلمات ومن اليسار خط أصفر كالح لامتداد رملي مع نقاط خضراء من أشجار الصبار المزروعة دون انتظام ومع نقاط أصغر منها وهي لحيوان الماعز أو البقر. أخذت الطريق من المطار في اتجاه الجنوب نحو أصيلة وقلبي يخفق بقوة ولكن بعذوبة أيضاً وأنا أرى لأول مرة أرض المغرب. لم يطل الوقت حين بدت في انعراج الأفق خطاً زبيبياً يتلألأ كالقلادة على المحيط. قال السائق: هاهي أصيلة من بعيد. كان هذا عام ١٩٨٧. دخلنا المدينة وقد سحرنا بمنظرها الزكي من أزقة صغيرة مطلية جدرانها بالكلس وأرضها بالنيلي مع محلات البيع الصغيرة وخصوص البيوت المتلاصقة بأبعاد أتعمقت بسقوفها كالحكايا التي تسمعها بالخيال والقلب معاً. بجنان تاريخي يتموج بين الأندلس وتجاه أفريقيا، بين البارحة واليوم وأيام زنقاتها تحمل أعلام التاريخ مثل ابن رشد وابن عربي والكندي وابن خلدون مراكشي والحمامة المطوقة.

Twitter: @ketab_n

— أ [illegible] لمعرض لوكريسيه [illegible] — ٢٠٠٢

Professor Marwan Kassab-Bachi
Atelier: [illegible]dorfer Straße 25 · D-12159 Berlin · Telefon & Fax. 0049 (0)30 852 36 67
[illegible] Bayerische Straße 8 · D-10707 Berlin · Telefon & Fax. 0049 (0)30 885 46 31

جنوب الجزيرة والشمال وحوران . ذلك الأخضر
الزمردي مزيّن بأحجاره السوداء ، كل حجر كشهادة
وكل حجر كمثال منذ العهود المتعطشة الأيادي الجماعية
ووضعته ببديهة الإنسان الأرضية في ذاكرة الكون ،
هكذا يجب أن يكون ، كم أتمنى عزيزي أن أكون حجراً أو
نبتة في تلك السهوب . أتذكر ذلك الشتاء
في عودتنا من السويداء ؟ لم يفلح في صرخته في
أرضه المشتعلة بثقل التاريخ ، وكيف عشناه أمام
ذلك الثقل ذلك الزخم رغم التاريخ [illegible]
[illegible] ومسيرة الأحلام والأشياء ،
أحاوله
لعقود الشمال والأرياف الوسطى والجنوب ثم
ذلك الأمل الحزين على الشفاه ، نعم ، هذا ما أحاوله
عندما إذا كانت يدي بسطها وحبيبتي ناصعة وقلبي
مغال في توهجه نحو قلبي [illegible] وقلمي .

وربما تسألني من الفن التاسع عشر يغني جملته وسط
الإنهزام وعصي العولمة وموت العرف وهمومهم بالعدالة
وزهرة الحياة ، زهرة الحياة ! ما هي !

أعطني ذلك الإنفتاح ، أعطني [illegible] ،
حقيقة التفاح وزهرة اللوز دون المشمش وعبجة
الأرض الندية وصورة أمواج الزرزور والعقاب والأرض
السوداء المثمرة وترتيل اليمام . دعني أقول حرفاً جديداً
بسيطاً كما كانت أمي تعجن الطحين وكما يتلذذ الإنسان
الفقير بقطعة خبز وقليل من الزيتون والجبن ،

---

هل أثقلت عليك يا عبد الرحمن ؟ [illegible]
[illegible] وأنت الصديق ،
مع حبي وشوقي لكم جميعاً ، مروان 20-02-02

marwan

عزيزي عبد الرحمن،

إن كتابة رسالة إلى صديق تماثل [illegible] ويقترب منه
وإذ تقاعس الفكر يولد [illegible] الرسائل، واليوم،
الرابع عشر من شباط قلت [illegible] المساء وحيداً بعد أن
أنهيت دجاج البارحة بالرز وجلست [illegible] البهار والصنوبر
أني سأكتب لك. تذهب [illegible] أيام الاثنين
إلى درس العربية الفصحى و[illegible] النحو وقواعده
بهمة كثيرة وهي لا تساعدني إلا [illegible] الرجل وأفكار الصغير
الطيب وأين التاجر الكبير ... [illegible] أكلة لوحدي وذكرني
طعام اليوم بالرز المحشي والأوزي [illegible] ما نقترب من الطبخ
والرز والقشعة من [illegible] أيام الغربة تجعل
الاستعداد (!) ويبعث [illegible] أن كتابة
الرسالة والاستمرار بها [illegible] الإخطار لوحدها
تشبه رحلة الصياد مع [illegible] ثم مستلقية على مهل
بالعزة والسمنة [illegible]

---

تشبه أيامي وساعاتي أيام الحادي أو من يريد تسيير
الدمية. تسير أحياناً وتتعثر أحياناً أخرى فتتعب الحادي
ويتعب مسير الدمية وتصبح الليالي ثقيلة مظلمة بانتظار
صباح جديد ... ويتذكر الحادي من أن لا بأس في
ابتسامة أو شيء بل لعله يوجد هناك شيء يسعد الإنسان،
وهي العام الجديد وقدراته بالطليعة الأمم يكفي ليترك
في قلوبنا ويعطينا شيئاً للفرح أو الأمل ونحن أبناء نهى
الخمسينات وتطلعه لعدالة اجتماعية ولحقوق الشعوب الصغيرة
وأنا طالما أذكر جملة سعد الله ونوس عندما قال: إن
(إسرائيل سرقت عمري). أيامنا تراجع أسود على أشواك
مسمومة نحمله على رؤوسنا وحتى أرواحنا بعد عقد الخمسينات
وعهد الآمال، حدث اضطراب في مسيرة حد تنازل
عنه برسائلي السابقة، ألجأ إلى الصور والكلمات لأجد
الحلقة الضائعة وأتعرف، أن انتقالي من مكان
النطاق كالسقوط في هوة عميقة. أتوقف باحثاً عن
مصدر للنور وشعور للفرح ولا أبالي ما أعلم بعض ملامح من
الزمان على السفوح وحتى بعيد الهضاب اللازوردية الكائنة
الملتقية بالسلام والبعيدة عن قسر الزمن. والحق إلى
معاني هذرلتي وأصدقائي وحكايات المساء.

Twitter: @ketab_n

٤ - ١٠ - ١٩٩٥

عبد الرحمن، ما أصعب البعد مع لهفة اللقاء والشوق. إنه انشغالي الدائم بالكتاب يمنعني أو أوقف بريق نحو الكتابة لك كما أشتهي وأتمنى. وكما في كل ما أكتب قصاصات أتوقف في منتصفها دون إكمال والقول لنفسي غداً. وأنت تعرف أن لكل قصاصة وقت ونفس وحيث ومن الصعب إكمالها بعد أسابيع أو أشهر، إن تخونني بذلك

هو الكتاب على حساب المناجاة والأفكار الشخصية التي طالما أحب أن أتقاسم معك بها.. أنت فتحت هذا الباب يا عبد الرحمن! وغداً يكون الجنين شاباً مثل أبو زيد الهلالي يأخذ طريقه لوحده بعد (يوم العرس) ومع البهجة العظيمة.
لقد بدأت الأشياء العملية وفيها أيضاً وأحياناً بعض الارتباك واتخاذ القرارات النهائية وكل ما فيها من مسؤولية كبيرة. كم أتمنى أن تنتهي هذه المرحلة لأتفرغ لأشياء أخرى... وربما لبعض الكتب الصغيرة الخاصة ... خارجها المشتركة أيضاً وأنا أحلم بهذا.

لم يترك لي الوقت وقتاً كبيراً للتفكير بالوضع الخاص وأحوال اليوم والزمن مع أنه بعد عشرة أيام سنسافر إلى سوريه وقد انتقل خرج الطلبة الكبير بهذه الرحلة لي دائماً صبت بالعروق ويهمني اليوم خرج كبير أيضاً وسوف تكون لدينا الوقت الكافي للقاء وخاصة الأيام الأخيرة وهو ٢٧ - ٢٨ تشرين أول.

ذكرت لك مرة أني أهديت شرق المتوسط لأصدقاء ووجدت الغلاف غير مناسباً ولهذا خططت ما تراه أعلاه أرجو أن يكون على إعجابك كما أني أرسل لك بطبعه السلاية للذكرى.
وأرفقه لك (قصاصة) كنت قد بدأت بها قبل أسابيع وسوف أجد القصاصات الأخرى. هذه رسالة سريعة وللتعود على الكتابة من جديد.
تحياتي لسعاد وعزة وسعادتي كبيرة باللقاء القريب.
مروان

Twitter: @ketab_n

جاء الصباح والصباح ، باح ؟ أتفضلا بالسيدة
(وأعلنت) عن اعتذاري لمشاركة السورية الأساسية
في مهرجان بيروت الثقافي وعن حضوري .
سأرسل (النهايات) بعد أيام وقد جاءت الفكرة
بما يتعلق بالقصة المجوسية للحب وسأنفذها قريباً (جداً)
وتبقى رواية الجسر بانتظار (الإشراقة) إن شاء الله
كما أنه وردت لي الفكرة الأولى لأرض السواد وهكذا
ترون بأنه من جهة وجد ومبدأ لو أرسلتم لي
كتابة - أرض السواد - كالعادة لتكون تحت
الاستنفار في حالة أني استيقظت وأحسست.
بإلحاح الفكرة وجمال العمل ، أليس كذلك! نعم!

العمر سعيد والعمر المشتاق
مروان

Twitter: @ketab_n

عزيزي عبد الرحمن ،
الساعة الآن بعد منتصف
الليل وقد عدت لتوّي من طعام
العشاء بعد أن زرت جبارة ومارلين
وعمتهما مع أولادهم، أو بالأحرى بناتهم لارا و يارا، زرتهم
قبل أسابيع وقد تعرفت بارتياح كبير بفرحهم وطاقة (طفولة)
جبارة مع تواضعه وصدقه . نوع من سعادة نادرة تقربني
من ارتباط (عاطفي) أصبح نادراً وأحنّ إليه . نوع من الدفء
والحرارة والارتباط ، الارتباط الذي أصبح بعيداً ونادراً
والذي أحنّ إليه وخاصة مع، أو بعد أيام الرماد ،
لا أعرف ماذا حدث لي بعد عمان ، أهو أيام الفراغ أم
تنبعث الحروب الصليبية الجديدة بعد ألف عام ومقاومة
عالم الشمال بذلك الازدراء والحقد وتأكيد ذلك بغربة
الحضارة وتحدي الشعوب الجنوبي البدائي ... قتلني لون
الرماد وشعرت بالفراغ حيث ذهبت المعاني والآمال ولم يعد
للون معنى وضاع الخط مع ذرات الرمال .
كتبت منذ أسابيع بعد أحلام الضياع — حتى إن حلم الضياع
شيء رائع لأنه مجدي ومحبة ! — كتبت وكأنني أشعر بأنني
جذع شجرة هرمة تتكسر فيها آلاف الأوراق التي تحملها حتى
تصبح صفحة تسقط على التراب ، فتعود إلى أصلها وتصبح جزءاً
منه . وقلت ، إذن ، لأرسم هذا الساقط وعلقته على الصفحة
ما علق على ... ١٠/١/٢

أفكر في عمل غلاف جديد لشرق المتوسط
إذا سمحت لي الظروف بذلك .. وخاصة إذا
كان الناشر إلى جانب المؤسسة المركز،
العربي ..... سنبقى على اتصال (وثيق)
وخاصة لأعرف عما حلّ بأولادك العطر
وأنت واقفاً على كاسيون مشرف على كامل
البقاع وبطاح فلسطين، مع حبي وشوقي
وكما ذكرتُ لك على الهاتف، سترجع

حليمة إلى عادتها القديمة
وحتى ذلك الكتابة،
مروان

Twitter: @ketab_n

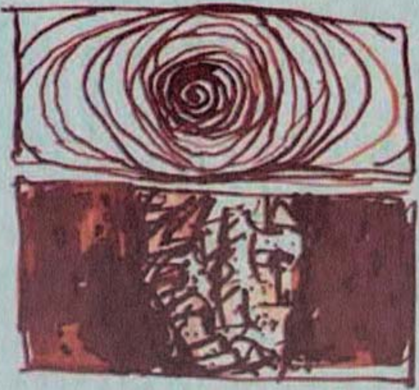

هل أثمر خمر المثنى وهل
يحمل الزيتون وهل يعم الفرح
قلب العامة مع الطنابر
والدراجات (والطقطوقة)
و~~لسكط~~ والأكابر يذهبون
إلى الزيتون بقبعات البيس
بول وقوارير الكوكاكولا
البلاستيكية وأكياس النقود
السورية إلى جانب الدولارات
في الجيوب الداخلية الخلفية
حيث (المقعد) والشوفور
وأبو فلان .. والآخرون
يرضون (أحيانا) بنعمة
الله والهواء الملوث
والجانرك والسيارات الرديئة
بما بقي من أشجار مليئة
بالغبار والخبز سبحان
الله وأخيرا يا عبد الرحمن
سمعت البارحة شيئا لا أريد
أن أنقله لكم والمثل
يقول من لا يعرف البخور
بتحرق طيزه! وذلك
جاء لتعديل جديد (!!).

Twitter: @ketab_n

ربما كان سبب تمهلي في الكتابة لكم هو تمهلي في
الرسم. لم أستطع أن أفتح الباب الموصدة رغم
المحاولة... وإن الأبواب الموصدة تقفل العين والقلب
وتؤلم الروح فيصبح الأفق رمادياً ويفقد الأخضر
طعمه ولا تنفع المواساة... جاء الليل وعسى
أن تكون رسالتي هذه لكم مفتاح للأبواب اليوم
وغداً. جاء الليل وسوف أذهب منه محملاً أنامه
حبي وشوقي لكم مع تمنياتي برمضان والأعياد رغم
ما قاله المتنبي عيد بأية حال عدت يا عيد... ولكن
أعيادنا ستأتي وأنا أعرف ذلك.
مروان

Twitter: @ketab_n

لا الله لا لا لا آ عرب

٦-٦-١٩٩٦

جاء الخميس الكاذب
ثم عقبه آخر يا عبد الرحمن
فقلت لا بأس ، الخميس الثالث ثم مر شهر
أو أكثر وقلقت عليك ومن هذا الانقطاع .
واليوم جئت إلى المرسم وكان هذا الخميس ، الخميس
الصادق برسالتك المطولة والتي جعلتني بينكم .
لقاء هام أحن إليه .

إن فكرة النظر إلى نعيم إسماعيل من جديد فكرة هامة
وواجب فني وشخصي لأن نعيم لعب دوراً هاماً وصادقاً
في سنوات خلقه الحركة تكفل للأب وقد أنكر الأصل البلد
فضله وتحديثه وإن شخصية نعيم وتصرفاته ارتبطت
بشكل رهيب بأعماله الفنية وتطلعاته . فيالله يا عبد
الرحمن ، أبداً وأنا معكم وسأقدم ما أستطيع ذاكرة وفكراً
لهذا العمل وخاصة السنوات النصف من الخمسينات .

أما عن المواجهة الثلاثية كما اقترحت ، وأثر مجاز
لبنان ، فإنها فكرة جيدة تسعدني وقد تكون مرآة
واحدة بثلاثة وجوه جديدة لطلعة بعيدة عن العراق
القبلي رغم أنني أقول أنها موجودة في تحاموسلع الراكرلية
أولاً ، بصفته ونُدرة عاملتين . وكما ترى ، فأنا أحكم
وربما نتظر إشاراتك لكل هذه المشاريع الجيدة وخاصة
إذا تحدث عليها من طرفي ويا (حبذا) . والآن أحب

أن أرجع إلى مدينة
الأي شعرت
بتراجع مثل أو نحو
من الحذر . لقد
اختمرت الفكرة في
تصوراتي بشكل جدي
وتشغلني وأنا أرى
الكتاب ( الغادر )
أمام عيني . إنه بي
كبير . سوف
يكون حدثاً فنياً
أدبياً وسأقوم
أيضاً بتصميم الكتاب
يا عبد الرحمن لكي
يكون نموذجاً في
المكتبة العربية ...
فدعنا نشرع في الإنجاح
دون تأخر ، أو
كما تقول دون تردد
ولا نقطع الثمرة
ونتركها مختبئة كنز
الأرض أو صامتة
في القلوب .

اليوم هو الثلاثاء يا عبد الرحمن ، والناس يقولون يا رايح للحج جيب معك حجر . بدأت أشعر بنوع من القلق فيما يتعلق بصحتك ونفسك لأنه مرت أيام الخميس الكثيرة دون أن أتلقى منك رسالة أو أشدة منك . إن أيام الخميس المذكورة هي أيام الخبز والفطام الروحي عندما أتلقى الظرف بخطك الرصين ، فأصعد الدرج خرجاً متفائلاً ثم أضع حاجياتي على المقعد وأضع رسالتك على الطاولة الصغيرة التي تذكرها وأنا أعاند لذة بفتحها دون طقوس الانتظار الحبيب ثم أشعل سيجارة وأقص طرف الظرف بحذر قبل أن أبدأ بالتهام سطورك مرتين . وكما ذكرت إنه الفطام الروحي يربطني بتراك وأرض أحبها من خلف جوانب وعبير هو الشهادة وهو العزاء ، يعيد الثقة ويمنح السلوى ويعطيني بعضاً من القوة الداخلية والأمل لأرسم لكم ولي وبعض القناعة أن ما أعمله قد يكون لبنة ضرورية لي وللآخرين ، فأشم رعشة يداي وعيناي التعب والحزن لأستبدله ببعض النشوة والغضب . كانت أيام الثلاثاء والجمعة تعني لي منذ سنوات طويلة يوم لقاء أحبه ، أنتظره وبيعطي ترتيل اليمام وأغاني الشحارير معنى فرحاً خاصاً وعصوراً كأكفاكه العسلة الكبيرة ، ولكن ، ومنذ زمن تغيرت الأيام وأبدلت الساعات الحزن والذكريات المريرة تملؤني الإحباط والقلق . لم أكن أريد أن أكتب لك عن هذا وإنما تصورت أني سأبدؤ بالملاعبة الكلامية والعتاب اللطيف من أول كلماتي حتى النهاية كالسهر إلى الصديد ، إلى دعته . ولكن اليوم حدث انفصال مؤلم مع من أحب وكان به ذلك الأمل وذلك الضوء الوحيد الذي أرى به

أيامي بحيث لا يشوبه غبار اليوم بل تصورت أنه تريثل دائم لعلاقة متكاملة ونادرة . سأحاول أن أجند الأمل الكبير كالنساك على لوحاتي عندها تنفتح النفس وأنقل دمع عيوني وأمضي باستمرار وصبر وتأكيد إلى اللون على القماش وهذه السلوى الوحيدة ويجب علي التركيز مع التمهل وأن أحمل لوحتي في ذهني حتى في طرقات برلين . أمسية نادرة ببرلين ، حارة جميلة بعد شتاء حاد وبرد لم ينقطع ، ولكن سأحاول زيارة دمشق في أيام تموز على الغالب أو قبل ذلك وسوف أعلمك قبل هذا يا عبد الرحمن . ما زال ينتظر منك المعلومات اللازمة حول يتعلق بسيرة مدينة من أجل التحضير النهائي وأنا مقتنع بأنه سيكون كتاباً عظيماً ونادراً وكم أود في المكتبة العربية.

٢١-٥-١٩٩٦ مروان

الآن لم خطر في ذهني ان نتحدث، ان نقول كل ما نفكر ونحلم به، لكن ما نكاد نلتقي
حتى تنزلق الكلمات، تتشقق او تتلاشى. لكن محاولة كلمات اخرى، تكوينات اخرى، اقرب
الى الحقيقة، محاولة التوفيق، ولابد ان نضع على رؤوسنا "باروكات"، مثل المحلفين
التكلفة، ونتحدث بعين الطريقة الموروثة، الانانية (الغبي) الانفصام، وكانت دماء

في الذهن هو الذي (الذي) يعرف.
وانا، بعد الغربة، وانا، لكي نكمل الكتاب،
نفترض ان يكون اسمه هذا الان في هذه المدة الاخيرة
واساء، واتجاهه فقد معناه، لكن كل شيء
احاول ان اتوازن،
ليس له لون!

عزيزي مروان
انه انت ستفتح اشياء كثيرة جميلة.
كل البهجة والمودة، والسكونية، وانه لابد علينا ان نحاول اكثر من
مرة في هذه الحياة الى النهاية، ولابد ان نسمعها، لكن
ان نحبها. لربما اشياء كثيرة لا نعرف ان نقولها، ان نرسمها، ولابد ان نجاوز
شيئاً ما يجعلنا اكثر شجاعة. احاول ان ارسم واتذكر، ولابد ان نرسم
زمن. ومثل ما نريد. ولابد، سامحني،
هل تعرفه؟ انتي. ١٩٨٣،
وان تترك بصمات كثيرة

عبد الرحمن

وحسب الرسام، ما الخلق الذي
ودماء، الكتاب، الجميلة.

Twitter: @ketab_n

عفوا ماذا اقصد واستغفر ما سيأتي اريد ان ارسم . هو كثيرة ترى؟ لا زمتك بهذا في
البحة . كن نظرا صعبة اريد ان [illegible] الوقت . و[illegible] في التزمه . وازال من ان
سعيني الصغر مكتبه . كن [illegible] .

آخر صفحة

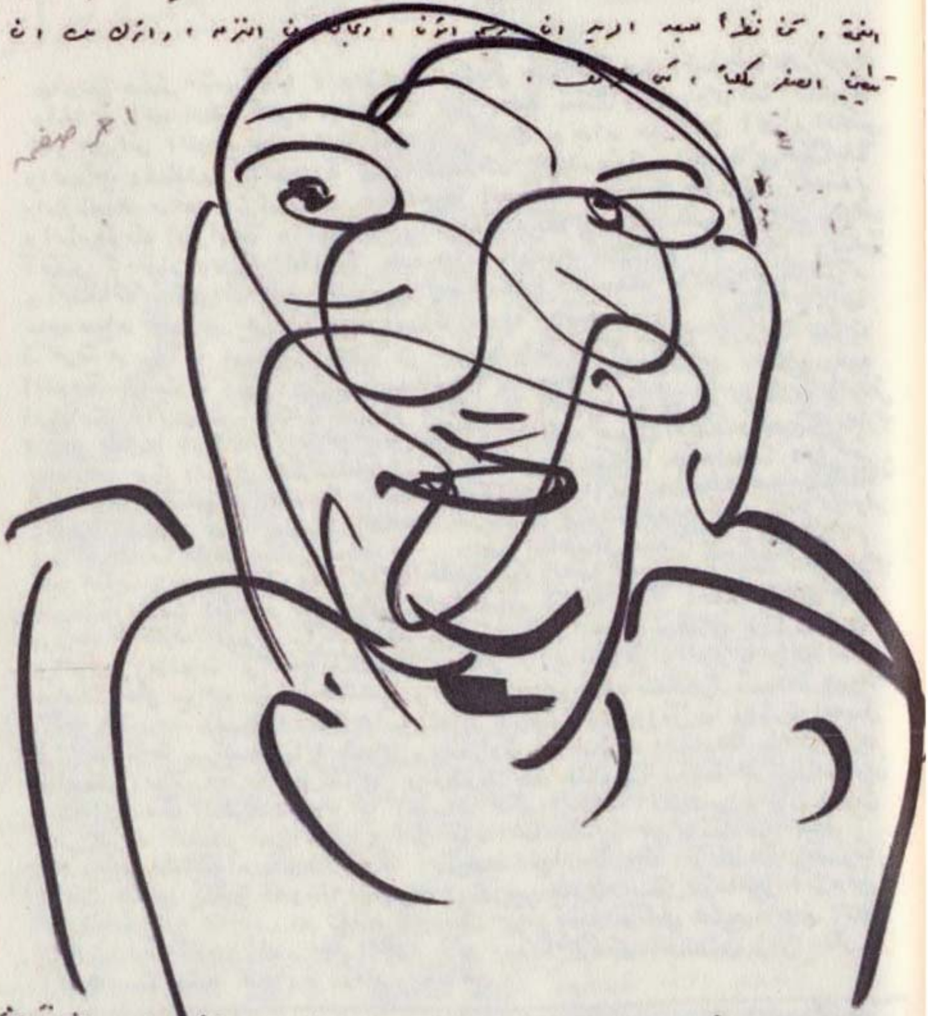

اخي [illegible]
، من ابلغ ترويضه والسيطرة عليها لابد ان تشعرت
حالة من القلق السكري تتناجى هذه الايام ، وان اسمه [illegible] ، تتمثل تماما في الادارة
في اكثر من مجال . و الى انه اكتب اسمي

[illegible]

حاولت منذ شهر آب ، وبشكل أن أنتقل من التسجيل الجنيني على الورق والمائي إلى القماش ثم أرسم لوحة برأسين متقاربين وكانت الفكرة هي الحوار اللوني والشكلي بين الرأسين وجاء مع ذلك الحوار النفسي والجدلي المتعلق بالصورة حول العلاقة الغامضة والحميمة مع التشابك والانفصال رغم الانفصال وخصوصية العنود وصورة بالأرض والحضور والأيقونة الترابية والتماوج وألوان البرتقالي والأصفر والبني وبعض أصفر أشجار اللوز الفتية ودرجات العنود اللونية أو وهم وحكي والتكاثف وألوان طير الحجر وسهل البطاح وانعكاس جذوع الأشجار على مياه نهر وديع وذكريات بعيدة للوحة رسمتها ... وهكذا ، وكما ذكرت ، بدأت في شهر آب ، إن بدايات الرسم سهلة وبدايات تكوين اللوحة (يقول أهل المغرب صباغة !) ممتع مطرب فيه الفرح وفيه البهجة والتمتع ولكن البناء وشموخ العمل لا يأتي إلا بالمتاعة والرفض الذي يقارب البكاء والذي يحمل حزناً عميقاً ويحجب النفس بوشاح رمادي يبعدها عن الفرح والاستبشار حتى تنحل العقدة وتتضح مراكز الأسرار وتنهض اللوحة واقفة لتكون هاأنا مرتبطة حميمية بالفنان ولكنها تنفصل عنه بحياتها الخاصة قائلة أبحث من جديد عن مراكز الأسرار الأخرى فأنا طليقة حرة . هذا حدث منذ آب وأنا أرسم قبل عمان وبعد عمان على تلك القطعة من القماش التي أتعبت نفسي وروحي وبعثت الشك الأسود في عيني وفي قلبي ولكنه عندما أسقط أحف من جديد لأقول اليوم سأكشف بعض الأسرار بيدي وحدي وتعتمدي في ضغط الألوان وأتبع مساحات الفكر والإيقاع والرؤيا لأعود متعباً حاملاً ثقل يومي وثقل خشلي وقصوري لوحدي منتظراً صباحاً جديداً كي يشرحد السر المكتوم بإشعاع جديد ... وإلا ما فائدة العمل إذا لم يكن مرتبط بالإشعاع والفرادة . صممت البارحة بالقرمزي وبعض الأزرق والبرتقالي وبخطوط من مساحات بنية ترتبط الرأسين بشلال من الطرف الأول في اليسار حتى الطرف القطبي وكانت العين اليسرى تنتظر بين جذوع الأشجار العامودية في غابة في أيام الخريف لتتبع مساقط نور الذهب الجارية بين الأغصان وصوت للحن خفي يملأ قلوبنا بسحر فرح غريب نعرفه منذ الأساطير الأولى للإنسان . لم تنته اللوحة كما أريد ولكني عنيد دون أصابع إبحث حتى أصل إلى ذلك النور أو بعضه وحتى أحتضن ذلك اللحن أو همسة منه زوادة لأملي ورؤياي .

كيف حال حمزه وليلى وكيف حال هاني ودياسو وكيف حال عبد الرحمن وسعاد ؟! ) أرجو أن أسمع منك يا عبد الرحمن قريباً وربما طويلاً إذا تيسر لك ذلك ... وإلا تبعث أخبارنا عن طريق الصحافة والخمام والاسكتراء والأحلام ، مع شوقي وحبي لكم . مروان

Twitter: @ketab_n

٠١-٢-٦

يقع في جانب مكتبي
الفنون شجرة كستناء باسقة
ومتفرعة في القدم، أكتشفتها منذ
سنوات الدراسة الأولى وعلى اليوم
على أن أكون شاهداً لحياة هذه الشجرة
في كل الفصول وخاصة عندما تحمل الأزهار
الأولى على العناقيد المرجانية وتملأ الفضاء
باحتفال ربيعي جميل، كما اعتدت أيضاً قطف
عنقود أضعه في البيت في مزهرية لأنقل
بهاء عناقيد شجرة الكستناء إلى غرفتي.
قطفت في آذار أسبوع الأخيرة من العام
الماضي غصناً أجرد من ساق الشجرة
ووضعته في كأس في مرسمي لأنهم شكي في
قدرة الغصن في الانفتاح وإظهار براعمه البكر،
وقبل أسبوعين تفتحت البراعم وأعتقد برؤية كالأيادي
اليانعة والناضرة فرحة لعيني ولقلبي.

(إن في لوحاتي الجديدة ما يشبه الحديث الإنجيلي التوراتي
والقرآني في خلق الإنسان والطبيعة وفيما يتعلق بالتراكم وتزاوج
البحار بالكائنات ثم الطين والماء والمستنقعات والنباتات
الأولى وليس النرجس وورود الأقحوان وإنما تلك الطحالب
الأولى الطافية في حاديتها تحت المياه القعرية وعلى
سطح التجربة الأولى التي تكرر ذاتها مجبولة بجسد الإنسان
والحيوان والنبات على مر ملايين السنين حيث يتوقف
الهواء وتنام الرياح ويبدأ الخلود إنها حالة التخفي في
الأفق دون خلفية لأن خلفية الأفق هي الدوام والثبات
وهي الصدر والظهر والكل، لا شيء يتحرك والأشياء تبقى
في مكانها دون ظلال.) من مقابلة كتبتها في
ملحق الملحق من أيام كانون أول ٢٠٠١ وقد بدأتها
بملاحظة كالتالي: (إن البلاغة الطريفة مع الزخرفة
السطحية في الثقافي تعجب بعض أهل الثقافة فيما يتعلق
بالتصوير على أنها الشيء الحديث والأثمن، وإلى جانب
ذلك يأتي الطرف الآخر من الوعي الثقافي الذي نعتقد
أن ما يراه من تعقيدات وصوفية مطاوية على سطح اللوحة

Twitter: @ketab_n

١٤-٤-٩٣

عزيزي عبد الرحمن،

الشمس ساطعة صيفية، جئنا الحوش الصغير متأخراً، بجرأة وبدأت الرسم على لوحة كبيرة. مثل زهرات أول. رائحة التربنتين تملؤ المكان. رائحة محببة وأولى في الذاكرة الحية التصويرية قيل لي قبل سنوات بأن تلك الرائحة تأكل الدماغ. الوقت متأخر لعمل العمليات الدماغية وإذا كان كذلك فإنه الحساب على الأقل أحسن من يأكل الدماغ أمور ووسائل أخرى وكما يقول المثل، كل عنزة معلقة من كرعوبها. دخلت الشمس جداري وراحت تتجول على أقسام اللوحة. تشاهل نور. مثل مسرحية يحلو تأملها ولكنها توقفني عن العمل وهكذا جلست لأكتب لك، وكما ترى فإنه عندما يأتي الرسم ليبل المداد وبعده تأتي غصة جامدة وجافة.

حدثتك البارحة وقلت كلمة الشهود بالشهادة والشهداء. عزيزي بقي الخجل وحاولت معرفة الأصل وعلاقة الشهادة والاستشهاد والشهيد .. تعثرت قليلاً رغم إمكانية الاسترسال وأمكانية ربط الشاهد بالشهيد وقد يكون الشاهد من أمثالنا على الاغتصاب شهيداً بسبب اللوعة والقدر الكبير من الغضب والألم ثم الإحباط، وعليه، فإن هفوة اللسان التي لم أكن أقصدها، ربما كانت في محلها في الوقت التي تموت فيه ذاتنا ولا يبقى إلا ظلالاً بلا معنى نتأملها بغباء بين الصحوة والنوم والجدار.

كانت والدتي تحذرني باستمرار.
كانت تقول: إسمع يا ولدي،
إسمع يا مروان، إياك أن
يغريك بائع الملابس القديمة
الذي ينادي بالحارات بمن الملابس
القديمة للشراء.. إياك أن
تذهب معه حيث يأخذك إلى
داره ثم يذبحك ويضع
دمك في جارورة له ولأولاده
كي يشربوا من دمك فتختفي
أنت وهم يعيشون بدمائك.
حدثت ٦٧ وبعدها أحداث
وهم يمتصون دمائنا وذاتنا
حتى جاء الذبح الأخير ٢ آذار
٩٣.. وهو المذبح الأخير.
وستفتح الحرب الذي يرضون
به ويسمون بحمد الله دولة
أم. يا ويلي ولو تشوف عيونك
يا أمي شو صار فينا.

Twitter: @ketab_n

marwan

عزيزي عبده الوازن،
هناك رغبة بالكتابة لك رغم أني لا أعرف ماذا أكتبه،
أجلس في المطبخ وأنظر إلى عتمة الليل. هناك نافذة
يشبه ضوؤها لون العنبر، يقدم لنا ضوء الآخرين بعض
الألفة وأفرح به. ربما لعلاقة ضوء جارتنا وانتظار
حكايا الليل مع القطط والدفينة على منقل الفحم مع الخالة
والجيران وهدوء طبعاً، ما أحلى الظلام المرقع دون لمحة
ضوء أو صوت نائي من بعيد، نظرت اليوم صباحاً من
النافذة ولفتنا انتباهي زوج من الحمام يقف على سطح
البيت المجاور مثل ملكان ويتداعبان بمنقاريهما رغم الصقيع
وبقايا الثلوج. ليست لي الذاكرة البصرية لأرسمها، ولكني
ما أحب رسمه منذ أمد بعيد هو الغراب يقف على على
السطح وخلفه زرقة السماء وتحته جدار الآجر البرتقالي،
إن الذاكرة البصرية نعمة.. وقد تكون فخاً. أنظر بعيني
وأرى الواقع ومن خلاله أحاول الغوص إلى صورة تتحرك
بموسيقاها في داخلي وأحاول الغوص بالتركيز والدعاء والنداء
حتى الإلهام وحتى يعود تركيز جديد ولا أحب أسحب للزاوية
المستقطعة وما ترسب فيها حتى أصل إلى إشارة.. إلى غراب

Professor Marwan Kassab-Bachi
Atelier: Schmargendorfer Straße 25 · D-12159 Berlin · Telefon & Fax. 0049 (0)30 852 36 67
Privat: Bayerische Straße 8 · D-10707 Berlin · Telefon & Fax. 0049 (0)30 885 46 31

Twitter: @ketab_n

٢٤-١-٢٠٠٢

لقد انشغلت بتأويل جديد للوحة - الصديد - منذ عودتي من عمان وقدرت في البداية أني سأرسم بشكل (مباشر) ونزعة ولا صلة إلى الشواهد ببرقة وطزاجة .. ولكنها بطلت وبطلت حتى قبل أسبوعين كعادتي بالحوم حول ما أحلم بالوصول إليه بشكل دوائر تشبه الكر والفر والإحباط والأمل . أعتقد أن العمل يأتي به ويحمل نتوءات الزمن وفيه ما يشبه (الشهادة) والهوية ... ما أصعب الشهادة وما أحلاها إذا جادت وهما أشد الطريق إليها . ان الصعوبة الكبيرة هي الوصول والصعوبة الكبيرة أيضا هي الفرق بين الطبيعي الوصفي وبين المجرد الجديد الذي يخرج من إطار الوصف الطبيعي التقليدي ليأخذ شخصية جديدة وسمة خاصة ترتبط بالإبداع والمبدع .

أحلم بأن أكون إلى نفسي ووقتي باقتصاد يناسب الموقع الجديد الذي أدخل إليه اليوم أو ربما منذ زمن . أحن إلى الهدوء وتحلم عيناي بالقرية والواحة والنهر وليس نادراً ما أقول لنفسي لماذا لا أذهب معك إلى أحد قرى الفرات أو مدنه لنبقى أسبوعا أو أكثر نخلط الماضي بالحاضر ونحلم مع الأفق البعيد ونحن جزء من النسيم والتراب واللون .

مع تودّدي ولهفتي لرؤياكم . مروان

الأمسية الثالثة.

أجلس لوحدي مع الزنبقة وقطعة خبز وكأس
خمرة. [redacted].

إن أسوأ الممثلين على مسرح الحياة هم الذين، كلما
يحاول أن يقدم دوراً باهتاً لا يجاوز العادة
يقولون ويتبجحون بأشياء لا تعادل حقيقة [redacted]
موت دودة في دوران الأرض ثم يذهبون إلى الثراثي
النادي مع أقلام لا تعادل انتفاضة الدودة في مخابئ
التراب لتحيا الأرض من جديد. ليحيا الدود
لأنه قوت الخلاص البشري وفتيلة الأيام.

عدت إلى بستاني. رأيت عمل الأيام. توقفت
ووقفت. كنت متعباً ولكني متعلق بما يتعلق
بالإشارات... لا، ليس هكذا. وسوف أبدأ من
جديد مع انفتاح الأغاني والنور [redacted] تأملت
وأجلت العمل إلى الغد، قاتل أو معتزل، سوف
أمحو بيدي حلم الفرح والظهور. كانت أمي
تعجن الرقيق. تعجن وتعجن بيديها ونحن نحلم
برغيف الغد. واللوحة رغيف القمر وكأنها
الانتظار، ليس الماكرونالد وإنما خبز البوادي.

Twitter: @ketab_n

[illegible]

لأرجع إلى غرفتي، إلى هدوئي، إلى مرسمي!

لقد بدأت العمل رغم حرّة المرسم ورطوبته، إلا أنه ما يخيف الكان وجعه أو حائطاً أو قماشي. جاءت بعض بقع اللون على الأرض وكل من سار على الدرب قد يصل... إلى أين! إلى حلم رافقنا في بطن الأم، من نحن وأين ينتهي الكون، وهنالك الفرحة الأولى بين الصنايعي المهني وبين من يحاول السير في الأنفاق ليصل إلى بعض نقاط انفراج النور، طريق مسيرة متعبة ولكنها لذيذة ومتعبة ولكن ما أصعب الوصول إلى الزهور والنور وبعض شعاعه القناعات ولكننا نقف مع إعياء شديد مع الشهادة لنتجه الطريق إلى شهادة جديدة وما أصعب الطريق المفروشة بالأمل والخيبة ونحن نسير بين الأشواك ومنظل الروح.

إن مرسمي جميل وهو يشبه صومعة ومحراب يشع بالنور (الأعلى) وهو مثل فراشة الصبية في يوم اللقاء الأول يلامس هبات النور... ومسيرة الألوان وتيهها في أخاديد المادة حتى تلتقي من جديد مع نجوم الضوء وعرائه ليصبحن في ساحة جديدة وإيقاع عجيب. أشعر بالأمل أحياناً مع بعض الإحباطات من حديقة الماضي حيث علي أن أعثر على مصادر الينبوع والانفتاحات وإن ما يقلقني كثيراً، لعن الله المادة، الالتزامات الكثيرة بسبب البناء والقروض، ومن الطبيعي أن يكون هناك قليل من العبث بعدها أكون عن هذا الأمر لعد حديثي عن (الصورة). وصورنا لكم أمن صورة.! هل هذا من القرآن أو أنه ارتجال مني! لا أذكر، ولكن لا بأس بذلك.

أعمل الآن على لوحة انعكاس ثلاثية وتوافقني شعلة النور... يا للتعنت!، كان مرسمي يجلب لي النور من اليمين وأنا أحمل المرآة عندما أرسم... يا له من تصور رجعي الضوء من اليمين... والآن يأتي الضوء من أعلى وعلي التكيف مع هذه الحالة. حالة النور مرحب بها.

هذا مصدر كتابي لكم اليوم وسيكون في المستقبل مصادر أخرى. المهم هو النور، النور والفسحة لأرواحنا ونفوسنا مع حبي الكبير لكم.

مروان

Twitter: @ketab_n

بعد أسبوع. إن النهار أصبح قصيراً و(فترات) النور
أقصر وأنا أحب العصرونية وما بعدها في ما يتعلق بالرسم حيث
أصل إلى نوع من التجرد والجرأة .. أو الانفتاح ولذلك حاولت
الأيام الأخيرة أن أخرج من الدار في وقت مبكر. الساعة
العاشرة! .. أنهيت لوحة بعد ثمان .. وربما لوحة أخرى إذا
لم أعد إليها من جديد ... والثالثة كانت مشوهة أكثر
من مرة وعدت إليها أكثر من مرة واليوم (مسحت خلفيتها)
طوال النهار أكثر من مرة وحتى على ضوء الكهرباء ..
وإن غداً على بركة الله وبركة النور وإن شاء الله أصل
إلى نصف البئر دون أن ينقطع الحبل فينا .. ولم أتابع حتى
الأسبوع والمشكلة هي مشكلة الإضاءة التي نطلبها من
أنفسنا في تجدد دائم، وعلى أن الشيء الأساسي هو العمل
الفني أو الأدبي وإذا انحرفت القريحة فلا بأس به ونكمل
يضيع العمر وطول العمر وأمل العمر أصبت بنوع من
الألم وتصبح أيامي بلهاء وكأنها دون معنى.
أنهيت رواية قمر المطر لممدوح عزام وهو روائي جيد على
ما أعتقد وقد نقل بروايته حقبة هامة من تاريخ سوريا وأهل
الجبل وأستطيع أن أعتقد الأحداث في الثلث الأخير بشكل مثير
ومأساوي تقريباً عندما يتحدث عن تساقط آل الفضل وتساقط
الثورة وربطهما ببعضهما .. ولكني أعتقد أنه يزيد من
استعماله للكلام الشاعري على حساب الاختصار أحياناً وخاصة
في البدايات .... أرسلته، أو أعرت الرواية لحليم بركات
في أمريكا حيث أن حليم قال لي أنك من المدعوين في الربيع القادم،
تأتي رسالتي اليوم - ٧ - ١٢ - ١٠ وهي البداية وسوف
نتابع أحاديثنا في المستقبل مع حبي لكوكو ولكم مروان

Twitter: @ketab_n

- ٧٠ -

٦ – ٨ – ٨٣ ،

يوم جديد، درجة
الحرارة القصوى في أجازتنا كانت اليوم ٤٧
درجة . الأمل هو أن يتحول الشمال إلى صحراء
والجنوب إلى مبنى مغلق ليجيء إليه عمال إشهار للعمل
ويكتب الروائيون ، كان عالم بلا خرائط جميع نشرة كما ببيئة
وبي جيرا .. ألا ترى إمكانية جديدة بلا عمل جديد دون امرأة
أساسية إلا شخصية الكاتب أو الفنان . نعرف نماذج كثيرة قريبة
منا وربما كانت بعيدة عن تجربتي أقرب لذا مثل أقلام الجعفري وتدرير نبله
أو عدد آخر كبير تترجمه آلة حي العالم العربي .. أو أنا وتحفظ بيني
الجميع لتخرج بإرادة جديدة ، حوة الوحدة وانتصار النفس في
الإبداع دون الأخرين مع الأفراح والانتصارات وتكرار الوجود إلى
جانب الحزن وحتى الفرح في حالة الترنح والضمور حتى تنبثق بذرة
جديدة تتصعب منها الأم الخوف والفرح وهكذا تمر الأيام مع الأحداث
الأخرى الخاصة والعامة التي تعكس أصلاحية جيل وحماسه مع أحلام
الشباب في عالم أقصوه بمادة وعسيرة ..... ثم تمر الأيام ويمر الكاتب
والفنان معه ويأتي الخوف من (الآخرين) ، لتغيير الجماعة
ويبدو لنا نفوذ شخصي بأن الآخرين يحاولون التصعيب ..... إنني
نعود بعد فترة الجحد البرودة التي علينا أن نتجاوزها لنبدأ من جديد
وكأن شيئاً لم يحدث . أحبك يا عبد الرحمن وسعود ، هلال المنتفاخي
إنغاثي مع الزمن والمتعود .. وهنا من يتحدى الرب والحجر والبحر .

Twitter: @ketab_n

15 - 6 - 1996

قبيل الغروب، وما تزال الساعة الثامنة والنصف والشحرور يغرد للمساء. لقد أنهيت شريطي بالحديث لك وبعثته بإسم الرحبي وما دمت اليوم نقلتهم على شريط عادي من شريط صغير لخوفي أن الشريط الصغير قد يصعب حصول آلة له في دمشق وأتوقع إرسالهم لك بعد أيام.

أحاول الرسم منذ البارحة بشكل جدي وقد عدت إلى لوحة كبيرة نسبية كنت قد بدأت العمل بها قبل أسابيع وهي ترفيهية. فكرة ذلك العمل الرأس الطائر وقد حاولت تنفيذ الفكرة أكثر من مرة إلا أن أدبية الفكرة المذكورة كانت عائقاً منذ البداية وقد فشلت التجارب الأولى على القماش بعد محاولات كثيرة واللوحتين اللتين بدأت بهما تحولا إلى شيء آخر بعد صراع عنيف وها أنا أعاود التجربة من جديد. إن البداية كانت جميلة وملونة وبها الأناقة والقدرة اللونية والتقنية الممتعة ولكنها لم تملك عملية البناء والتأكيد مع الأحجام، سوف نرى ماذا يحدث. كانت البداية جيدة بالأسود والأبيض فقط مع بعض الأصفر ونقطة حمراء في أطراف العين اليمنى. عملت اليوم ساعات حتى المساء وخرجت اللوحة عن طورها الغنائي الأول وتحررت من القشرة والجمالية الأولى للسير في طريق التجريب والبحث والتخريب والبناء والوصول باتجاه عنوانها الطائر أو الرأس الطائر: يقبع كصخرة أو هضبة في منتصف اللوحة وتشغل مركزها تقريباً وعلى يساره ضياءً أو برجاً ممتداً من قبيل السماء في الأعلى حتى قبيل الأرض وعلى اليمين من الأعلى حتى الثلث الأخير من أسفل.

إن التخطيط يبدو سهلاً ويبدو معه الحجم ثم تأتي الصعوبات التنفيذية ليصبح التحكم على طريقة الساعات والأيام ولتبدو اللوحة من جديد ملاحقة الزمان ولتولد اللوحة من جديد مع حلم آخر يرتبط بوثيقة حياة اللوحة مع الزمن وفي نطاق زمان تحقيقها.

لقد أرسلت لي مي صور معرض دمشق يوم الافتتاح فرأيتكم وزاد شوقي لكم.
مع حبي. مروان

Twitter: @ketab_n

وهذه العطلة، وماذا تحمل من احتمالات!

عيد رأس السنة، مطلع العام الجديد، واحتفالنا برحلة روان، آمل ان نبدأ رحلة جديدة.

احييك بمودة وشوق، وتحيات لسعاد والاولاد، وارجو ان اسمعك قريبا.

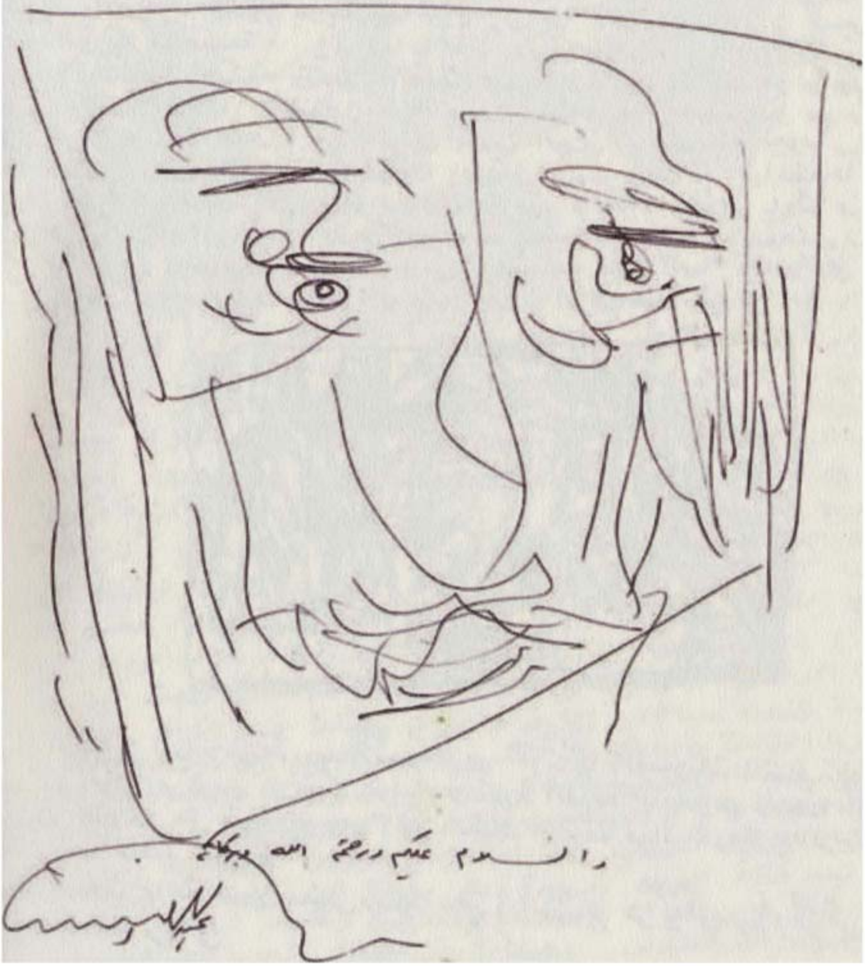

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

Twitter: @ketab_n

٣١-٣-٣، بقيت أعمل على لوحة القناع أو الموحي خلال الأيام التسعة الماضية . كانت تأتي وتغيب باستمرار وأنا بإصرار دائم وفشل مستمر. كلما بدت مشابهة بجلالة كبيرة وكثيفة من الألوان والاحتمالات خلطت ما كنت قد رسمت . جئت قبل البارحة ثم البارحة نهاية الأسبوع لأرى طبقات السطوح والأشكال ولا أعلم فيما إذا كان علي أن أبقيها هكذا ، بدت لي وكأنها حصيلة التراب والاغتصاب والحزن . كأنها وجه العراق المغتصب من هولاكو الجديد جامعاً معه التتر والصليبيين وجشع وحش الشمال . قلت لنفسي لأعطيها عنوان مؤرخ ، يوم هجوم الوحش على بلاد الرافدين من الأرض والسماء ، نهاية الأسبوع الثالث من آذار .. أو ربما وجه العراق .

هذا حديث اليوم يا عبد الرحمن ، وكما تعرف أو يعرفه الرواة فإن للحديث بقية ولكنه لا توجد نهاية لشوقي لكم ... وأنا معكم أنظر إلى العيون المحبة ، مروان

Twitter: @ketab_n

من هذا الطرف خرج طارق بن زياد إلى إسبانيا ليمنح العالم بعدها أسس الحضارة الأوروبية وكما قال عبد الرحمن بعد سؤال إسبانية عن أهله وبعد أن قالت عن أصلها مفاخرة هؤلاء السيد قومي فانتسب إلى ثم أحسن من قومي رجالاً .. وحيث أجاب مبتسمة أطرحه القلب وغاضت أعيني في رؤاها وتاهت السؤال . ورغم ذلك يا عبد الرحمن ..

طنجة

٢٧-١٠-٥٢

العزيز عبد الرحمن ،
من الصعب جداً تغيير العادة ، ولا أقصد العادات الخبيثة منها والتي يقال عنها بالعربية (قلة حميرة) وإنما العادات الجيدة منها والمحمودة . وربما جاء حديثاً في هذا الأمر حيث قال عن محمد بن أحمد مروان الرسام أنه سمع ما يلي : من كتب بالأخبار والقصص فإن كتابته ملأها الله بالوقار ودخلت مقاصدها قلب القارئ عن طريق القلب إلى اللب : انتهى الحديث والله وحده يعرف إذا كان هذا الحديث منسوباً وصحيحاً أو أنه أريد به الخير فقط وإعادة الكاتب إلى المجرى الحسن والزوجة الرفيع حيث يسيل الحبر بدل الدم من ضمير الكاتب إلى قلب القارئ وبالخصوص إذا كان الكاتب صديقاً والقارئ حميماً.

وأما بعد ، فلقد نسيت أخباري وقصصي في برلين ، وليس لذلك علاقة بالقصاب.. بالتي وإنما بما أعطته الطبيعة من روعة أبدية وصوت يشبه ترانيم الناي عندما يلامس النسيم صفوف القصب على شواطئ الأنهار والبحيرات وقد جاء هذا في رواية الروائي عبد الرحمن منيف عن تركنا الجسر عندما أصاب بطل الرواية فطلقته في أجمة الليل ملكة الوز وهو منتظر ذلك الحدث ما يقارب الدهر وعندما استعان الراوي أن ملامح القصب للوصول إلى ملكته) وقبل أن يشعر بسيارة إرضاءً لنشوته بالوصول .. ولكن الدهر يمر ولا أصل!

Twitter: @ketab_n

# عبد الرحمن منيف

من أعماله:

- مدن الملح (5 أجزاء).
- أرض السواد (3 أجزاء).
- الأشجار واغتيال مرزوق.
- شرق المتوسط.
- سباق المسافات الطويلة.
- الديمقراطية أولاً... الديمقراطية دائماً.
- أم النذور.
- سيرة مدينة. (عمان في الأربعينات).
- الآن هنا.
- قصة حب مجوسية.

لقيت أعماله إقبالاً واسعاً، وطُبعت معظم الأعمال في طبعات عديدة، كما تُرجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم.

Twitter: @ketab_n

## مروان قصاب باشي

- رسام سوري معروف. ولد في دمشق ودرس في برلين حيث أصبح أستاذاً في كلية برلين العليا للفنون الجميلة.
- أقام العديد من المعارض في أبرز عواصم العالم. كما أشرف على العديد من الورش الفنية. ويقتني أعماله عدد من أهم المتاحف في العالم.
- اشترك مع عبد الرحمن منيف في إصدار كتاب **مروان: رحلة الحياة والفن**، حيث كتب منيف نصوص الكتاب التي تقدم مروان الفنان.
- صدر له كتاب **رسالة إلى صديق**، وهو كتاب بخط اليد مع رسوم مائية، يعبِّر فيه مروان عن رؤيته للفن والحياة. كما نشر له **معهد غوته** كتاب **من مروان إلى أطفال فلسطين**. والكتاب عبارة عن لوحات غرافيك قدّمها مروان لأطفال فلسطين.
- قام بتصميم أغلفة كافة كتب عبد الرحمن منيف مقدماً روحاً جديدة في شكل وتصميم الغلاف.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

ketab.me

مرسم برلين 1999

لم تكتب هذه الرسائل بقصد النشر أصلا. كما هو حال بعض المراسلات الأدبية الشهيرة عندنا. تقرر نشرها بعد وفاة عبد الرحمن بمبادرة مشكورة من سعاد قوادري منيف ومروان. ولا شك عندي بأن عبد الرحمن كان سيوافق لو سئل. فهذه المراسلات قصة صداقة. صداقة سابقة على بدء التراسل.

إلى الصداقة، تشكل هذه الرسائل شهادات نادرة عن عملية الانتاج الادبي والفني والعلاقة بينهما.

يصمت الصديقان وتنقطع المراسلة بينهما لأشهر إبان غزو الأميركي للعراق. يكسر عبد الرحمن الصمت شارحا السبب: الحزن والإحباط.

يعتصم عبد الرحمن بالحكمة الشعبية «إذا ما خربتْ ما بتعمر».

ويستقوي مروان بقول سعدالله ونوس «لقد حكم علينا بالأمل».

مشهد ختامي: مروان في مرسمه الجديد ينتظر النور تنقشع عنه غيوم المانيا العنيدة: «المهم هو النور» يقول.

ربيع 2011. جاءنا النور.

نفّذ محمد بوعزيزي وصية ناظم حكمت: «إن لم أحترق أنا/ وإن لم تحترق أنت/ وإن لم نحترق جميعا، كيف للظلمات أن تصير ضياء؟».

رؤيا: ختم عبد الرحمن كتابه عن الباهي محمد مستشهدا بهذا النص الرؤيوي لصديقه، صديقنا المشترك:

«يأتي الطوفان فيصير كل شيء ممكنا وتحذف كلمة مستحيل من القاموس. نوحٌ جديد يطيح الاتكالية البليدة السائدة. رجل وإمرأة تحدوهما الرغبة بالحب والإنجاب والعمل. يعمّران الدنيا الجديدة حسب ذوقهما ويملآن الأرض عدلا بعد أن ملأها الناس جورا.

أين أنت أيها الطوفان العظيم؟»

ربيع 2011. جاءنا الطوفان.

**فواز طرابلسي**

ISBN 978-614-419-052-X

9 786144 190524

دار التنوير للنشر والتوزيع

المؤسسة العربية للدراسات والنشر